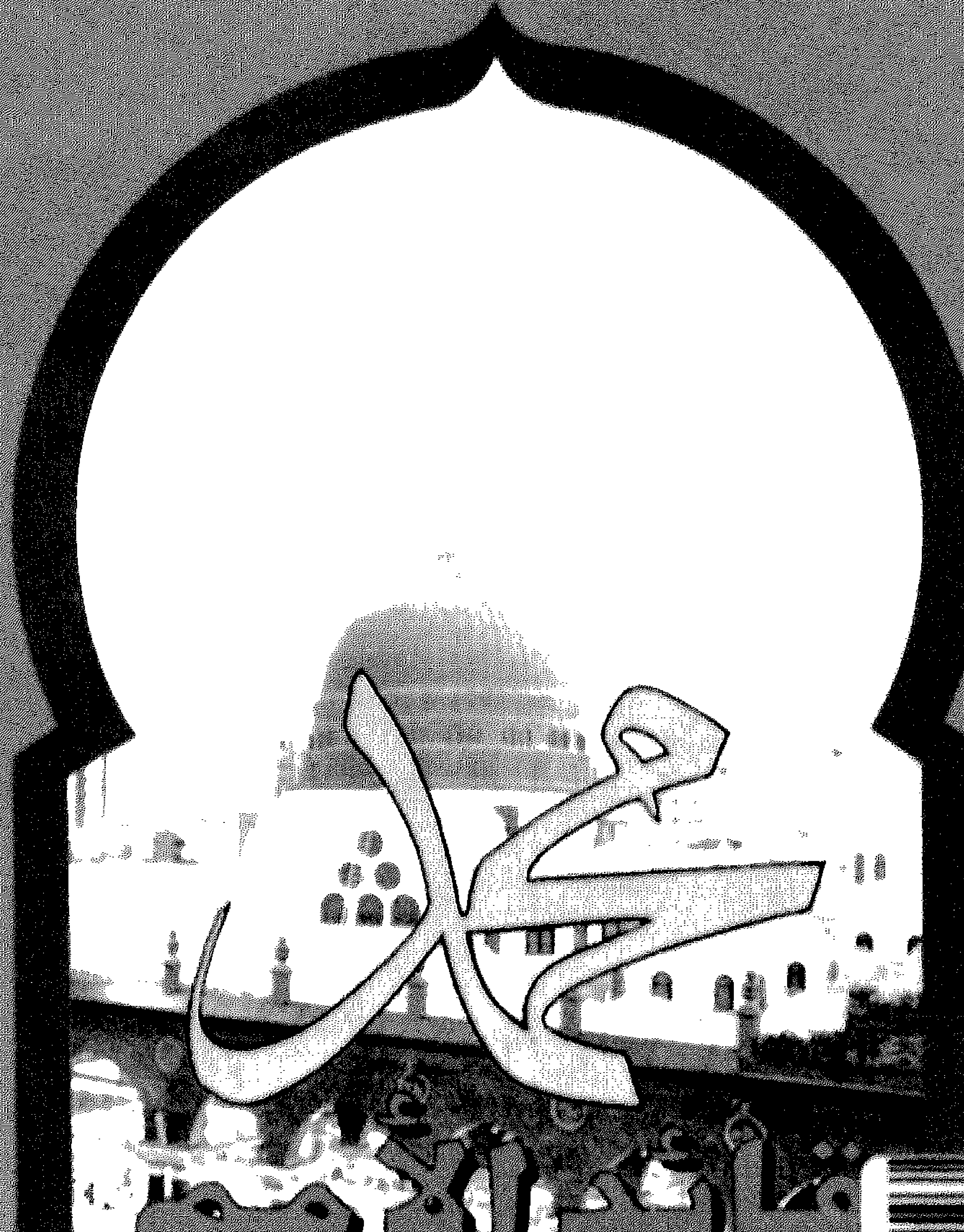


محمد

د. اسماعيل حلمي

الهيئة المصرية العامة للكتاب

محمد ﷺ

قائد الأمم

بحث واعـــداد

د. إسماعيل حلمى

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

صدق الله العظيم

سعدت بهذا الجهد العملى الطيب فى خدمة الاسلام والمسلمين من كاتبه صاحب قلب مخلص لدينه ولوطنه ولنشر راية الاسلام والمسلمين والوحدة الوطنية التى تجمع بين الديانات السماوية جميعا تحت راية الاسلام الذى هو دين الأمن والسلام لكل انسان يحب الخير لأخيه الانسان ٠

تمنياتنا له بالتوفيق والمزيد لخدمة الاسلام فى كل مكان ٠

مفتى جمهورية مصر العربية

أ ٠ د ٠ نصر فريد محمود واصل

الاهـــــداء

الى كل عاشق لمحمد عليه الصلاة والسلام ·

الى من يعرف ان محمدا هو لسان الحق ·

الى من يؤمن أن محمدا صاحب اذن بالشفاعة ·

« يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا »

(سورة طه آية ١٠٩)

الى من يؤمن أنه لا نبى بعد محمد ·

الى من يثق آنه سيد الخلق آجمعين ·

الى من يؤمن بمعجزات محمد ·

الى آهل البدع لعلهم يفيقون ويعرفون أنه الحق ·

الى قادة الشعوب ليستنيروا بقائد الأمم ·

الى كل مسلم مؤمن ليتعلم الدرس من القائد محمد ·

الى أبنائى الأحباء وزوجتى وأهلى وأصدقائى وعشيرتى

الى روح أمى وروح آبى ·

اليه هو القائد الانسان النبى الحق حبيب الله وصفيه الذى قال الله تعالى فيه « وما ينطق عن الهوى » ·

سورة النجم (آية ٣)

الى الذى خُير أن يكون ملكا رســولا أو عبدا رســولا فاختار آن يكون عبدا رسولا ·

اليك يا حبيبى اليك يا من تسكن قلبى وفؤادى ·

الى حبيب الله الذى أخذ جبريل بيده الى سدرة المنتهى ·

اليك يا من كلمات اللغة لا تفيه حقه من التبجيل ·

اليك الى آن آلقاك كتابى هذا ·

البــاحث

د· اسماعيل حلمى

مقـــدمـــة

فى الـــواقع :

أمتنا الحبيبة تمر بظروف قاسية فى هذا العصر بالذات وقد زج بنفسه كثير من الجهلاء يدعوى أن هدفهم الاصـــلاح ومناصرة الاسلام وقد نسوا أو تناسوا أن ما يقومون به بعيد كل البعد عن الاسلام بل هو حرب عـــلى الاســـلام وتشـــويه لحقيقته ٠

وهذا فى الحقيقة يجعل الغريب عن الاسلام يبتعد عنه والمسلم العاصى يزداد بعدا عن دينه ٠

فالاسلام يدعى له بالحسنى ويدعى له بتعريف واظهار أعمال أقطابه ورجالاته الأبطال الشرفاء بأمانة ٠

الذين زينوا بأفعالهم دينهم فكان لأفعالهم هذه الفضل فى أن يقبل على الدين البعيد عنه ويرى العلامات المضيئة فيه ٠

وهذا هو دافعى لاظهار معجزات محمـــد ﷺ وتصرفاته وحياته ومناقبه وأخلاقه التى قال الله فيها :

« **وانك لعلى خلق عظيم** »   سورة (ن آية ١)

ولذلك جاء بحثى هذا

ايمانا منى بأن أحسن ما يقدم فى هذه الدنيا هو العمل الباقى وان الخير طريق النجاح والشر طريق الهلاك ٠

ولعلمى ويقينى أن محمدا قدم للعالم كله ما لم يقدمه بعده بشر ولن يقدمه بشر الى يوم الدين حيث أن محمدا جعل المعجزة تابعة للايمان ، بعد أن كان الايمان تابعا للمعجزة ٠

أحسست من كل قلبى أن محمـــدا لابـد وأن يدرس كشخص له تصرفات تحسب له ويؤخذ عنه أخلاقه ·

أحسست أنه لابد من وقفة أمام هذه الشخصية التى لم تكن فقط رسولا يوحى اليـه ويرسـل للنـاس ما أوحى له ليأخذوه عنه ويقروه لأنه لا ينطق عن الهوى ·

وانما هذه الشخصية أين ولدت وكيف وأين عاشت ·

وبمن تأثرت ومن معلمها وماذا فعلت ؟

وهل مقدمات هذه الشخصية هى التى مهدت لنتائجها ؟

أم ان هذه المقدمات لو توفرت فى أى شخص فلن تأتى بمثل هذه النتائج الا بعناية الله وأمره ·

وهذا دليل الدلائل عـلى أن محمدا هـو الحق وليست الجاهلية مقدمة للاسلام وليس الفساد سببا للاصلاح ·

وليس قريش ولا جـزيرة العـرب ولا دولة القياصرة ولا أبهة الأكاسرة هى التى بعثت محمدا لينكر العصبية عـلى قريش ويعلم العرب تسـفيه التراث والمـوروث من الآباء ويهز العروش التى قام عليها الطغاة وتألهوا عليها من دون الله ·

بل هؤلاء جميعا كانوا ضحية البعثة المحمدية ·

هؤلاء جميعا كانوا مريضها الذى شفى على يديها بغير شعور منه بالمرض وبغير سعى منه الى الشفاء ·

وليس القصد من هذا الكتاب سيرة نبوية جديدة تضاف الى السير النبوية التى زخرت بهـا المكتبات لأننى لم أقصـد وقائع السيرة لذاتها ·

وليس الكتاب شرحا للاسلام أو لبعض أحكامه أو دفاعا عنه أو مجادلة لخصومه فهذه أغراض استوفت فى مواطن شتى يكتب فيها أصحابها ومن لهم القدرة عليها ·

انما بحثى هـــذا نابع من الحب الذى يدين به كل انسان ، والتقدير الواجب لشخص محمد وهو ايمان منى بأن عمل محمد كان لتخويله المكان الأسمى بين صفوة الأخيـــار الخالدين •

وحيث نرى أن ميزان القيادة وميزان العمل وميزان العقيدة قد رجح بمحمد •

فهو بذلك قائد عظيم لا ينال منه فى عظمته هذه بغى الجهلاء كما لم ينل منه بغى الكفار وقت الرسالة •

ولهذا سوف يلقى بحثى هذا الضوء عــلى الأموز التى تخص شخص محمد حيث أسرة محمد ومن هم ــ ومن هــو محمد وميلاده ــ فصاحته ــ عسكريته ــ بصيرته فى القيادة ــ ذكاؤه السياسى ــ ملكاته الشخصية ــ رئاسته وصــداقته لمرءوسيه ــ محمد الزوج ــ محمد الأب ــ محمــد العابد ــ معجزاته وأخلاقه •

أسأل الله العلى القدير

أن يهيىء لنا من أمرنا رشدا

ويوفقنى الى تقديم مادة يقبل عليها القارىء

وأن أكون قد أوصلت معلومة يرضى عنها سيدى وسيد الخلق أجمعين محمد عند اللقاء فى الآخرة لأننى أومن أن المرء مع من يحب فى الآخرة •

انك سميع مجيب يا الله

د . اسماعيل حلمى

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين

صدق الله العظيم

سورة آل عمران

القسم الأول

مولده ونشأته

أولا : نسبه الشريف :

١ ـ من جهـة أبيـه :

نبينا العربى ، الهاشمى القرشى ، آكرم العرب نسبا ، وآشرفهم حسبا ، هـو محمد بن عبد الله بن عبـد المطلب (واسمه شيبة الحمد) ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن حكيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وينتهى نسبه الشريف الى اسماعيل ابن ابراهيم أبى الأنبياء عليهم الصـلاة والسـلام ويدعى (أبا العرب المستعربة) •

وقد نظم بعضهم الشعر فيه فقال :

« نبينا محمـد قد ينتسب	قطعا لعبد الله عبدالمطلب »
« فهاشم عبد مناف فقصى	كذا حكيم مرة كعب لؤى »
« فغـالب فهـر فمالك يلى	نضر كنانة خزيمة انقل »
« مدركة الياس أيضا فمضر	نزارهم معد عدنان انحصر»

٢ ـ من جهـة أمه :

وأمه السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم ، الذى هو الجد الخامس للنبى الشريف ﷺ ، وهى من أشرف بيوت قريش (وهذا هو النسب الشريف المتفق عـلى صحته من علماء التاريخ والمحدثين) •

وقال فى نسبه الامام البوصيرى رحمه الله صاحب البردة

والهمزية في مدح خير البرية المتوفى فى سنة ٦٩٥ هـ ، بالاسكندرية وضريحه بها مشهور ومعروف ٠

« نسب تحسب العلاة علاه قلدتها نجومها الجوزاء »
« حبذا عقد سؤدد وفخار أنت فيه اليتيمة العصماء »

ثانيا : أسرة النبى :

منذ ثبتت للبيت الحرام تلك المكانة العالية بين العرب كافة وجبت له أمانة الخدمة بما له من حق محفوظ وشرف ملحوظ ، ووجب لخدمة السمت الذى يجعل هذا المقام وهو فوق مقام الرئاسة الدنيوية وعلى مثابة من مقام العبادة والتقديس ٠

ولم يقم بهذه الأمانة أحد كما قام بها أجداد النبى عليه السلام من بنى هاشم ، فقد حفظوا حقها وعرفوا اسمها بل طبعوا عليه فطرة بغير كلفة ، وبدأ منهم الايمان بما فى مأزق الشدة التى يمتحن فيها الايمان بحب النفس وحب البنين ، فيغلب الايمان على حب المرء لنفسه وحبه لبنيه ٠

وقد تنافس بنو هاشم وبنو اميه على هذا الشرف فأسفرت المنافسة بينهما عن فارق فى الطباع ملحوظ الأثر فى خلائق الأسرتين من أيام الجاهلية الى ما بعد الاسلام بعدة قرون ، ومهما نجد من ندين متناظرين فى هاشم وأمية الا وجدت بينهما هذا الفارق على نحو من الأنحاء ٠

كان بنو هاشم أصحاب عقيدة وأريحية ووسامة ، وكان بنو أمية أصحاب عمل وحيلة ومظهر ، وينعقد الاجماع أو ما يشبه الاجماع على أخبار الجاهلية التى تنم عن هذه الخصال فى الأسرتين وبقى الكثير منها الى ما بعد قيام الدولة الأموية ولم يفندوه ٠

ومن هذه الأخبار أخبار المنافرات المتتالية تجمعها منافرة حرب وعبد المطلب الى نفيل جـد عمر بن الخطاب اذ يقضى لعبد المطلب ويخاطب حربا قائلا : « أتنافر رجلا هو أطول منك قامة وأعظم منك هامة وأوسم منك وسامة وأقل منـك لامة وأكثر منك ولدا وأجزل منك صفدا ، وأطـول منـك مذودا ٠

أبوك معاهر وأبوه عف وزاد الفيل عن بلد حرام

والنسابون يؤيدون ما تواترت به هذه المنافرات، فيقول وغفل النسابه لمعاوية ونسأله عن جده أميـة « رأيته رجـلا قصيرا ضريرا يقوده عبده ذكوان » ٠٠ قال معاوية : « ذلك ابنه أبو عمرو ! » قال دغفل : « ذلك شيء تقولونه أنتم ، أما قريش فلم تكن تعرف أبدا الا انه عبده » ٠

ويقول الكلبى فى أبناء عبد المطلب : « كانوا اذا طافوا بالبيت يأخذون البصر » ٠

الروايات المتقدمة على علاتها ، ولكنـه لا يحتـاج الى المشكوك فيه من تلك الروايات ليعلم هذا الفارق الواضح من خلائق العشيرتين فيما أثر عنهم قبل الاسلام وبعد الاسـلام ، ففى حلف الفضول قام بنو هاشم بالأمر وقام به معهم بنـو أسد وبنو زهرة وبنو تديم ، وتخلى عنه بنو عبد شمس فلم يشتركوا فيه ٠٠٠ وخلاصة قصته أن رجلا يمانيا قدم مكة ببضاعة فاشتراها رجـل فلواه بحقه وأبى أن يـرد عليـه بضاعته ، فقام فى الحجر أو في مكان عـلى شرف وصـاح يستغيث ، وكان من أجل ذلك أن تعاهد أناس من بنى هاشم وأحلافهم ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد الا كانوا معه حتى يأخذوا له بحقه من أنفسـهم ومن غيرهم ، وعمدوا الى ماء من زمزم فجعلوه فى جفنه وبعثـوا به الى البيت فغسلت به أركانه وشرفوه ٠ وقد أبى الامويون وبنو عبد شمس عامة على أن منهم أن يدخـل هـذا الحلف وكان

أحدهم عتبة بن ربيعة يقول : لو أن رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل حلف الفضول .

وربما خفى السبب الذى يرجع اليه هذا الفارق بين الأسرتين ، فقد يرى بعضهم أنه يرجع الى النسب المدخول وقد رمى الأمويون الأوائل بشبهات كثيرة فى عمود النسب وعرض لهم بذلك أناس من ذوى قرباهم فى صدر الاسلام ، وأشهر ما اشتهر من هذه الشبهات قصة ذكوان الذى يقولون أنه من أبائهم ويقول النسابون انه عبد مستلحق على غير سنة العرب فى الجاهلية . ومما يعلل به هذا الفارق أن بنى أمية كانوا يغيبون عن ديارهم ويغودون اليها فلا يطيب للمقيمين فيها أن يعترفوا لهم بدعوى الزعامة عليهم ، وانهم أكثروا من الرحلة فى بادىء الأمر لحاجتهم وقلة محصولهم من نتائج الزعم وأرباح التجارة ، وليس بالبعيد أن « المعاهدة » التى أشار اليها المحكمون بينهم وبين الهاشميين قد أورثتهم بعض أمراضها ودست فى أخلاقهم شيئا من خباثتها ، وليس بالبعيد أيضا أن الفارق بين الأسرتين انما كان من قبيل تلك الفوارق التى نراها بين اخوة كأنها قسمت بينهم ميراث الأخلاق فذهب أحدهم بالحول وذهب أخوه بالحيلة ، أو ذهب أحدهم بالكرم والاريحية وذهب أخوه بنقائضها من خلال الاثرة والدعوى .

وأيما كان سر هذا الفارق البين لقد كان بنو هاشم — أسرة النبى — أصحاب رئاسة ، وكانت لهم أخلاق رئاسة .

عرفوا بالكرم والنبل والهمة والوفاء والعفة ، وبرزت كل خليقة من هذه الخلائق فى حادثة مأثورة مذكورة فلم تكن خلائقهم هذه من مناقب الأماديح التى يتبرع بها الشعراء أو من الكلمات التى ترسل ارسالا على الألسنة ولا يزاد بها معناها .

كان هاشم غياث قومه فى عام المجاعة ، فبذل طعامه

لكل نازل بمكة أو وارد عليها ، وسمى بالهاشم من ذلك اليوم لهشمه الثريد ودعوة الجياع الى قصاعه ٠

عمرو الذى هشم الثريد لقومه   ورجال مة مسنون عجاف

ومما يروى أنه كان أول من سن الرحلتين لقـريش ! رحلة الصيف ورحلة الشتاء ٠ وحقيقة ذلك فيما يخلص لنا من سوابق الرحلات أنه كان يحمى تلك الرحلات وينظمها ، فنسب اليه انه أول من سنها ٠

ومكانته فى غير قريش ، وفى مدن التجارة ، تدل عليها مصاهرته لبنى النجار فى المدينة ، وزواجه من سلمى بنت عمرو التى كانت ــ لشرفها وعزتها ــ تأبى أن تتزوج الا آن يكون أمرها بيدها ، ولو لم يكن لهاشم مقامه فى الحجاز كله لما أصهر الى القوم ولا ارتضى القوم هذه المصاهرة من رجـل يزور مدينتهم زيارة الطريق بين مكة والشام ٠ وقد كان المعهود من بنى مناف أنهم لا يقعدون جميعا فى ديارهم وأنهم لا تزال لهم همة طامحـة فى رحـلاتهم وأسفارهم ، ومات أكثرهم فى غير وطنهم ، فمات هاشم بغزة فى الشـام ومات عبد المطلب برومان الى ناحية من أرض اليمن ، ومات نوفل بسلمان فى العراق ٠

وابن هاشم عبد المطلب سيد قريش غير مدافع ، ويبلغ هذا التقابل بين الأسرتين أقصاه فى عهد مناظرة حرب بنى أميـه ، وكان كـلاهما نمطا فى بابه من طرفى العقيـدة والاريحية وطرف السعى والحيلة ٠

وكان عبد المطلب متدينا صادق اليقين ، مؤمنا بمحارم دينه فى الجاهلية لأن ثقة الايمان طبيعة فى وجدانه ، وهو أول من حلى الكعبة بالذهب من ماله ! ويعنينا منه أنه كان فى الحق نمطا فريدا بين أصحاب الطبائع التى فطرت عـلى الاعتقاد ومناقب النبل والايثار ٠

فلم تكن مناقبه من مناقب الطامع والوتيرة التى تتكرر على صورة والده بين المتصفين بها ، ولم يكن كرمه ولا حزمه ولا شجاعته من قبيل الصفات التى تعرف بهذه الأسماء فى جميع الكرماء وذوى الحزم والشجاعة ٠

بل كانت مناقبه مطلبية تدل عليه ولا تصدر من غيره ، وكانت كلها مزيجا من الانفة والرصانة والاستقلال ومواجهة الغيب على ثقة وصبر وأناة ٠

وهذه طائفة من أخباره لا تفتقد فى واحدة منها تلك المناقب المطلبية التى تعز على خيال المتخيل ما لم يكن وراءها أصل تحكيه وترجع اليه ٠

وصل ابرهة الحبشى عام الفيل الى أراضى مكة وبعث رجلا من العرب يسمى حناطه يسأل عن أمير مكة ، ويبلغه أن أبرهة لم يأت لقتالهم وانما أتى لهدم البيت الحرام ، فان لم يمنعوه فهم فى أمان من حربه ٠ فلما لقى الرسول عبدالمطلب أبلغه رسالة أبرهة ٠ قال عبد المطلب : والله ما نريد حربه ، وهذا بيت الله وبيت خليله ابراهيم فان يشأ منع بيته وحرمه وان لم يشأ تخلى عنه ، والله ما عندنا من قتال ٠

قال الرسـول : انطلق معى الى الملك ، فانطلق معـه عبد المطلب الى أن أتى معسكر أبرهة وأدخلوه عليه ٠

يقول الرواه : وكان عبـد المطلب رجـلا عظيما مهيبا وسيما فنزل أبرهة عن سريره وأجلسه معه وسأله فى طلبـه فقال عبد المطلب الابل ساقها جندك ! ٠

ويقول الرواة : فهان أمر عبد المطلب فى نظر أبرهة وقال له : أتسأل عن البعير وتترك البيت الذى هو دين آبائك ودينك من بعدهم ؟ فقال عبد المطلب أنا رب الابل ، وللبيت رب يحميه ٠ فأمر برد ابل عبد المطلب دون غيرها ، فأخذها

عبد المطلب وقلدها النعال وساقها هدايا الى الحرم ، ووقف على باب الكعبة يقول :

يارب لا أرجو لهم سواكا	يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا	فامنعهم أن يخربوا قراكا

هذه هى « المطلبية » التى نعنيها فى خصال هذا الرجل العظيم ، لا تهور مع القوة الطاغية ، ولكن لا خضوع لها بل وضع لها فى موضعها وقول يناسبه كل مقام ، فاذا خامر الظن أحدا لا يفهم معنى هذه الأنفة التى تأنف من التهور كما تأنف من الجبن ، فهناك الجواب الفعال الذى يغنى ما ليس يغنيه المقال : ما سألت عنه الابل لأننى أضن بأثمانها فاننى قد وهبتها بعد ذلك للبيت ، لكننى سألت عنها لأنها هى موضع سؤالى ، وتركت السؤال عن البيت لأن استجداء الرحمة من أبرهة لبيت الله يدنى الثقة بالبيت وبالله ...

وقد حدث بعد ذلك ما حدث مما لا شك فيه ، وهو فتك الجدرى بجنود أبرهة وانهزامه عن البيت وخوفه من أن يتقدم اليه بأذى ، وانه لخبر قد يسهل انكاره على المتحذلقة من أدعياء التاريخ الذين يجمعون التمحيص كله فى الانكار لولا أن حديث الجدرى الذى فشا (فى سنة ٥٦٩) مثبت كما تقدم فى تاريخ بروكوب Procope الوزير البيزنطى المعروف .

وخبر آخر من أخبار هذه المناقب المطلبية انه عاش زمنا قليل الولد لم يرزق غير ابنه الحارث الذى كان يكنى به وعيره عدى بن نوفل بن مناف يوما فقال له : أتستطيل علينا عبد المطلب وأنت فذ لا ولد لك ؟ فأجابه عبد المطلب جوابه الذى أثر عن ذلك اليوم : أبالمقله تعيرنى ؟! فوالله لئن آتانى الله عشرة من الولد لأنحرن أحدهم عند الكعبة ! وسنعود للتعقيب على هذه القصة فى حديث عبد الله ابى النبى عليه السلام ، ولكننا نجتزىء هنا بأن نقول أننا لا نسقطها

لمجرد اختلاف الرويات فيها فان أخبار الحاضر تتناقض أمامنا ونحن لا ننكر وقوعها لهذا التناقض ، وقد اختلف الرواه في عبد الله بن عبد المطلب هل هو أصغر أبنائه جميعا أم أصغر أبنائه من أمه ، وهل بلغ أبناؤه العشرة أو حسب أبناء الأبناء ، وكل أولئك لا يسقط القصة كما أسلفناه وكما يجيء في سيرة عبد الله .

وملتقى الروايات في هذه القصة انه أمر بنيه أن يكتب كل منهم اسمه في قدح وطلب من صاحب القداح أن يضرب عليها فخرج السهم باسم عبدالله فعلم بانفاذ نذره لو لم يتشفع عنده ابنه العباس ورجالات قريش « وتنادوا بينهم لئن فعل ذلك لتكونن سنة ولا يزال يأبى بابنه فيذبحه فان يكن فداء فبأموالنا جميعا نفديه ! .

واحتكموا الى عرافة بالحجاز فسألتهم : الديه كم فيكم؟ قالوا عشرة من الابل . قالت : قربوا من ولدكم عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعلى ولدكم ، ثم زيدوا الابل كلما أخطأها السهم حتى يخرج السهم عليها فانحروها عنه ، فقد رضى ربكم ونجى ولدكم » .

يقول الرواه : وعادوا الى مكة فقربوا عشرة من الابل وضربوا القداح فخرج القدح على عبد الله ، وجعلوا يزيدون عشرة فعشرة حتى بلغت مائة قيل ثلثمائة ، فخرج السهم عليها فنحروها وتركوها لا يمنع من لحمها انس ولا وحش ولا طير .

ومن أخباره أن قريشا خاصمته ماء زمزم بعد أن احتفرها وعارضوه في احتفارها ، فاحتكموا الى كاهنة بني سعد بن تميم بمشارف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر يتقدمون، وفني ماء عبد المطلب عند بعض المفاوز بين الحجاز والشام فظمأ أصحابه حتى أيقنوا بالهلكة ، وطلبوا الماء ممن معهم من قريش فلم يسقوهم ، فجمع أصحابه وسألهم : ما ترون ؟ قالوا : رأينا . تبع رأيك فمرنا بما شئت .

قال : فاني أرى أن يحفر كل منا حفرته فيواريه فيها أصحابه اذا مات ، حتى يكون آخركم موتا قد وارى الجميع، فضيعة رجل واحد خير من ضيعة الركب كله .. ثم بدا له رأى أصوب من هذا الرأى فقال لأصحابه : والله ان القاءنا أنفسنا بأيدينا للموت هكذا دون أن نضرب فى الأرض ونبتغى لأنفسنا لهو العجز . فهلموا نرتحل ، ولم يذهبوا فى طريقهم غير يسير حتى انفجرت عين ماء عذب تحت خف راحلته فشربوا وملأوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش فقال : هلموا الى الماء فقد سقانا الله . فقال أصحابه لا نسقيهم والله لأنهم لم يسقونا . قال : نحن اذن مثلهم ، ولم يرضه أن يعمل مثل عملهم وهو أحق بالرجحان عليهم ، وعرف القرشيون له هذا الحق فكفوا عن منازعته فى ماء زمزم وسلموا السقاية التى كانوا يتنافسون عليها عليه .

ويروى عنه انه كان له جار يهودى يسمى ذينه ، وكان له مال كثير فطمع فيه حرب بن أمية وأغرى به فتيانا من قومه فقتلوه ، فلم يزل عبد المطلب يستقصى خبره حتى علم باغتياله ومن اغتاله ، فأبى ألا ان يكره حربا على الدية وأخذ منه مائة ناقة أسلمها الى ابن عم اليهودى وارتجع ماله الا شيئا هلك فارتجعه من ماله .

وهذه هى المناقب « المخصصة » التى نقول انها لا تجرى مجرى الطابع والوتيرة ولا تغنى عناوينها عن النظر فى ملامح أصحابها ومميزاتهم فى التفكير والعمل ، وهى مناقب لا تخترع ولا يضيرها أن يضاف فيها الخبر المخترع الى الواقع . لأن الرواه المخترعين فى هذه الحالة انما ينقلون عن صورة أصلية تمت فى أذهانهم قبل اختراع أخبارهم عنها ، فحاولوا أن تكون أخبارهم المخترعة مطابقة لحقيقتها ، ففى كل خبر من هذه الأخبار « المطلبية » ايمان وحزم ووفاء وجرأة على الخطر ولكن فى غير مغالطة ولا اصطناع ، وانما قوام ذلك كله حزم يملك زمامه ويفعل واجبه كما يراه .

وأدعياء التاريخ خلقاء أن يسألوا أنفسهم هنا سؤالين لا يغفلهما أحد يفقه معنى تمحيص الخبر ، وأولهما فى هذا السياق : لماذا يخترع الرواة هذه الأخبار عن عبد المطلب دون غيره ؟ وثانيهما : لماذا لم يخترعوا أمثالها عن حرب بني أمية ؟ فاذا كانت صورة الرجل فى الأذهان هى علة الاختراع ، فهناك حقيقة اذن ماثلة وراء هذه المخترعات وهناك دلالة فى اتفاق الأذهان على الاختراع أولى بالتصديق من اتفاقهم على رؤية العيان ، لأن رؤية العيان تحتاج بعدها الى البحث عما تدل •

وقد اتفقت الروايات كلها على صفات عبد المطلب قبل الاتفاق على أخباره ، واتفقت الصفات والأخبار معا على ملامح شخصية قوامها الايمان والحزم والوفاء وضبط النفس فى مواجهة القوة والخطر بعزيمة لا تتهور فى غير جدوى ولا تنكص على عقبيها خوفا من فوات الجدوى •

وكلها صفات جديرة بآباء الأنبياء •

●●●

عبد المطلب :

ولد عبد المطلب فى المدينة وسمى « شيبة » تفاؤلا له بطول العمر فى أسرة لم يكن طول الأعمار من خصائصها ، وتربى بعيدا عن آل أبيه فصدق عليه فى طفولته قول القائلين فى عصرنا أن الطفل أبو الرجل ، لأنه كان يلاعب الصبيان من لداته فيذكرون آباءهم ويفخرون بهم عليه وهو لا يرى أباه بينهم ، وحز ذلك فى نفسه فجعلت أمه تسرى عنه وتحدثه عن آل أبيه ومآثرهم فى جوار البيت الحرام ، فطال اشتياقه الى رؤيتهم والاقامة بينهم ، بيد أنه أحجم عن السفر مع عمه « المطلب » حين قدم الى المدينة لأخذه الى مكة ، وبصر أمه فى الدار حزينة واجمة تبكى

لفراقه وتستمهل عمه عسى أن يبقيه لديها الى عام قابل ، فظهر فى تلك السن الباكرة شوقه الى أهل أبيه وقد عز عليه فى المدينة ان يفاخر بهم لداته بين آبائهم وذويهم ، وقهر فى ابان الطفولة ذلك التطلع الى المجهول وذلك الحنين الى الغرائب وتلك الرغبة في كل حركة فى كل انتقال من مكانه الذى هو فيه ، وقال لعمه بعد أن تهلل لمرآه رحب بالعودة معه الى قومه : لن أترك أمى أو تأذن لى بالسفر معك راضية ·

وفي سفرته تلك سمي عند مدخل مكة بعبد المطلب لأن أهلها رأوه مع المطلب لأول مرة فحسبوه عبدا اشتراه ، وجعلوا يدعونه باسم « عبد المطلب » كلما أرادوا أن يميزوه من أبنائه فغلبت عليه ·

وشب الغلام عزوفا أبيا لا يستكين للهضيمة ولا ينزل عن حق له أو حق كان لأبيه ، فلما أراد عمه نوفل أن يستأثر بمنزلة أبيه هاشم وميراثه لديه حتى تحين فرصة السفر الى المدينة وعاد الى مكة بعصبة من أقارب له وأخواله ، وهم أولو عصبة أشداء ، يشاد بصوتهم فى مدائح الشعراء :

ولو آبى وهب آنخت مطيتى

غدت من نداه رحلها غير خائب

وتلقاهم عمه نوفل مرحبا ودعاهم الى ضيافته فلم يقبلوها أو يرضى فتاهم، فصالحهم على ما يرضيهم ويرضيه ·

وصح التفاؤل فى عبد المطلب فعاش حتى ناهز المائة أو جاوزها ، ومات والنبى عليه السلام دون العاشرة وعهد به الى كفالة عمه أبى طالب شقيق أبيه ·

كل ما تفرقت فيه الروايات من أمر قد استقرت على صفة لا تتفرق فيها روايتان ، وهى صدق التدين والايمان بمحارم الدين فى سدانته أو فى غير سدانته ، واسم ولد من أولاده عبد العزى الذى اشتهر بعد ذلك باسم أبى لهب لزهرة كانت فى لون وجهه ، ومن حديثه انه كان يتعصب للعزى

التى تمنى اليها باسمه ، وانه زار أحد عبادها المتنسكين لها فى مرض موته فوجده يبكى ، فسأله ! ما يبكيك ؟ آمن الموت تبكى ولا مفر منه ؟ قال الرجل : كلا ، ولكنى أخاف ألا تعبد العزى بعدى ! •

فقال أبو لهب: والله ما عبدت وأنت حى لأجلك ولا تترك بعدك لموتك ، فاطمأن الرجل ومات وهو يقول : الآن علمت أن لى خليفة يرعاها •

وكانت العزى بوادى حراص على يمين المصعد الى العراق ، وكانت قريش قد حمت لنا شعبا يقال له سقام يضاهون به الكعبة ، وهى التى يغنيها أبو جندب الهذلى اذ يقول فى بعض غزله :

لقد حلفت جهدا يمينا غليظا   بفرع التى تحمى فروع سقام

ولها منحر تذبح فيه الذبائح ويقصد اليه الحاج بعد منى كما يقول نهيكه الغزارى يخاطب عامر بن الطفيل :

يا عامر لو قدرت عليك رماحنا

والراقصات الى منى فالغبغب

وشأن هذه القصة فى مناقب عبد المطلب أن التدين لم يكن وسيلة من وسائل الرجل الى طلب السيادة والسدانة ، وأنه لم يتدين لأنه سادن الكعبة وصاحب المنفعة فى تعظيمها، بل كان يعظم العزى ولا منفعة له فى هذا التعظيم ، وكان الدين عنده ايمانا خالصا من الحيلة ومن مآرب الكهانة •

ولا يخفى أن الوراثة فى الطبائع لا فى الشعائر وظواهر العبادة ، فمن كانت عنده عقيدة الايمان بالغيب والعلو بما يؤمن به من عوارض الأهواء واللذات ، وهان عليه نسيان المنافع والشهوات فى سبيل رضاه ، وطابت نفسه بالفداء وفرائض الطاعة والوفاء ، فهذه الطبيعة التى تورث على اختلاف الشعائر والعبادات ، ومثلها فى ذلك مثل

الشجاعة في القتال ومثل السخاء بالمال ، فان الابن الذى يرث منه ميدانه ولا تتوقف شجاعته الموروثة على سلاحه فقد يحارب الابن بسلاح لم يعرفه أبوه وفي ميدان غير ميدانه ، وقد يبذل المال لاقامة مسجد ولم يبذل أبوه المال الا لنحت صنم أو ذبح قربان على وثن ، ولا غضاضة على ما ورثه من شجاعة ولا ما ورثه من سخاء ٠

وهذه الطبيعة هي التي ينظر اليها الناظر فى مناقب الأسرة الموروثة ، فلو كان عبد المطلب ينافق بالتدين ليضع به قومه ويتورع به الى الرئاسة عليهم كما كان هو عبدالمطلب الذى تورث منه خصال الصدق والايمان ، ولكنه تورث منه هذه الخصال حين يصدق في معتقده بالكعبة وبالعزى ، وحين يدين الناس بما يدين به نفسه فى رئاسة هؤلاء الناس ٠

●●●

أبو طالب :

وكان أبو طالب ــ خليفته فى الوصاية على النبى ــ أشبه أبنائه به فى جميع خصاله ومناقبه ٠ والخلاف كثير فى اسلام أبى طالب ، اذا لم يتفق الرواة على اسلام أحد من أعمام النبى غير حمزه والعباس وهما فى مثل سنه ، العباس يكبرهما بنحو ثلاث سنوات ٠

ولكن لا خلاف على حمايته له وحبه اياه وصبره على عداوة قريش كلها فى سبيل نصرته ورد أذاهم عنه ، وقد لقى فى ذلك ما يطيق وما لا يطيق ، وعظم عليه الخطب وأشفق من مغبته عليه وعلى ابن أخيه ، فقال له فى ساعة من أشد ساعات الحرج :

« أبق على نفسك يابنى ولا تحملنى من الألم مالا أطيق ٠٠ فحزن النبى وحسب أنه سيخذله وقال له وهو يهم

بمفارقته : « والله يا عم ! لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » .

فلم يبرح النبى غير قليل حتى ناداه عمه وقال له وهو حزين لحزنه « اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله لا اسلمك لشىء أبدا » .

وفى رواية ابن اسحاق « أن رسول الله ﷺ كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه على بن أبى طالب مستخفيا من ابيه أبى طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها فاذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ، ثم أن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان ، فقال لرسول الله ﷺ : يا ابن أخى ما هذا الدين الذى أراك تدين به ؟ قال : أى عم ، هذا دين الله ودين رسله ودين أبينا ابراهيم ... بعثنى الله به رسولا الى العباد وأنت ، أى عم ، أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى وأحق من أجابنى اليه وأعاننى عليه » ... فقال أبو طالب « أى ابن أخى ! انى لا أستطيع أن أفارق دين آبائى وما كانوا عليه ، ولكن ـ والله ـ لا يخلص اليك بشىء تكرهه ما بقيت » .

وقال ابن اسحاق : « وذكروا أنه قال لعلى : أى بنى ! ما هذا الدين الذى أنت عليه ؟ فقال : يا أبت آمنت بالله وبرسول الله ، وصدقت ما جاء به ، وصليت معه لله اتبعته ، فزعموا إنه قال له : أما انه لم يدعك الى خير ، فالزمه » .

وبر أبو طالب بقسمه وحمل السيف فى سبيل نجدته ، وروى القرطبى انه ناجز أبا جهل وجلة قريش فى مجموعهم يوم اعتدى ابن الزبعرى عليه فى صلاته . وكان النبى عليه السلام قد دخل الكعبة ليصلى كعادته ، فقال أبو جهل : من يقوم الى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته ، فقام ابن الزبعرى فأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبى ، وانفتل النبى من

صلاته وقصد الى عمه : من فعل هذا بك ؟ قال : عبد الله بن الزبعرى ! فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم ، فلما رأوه قد أقبل جعلوا ينهضون ، فقال أبو طالب : والله لئن قام رجل لحللته بسيفى ، فقعدوا حتى دنا منهم ، وأخذ أبو طالب فرثا ودما ولطخ به وجوههم ولحاهم وانصرف وهو يغلظ لهم القول .

وقد تكفل أبو طالب بالنبى فى طفولته الباكرة وصحبه فى غدواته وروحاته خوفا عليه من اساءة تمسه فى غيابه ، وانتوى السفر الى الشام والنبى فى نحو الثانية عشرة من عمره فأشفق عليه أن يجشمه عناء السفر البعيد ، ثم تهيأ للرحيل وتعلق به الغلام الودود وبكى لفراقه ، فلم يقو على مفارقته وهو باك ، وقال لصحبه « والله لأخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدا » .

ولقد كان الرجل الجليد يذكره أخاه كلما لمحت عيناه الغلام اليتيم فتشرق عيناه بالدموع ، ويقول : ما أشبهه بعبد الله ، وقد كان أبو طالب وعبد الله ــ كما تقدم ــ أخوين شقيقين ، ولم يثبت قط أن هذا العم الكريم تخلى طرفة عين عن ابن أخيه أو أحزنه بكلمة لا ترضيه من طفولته الى أن جهر بدعوته ، ولم يخالف هذا الاجماع من أخبار أبى طالب والنبى أحد المؤرخين حتى أولئك المفسرين الذين حسبوا أن أبا طالب هو المقصود بما جاء فى القرآن فى سورة الأنعام :

وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

الأنعام ٢٥ ــ ٢٦

فقد وهم أولئك المفسرون أن أبا طالب كان هو المقصود بهذه الآيات لأنه كان ينهى عن أذى النبي ولا يدين بدينه، ولم يكن أبو طالب ممن يلقون النبي ليجادلوه فيصدق عليه ذلك التفسير، وأوضح من خطأ هؤلاء المفسرين هنا ظنهم أن أبا طالب مقصود بعد وفاته بقوله تعالى في سورة القصص : « انك لا تهدى من أحببت » .. فان سورة الأنعام . قد نزلت بعد سورة القصص كما جاء في كتاب الاتقان ، فلا هداية ولا جدال ولا نهى عن أذى النبي بعد الوفاة .

وعلى الجملة يبدو لنا رعاية أبي طالب لابن أخيه على الرغم من أن قريش خلائق رحمة ونخوة ووفاء واعتداد بالجاه والكرامة ، وتبدو لنا من سيرته كلها خلائق أخرى من قبيل هذه الخلائق التي تجمع بين الطيبة والقوة . فاننا نعلم انه كان يلقب بسيد الاباضع ، وانه كان يخرج للتجارة مرة بعد أخرى، وان أباه عبدالمطلب كان على ثراء عظيم وكان سادات بني أمية ينافسونه بالغنى والسخاء فلا يدركونه في هذا ولا ذاك ، ثم نعلم على كل هذا أن أبا طالب قد لقى ضنكا في شيخوخته وان النبي قد أعانه بكفالة ابنه علي وتربيته في داره ، ونعلم كذلك أن النبي لم يكن على حال من الوفر قبل اشتغاله بتجارة السيدة خديجة ومشاركته في ربح أموالها فمصير ابن عبد المطلب وحفيده الى حال من القلة بعد غنى الجدود الأوائل قد ينبيء عن نصيب الأسرة النبوية من السدانة ومن مناصب الدين في البيت المعمور ، فأكبر الظن انها كانت مغنما يأخذ من أموالهم ولم تكن مغنما يربحون منه الكثير أو القليل ، ولولا سعة التجارة التي عمل فيها هاشم والمطلب حتى قيل أن أحدهما سن لقريش سنة الرحلتين الى الشام واليمن ــ كما وصل اليهما ذلك الثراء المشهور ولا استطاعا النهوض بأعباء الشرف ومناصب الدين .

ولقد مر بنا من نجدة أبي طالب ما تنم به فضيلة النجدة كاملة لهذا الشيخ الكريم ، ولكنها كانت في الحق نجدة تتسع

لكل قاصد ومستجير ولو لم تكن حقوق ابن الأخ على عمه ، فقد استجار به أبو سلمة صاحب بنى مخزوم فأجاره وأعلن على الملأ جواره ، فمشى اليه رجال من بنى مخزوم فقالوا : يا أبا طالب ما هذا ؟ منعت منا ابن أخيك محمدا فما لك ولصاحبنا تمنعه منا ؟ قال : انه استجار بى وهو ابن أختى وان أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى ٠

فغضب أبو لهب فى هذه المرة لأخيه الشيخ وثار بهم قائلا : يا معشر قريش ! والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، لا تزالون تتواثبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله لتنتهن عنه أو لتقومن معه فى كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد ٠ فخشى زعماء قريش مغبة الوفاق بين الأخوين فى النجدة والجوار ، وكان أبو لهب معهم على رسول الله فى دعوته ، فقالوا : بل نتصرف عما تكره يا أبا عتبة ، وانصرفوا راغمين ٠

وحكى عن هاشم بن السائب الكلبى عن أبيه فى رواية لا نثبتها ولا ننفيها أن أبا طالب لما أحس الموت جمع اليه وجوه قريش فأوصاهم فقال : يا معشر قريش ! ٠٠ انى أوصيكم بمحمد خيرا فانه الأمين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به ، العرب وأهل الوبر والأطراف المستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودارها وأصفت له فؤادها وأعطته قيادها ٠ يا معشر قريش ! كونوا له ولاة ولحزبه حماة ، والله لا يسلك أحد سبيله الا رشد ، ولا يأخذ بهديه الا سعد ، ولو كان لنفسى مدة ولأجلى تأخير لكففت عنه الهزاز ولدفعت عنه الدواهى ، وهذه الوصية لا يثبتها القارىء لها على هذا الأسلوب إلا أن تكون لسان حال لا لسان مقال ،

الا أن يكون ما قيل بعض لفظها و بعض معناها ، ولم يكن كل ما جاء فيها ٠

●●●●

العبـاس وحمزة :

وعمان آخران غير أبى طالب كانت لهما شهرة وصلة بالدعوة النبوية عرفنا منها بعض ما اتصفا به من صـفات وكفايات ، وهما العباس وحمزه ، وكلاهما أخ لعبـد الله غير شقيق ٠

فالعباس على صغره تولى السقاية بعد أبيه ، وامتـاز بين سادات قريش بالرأى والدهاء وطول الاناه ، وكان له علم بالأنساب وقدرة على تألف الناس ودفع العداوات ، مع هيبة يحسب لها حسابها جلة قريش من هاشميين وأمويين ، وهو جد بني العباس ومن خلائقـه خـلائق أبنائه الكفـاة الدهاء مرة كل رئيس مطـاع فى هـذا البيت الفـريد بين بيوتات الهاشميين ٠

وحمزة فارس الفرسان فى خلائق الفروسية كلها من شجاعة وصدق وايمان ودراية بالسيف والخيل ٠ قال ابن أسحاق فى قصة اسلامه : « فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص يرميـه ويخرج له ، وكان اذا رجع من قنصه لم يصل الى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان اذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش الا وقف وسلم وتحدث معهـم ، وكان أعـز فتى فى قريش وأشد شكيمة ، فلما مر بالمولاة ــ مولاة عبد الله بن جدعان ــ قالت له : يا أبا عماره ٠ لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمـد آنفا من أبى الحكم بن هشام ؟ ٠ وجده ها هنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمـد ﷺ ، فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به كرامته ، فخـرج

يسعى ولم يقف على أحد ، معدا لأبى جهل اذا لقيه أن يوقع فيه • فلما دخل المسجد نظر اليه جالسا فى القوم فأقبل أن يوقع حتى اذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ، ثم قال : أتشتمه ؟ فأنا على دينه أقول ما يقول ، فرد ذلك على أن استطعت • فقامت رجال من بنى مخزوم لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة • فانى والله قد سببت محمدا ابن أخيه سبا قبيحا •

قال القوم : ما نراك يا حمزة الا قد صبأت •

فقال حمزة : وما يمنعني وقد استبان لى منه ذلك •• أنا أشهد انه رسول الله •

ومن أعمام رسول الله غير حمزه والعباس رجلان لم يسلما وهما الزبير وعبد العزى أبو لهب ، وكلاهما كان يحتفى بالطفل الصغير ويدلله ويواليه بالسؤال عنه وكان الزبير يرقصه بأبيات الشعر يرجو له طول العمر والنجابة ووهب له أبو لهب جاريته ثويبة ترضعه وتخدمه في طفولته ، ولا نعرف من أخبار الزبير ما ينبىء عن صفاته وكفاياته ، أما أبو لهب فالمعروف عنه ــ ولا سيما فى علاقاته بابن أخيه بعد الدعوة ــ غير قليل •

كان بنو هاشم وبنو المطلب جميعا فى نصرة النبى من آمن منهم به ومن لم يؤمن ما عدا أبا لهب وبنيه ، وفيه نزلت الآيات :

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤

المسد ١ ــ ٥

وتعليل هذا الشذوذ انه من لوازم الأسر الكبيرة التى لا تشذ منها أسرة ذات خطر فى التاريخ ، فهو هنا المقياس المطرد مع طبائع الأمور ، ولـكن من علله انه يدعى بعبـد العزى يتعصب لها ويغضب أن يحسب أحد أمامه أن عبادتها مرهونة بحياته كما تقدم ٠

وكان من علله أنفه الكبير أن يقاد للصغير ولا ننسى أنها أنفه لا تستغرب فى عشائر البادية وعشائر الرئاسة منها على التخصيص ، ومن استغربها فليذكر أن العبـاس وحمزه ــ عمى الرسول اللذين أسلما ــ كان من لداته عليه السلام ــ الا سنوات ثلاثا أو أربعا تقدم بها العباس فكان لها أثرها فى تأخير اسلامه لسنوات ٠

وكان من علل ذلك الشذوذ انه كان على حلف ومشاركة لبيوتات قريش كلها لكثرة ماله وسعة تجارته وأعماله ، وقد قال للنبى فى مجمع الأسرة : هؤلاء هم عمومتك وبنـو عمك فتكلم ودع الصبأة ، وأعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبـة طاقة ، وأنا أحق من أخذك ، فحسـبك بنو أبيك وان أقمت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش وتمدهم العرب فما رأيت أحدا جاء فى بنى أبيه بشر مما جئتهم به ٠

وفى مجلس آخر قال له أبو طالب : هـؤلاء بنو أبيك مجتمعون ، وانما أنا أحدهم ، غير أن نفسى لا تطاوعنى على فراق دين عبد المطلب ٠

قال أبو لهب : هذه والله السواة ٠ خذوا على يديه قبل أن يأخذ غـيركم ٠٠٠ وانفض المجلس عـلى غيظ يكظمـه أبو لهب ، وعهد يبرمه أبو طالب ويقول فيه مقسما : والله لنمنعنه ما بقينا ٠

وهذا هو الهوى الذى يزين لصاحبه أن يسوقه مسـاق الحكمة والحيطة ، فيزعم أنه يدفع الشر عن ابن أخيه وعن

قومه ويجنبهم مالا يطيقونه من جهاد العرب ، وأنه فى طويته ليأنف أن ينقاد لمن هو أصغر منه ، ويخشى ما يصيبه من جراء انقياد لو سلسلت له كبرياؤه .

وليس من العلل التى تنسى فى هذا المقام أنه كان زوجا لأخت أبى سفيان، وأن ولديه كانا متزوجين لرقية وأم كلثوم كريمتى رسول الله ، وبين الزوجتين والزوجة من لا تهدأ ، ولا تزال تتحين الفرصة للوقيعة والتفرقة والعداء .

وأيا كان ما كان من أبى لهب فهو الشذوذ الذى يستغرب ألا يكون وليس بالغريب أن يكون ! .

وأشهر أبنـاء الأسرة من غير الأعمام ابن عمه الحبيب وابنه بالتربية على بن أبى طالب رضوان الله عليه، وصفاته وكفاياته فأخذ من كل سيد من ساداتها بنصيب : شجاعة وطيبة وفهم واقبال على المعرفة وايثار للمعروف .

أسرة لا تخرج النبوة وما خرجت قط من خير منها .

ونشأة النبى عليه السلام فيها أصدق المقدمات التى قلنا أنها مقدمات التمهيد والتحضير .

الا أنها كسائر المقدمات التى مهدت من جانب لتقيم المصاعب كلها من جانب آخر .

أسرة عزيزة الآباء والأجداد ، فخرها بالنسب أعظم من كل فخر ، وسيادتها بالخلائق الموروثة أثبت من كل سيادة . ثم ينشأ لها من بينها نبى ينعى على الآباء والأجداد ما كانوا عليه من ضلالة ، وينكر من الأبناء أن يسلكوا مسلكهم ويهيموا على آثارهم ، ويقول لهم كما قال ابراهيم :

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٥٤﴾

الأنبياء ٥٤

ويهيب بمن آمن منهم :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾

التوبة ٢٣

ويدعوهم أن يتبعوا ما أنزل الله لأن آباءهم لا يعقلون :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

البقرة ١٧٠

لقد نشأ محمد فى الأسرة التى تعطيه خير ما تعطى الأسرة بنيها ٠

ولكنه جاءها بالنبوة التى لا يعطيها غير الله ٠

وكانت الأسرة تمهيدا له فيما ورث منها ٠

ولكنها وما ورثت من قومها هى عقبة الأرض التى مهدها السماء ٠

●●●●

والدا النبى (عبد الله وآمنة) :

وتلك هى الأسرة العامة التى شملت الأجداد والأعمام والنبى صلوات الله عليه ! مع هذه الأسرة العامة ، أسرة خاصة من أبويه الشريفين عبد الله وآمنة .

ولم يعقب لنا التاريخ كثيرا من أنباء هذين الأبوين الشريفين ، ولكنه أعقب لنا ما فيه الكفاية لبيان آثرهما النفسى فى وجدان والدهما العظيم .

ندرت فى أبوات العظماء أبوة كأبوة عبد الله بن عبد المطلب ونكاد نقول انها مرت بغير نظير فيما وعيناه من تاريخ الأنبياء والهداة من كل قبيل .

فتى لم يكد ينجو من الموت ذبيحا حتى مات بعيدا عن زوجه التى فارقها عروسا وعن ولده الذى لم تره عيناه .

لكأنما وجد هذا الفتى فى الدنيا ليعقب ذرية تريدها العناية الالهية ثم يتركها فى كلاءة تلك العناية لقدر لا تغنى عنه عناية الآباء .

وفى تاريخ الأنبياء آب عاش حتى شهد بعثة ابنه فأنكرها وتواطأ مع قومه على خذلانها ، فبقيت ذكراه خيبة أمل وحيرة لمن يجل الدعوة ويجل ابراهيم .

فأما هذه الابوة فالرحمة فيها تملأ مكان الخيبة ، والبر بالذكرى يملأ مكان الحيرة ويتطلع وراءه الى الأسى على الفقيد والعزاء للوليد الوحيد .

وحياة لا تشبه سجل الحوادث والخطوب ، ولكن النفس تشبعها بما يعوضها عن حوادثها وخطوبها حبا سايغا وجمالا يفتن فيه الحس والخيال .

وهذا الذى صنعته بديهية الحياة الصادقة فلم تدع سيرة عبد الله حتى أودعتها من الخواطر والأمانى ما تزدحم به

أعمار طوال ، فما تمناه له المحزونون على صباه وتقواه يفيض فى جوانب سيرته حتى تمتلىء به مائة حياة ٠

قيل فى بعض ما قيل من هذه الخواطر والأمانى « انه لما انصرف مع أبيه بعد أن فداه بنحر مائة من الابل لرؤيا رآها مر على امرأة كاهنة متهودة قد قرأت فى الكتب يقال لها فاطمة فقالت له حين نظرت الى وجهه ــ وكان أحسن رجل فى قريش لك مثل الابل التى نحرت عنك وابذل لك نفسى لما رات فى وجهه من نور النبوة ورجت أن تحمل بهذا النبى الكريم صلى الله عليه وسلم ٠ فأجابها بقوله :

أما الحرام فالممات دونه　　والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه　　يحمى الكريم عرضه ودينه

ثم خرج به عبد المطلب حتى اتى وهب بن عبد مناف ابن زهرة وهو يومئذ سيد زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة وهى يومئذ أفضل امرأة من قريش نسبا ووضعا ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج من عندها فمر بالمرأة التى عرضت عليه ما عرضت فقال لها : مالك لا تعرضين على اليوم ما عرضت بالأمس ، فقالت : فارقك النور الذى كان معك فليس لى بذلك اليوم حاجة انما أردت أن يكون النور فى فأبى الله ألا أن يجعله حيث شاء » ٠

وفى أسانيد ابن هاشم أن عبد الله « انما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب ، وقد عمل فى طين له وبه آثار من الطين ، فدعاها فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين ، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به ، ثم خرج عائدا الى آمنة ، فمر بامرأته الأولى فدعته فلم يجبها ، وعمد الى آمنة فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ثم مر بامرأته تلك ٠٠ فقالت له : مررت بى وبين عينيك غرة بيضاء فدعوتك فأبيت » ٠

قال اسحاق بن يسار صاحب الخبر : فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدثه أنه مر بها وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس ٠

فقالت : فدعوته رجاء أن تكون لى فأبى على ودخل على آمنـة فحملت برسول الله ·· » ·

وجاء فى غـير خبر أن فتيـات مكة ذهبت بهن الحسرة لزواج عبد الله من آمنة ، وكانت كل فتاة منهن تتمناه زوجا لها لجماله وتحدث الناس بفدائه ·

وفى كل هذه الأخبار قسط من الصحة لا نهمله ولا نسوى بين رواية السير له وبين خلوها منه ، فان مجيئه فى السـير يثبت لنا معنى صادق الدلالة وان يكن غير معناه المقصود : يثبت لنا لونا من شعور الناس بصـاحب السـيرة ولونا من تعبيرهم عن ذلك الشعور ، ومن كان هذا المعنى لغوا عنـده فخير له أن يتجنب السير والتواريخ ·

وأما حكم الواقع على حدوث الخبر فحسبنا فيه حـكم القرآن الذى يبطل عـلى الكهان بالغيب كمـا يذكره عـلى أعوانهم من الجان ، وفى صـورة سبأ عن سليمان بن داود عليهما السلام :

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)

سـبأ ١٤

والقرآن الكريم يقول فى غير موضع أنه لا يعلم بالغيب الا الله ، ويقول بلسان النبى : ولا أعلم الغيب ·

فلا كاهن يعلم من أمر الدنيا سرا من أسرار الغيب فضلا عن أمر النبوة والرسالة ، والكهانة التى تريد أن تحمل بنبى لا يخطر لها أن تحمل به سفاحا فيقول لها عبد الله :

أما الحرام فالممات دونه والحـل لا حل فأسـتبينه

واما آن تكون زوجه ثم لا تروى من زوجها تلك الضرة قبل ذهابها ثم تأبى معاشرته بعد ذهابها ــ فليس ما يجوز تصديقه من شئون الزواج ٠

فالقصة كلها ، وما شابهها من القصص ، رغوة وزبد وزبدتها جمال عبد الله وأسى النفوس لما فاته ذلك الجمال فى عنفوان صباه ٠

ولا نكران لما كان عليه عبد الله من الوسامة والوضاءة ونضارة الشباب سواء حفظت لنا السيرة قصة من تلك القصص آو جاءتنا غفلا منها ، فقد حفظت لنا رؤية العيان آنه كان واخوته يطوفون بالكعبة مع أبيهم فيأخذون الأبصار، ولم يصف الواصفون بنى هاشم بدمامة أو معابه فى الخلق والصورة حتى فيما وصفهم به الشائنون وطلاب العيوب ٠

● ● ● ●

وفيما وصل الينا من سيرته قصة غير تلك القصص لا قبل للمبالغة وحدها بآن تخلقها ، لأنها تحتاج افتنان فى وصفها وتحتاج ــ مع الافتنان ــ الى مصلحة مفروضة تدعو الى اختلافها ، آو علة من العلل المعروفة تفسر لنا ذلك الاختلاق ٠

وتلك هى قصة النذر التى أوردناها فى الكلام عن الكعبة وهى تقوم بديوان جامع من القصص للتعريف بخلائق عبد الله ٠

وليس يكفى فى معيار النقد التاريخى آن يكون اختراع القصة ممكنا ليقال آنها مخترعة ٠ فان اتهام كل خبر بالاختراع لأنه يجوز أن يسقط أخبار التاريخ كله فى الزمن القديم وفى الزمن الحديث ، وانما يظن الاختراع بالخبر لمسوغ يدعو الى الشك فيه ولمصلحة توجب اختراعه وتضطرنا اضطرارا الى نفيه على ثقة أو على ترجيح ٠

وهذه القصة بعينها ينبغى قبل نفيها أن نعرف مصلحة المسلم أو الجاهل فى اختراعها والصاقها بعبد المطلب وعبد الله ، فقد قيل انها لم تظهر فى الجاهلية قبل البعثة الاسلامية ٠

فهل من مصلحة مسلم أن يختلق القصة ليقول ان جد النبى أوشك أن يذبح أباه قربانا للأصنام ؟

وهل من مصلحة جاهل أن يبدع الافتنان فى القصة وفى وسيلة الخلاص من الفداء لينكر على سدنة الكعبة قدرتهم على استخبار أربابها ويرجع بالفصل فى الوسيلة والاستخبار الى كاهنة خيبرية تفتى لهم فى شئون عباداتهم وأبنائهم حيث يعجزون عن الفتيا وهم مفتقرون اليها ؟

ولم هذا التخصيص بعبد المطلب وعبد الله ؟ ومن الذى كان عنده من قدرة الافتنان فى القصص مثل هذه القدرة ثم خفى أمره ولم تأت منه أفنونة مثلها فى زمانها ؟

وهناك مسوغ آخر من الظن يبدو الى الذهن اذا كانت هذه القصة قد حدثت لأحد قبل عصر عبدالمطلب ثم نقلت اليه، كما حدث كثيرا فى القصص المتكررة التى تروى عن أناس متفرقين ، ولكن هذه القصة بذاتها لم ترد بها الرواية فى بلاد العرب أو غيرها عن أحد غير عبد الله وليست هى مما يوضع فى بلاد لم تعهد السهام وضرب القداح والفداء بالابل والتقرب الى كعبة تجمع الأصنام من «هبل» الى « نائله » الى « أساف » ٠ فلماذا اخترعت فى بلاد العرب وخص عبد الله باختراعها ؟ ٠

ان لم تكن هناك شبهة من هذه الشبهات ومسوغ من هذه المسوغات فقبول القصة أولى من رفضها ، وتأليفها على هذا الافتنان لغير قصد معلوم أصعب فى وقوعها ، وقد تساق فى معرض ترجيحها وتداولها الى منتصف القرن الأول للهجرة ٠

رواية للطبرى يقول فيها بعد سند متصـــل : « ان ابن عباس سألته امرأة نذرت ذبح ولدها عند الكعبة فأمرها بذبح مائة من الابل وذكر لها هذه القصة عن عبد المطلب ، وسألت عبد الله بن عمر فلم يفتها بشىء بل توقف ، فبلغ ذلك مروان ابن الحكم وهو أمير على المدينة فقال انهما لم يصيبا الفتيا ، ثم أمر المرأة أن تعمل ما استطاعت من خير ونهاها عن ذبح ولدها ولم يأمر بذبح الابل ، وأخذ الناس بقول مروان » ٠

والحق بين رفض القصة وقبولها أنه لا موجب لرفضـــها وليس فى قبولها ما يخالف مألوفا من مألوفات زمانها ، وقد كان نذر عبد المطلب طلبا عزيزا من الاله يبذل له فديتـــه ، وكان الوفاء من فضائله المأثورة وكان مع الوفاء بالنذر ايمان بسوء العقب وحذر من أن يصيب الجزاء أبناءه جميعا فليس فى هذا الوفاء خليقة لأنها فوق طاقة الانسان ٠

ومن ارتضى قصة النذر هذه فنصيب عبد الله عنده أعظم من نصيب أبيه لأنه سلم حياته فدية لاخوته ولم ينكص عن طاعة أب وطاعة رب ، ومن يفعل ذلك ينبىء عن ايمان قوى بالواجب واقدام على الموت فى ريعان الشباب ، وقد كان له أن يتحمل المعاذير فلا تعوزه الحيلة ، فكأى من رجل لا ينكر الدين ولا يمرق منه اذا سامه الدين ما يعز عليه ألم تتعذر عليه الحجة للتحلل من فرائضـــه والاجتراء عـــلى أوامره ونواهيه ٠

على أن الملاحظة التى تستوعب النظر من أمر هذه الأسرة القوية المباركة أن أخبارها المتناثرة التى ترسل ارسالا فى المناسبات المتفرقة أدل عليهـــا من الأخبـــار التى تنتظم فى مناسبة واحدة وتحتمل مظنة الوضع والتأليف ، ومهما تتناثر الأخبار عن أحوالها فى الجاهلية تخلص بنا الى خصلة ملحوظة فى جميع هـــذه الأخبـــار وهى « النظام » الذى تتوخاه فى معاملاتها وعلاقات أفرادها على البديهة بغير تدبير مقصود ٠

فمن هنا كلمة ومن هناك خبر ومن جوانب شتى أحاديث وروايات وكلها ينطبع بهذا الطابع بغير شذوذ حتى حين ينتظر الشذوذ ولا يستغرب فأبو لهب نفسه ــ وهو الخارج على اجماع الأسرة ــ يأبى فى مجلس قريش أن يسام آخوه الكبير ــ ابو طالب ــ ما لم يتعوده من الطاعة والتوقير ، يحضر مجلس الآسرة فلا يزيد على كلمة يقولها حين يسمع من آخيه آنه ينصر محمدا ولا يستمع فيه لملامة بعيد أو قريب ، ثم ينصرف من المجلس وهو كظيم ·

أما فى سائر مجامع الأسرة فى الطاعة والتوقير سنة لا يخالفها صغار الأسرة فى مجلس كبارها ، فاذا جلس عميدها جلسوا وراءه وصمتوا فى حضرته لا يبدءون بالكلام الا أن يدعوهم اليه · ومن هنا عجبهم أن يقبل الغلام اليتيم الى مجلس جده فيقصداليه ويجلس الى جواره ، وهم ما علمهم باشفاق الجد عليه وتدليله اياه يستدعونه اليهم ليجلس معهم حتى يأمرهم الجد فيسكتوا عنه وهم لا يقلون اشفاقا عليه ·

ومن نظام الأسرة أن عبد الله خرج بعد زواجه مع أول قافلة حان موعدها ولم يتخلف عامه ذاك الى عام قابل ، وهو لما يفرغ من عرسه الذى كان خليقا أن يطيله تلهف أبيه وآله على حياته بعد اليأس منه فى قصة النذر المشهور ، فخرج مع القافلة ولم ينقض على زفافه أسبوعان على آرجح الأقوال ·

ولا شيء آشبه بالواقع المنظور فى قصة زواج عبد الله بعد الوفاء بنذره واستبقاء حياته ، فان أباه ــ لاجرم ــ قد امتلأت نفسه زمنا بشبح الموت يطوف بولده الحبيب اليه ، فليس أقرب الى خاطره من تعويض ذلك الشعور الجاثم على صدره بالاطمئنان على بقاء فتاه والغبطة بدوامه ودوام ذريته من بعده ، ولا سيما الدوام بعدالنذر الذى كان مبعثه تعبير الشانئين بقلة الذرية وابتئاس الأب خوفا من انقطاع العقب مع ولد وحيد ·

واختار الأب زوجة عبد الله من بنى زهرة أحلاف بنى هاشم والمطلب فى كل خلاف : زوجه آمنة بنت وهب أعرق بنى زهرة نسبا وأكرمها محتدا ومدرة العشيرة كلها فى مجامع قريش ، وينتهى نسبه لأبيه وأمه الى عبد مناف وقد فخر رسول الله بانتسابه الى هذه الأمومة فقال :

« أنا ابن العواتك من سليم »

روى الامام أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة بعد اسناد متصل : «ان عبدالمطلب قدم اليمن فى رحلة الشتاء فنزل على جد من اليهود ، قال : فقال لى رجل من أهل الديور ـ يعنى أهل الكتاب ـ يا عبد المطلب ! أتأذن لى أن أنظر الى بعضك؟ قال : نعم اذا لم يكن عورة ، قال : ففتح احدى منخرى فنظر فيه ثم نظر فى الآخر فقال : أشهد أن فى احدى يديك ملكا وفى الأخرى نبوة ، وانا نجد ذلك فى بنى زهرة فكيف ذلك ؟ قلت لا أدرى ! قال هل لك من شاغة ؟ قلت وما الشاغة ؟ قال زوجة ! قلت أما اليوم فلا • قال : فاذا رجعت فتزوج فيهم • فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهب بنت مناف فولدت حمزة وصفية ، ثم تزوج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب فولدت رسول الله فقالت قريش حين تزوج عبد الله بآمنة بنت وهب فلح ـ أى فاز ـ وغلب عبد الله على أبيه » •

وهذا مثل من الأخبار التى لا تثبت على النظر وتبنى على حقيقة ثابتة وهى اتصال النسب بين آل عبد المطلب وآل وهب ، واتصال البيتين فى الحياة الزوجية لما كان من الاتصال بينهم فى الحياة العامة ، ولم يأت هذا الاتصال القديم بنبوءة من ناسك فى اليمن تنكشف من النظر فى منخرين •

ثم انتقل عبد الله بعروسه من حى وهب الى حى عبد المطلب بعد أيام العرس فلم يطل فيه البقاء الا ريثما أذن مؤذن القافلة بالرحيل •

ولم يعد من رحلته الى داره • فانها كانت الرحلة الأخيرة لكل راحل أو قاعد فى هذه الحياة : رحلة من ظاهر الأرض الى جوف الضريح •

وولد النبى عليه السلام بعد موت أبيه على أشهر الروايات ، فأرضعته معها ثويبة جارية عمه أبى لهب ثم عهد به الى حليمة بنت ذؤيب تستتم رضاعه فى بادية قومها بنى سعد على سنة العلية فى أشراف مكة ما يبتغون الشاه السليمة واللغة الصحيحة بعيدا من أخلاط مكة وأهوائها • ولم يكن الطفل اليتيم على يسار لأن أباه مات فى مقتبل الشباب ، ولكن أسرة أبيه وأسرة أمه تكفلتا بنشأته كما ينشأ أبناء السراه من قريش فأخذته المرضعة بعد تردد ، ثم أعادته الى مكة قبل أن يبلغ الثالثة ، لأنها سمعت من ابنها أن أخاه القرشى قد صرع وهو معه ، وأن رجلين أخذاه فاذا هما يشقان بطنه ولا يزالان يسوطانه ! •

فلما ذهبت اليه حيث تركه ابنها وجدته قائما ممتقع الوجه ، فبادرت به الى مكة مخافة عليه ، طلبت اليها أمه أن تعود به الى البادية تخشى على الطفل من هواء البلد ولا تخشى عليه من ذلك الخطر الذى خشيته المرضع الرءوم ، بعدها سمعته من ابنها ورآته من امتقاع لون الوليد القرشى وقيامه منفردا فى الخلاء ، فلما عادت به الى البادية أتم رضاعه فيها ، ولبث معها الى الخامسة أو قبلها بقليل • وتكلم وجرى لسانه بالعربية الفصحى وهو بين بنى سعد فذاك فخره بعد النبوة اذ يعجب الصحابة من فصاحته فلا يرى عليه السلام عجبا فى فصاحة عربى نشأ فى بنى سعد وتربى فى الذؤابة من قريش •

ولم يكد الصبى يطمئن الى جوار أمه بعد عودته من البادية حتى فقدها وهما فى زيارة لقبر أبيه فى المدينة : وما كان قد بقى فى الدنيا للفتاة الأيم غير هذا الصبى وذكرى أبيه الراحل فى غربتين : غربة الموت وغربة المكان •

فخرجت به ضيفا تزور الفقيد الراحل فى مثواه وتحسبه مشوقا تحت طباق الأرض الى رؤية الوليد الذى لم تبصره عيناه تحت شمس النهار •

وكذلك تزيد الوليد اليتيم أباه •

فلما قضت حق الزيارة ولبثت فى جيرة أخوال عبد الله شهرا أو بعض شهر ، قفلت بولدها راجعة الى مكة ، فماتت ودفنت فى الطريق •

فكل ما وعته السيرة من مرضها أنها وعكت من لفحة السموم فلم تطل بها الوعكة غير أيام •

ومن اليسير أن نعلم وقع هذه الفاجعة فى نفس الصبى اليتيم ، يتجدد له مصابه فى أبيه ، فلا يكاد يبرح ضريحه حتى يقف على ضريح أمه مهجورا فى عرض الطريق •

الا أن هذه الفاجعة بما تدل عليه أهم ما فى دراستنا هذه مما خلفته فى نفس الصبى الصغير •

مصابه فى أبيه ومصابه فى أمه ، ولم يزل صبيا صغيرا حين أطبق عليهما مصابه فى جده الذى ضمه اليه بعد فقد أبويه •

لو نفس صغيرة تتابعت عليها هذه الضربات فى صباها لسحقتها واستنزفت كل ما حوته من عطف وأمل ، فلا تعيش ــ ان عاشت بضرباتها ــ الا كما يعيش الأشباح فى ظلمات الحيـاة •

فاذا وجبت لنا وقفة عند هذه الضربات التى تلقاها الصبى ، فأول ما نقف لديه وأولاده بالوقوف الطويل انها دلالة على القوة فى مكمنها وعلى الروح العظيم الذى تجلى بعد ذلك فى تاريخ بني الانسان ، كفؤا لأعظم الأعباء وأفدح الخطوب به •

وتلى ذلك وقفتنا أمام العطف الذى أفادته تلك النفس القوية من ضربات تستحق ما دونها وتنزف منها كل عاطفة وأمل .

وقد خرج الصبى من تلك الضربات القاصمة بالعاطفة الزاخرة التى تشمل العالمين ، عالم الحياة وما بعد الحياة ، مذ كان أحب الناس اليه فى عالم آخر لا تبديه له هذه الحياة ، وجاءت بعثته الى الناس كافة

بسم الله الرحمن الرحيم .

ولعله أول فتح أطل عليه من فتوح عالم الغيب ، فاستمد منه بعد ذلك قوته التى دان لها هذا العالم المشهود .

دنياه بعد ذلك أوسع من دنيا الناس وأعم من دنيا الأحياء ، وحاجز الموت عنده برزخ تتصل به الدنيا والآخرة ويعيش فيه الحى والميت ، ولا ينتقل فيه الخلق فى دنياهم ليهلكوا آخر الدهر بل يعيشوا آخر الدهر خالدين .

وقليل من جنب هذا فائدة العطف الذى عهدناه من صباه الى ختام حياته يحيط به كل انسان وكل حى وكل شىء .

وانما يترجم عنه عطفه الذى لم يحرمه أحد قط من صاحب أو صديق .

ولا ندع الكلام على الأسرة النبوية وفى الخاطر سؤال يوحى الينا أن نسأله وأن نجيب عنه ما أستطيع الجواب .

لقد مات عبدالله وآمنة ولم يجاوزا الخامسة والعشرين . ولا يكون الموت فى هذه السن الا علامة الضعف والهزال ، ان لم يكن من مرض يستنفد الأجل فى عنفوان الشباب .

فهل كان محمــد عليــه الســلام سليل أبوين ضعيفين هزيلين ؟

ان لم تكن غرابة الالتقاء بين الأبوين على هذا الضــعف كافية لدفع هذا الظن ، فلا حاجة الى دافع له غير حياة الوليد بما استوفته من قوة الروح وقوة الجثمان ٠

وقد سأل أناس من كتاب الضرب عن هــذا الســؤال ، وخيل اليهم أنهم وجدوا جوابه فى قصة الصرع المزعوم قبل الفطام وفيما كان يعروه من برحاء الــوحى التى وصــفها الأقربون منه، وأيسرها أنه كان عليه السلام يرعد ويضطرب ويتقاطر منه فى اليوم الثانى عرق كحب الجمان ٠

وعجيب أن يصاب الانسان بصرع لا يعروه غــير مرة واحدة فى سن الرضاع ، ثم لا يعاوده مرة أخرى الى قرابة الأربعين ٠

وأعجب منه أن يصاب بعــد الأربعين فى حال واحــدة حين يتلقى الوحى ثم لا يصاب به مرة فى غير ذلك الحال ٠

ولكنه ليس بالعجيب أن تجيش بنية اللحــم والدم من أعماقها فى غاشية كغاشية الوحى كائنا ما كان قوام البدن الذى تغشاه ٠

ولا نعلم أن أحدا من الأنبياء وصف لنا كما وصف محمد عليه السلام فى كل لمحة وفى كل حركة من حركاته ، وفى يقظته ورقاده ، وفى حديثه وصمته ، وفى جلوسه ومسيره ، وفى ركوبه وترحله ، فلم تكن له صفة قط فى كل أولئك غير صفة البنية السوية والخلق القويم ٠

كان باتفاق جميع واصفيه ، فوق المربوع بعيد ما بين المنكبين ، غزير الشعر تلمس جمته شحمة أذنيه ، شثن الكفين والقدمين ضخم الكراديس ــ أى ملتقى العظام ــ ولم يكن بالمطهم ولا بالمكثم ٠

أدعج العينين أحدب الأشـفار ، اذا مشى تقطـع كأنما ينحط من صبب ذريع الخطوة سائل الأطراف والنطق أبين عن حالات الصرع من سائر الصفات وما وصف منطق النبى بشىء ينم على اضطراب فى عصب أو فى عضل ، أو ينبىء عن عرض من الأغراض غير سليم أو قويم : كان ضليع الفم ، يتكلم بكلام بين فصل مفسر •

اذا أشار أشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها ، واذا تحدث اتصل بها ـ (أى صحب كلامه بما يوافقه من حركاته) ـ واذا غضب أعرض وأشاح ، واذا فرح غض طرفه ، جل ضحكه التبسم ليس بصخاب ولا يرتفع له صوت فى غير دعاء •

وهذه صفات كلامه من أكثر من عشرين مصدرا جمعها أبو عيسى الترمذى صاحب الشمائل المحمدية ، ولم يأت بين ثناياها مساغ اشتباه فى عـرض من أعـراض خلل الصرع والاضطراب ، بل هى كلها توكيد للمنطق السليم والخلق القويم •

●●●●

الله أعلم حيث يجعل رسالته

وقد جعلت رسالة محمد حيث ينبغى أن تكون ـ خلقـا وخلقا ـ من ميراث الزمن وميراث الأجداد والآباء ، فكل خلق وصف به فهو الصالح لأداء رسالته والنهوض بأمانته ، ان تكن ضريبـة من ضرائب العظمـة الكبرى ـ ولابد لها من ضريبة فتلك هى النقص فى نسله ليستوفى التمام من أمر هذه الذرية الباقية الى يومنا ، وبعد يومنا ، جامعـة واعية لكل تابع من تابعيه وكل مولود فى عالم الضمير من بنيه وغير بنيه •

وانه لعلى خلق عظيم وانه لعلى خلق قويم

ثالثا : أطوار حياته صلى الله عليه وسلم

١ ــ الطور الأول (من ولادته الى النبوة) :

(أ) ميــــلاده :

حملت به أمه السيدة آمنة بنت وهب فى أول رجب ٠ وبعد شهرين من حمله توفى أبوه عبد الله في المدينــة عنــد أخواله بني النجار وعمره ثماني عشرة سنة عقب ذهابه الى تجارة فى الشام ٠

ولما تمت مدة الحمل ولد عليه الصلاة والسلام بمكة فى دار أبى طالب فى صباح يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول ، وقيل : صباح اليوم التاسع من هذا الشهر الموافق ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليــه الســلام عــلى ما حققه المرحوم محمود باشا الفلكى ٠

وهذا اليــوم يوافق الســنة الأولى من حادثة الفيــل المشهورة ، أى العام الذى حبس الله فيــه الفيل عن دخــول مكة لهدم الكعبــة كما كان يقصــد (أبرهــة) قائد جيش النجاشي الحبشى فدمرهم الله أشنع تدمير ، وجعل كيدهم فى تضليل ، اكراما لولادته عليه الصلاة والسلام ٠ وقد جاء ذكر هذه القصة فى القرآن الكريم :

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾

(الفيل : ١ ــ ٥)

وقال فى حمله وولادته (حسان بن ثابت) الشاعر العظيم :

« تالله ما حملت أنثى ولا وضعت

مثل الرسول نبى الأمة الهادى »

وقال المرحوم شوقى بك فى قصيدته الشهيرة بالهمزية :

« ولد الهدى فالكائنات ضياء

وفم الزمان تبسم وثناء »

وقد دلت الروايات الصحيحة على اتصافه صلى الله عليه وسلم حين ولادته بصفات تليق بمقامه السامى ، اذا ولد نظيفا ليس عليه من أقذار الولادة شىء مدهونا مكحولا يعلوه النور والبهاء ، واضعا يديه على الأرض رافعا رأسه ، رامقا بطرفه الى السماء ٠

وفى ذلك يقول البوصيرى رحمه الله :

« رافعا رأسه وفى ذلك الرفع الى كل سؤدد ايماء »

« رامقا طرفه السماء ومرمي

عين من شأنه العلو العلاء »

أى برز عليه السلام الى هذا الوجود رافعا رأسه ، وفى ذلك الرفع الذى هو أول فعل وقع منه عليه السلام (ايماء) واشارة الى كل رفعة وسعادة ٠ ورامقا ببصره الى جهة العلو ايماء الى أنه لا يقصد الا أعلى المراتب ، اذ من شأنه العلو لا يقصد الا جهاته ٠

« وتدلت زهر النجوم اليه فأضاءت بضوئها الأرجاء »

أى قد دنت الكواكب المضيئة يوم ولادته فأضاءت بأنوارها النواصى والدليل على ذلك أنه روى البيهقى عن (فاطمة الثقفية) انها قالت :

لما حضرت ولادة النبى عليه الصلاة والسلام : رأيت البيت حين وضع قد امتلأ نورا ، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع على ٠

وروى : أن أمه ، ﷺ ، رأت حين وضعته نورا ظهرت به قصور الشام فرآتها فى مكة وهذا معنى قول البوصيرى رحمه الله ٠

« وتراءت قصور قيصر الروم يراها من دار البطحاء »

●●●●

العجائب التى ظهرت يوم ولادته :

وفى ليلة ولادته شاهد الكثيرون ما يدل على شرفه وعظيم قدره من العجائب والآيات الباهرات فلما أشرقت أنواره عليه السلام تتابعت بشائر الهاتفين بولادته ، وثبت السرور بطلعته وأشرف على السقوط (ايوان كسرى) وانشق وسقطت شرفاته ، وخمدت نار فارس أى انطفأت النار التى كانوا يعبدونها ويوقدونها ألف سنة ، ولم يطفأ لها لهب ، لأنهم كانوا مجوسا ، وكان ذلك غما وبلاء عليهم ، خمود تلك النيران العظيمة ، وقد أدركوا أن ذلك لأمر عظيم حدث فى العالم ، وهو ولادة المصطفى عليه الصلاة والسلام ٠

وكذا ظهر فى تلك الليلة جفاف عيون الفرس ، كأن الماء الذى كان بها فاض وأطفأ نيران بيوت الفرس ٠

وفى ذلك يقول البوصيرى رحمه الله :

« ليلة المولد الذى كان للدين
سرور بيومه وازدهاء »

« وتوالت بشرى الهواتف أن قد
ولد المصطفى وحق الهناء »

« وتداعى ايوان كسرى ولولا
آية منك ما تداعى البناء »

« رغدا كل بيت نار وفيه
كربة من خمودها وبلاء »

« وعيون للفرس غارت فهل كان
لنيرانهم بها اطفاء ؟ »

« مولد كان منه فى طالع الكفر
وبال عليهم ووباء »

وقد امتازت وفازت السيدة آمنة بما لم تفز به النساء من الفخار حتى حواء ، ولذا قال البوصيرى رحمه الله :

« فهنيئا به لآمنة الفضل
الذى شرفت به حواء »

« يوم نالت بوضعه ابنة وهب
من فخار ما لم تنله النساء »

●●●●

(ب) تسميته صلى الله عليه وسلم :

ولما ولد عليه الصلاة والسلام أرسلت أمه السيدة آمنة لجده تبشره فأقبل مسرورا وسماه ·

« محمـــــدا »

ولم يكن هذا الاسم شائعا من قبل عند العرب ، ولكن أراد الله أن يحقق ما ذكره سلفا فى الكتب التى جاءت بها الأنبياء ، كالتوراه والانجيل فألهم جده أن يسميه بذلك انفاذا لأمره ·

رضاعه وفطامه وما حصل فيهما من المعجزات :

أرضعته أمه السيدة آمنة نحو ثلاثة أيام ثم (ثويبة) مولاة عمه آبى لهب ثم (حليمة السعدية) التى اختارها جده عبد المطلب مرضعة له ، وهى من قبيلة (هوازن) المشهورة فى العرب بالعراقة وكمال الشرف ، واسم زوجها (آبو كبشة) وهو الذى كانت قريش تنسب له الرسول ﷺ حينما يريدون الاستهزاء به فيقولون « هذا ابن آبى كبشة » يكلم من السماء ، فأخذته حليمة السعدية ، ورجعت به الى قبيلتها ، وبقى عندها الى الفطام وبعده بسنتين أيضا ·

وفى ذلك يقول البوصيرى رحمه الله :

« واذا سخر الآله أناسا لسعيد فانهم سعداء »

وقد ظهرت فى زمان رضاعه أشياء شبيهة بالمعجزات لا يستطال اخفاؤها وكتمانها عن الأبصار اذا امتنعت عن رضاعه المرضعات ، وآعرضن عنه ليتمه وقلن : انما تركناه لأننا نبغى المعروف والخير من آباء الرضعاء ، وآما الأم

والجد فلیسا كذلك ، وقد أتته حليمة السعدية وكانت فقيرة ، ولا يرضى أحد من الأهالى أن يعطيها ابنه لارضاعه ، لأن الفقر يستلزم قلة الأكل ، وهو يستلزم قلة اللبن المضر بالرضيع عادة ، فأرضعت النبى عليه السلام لبانها ، وبسبب هذا الارضاع لهذا المولود السعيد المحمود ، در عليها وبنيها الشياه من الغنم البانها ، وكانوا قد أشرفوا على الهلاك من الجوع ، وبعد أن كانت هذه الشياه هزيلات لا لبن فيها أصلا ، فببركته عليه السلام استحالت حالها فى أقرب وقت وليس بها هزال ، وكثر مرعى الدواب عند حليمة بعد يبس الأرض من الكلأ والزرع ، وذلك بسبب انها ترضع النبى عليه السلام بلبنها ، ولأن البركة والرحمة تحلان حيث يكون الرسول ﷺ :

★ وفى ذلك يقول الامام البوصيرى رحمه الله :

« وبدت فى رضاعه معجزات
ليس فيها عن العيون خفاء »

« اذ أبته ليتمه مرضعات
قلن ما فى

« فأتته من آل سعد فتاة
قد أبتها لفقرها الرضعاء »

« أرضعته لبانها فسقاها
وبنيها البانهن الماء »

« أصبحت شولا عجافا وأمست
ما بها شائل ولا عجفاء »

« أخصب العيش عندها بعد قحل
اذ غدا للنبى منهما غذاء »

وبعد أن انتهت مدة رضاعته لبلوغه سنتين أتت به جده عبد المطلب وقد أصابها من أجل فطامه التألم الشديد لما

شاهدت من توالى الخيرات وتتابع البركات بسبب اقامته عندها ٠

« وأتت جده وقد فصلته
وبها من فصاله البرجاء »

●●●●

(ج) علامات مولد عالم :

كان عالما متداعيا قد شارف النهاية ٠٠ خلاصة ما يقال فيه أنه عالم فقد القصيدة كما فقد النظام ٠

أى انه فقد أسباب الطمأنينة فى الباطن والظاهر : طمأنينة الباطن التى تنشأ من الركون الى قوة الغيب ، تبسط العدل وتحمى الضعف ، وتجزى الظلم وتختار الأصلح الأكمل من جميع الأمور ٠

وطمأنينة الظاهر التي تنشأ من الركون الى دولة تقضى بالشريعة ، وتفصل بين البغاه والأبرياء ، وتحرس الطريق وتخيف العابثين بالفساد ٠

بيزنطة قد خرجت من الدين الى الجدل العقيم الذى أصبح بعد ذلك علما عليها ، وتضاءلت سطوتها فى البر والبحر حتي طمع فيها من كان يحتمى بجوارها ٠

وفارس قد سخر فيها المجوس من دين المجوس ٠٠ وكمنت حول عرشها كوامن الغيلة ، وبواعث الفتن ونوازع الشهوات ٠

والحبشة ضائعة بين الأوثان المستعارة من الحضارة تارة ومن الهمجية تارة ، وبين التوحيد الذى هو ضرب من عبادة الأوثان ٠٠ ثم هى بعد هذا التشويه فى الدين ، ليست بذات رسالة فى الدنيا ولا بذات طور من أطوار التاريخ ٠٠ فليس لها عمل باق فى سجل الأعمال الباقيات ٠

عالم يتطلع الى حال غير حاله ٠٠ عالم يتهيأ للتبديل أو للهدم ثم للبناء ٠

أمــــة :

وبين هـــذه الدول المتـــداعيات أمة ليست بذات دولة ولكنها تتأهب لاقامة دولة ٠٠ هي أمة العرب وقد تيقظت لوجودها وشعرت بمكانتها ، كما شعرت بالخطـر عليهـــا وبمواضع النقص منها ٠

في أيديها تجارة العالمين كلها ٠

فاذا سارت القوافل من خليج فارس الى بحـر الروم ، فهي تسير في البادية بين حراس من العرب لا سلطان عليهم للدول المتداعية ٠ أو هم قد شعروا بذلك السلطان حينا في ابان الصولة الرومانية والصولة الفارسية ثم علموا أنهم مالكون لزمانهم يرضون فتصل الأرزاق بين المشرق والمغرب وبين المغرب والمشرق ، يغضبون فتبــور التجـارة وينضب المورد وتكسد الأسواق ٠

واذا سارت القوافل من اليمن الى الشــام أو من بحـر القلزم الى بحر الروم فهي جيدةالاعراب من كلا الطريقين ٠

أمة تيقظت لوجودها ، وعرفت شأنها بين من يحدقون بصحرائها ٠٠

ثم رأت هؤلاء المحيطين بها يجرون عليهـــا ، ويريدون اخضاعها وابتلاعها ٠

فهرقل الرومي يرسل الى مكة من يحكمهـــا ، وأبرهة الحبشي يزحف الى مكة بمن يهدم كعبتها ويستبدل بها كعبة غيرها ، وفارس تطغى على شرق البلاد وعلى جنوبها ٠

خطر من خارجها ، يزيد الأمة يقظة وانتباها لوجودها ٠

وخطر من داخلها ، يدفع بها الى الزوال أو الى استكمال النقص المستشري في حياتها ٠٠

مدينة واحدة تجتمع فيهـــا ثروة الجـــزيرة ، وعصبة واحدة من سادة القوم تجتمع في أيديها ثروة المدينة ٠٠

حالة لا استقرار فيها ..

فمن هنا الترف ، والطمع ، والخمر ، والقمار ، والمتعة ، وتسخير الأقوياء للضعفاء .. ومن هنا الفاقة ، والحيرة والشك الذى يستجم ويستكين .

فحيثما اجتمع أناس من أولى الرأى يذكرون العقيدة وطمأنينة الضمير ، فهناك هاتف بينهم بسوء ما هم عليه . اجتمع أناس بنخلة لاحياء عيد العزى ، فقال رجل منهم لاخوانه : « والله ما قومكم على شيء وانهم لفى ضلال .. فما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، ومن فوقه يجرى دم النحور ، يا قوم التمسوا لكم دينا غير هذا الدين الذى أنتم عليه » .. ثم تفرقوا ، فمنهم من تنصر ، ومنهم من اعتزل الأوثان ، ومنهم من انتظر حتى سمع دعوة الاسلام فلباها .. وكان الذى تنصر وسمع دعوة الاسلام ورقة بن نوفل الذى كتب له أن يتلقى بشارة النبى العربى عند ظهوره ويلقى اليه بالبشارة .

هؤلاء شكوا وبحثوا عن العقيدة وطمأنينة الضمير ..

وغيرهم شكوا وبحثوا عن وازع من الضمير ، ووازع من السلطان ، فاجتمعت بنو هاشم وزهرة وتيم يتعاهدون باسم الله المنتقم ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى حقه . وذلك حلف الفضول الذى شهده النبى العربى فى شبابه وقال فيه :

« ما أحب أن يكون لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم » .

حالة لا تستقر ، ولا تزال فى طلب الاستقرار ..

وأمة يقظى ! ..

وخطر محدق بها مما حولها ، ومما هو فى دخائلها وأحشائها ..

حالة تنذر بالزوال ، وقلما تزول أمة يقظى فى أوان انتباهها ، فتلك اذن حالة للتبديل والتجديد .

وقبيلة فى تلك الأمة ، فى تلك المدينة ·· لها شعبتان :

أحداهما من أصحاب الترف والطمع واستبقاء ما هو قائم كما كان قائما على هواها ·

والأخرى من أصحاب التقوى والسماحة والتوسط بين مقام القوى الذى يجود ويطغي ويستبقي أداة الجور والطغيان ، ومقام الضعيف الذى يتحمل الأذى ويصبر على الكريهة ، ولا يملك مع السيد الآمر الا أن يذعن له ويأكل من فضلات يديه ·

وبيت من تلك الشعبة الوسطى له كرم النسب العريق وليس له لؤم الثروة الجامحة والكبرياء الجائحة والقسوة على من دونه من المحرومين ·

ذلك هو بيت عبد المطلب من صميم قريش ومن ذؤابتها العليا ، وان لم يكن معدودا من أثرياء القبيلة القرشية فى ذلك الأوان ··

ورأس هذا البيت ـ عبد المطلب ـ رجل قوى الخلق قوى الايمان فيما آمن به ، حكيم مع قوة طبعه وشدة ايمانه خليق أن ينجب العقب الذى يبشر بدعوة ويفصح عن دين ·

نذر لئن عاش له عشرة بنين لينحرن أحدهم عند الكعبة · ثم أحله قومه وأحلته العرافة من نذره ، فأبى أن يتحلل حتى يستوثق من رضى الرب ورضى ضميره · سألتهم العرافة :« كم الدية فيكم ؟ » قالوا : عشر من الابل قالت : « فتقربوا اذا بعشر من الابل وأضربوا على الفتى وعليها بالقداح ·· فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم » فمازالوا يزيدون حتى بلغت الابل مائة وخرجت القداح عليها · فهتفت قريش بعبد المطلب : « لقد رضى ربك ·· فأطلق فتاك » · وكان خليقا بمن يريد أن يتحلل ويتعلل أن يقبل ولا حرج عليه ولكن عبد المطلب لم يكن من المتحللين المتعللين ، فأبى الا أن يضرب عليها القداح ثلاث مرات ، ثم نحرت الابل للجياع من الأناسى والسباع ·

وجاء القائد الحبشى يهدم الكعبة ويسطو على الابل والشاه ٠٠ فلما سأله عبد المطلب أن يرد اليه ابله ، قال له مقال السياسى المحرج المدوار بالكلام « أراك تسأل عن ابلك ولا تسأل عن الكعبة » فأجابه عبد المطلب جواب الحكيم المؤمن : « أما الابل فانا ربها ، وأما البيت فله رب يحميه ! »

وكان ايمانه ايمانا كفؤا لدهاء السياسة ، ولم يكن ايمان العجز والتواكل والاستسلام ٠٠ ومن كان له هذا الخلق ، وهذا الضمير ، وهذا الايمان ، وهذه الرئاسة ، فليس من عجب أن ينجب نبيا فى زمان يستدعى الأنبياء ، ومكان مهيأ لهم دون كل مكان ٠٠٠ بل العجب أن يكون الأمر غير ما كان ٠

واذا كان عبد المطلب جدا صالحا لنبى كريم ، فابنه عبد الله نعم الأب لذلك النبى الكريم ٠٠

لكأنما كان بضعه من عالم الغيب ، أرسلت الى هذه الدنيا لتعقب فيها نبيا وهى لا تراه ٠٠٠ ثم تعود ٠

كان انسانا من طينة الشهداء ، يتجه اليه القلب الانسانى بكل ما فيه من حب وحنو ورحمة ٠ فهو الفتى الذى اسمه عبد الله والذى اختير للفداء ، فجاشت له شفقة قومه حتى تركه لهم القدر الى حين ، هو الفتى الذى تحدثت الفتيات فى الخدور بوسامته وحيائه ، هو الفتى الذى تحدثت نعمن منه بنعمة الزواج ٠ وهو الفتى الذى أقام مع عروسه ثلاثة أيام ، ثم سافر ليتجر فاذا هى السفرة التى لا يئوب منها الذاهبون ٠ وهو الفتى الذى مات وهو غريب ، وولد له نسله الكريم وهو دفين ٠ وهكذا تتمثل البصائر الخاشعة آباء الأنبياء والسلالة التى تصل بين الآخرة والدنيا وبين عالم البقاء وعالم الفناء ٠

عالم يتطلع الى نبى ٠٠ وأمه تتطلع الى نبى ، ومدينة تتطلع الى نبى ، وقبيلة وبيت وأبوان أصلح ما يكونون لانجاب ذلك النبى ٠

ثم ها هو ذا رجل لا يشركه رجل آخر فى صفاته ومقدماته ، ولا يدانيه رجل آخر في مناقبه الفضلى التي هيأته لتلك الرسالة الروحية المأمولة في المدينة وفي الجزيرة وفى العالم بأسره .

نبيل عريق النسب .. وليس بالوضيع الخامل ، فيصغر قدره فى أمة الأنساب والأحساب ..

فقير وليس بالغنى المترف فيطغيه بأس النبلاء الأغنياء ويغلق قلبه ما يغلق القلوب من جشع القوة واليسار .

يتيم بين رحماء . فليس هو بالمدلل الذى يقتل فيه التدليل ملكة الجد والادارة والاستقلال ، وليس هو بالمهجور المنبوذ الذى تقتل فيه القسوة روح الأمل وعزة النفس وسليقة الطموح ، وفضيلة العطف على الآخرين .

خبير بكل ما يختبره العرب من ضروب العيش فى البادية والحاضرة .. تربى فى الصحراء وألف المدينة ، ورعى القطعان واشتغل بالتجارة وشهد الحروب والأحلاف ، واقترب من السراة ولم يبتعد عن الفقراء .

فهو خلاصة الكفاية العربية فى خير ما تكون عليه الكفاية العربية .

وهو على صلة بالدنيا التى أحاطت بقومه .. فلا هو يجهلها فيغفل عنها ، ولا هو يغامسها كل المغامسة فيغرق فى لجتها .

أصلح رجل من أصلح بيت فى أصلح زمان لرسالة النجاة المرقوبة ، على غير علم من الدنيا التى ترقبها .

ذلك محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام .

قد ظهر والمدينة مهيأة لظهوره لأنها محتاجة اليه ، والجزيرة مهيأة لظهوره لأنها محتاجة اليه ، والدنيا مهيأة

لظهوره لأنها محتاجة اليه ، وماذا عن علامات الرسالة أصدق من هذه العلامة ؟ وماذا عن تدبير المقادير أصدق من هذا التدبير ؟ وماذا عن أساطير المخترعين للأساطير أعجب من هذا الواقع ومن هذا التوفيق ؟ علامات الرسالة الصادقة هى عقيدة تحتاج اليها الأمة ، وهى أسباب تتمهد لظهورها ، وهى رجل يضطلع بأمانتها فى أوانها .

فاذا تجمعت هذه العلامات فماذا يلجئنا الى علامة غيرها؟ واذا تعذر عليها أن تجتمع فأى علامة غيرها تنوب عنها أو تعوض ما نقص منها ؟

خلق محمد بن عبد الله ليكون رسولا مبشرا بدين ، والا فلأى شىء خلق ؟ ولأى عمل من أعمال هذه الحياة ترشحه كل هاتيك المقدمات والتوفيقات ، وكل هاتيك المناقب والصفات ؟

لو اشتغل بالتجارة طول حياته كما اشتغل بها فترة من الزمن ، لكان تاجرا أمينا ناجحا موثوقا به فى سوق التجار والشراة ولكن التجارة كانت تشغل بعض صفاته ، ثم تظل صفاته العليا معطلة لا حاجة اليها فى هذا العمل مهما يتسع له المجال .

ولو اشتغل زعيما بين قومه لصلح للزعامة ، ولكن الزعامة لا تستوفى كل ما فيه من قوة واستعداد ..

فالذى أعده له زمانه وأعدته له فطرته هو الرسالة العالمية لا سواها ، وما من أحد قد أعد هذه الدنيا لرسالة دينية ان لم يكن محمد قد أعد لها أكمل اعداد .

والمؤرخون يجهدون أقلامهم غاية الجهد فى استقصاء بشائر الرسالة المحمدية .. يسردون ما أكده الرواه منها

وما لم يؤكدوه ، وما قبله الثقات منها وما لم يقبلوه ، وما أيدته الحوادث أو ناقضته ، وما وافقته العلوم الحديثة أو عارضته ، ويتفرقون فى الرأى والهوى بين التفسير والايمان وتفسير العيان وتفسير المعرفة وتفسير الجهالة ، فهل يستطيعون أن يختلفوا لحظة واحدة فى آثار تلك البشائر التى سبقت الميلاد أو صاحبت الميلاد حين ظهرت الدعوة واستفاض أمر الاسلام •

لا موضع هنا لاختلاف •

فما من بشارة قط من تلك البشائر كان لها أثر فى اقناع أحد بالرسالة يوم صدع النبى بالرسالة ، أو كان ثبوت الاسلام متوقفا عليها •

لأن الذين شهدوا العلامات المزعومة يوم الميلاد ، لم يعرفوا يومئذ مغزاها ومؤداها ، ولا عرفوا أنها علامة على شيء أو على رسالة ستأتى بعد أربعين سنة •

ولأن الذين سمعوا بالدعوة وأصاخوا الى الرسالة بعد البشائر بأربعين سنة ، لم يشهدوا بشارة واحدة منها ولم يحتاجوا الى شهودها ليؤمنوا بصدق ما سمعوه واحتاجوا اليه •

وقد ولد مع النبى عليه السلام أطفال كثيرون فى مشارق الأرض ومغاربها ، فاذا جاز للمصدق أن ينسبها الى مولده ، جاز للمكابر أن ينسبها الى مولد غيره • ولم تفصل الحوادث بالحق بين المصدقين والمكابرين الا بعد عشرات السنين يوم تأتى الدعوة بالآيات والبراهين غنية عن شهادة الشاهدين وانكار المنكرين •

أما العلاقة التى لا التباس فيها ولا سبيل الى انكارها ، فهى علامة الكون وعلامة التاريخ ••

قالت حوادث الكون : لقد كانت الدنيا فى حاجة الى رسالة ..

وقالت حقائق التاريخ : لقد كان محمد هو صاحب تلك الرسالة ..

ولا كلمة لقائل بعد علامة الكون وعلامة التاريخ .

(د) عبقرية الداعى :

(الفصاحة)

اتفقت أحوال العالم اذن على انتظار رسالة .

واتفقت أحوال محمد على ترشيحه لتلك الرسالة .

وكان من الممكن أن تتفق أحوال العالم وأحوال محمد ، ولا تتفق معها الوسائل التى تؤدى بها رسالته على أحسن الوجوه .

كان من الممكن أن ينتظر العالم الرسول ، ثم لا يظهر الرسول .

وكان من الممكن أن يظهر الرسول فى البيت الصالح وفى البيئة الصالحة ثم لا تتهيأ له الصفات التى يتم بها أداء الرسالة .

ولكن الذى اتفق فى رسالة محمد قد كان أعجب أعاجيب الاتفاق وكان المعجزة التى تفوق المعجزات ، لأنها مع ضخامتها وتعدد أجزائها وتوافق تلك الأجزاء جميعها ، مما يقبله العقل قبولا سائغا بغير عنت ولا استكراه فكان محمد مستكملا للصفات التى لا غنى عنها فى انجاح كل رسالة عظيمة من رسالات التاريخ .

كانت له فصاحة اللسان واللغة .

وكانت له قوة الايمان بدعوته وغيرته البالغة على نجاحها .

وهذه صفات الرسول غير أحوال الرسول ، ولكنها هي التي عليها المدار في تبليغ الرسالة ، ولو اتفقت فيما عداها جميع الأحوال .

فالفصاحة صفة تجتمع للكلام ، ولهيئة النطق بالكلام ، ولموضوع الكلام ، فيكون الكلام فصيحا وهيئة النطق به غير فصيحة ، أو يكون الكلام والنطق به فصيحين ، ثم لا تجتمع لموضوعه صفة الفصاحة السارية في الأسماع والقلوب .

فكان أعرب العرب ، كما قال عليه السلام : « أنا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر » .

فله من اللسان العربي أفصحه بهذه النشأة القرشية البدوية الخالصة ، وهذه هي فصاحة الكلام .

ولكن الرجل قد يكون عربيا قرشيا مسترضعا في بني سعد ويكون نطقه بعد ذلك غير سليم ، أو يكون صوته غير محبوب ، أو يكون ترتيبه لكلماته غير مأنوس فيتاح له الكلام الجميل ثم يعوزه النطق الجميل .

اما محمد فقد كان جمال فصاحته في نطقه كجمال فصاحته في كلامه ، وخير من وصفه بذلك عائشة رضي الله عنها حين قالت : « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا ، ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل ، يحفظه من جلس اليه » .

واتفقت الروايات على تنزيه نطقه من عيوب الحروف ومخارجها وقدرته على ايقاعها في أحسن مواقعها ، فهو صاحب كلام سليم في منطق سليم .

ولكن الرجل قد يكون عربيا قرشيا مسترضعا فى بنى سعد ويكون سليما فى كلامه سليما فى نطقه · ثم لا يقـول شيئا يستحق أن يستمع اليه السامع فى موضعه ·

فهذا أيضا قد تنزه عنه الرسول في فصاحته السـائغة من شتى نواحيها ·· فما من حـديث له حفظه لنـا الرواة الثقات الا وهو دليل صادق على أنه قد أوتى حقـا « جوامع الكلم » ورزق من فصاحة الموضوع كفاء ما رزق من فصاحة اللسان وفصاحة الكلام ·

الوسـامة والثقة :

وكانت له مع الفصاحة صباحة ودماثة تحببانه الى كل من رآه ، وتجمعان اليه قلوب من عاشروه · وهى صفة لم يختلف فيها صديق ولا عدو ، ولم ينقل عن أحد من أقطاب الدنيا أنه بلغ بهذه الصفة مثل ما بلغه محمد بين الضعفاء والأقوياء على السواء ·

وحسبك من حب الضعفاء اياه أن فتى مستعبدا يفقـد أباه وأسرته ـ كزيد بن حارثة ـ ثم يظهر له أبوه بعد طول الغيبة ، فيؤثر البقاء مع محمد على الذهاب مع أبيه ·

وان خادم خديجة رضى الله عنهـا ـ ونعنى به ميسرة ـ يقدمه ليبشر سيدته بالربح والتوفيق فى تجارته ، وهو أولى أن ينفس عليـه وأن يدعى لنفسـه ما اختصه به الفضـل والتقديم ··

وحسبك من حب الأقوياء اياه انه جمع على محبته اناسا بينهم من التفاوت فى المزاج والخصال ما بين أبى بكر وعمر وعثمان وخالد وأبى عبيدة ، هم جميعا من عظماء الرجال·

ولكن الرجل قد يكون صبيحا دمثا محبوبا ، ولا يكـون له من ثقة الناس وائتمانهم اياه نصيب كبير ·· لأن الرجل

المحبوب غير الرجل الموثوق به ، اذا اتفقت الخصلتان حينا ، فمن الجائز أن تفترقا حينا آخر لأنهما فى عنصر الخصال لا تتلازمان ·

أما محمد فقد كان جامعا للمحبة والثقة كأفضل ما تجتمعان ، وكان مشهورا بصدقه وأمانته كاشتهاره بوسامته وحنانه · وشهد له بالصدق والأمانة أعداؤه ومخالفوه كما شهد بهما أحبابه وموافقوه · وامتلأ هو من العلم بمنزلة من ثقة القوم ، فأحب أن يستعين بها على هدايتهم وترغيبهم فى دعوته ، فكان يسألهم : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقوننى ؟ » ويقولون : « نعم ما أنت عندنا غير مهم » ··

الا آن الانسان ينفر مما يصدمه فى مألوفاته وموروثاته ، ولو صدقه وقام لديه ألف برهان عليه · فلم يكن عيبا لقوم أنهم لا يصدقون محمدا ولا يعلمون فيه الشرف والأمانة ، وانما كان يهم أنهم ينفرون من التصديق كما ينفر المرء من خبر صادق بسوأة فيمن يحب أو فيما يحب ، وهو مفتوح العينين ناظر الى صدق ما يلقى اليه ·

الايمان والغيرة :

ومن المحقق أن هذه الموافقات على كثرتها ، وهذه الشمائل على ندرتها ، لا تزال تتوقف على صفة أخرى يحتاج اليها الداعى أشد من احتياجه الى الفصاحة والصباحة ·· وهى ايمانه بدعوته وغيرته على نجاحها ، فقد نجح داعون كثيرون تعوزهم طلاقة اللسان وطلاقة القسمات ، ولم ينجح قط داع كبير يعوزه الايمان بصواب ما يدعو اليه · والغيرة عليه ·

وقد قضى محمد عليه السلام شبابه وهو يؤمن بفساد الزمان وضلال الأوثان ·· وجاوره أناس أقل منه نبلا فى النفس ولطفا في الحس نفورا من الرجس ، آمنوا بمثل

ما آمن به من فساد عصره وضـلال أهله ، ومن حاجتهم الى عبادة غير الأصنام ، وآداب غير آدابهم فى تلك الأيام ، فاذا جاوزهم فى صدق وعيه وسداد سعيه ، فقـد وافق المعهـود فيه ، والموروث من جده وأبيه ٠

ولما آمن برسالته هو ودعوته ربه اياه الى القيام بأداء تلك الرسالة لم يهجم على هذا الايمان هجوم ساعة ولا هجوم يوم، ولم يتعجل الأمر تعجل من يخدع نفسه قبل أن يخدع غـيره ، ولكنه تردد حتى استوثق ، وجزع حتى اطمأن ٠ وخطر له فى فترة من الوحى أن الله قلاه وأعرض عنه ، ولم يأذن له فى دعوة الناس الى دينه ٠ ثم تلقى الطمأنينة من وحى ربه ومن وحى قلبه ومن وحى صحبه ٠٠ فصدع بما أمر ، ورضى ضميره بما أوتى من الهـداية عـلى النحو الذى رضيت به ضمائر الأنبياء وأصحاب الفطرة الدينية، مع ما بينه وبينهم من فارق فى الرتبة والأهبة ، وما بين زمانهم وزمانه من فارق فى الحاجة الى الاصلاح ٠

فما من عجب اذن أن يكون محمد صاحب دعوة ٠٠

وما من عجب أن تتجه دعوته حيث اتجهت ، وأن تبلغ من وجهتها الغاية التى بلغت ٠ وانما العجب ممن يغفلون من هـذه الحقيقة أو يتغافلون عنهـا لهـوى فى الأفئـدة ، فيشبهون اليوم أولئك الجـاهلين الذين أصروا أمس عـلى الكفر به وحجبوا بأيديهم نوره عامدين ٠

(هـ) حادثة شق الصدر :

وحصل له عليه السلام حادثة مهمة وهى شق الصـدر واخراج حظ الشيطان منه ، فأحدث ذلك عند حليمة خـوفا فردته الى أمه وجده وحدثتهما قائلة : بينما هو عليه الصلاة والسلام واخوته (أولادها) خلف بيوتنـا اذ أتى أخـوه يعـدو فقال لى ولأبيه : ذاك أخى القرشى قد أخـذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه يسوطانه (يحركانه بسوط) فخرجت أنا وأبوه فوجدناه ممتقعا لونه ، فالتزمته

والتزمه أبوه فقلنا له : مالك يا بنى ؟ فقال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه : أهو هذا ؟ قال : نعم ، فأقبلا يبتدرانى فاضجعانى فشقا بطنى فالتمسا فيه شيئا فأخذاه وطرحاه ولا أدرى ما هو ؟

وفى ذلك يقول البوصيرى رحمه الله :

« اذ أحاطت به ملائكة الله فظنت بأنهم قرناء »
« ورأى وجدها به من الوجد لهبت تصلى به الأحشاء »
« فارقته كرها وكان لديها ثاويا لا يمل منه الثواء »
« شق عن قلبه وآخرج منه مضغة عند غسله سوداء »

وقد أعاد جبريل عليه السلام ذلك الشق الى ما كان عليه بامرار يده على محله فالتأم ، ثم أودع فيه من الايمان والحكمة والأسرار ما لم ينشر وما لم تحط به أخبار ، لأنه لا يعلمه الا الله تعالى : ثم وضع الخاتم بين كتفيه ، ولم يكن الخاتم لنبى قبله .

وفى ذلك قول البوصيرى رحمه الله :

« ختمته يمنى الأمين وقد أو دع ما لم تذع له أنباء »
« صان أسراره الختام فلا الغض ملم به ولا الافضاء »

وفاة والدته وكفالة جده وعمه له :

لما بلغ محمد ﷺ أربع سنين قامت والدته بحضانته ثم أخذته وتوجهت به الى المدينة لزيارة أخوال أبيه بنى عدى بن النجار . وبينما هى عائدة أدركتها الوفاة فى الطريق فماتت (بالأبواء) وهى أقرب الى المدينة ، فحضنته (أم أيمن) وهى جارية ورثها عن أبيه تسمى (بركة الحبشية) وكفله جده عبد المطلب فكان يروق له ، ويعطف عليه أكثر من أولاده لما كان يظهر عليه من علامات النجابة الدالة على أنه سيكون له شأن عظيم فى المستقبل ، ولذا كان يكرمه غاية الاكرام ، ولكن لم يلبث عبد المطلب أن توفى بعد ثمانى

سنوات من عمر الرسول ﷺ ، فكفله عمه أبو طالب شقيق أبيه أحسن كفالة ، وكان شهما كريما سمحا جوادا ، لكنه كان فقيرا لا يملك كفاف أهله ، فحسنت حاله وصلح رزقه ، وكانت كفالته لابن أخيه خيرا وبركة عليه وعلى أولاده .

ولقد اعتنى بابن أخيه محمد ﷺ عناية كبرى حتى قدمه على أولاده فى كل شىء عملا بوصية أبيه عبد المطلب له حيث قال فيها :

« أوصى أبا طالب بعـــدى بذى رحم
(محمد) وهو فى الناس محمـــود »
« فاحـــذر عليـــه شرار النـــاس كلهـــم
والحاســـدين فان الخيـــر محســـود »

ولذا كان به رحيما ، وعليه غيورا ، لأنه رآه بعيدا عن كل شىء فيه شائبة نقص ولهو مما تميل اليه الأطفال عادة .

وكان محمد فى مدة كفالة عمه مثال القناعة ، والبعـد عن السفاسف ، وصغار الأمور التى يشتغل بها الأطفـال ، فكان اذا حضر الآكل أقبل عليه الأولاد يختطفونه وهو قانع بما يسره الله له .

نشأته وكسبه من يده وثمرة عمله :

نشأ ﷺ فى قومه يتيما فقيرا ومات والده فى سن الشباب ولم يترك له مالا سوى خمســة جمال وبضع نعـاج ، وكان صلى الله عليه وسلم قد ألف رعى الغنم مع اخوته فى الرضاع، فصار يرعى لأهـل مكة غنمهم فيتوافر لـكافله أبى طالب ما يأخذ من ذلك من أجر ، ولذا كان مثال الزهد والقنـاعة والرأفة والرحمة . ولما شب عليـه السـلام كان يتجر مع شريك له يدعى (السائب) ويأكل من ثمره عمله وكسبه ، وقد اشتهر بالصدق والأمانة فى تجـارته والاخـلاص فى عمله .

تاديب الله تعالى له صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه :

قد أدبه الله تعالى آدبا لم يفز به غيره من اليتامى الذين قل مالهم ومال القوام عليهم ، مع كونه بين أتراب من بيت الجاهلية ، وعشراء من حلفاء الوثنية ، ولم يكن له آستاذ يهذبه ولا مثقف يؤدبه ، وانما هى عناية الله تحفظه وترعاه ، وقد حدث عن نفسه قائلا :

« أدبنى ربى فأحسن تأديبى »

فاستهل ﷺ وهو على أتم ما تتزكى به روح وأكمل ما تتحلى به نفس ، من جميل الصفات ، حميد الخصال ، وقد قال فى شأنه البوصيرى :

« كفاك بالعلم فى الأمى معجزة
فى الجاهلية والتأديب فى اليتم »

الآيات الدالة على صدق نبوته ، صلى الله عليه وسلم واثبات رسالته ودعوته للناس عامة :

ان الأدلة القاطعة ، والحجج البالغة ، على صدق نبوة محمد ﷺ ، واثبات رسالته ودعوته عامة للناس ، هى واضحة جلية فى القرآن الكريم ، وهى كثيرة جدا ، ويكفى آن نذكر منها بعض الآيات الآتية مع شرح كل آية منها :

مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾

الأحزاب ٤٠

يقول الله تعالى ذكره : أيها الناس ، ما كان محمد آبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، الذى ختم النبوة به ، فلا تفتح لأحد بعده الى قيام الساعة ، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ذا علم لا يخفى عليه شيء منها .

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

سبأ ٢٨

يقول الله تعالى ذكره : وما أرسلناك يا محمد الى هؤلاء المشركين بالله من قومك (قريش) خاصة ، ولكنا أرسلناك للناس عامة ، العرب منهم والعجم ، والأحمر والأسود ، بشيرا تبشر بالثواب وحسن الجزاء من أطاعك ، ونذيرا تنذر بالعقاب وسوء العذاب من كذبك ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله أرسلك كذلك الى جميع البشر .

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

الفتح ٨ ، ٩

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : انا أرسلناك يا محمد شاهدا على أمتك بما أجابوك ، فيما دعوتهم اليه مما أرسلتك به اليهم من شريعة ، ومبشرا لهم بالجنة اذا أجابوك الى ما دعوتهم اليه من الدين القيم ، ونذيرا تنذرهم بعذاب الله ان هم أعرضوا وتولوا عما جئتهم به من عند

ربك ، وأنتم أيها الناس قد أرسلنا اليكم هذا الرسول الكريم لتؤمنوا بالله ورسوله ، ولتطيعوا الله ، وتوقروه وتعظموه ، وتصلوا له بالغدوات والعشيات ، أى الصباح والمساء ٠

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

الأحزاب ٤٥ ــ ٤٨

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : يا محمد انا أرسلناك شاهدا على أمتك ، بابلاغك اياهم ما أرسلناك به من الشريعة والدين ، ومبشرا لهم بالجنة ان هم صدقوك وعملوا بما جئتهم به من عند ربك ونذيرا لهم بالنار أن يدخلوها يتعذبوا بها ان هم كذبوك وخالفوا ما جئتهم به من عند الله ، وداعيا الى توحيد الله ، واقرار الألوهية له ، واخلاص الطاعة لوجهه ، دون كل من سواه من الآلهة والأوثان ، كل ذلك بأمره اياك وسراجا منيرا ، وضياء لخلقه يستضيئون بالذى أتيتهم به من عند الله ٠

وبشر محمد أهل الايمان بالله بأن لهم من الله ثوابا عظيما ، وفضلا كبيرا على طاعتهم اياه ولا تطع قول كافر ولا منافق ، فتسمع منه دعاؤه اياك الى التقصير فى تبليغ رسالات الله الى من أرسلك بها اليه من خلقه ، وأعرض عن أذاهم لك ، وأصبر عليه ، ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله فى عباده ، والتعود لما كلفك به ، وفوض الى الله أمرك، وثق بأنه يكفيك جميع من دونه، حتى يأتيك أمره وقضاؤه ، وحسبك بالله وكيلا وقيما بأمورك وحافظا » لك من أذى أعدائك ٠

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

الفتح ٢٩

يقول الله تعالى ذكره : هو الذى أرسل رسوله محمدا ﷺ بالبيان الواضح ، ودين الحق ، وهو الاسلام الذى أرسله داعيا خلقه اليه ليظهره على سائر الأديان ، ليبطل به الملل كلها ، حتى لا يكون دين سواه ، وذلك كان كذلك حتى ينزل عيسى ابن مريم ليقتل المسيخ الدجال ، فحينئذ يبطل الأديان كلها غير دين الله الذى بعث به محمدا ﷺ ، ويظهر الاسلام على الأديان كلها ، وأشهدك يا محمد على ذلك وحسبك بالله شاهدا .

ويقول تعالى ذكره : محمد ﷺ وأتباعه من أصحابه الذين هم معه على دينه أشداء على الكفار ، غليظة عليهم قلوبهم ، قليلة بهم رحمتهم ، رفيقة قلوبهم بعضهم لبعض ، لينة أنفسهم ، هينة عليهم تراهم ركعا أحيانا لله فى صلاتهم ، سجدا أحيانا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا فيدخلهم جنته ، وعلامتهم فى وجوههم من أثر السجود فى صلاتهم ، وهذه الصفة التى وصف بها أتباع محمد ﷺ الذين معه ، وهى أيضا صفتهم فى التوراة وفى الانجيل ، صفة زرع أخرج نباته ثم يكثر وينمو ، فهم كذلك حينما دخلوا فى الاسلام كانوا قليلى العدد ، ثم أخذوا يتزايدون ، ويدخلون

فى دين الله أفواجا ، جماعة بعد جماعة ، حتى كثر عددهم ، ليغيظ الله بهم الكفار ، كما أن الزرع يبتدىء قليلا ضعيفا ثم يقوى ويغلظ ويستقيم فى عوده ، فيعجب الزراع •

وهذا مثل ضربه الله لمحمد ﷺ فيه يقول :

بعث النبى ﷺ وحده ، ثم اجتمع اليه ناس قليلون يؤمنون به ، ثم يكون القليل بعد ذلك كثيرا ، ويستغلظون ليغيظ بهم الكفار •

وقد وعد الله الذين آمنوا ، وصدقوا الله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم به الله من فرائضه التى أوجبها عليهم ، عفوا ومغفرة عما مضى من سالف ذنوبهم ، وسيىء أعمالهم ، ووعدهم ثوابا جزيلا ، وذلك هو الجنة •

الأمر بتبليغ الرسالة واتباع كتاب الله

أمر الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بابلاغ والنصارى من أهل الكتاب ما أنزل اليه من ربه فاكثر له .
يا محمد بلغ ما أنزل اليك من ربك ، فان تركت ذلك ولم تفعل وكتمت شيئا من الرسالة كنت كأنك لم تبلغها • .

ثم أمنه وطمأنه على حياته وقال له : لا تخف على حياتك من مواجهة هؤلاء القوم بما ينكرونه ، فان الله حافظك وعاصمك من ايذائهم ، وان الله لا يوفق للرشد من حاد عن طريق الحق ، وجحد ما جئته به من عند الله ، ولم ينته الى أمر الله وطاعته ، وذلك قوله تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾

المائدة ٦٧

ثم قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ، واتبع يا محمد ما أنزل اليك من كتاب ربك ، واستمر على تلاوته ، واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه ، والعمل بحلاله وترك حرامه وأعلم بأنه لا مغير ولا مبدل لكلماته التى أنزلها عليك ، وأنت يا محمد لن تجد من دون الله ملجأ ، لأن قدرة الله محيطة بك ، وبجميع خلقه ، لا يقدر أحد على الهرب من أمر ربه ٠

وذلك قوله تعالى :

وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

الكهف ٢٧

ثم أمره بالتقوى والطاعة بأداء فرائضه وواجب حقوقه ، والانتهاء عن محارمه ، وعدم مجاوزه حدوده ، وعدم اطاعة الكافرين والمنافقين الذين يظهرون الايمان بالله وهم أشد أعداء الله ، وأعداء رسوله ، والله عليم بما تكنه نفوسهم ، وما تنطوى عليه أخلاقهم حكيم فى تدبير أمره على جميع خلقه ٠

كما أنه أمره باتباع ما أوحاه اليه من القرآن ، والعمل بما فيه من الأوامر والنواهى ، والله خبير بأمور عباده لا يخفى عليه شىء منها ، وهو مجازيهم عليها بما وعدهم من الثواب والعقاب وذلك قوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾

الأحزاب ١ ــ ٢

● ● ● ●

تعبده صلى الله عليه وسلم :

لما بلغ عليه السلام ثمانيا وثلاثين سنة كان ﷺ يرى الضوء والنور ويسمع صوت النداء ولا يرى أحدا ، وحبب اليه الخلاء للعبادة والتفكر .

فكان ﷺ عليه وسلم معتادا العبادة ، والابتعاد عن الناس ، وذلك شأن الكرام الذين لا يألفون الا ما يناسب كرمهم ، فكان يخلو بغار (حراء) جبل قريب من مكة فيتعبد فيه الليالى ذوات العدد ، فتارة عشر ليال وتارة أكثر ، يأخذ لذلك زاده فاذا فرغ رجع الى بيته فتزود لمثلها .

وكأن الله سبحانه وتعالى قد ألهمه ذلك لتصفو نفسه ، ويتوجه روحه الشريف الى عالم غير عالم المادة ، ويستعد لما سيكرمه الله به من تلقى وحيه ، وانقاذ خلقه مما كان فيه مثل قومه من الشرور والآثام وعبادة الأصنام وفى ذلك يقول البوصيرى رحمه الله :

« آلف النسك والعبادة والخلوة طفلا وهكذا النجباء »

«واذا حلت الهداية قلبا نشطت فى العبادة الأعضاء»

●●●●

تبشير التوراة بمحمد صلى الله عليه وسلم :

أنزل الله التوراة على موسى محتوية على الشرائع التى تناسب آهل ذلك الزمن ونوه فيها بذكر كثير من الأنبياء الذين علم الله أنه سيرسلهم .

فما جاء فيها تبشيرا برسول الله الكريم محمد عليه الصلاة والتسليم خطابا لسيدنا موسى عليه السلام :

« وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم وأجعل كلامى فى فمه ، ويكلمهم بكل شيء آمره به ، ومن لم يطع

كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنا الذى أنتقم منه ، فأما النبى الذى يجترىء على الكبرياء ويتكلم باسمى بما لم آمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل واذا أحببت أن تميز بين النبى الصادق والكاذب • فهذه علامتك ، ان ما قاله ذلك النبى باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ولذلك لا تخشاه » •

●●●●

تبشير الانجيل بمحمد صلى الله عليه وسلم :

بشر عيسى عليه السلام قومه فى الانجيل (بمحمد أو أحمد) ومعناه قريب من محمد أو أحمد ويصدقه فى القرآن قوله تعالى فى سورة الصف :

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾

الصف ٦

وسبق ذكرها فى ختام قصة سيدنا عيسى •

وقد وصف المسيح عليه السلام هذا (الفار قليط) بأوصاف لا تنطبق الا على نبينا عليه الصلاة والسلام فقال : انه يوبخ العالم على خطيئته ، ويعلمهم جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع ! وهذا ما ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

النجم ـ ٤

نزول الوحى وبدء النبوة :

لما بلغ عليه السلام سن الكمال وهو (أربعون سنة) أرسله الله للعالمين بشيرا ونذيرا ليخرجهم من ظلمات الجهالة الى نور العلم والعرفان ، وكان ذلك فى أول فبراير سنة ٦١٠ من ميلاد المسيح عليه السلام ، كما أوضحه المرحوم محمود باشا الفلكى ، ونزل عليه الوحى كما سيأتى :

كيف كان بدء الوحى ؟ (كما ذكر فى البخارى)

سأل الحرث بن هشام رضى الله عنه رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟

فقال رسول الله ﷺ : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى ، وقد وعيت عنه ما قال : وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول :

قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وان جبينه ليتفصد عرقا ٠

وقالت عائشة أم المؤمنين : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ، وكان يخلو بغار (حراء) فيتحنث فيه وهو التعبد فى الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله وكان يتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار (حراء) ٠

فجاءه الملك فقال : اقرأ ٠ قال : ما أنا بقارىء ٠ قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ ٠ قلت : ما أنا بقارىء ٠ فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ ٠ فقلت ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى الثالثة ثم قال :

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾

العلق ١ ـ ٣

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على (خديجة بنت خويلد) رضى الله عنها فقال : زملونى ، زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ٠

فانطلقت به خديجة حتى أتت به (ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى) ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ٠ فقال له ورقة : هذا الناموس (الشريعة) الذى أنزل الله على موسى يا ليتنى فيها جذعا (شابا جلدا) يا ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجى هم ؟ قال ٠ نعم ٠ لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم ينشب ورقة أن توفى ٠

فترة الوحى :

فترة الوحي مدة لم يتفق عليها المؤرخون ، وأرجح أقوالهم فيها أربعون يوما ليشتد شوق الرسول للوحى ، وقد كان ، فان الحال اشتدت به عليه السلام حتى صار كلما أتى ذروة جبل بدا له أن يرمى نفسه منها حذرا من قطيعة الله

بعد أن أراه نعمته الكبرى وهى اختياره لأن يكون واسطة بينه وبين خلقه ، فيتبدى له الملك قائلا : أنت رسول الله حقا ليطمئن خاطره ، ويرجع عما عزم عليه حتى أراد الله أن يظهر للوجود نور الدين فعاد اليه الوحى .

عودة الوحى :

عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال فى حديثه : عن الرسول ﷺ أنه قال : بينما أنا أمشى اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالسا على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت : زملونى ، فأنزل الله تعالى : (يأيها المدثر * قم فأنذر) أى حذر الناس من عذاب الله ان لم يرجعوا عن غيهم وما كان يعبد آباؤهم (وربك فكبر) أى لا تشرك مع ربك فى ذلك غيره (وثيابك فطهر) لتكون مستعدا للوقوف بين يدى الله اذ لا يليق بالمؤمن أن يكون نجسا مستذرا (والرجز فاهجر) أى اهجر أسباب الرجز وهو العذاب ، بأن تطيع الله وتنفذ أمره (ولا تمنن تستكثر) أى لا تهب أحدا هبة وأنت تطمع أن تستعيض من الموهوب له أكثر مما وهبك ، فهذا ليس من شأن الكرام (ولربك فاصبر) أى اصبر على ما سيلحقك من أذى قومك حينما تدعوهم الى توحيد الله فحمى الوحى وتتابع .

الرد على منكر الوحى مناما :

وقد قال المرحوم البوصيرى لمن ينكر الوحى :

« لا تنكر الوحى من رؤيا ان له
قلبا اذا نامت العينان لم ينم »

« وذاك حين بلوغ من نبوته
فليس ينكر فيه حال محتلم »

« تبارك الله ما وحى بمكتسب
ولا نبى على غيب بمتهم »

أى لا تنكر أيها المعاند وقوع الوحى اليه ﷺ فى منامه فانه اذا نامت عيناه فلا ينام قلبه • كما صح فى حديث الصحيحين عنه أنه قال : ان عينى تنامان ولا ينام قلبى •

ورؤياه الوحى وقت وصوله الى النبوة ، وذلك على رأس أربعين سنة من مولده ﷺ • وهذا الزمان لا ينكر فيه رؤيا محتلم الوحى فى قومه • وليس الوحى مكتسبا لنبى من الأنبياء وليس نبى بمتهم فيما يخبر به عن غيب ، فان جميع الأنبياء (صلوات الله عليهم) معصومون من الزلل •

اثبات الوحى المحمدى :

مما يؤيد ويثبت نزول الوحى على محمد ﷺ فى بدء نبوته ما جاء فى القرآن الكريم ، وهو القول الفصل القطعى الذى لا ينهض لمعارضته أحد ، قوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾

المدثر ١ ــ ٧

أى ما كان لانسان أن يكلمه الله كما يكلم بعضكم بعضا بكلام مسموع من طريق التموجات الهوائية ، بل يكلمه وحيا ، أى عن طريق الوحى بأن يلقى فى قلبه ما يشاء القاءه اليه ، أو أن يكلمه من وراء حجاب ، أو يرسل له ملكا يبلغه مراده ، لأنه متعال عن صفات المخلوقين ، حكيم يفعل بمقتضى الحكمة ، فيؤدى مراده على أحكم الأساليب وكذلك فعلنا معك يا محمد ، فأوحينا اليك قرآنا من أمرنا هو بمثابة الروح تحيا به القلوب ما كنت تدرى يا محمد ما الكتاب ، وما الايمان ؟ ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى طريق قويم ، طريق الله الذى له كل ما فى الوجود ، يتصرف فيه بما تقتضيه حكمته

العالية ثم اليه ترجع أمور العالم بارتفاع الوسائط والتعلقات ثم قال فى سورة أخرى :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾

الشورة ٥١ ـ ٥٢

أى ما كنت ترجو ولا تؤمل يا محمد أن يلقى اليك الكتاب من وحى ربك فتكون نبيا رسولا ولكنه ألقى اليك رحمة من ربك وفضلا عليك وعلى عباده ، فلا تكونن معينا للكافرين ، ولا يمنعك الكفار يا محمد من تلاوة آيات الله ، والعمل بها بعد اذ أنزلت اليك ، وادع الى عبادة ربك وتوحيده ، ولا تكونن من المشركين به ٠

﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾

القصص ٨٦

(بيان أن الوحى لم يكن مقصورا على محمد ، بل كان للأنبياء عامة) ٠

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد : يا محمد ، أنا أوحينا اليك ، أى أنزلنا اليك بالنبوة كما أوحينا الى النبيين الذين تقدموك ، وهم : نوح ، وابراهيم واسماعيل ، واسحاق ، ويعقوب والأسباط ، وعيسى ، وأيوب ، ويونس ، وهارون، وسليمان ، وآتينا داود الكتاب (المسمى زبورا) ٠

وقد أرسلنا الى الأمم رسلا آخرين غير من ذكرنا : منهم من أخبرناك عنهم، ومنهم من لم نخبرك عنهم ، وكلم الله موسى تكليما أى وخاطب الله موسى بكلامه خطابا ٠

وجميع هؤلاء الرسل جاءوا مبشرين للذين آمنوا بالله ورسله بالجنة ومنذرين للكافرين بالله ورسله بالنار ، لئلا يكون للناس على الله حجة فيقولون : لو كنت أرسلت الينا رسولا لآمنا ، وكان الله عزيزا حكيما أى لم يزل ذا عزة فى انتقامه ممن خالفه وعصاه ، حكيما فى تدبير أموره وذلك قوله تعالى :

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾

النساء ١٦٣ ــ ١٦٥

نجـاح الدعـوة :

وما من حركة كبرى فى التاريخ تتضح للفهم ، ان لم يكن نجاح الدعوة المحمدية مفهوما بأسبابه الواضحة المستقيمة التى لا عوج فى تأويلها ، وما من شىء غير الغرض الأعوج يذهل صاحبه عن هذه الأسباب الطبيعية البينة ، ثم يخيـل اليه أن الدعوة الاسلامية كانت فضولا غير مطلوب فى هــذه الدنيا ، لو أن نجاحها مصطنع لا سبب له غير الوعيد والوعود أو غير الارهاب بالسيف والاغراء بلذات النعيم ومتعة الخمر والحور العين ٠

أى ارهاب وأى سيف ؟

ان الرجل حين يقاتل من حوله انما يقاتلهم بالمئات والألوف .. وقد كان المئات والألوف الذين دخلوا فى الدين الجديد يتعرضون لسيوف المشركين ولا يعرضون أحدا لسيوفهم ، وكانوا يلقون عنتا ولا يصيبون أحدا بعنت ، وكانوا يخرجون من ديارهم لواذا بأنفسهم وأبنائهم من كيد الكائدين ونقمة الناقمين ولا يخرجون أحدا من داره .

فهم لم يسلموا على حد السيف خوفا من النبى الأعزل المفرد بين قومه الغاضبين عليه ، بل أسلموا على الرغم من سيوف المشركين ووعيد الأذى ، ولم يحملوه ليبدءوا أحدا بعدوان أو يستطيلوا على الناس بالسلطان .

فلم تكن حرب من الحروب النبوية كلها حرب هجوم ، ولم تكن كلها الا حروب دفاع وامتناع .

أما الاغراء بلذات النعيم ومتعة الخمر والحور العين ، فلو كان هو باعثا للايمان لكان أحرى الناس أن يستجيب الى الدعوة المحمدية هم فسقة المشركين وفجرتهم وأصحاب الترف والثروة فيهم ، ولكان طغاة قريش هم أسبق الناس الى استدامة الحياة واستبقاء النعمة . فان حياة النعيم بعد الموت محببة الى المنعمين تحبيبها الى المحرومين ، بل لعلها أشهى الى الأولين وأدنى ولعلهم أحرص عليها وأحنى ، لأن الحرمان بعد التذوق والاستمراء أصعب من حرمان من لم يذق ولم يتغير عليه حال .

لم يكن أبو لهب أزهد في اللذة من عمر ..

ولم يكن السابقون الى محمد أرغب فى النعيم من المتخلفين عنه ..

ولكننا ننظر الى المتخلفين ، فنرى فارقا واحدا بينهم أظهر من كل فارق . ذلك هو الفارق بين الأخيار والأشرار ، وبين الرحماء المنصفين والظلمة المتصلفين ، وبين من يعقلون

ويصغون الى القول الحق ، ومن يستكبرون ولا يصغون الى القـــول .

ذلك هو الفارق الواضح بين من سبقوا ومن تخلفوا ، وليس هو الفارق بين طالب لذة وزاهد فيها ، أو بين مخدوع فى النعيم وغير مخدوع .

ولعلنا لا نستبين هذه الحقيقة من مثال واحـد كمـــا نستبينها من مثال عمر رضى الله عنه فى اسلامه .. فقصته فى ذلك نموذج لتلبية الدعوة المحمدية ينفي كل كلام يقال عن الوعيد والاغراء وأثرهما فى اقناع الأقوياء أو الضعفاء .

قال ابن اسحق : « خرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه ، قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين بين رجال ونساء . ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق ، وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم .. ممن كان قد أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى أرض الحبشة . فلقيه نعيم ابن عبد الله فقال له : « من تريد يا عمر ؟ » قال : « أريـــد محمدا هذا الصابىء الذى فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها وعاب دينها وسب الهتها فاقتله » فقال نعيم : « والله لقـــد غرتك نفسك يا عمر ! أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمـــدا ؟ أفلا ترجـــع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم » .

فقال « وأى أهـــل بيتى ؟ » قال « ختنك وابن عمـــك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما » .

قال : « فرجع عمر عامدا الى أخته وختنه ، وعنـــدهما خباب فى مخدع لهم أو فى بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد ســـمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال « ما هـــذه

الهينمة ؟ التى سمعت ؟ » قالا له : « ما سمعت شيئا » قال :
« بلى والله ! لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه .»
وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها ، فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له آخته : « نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك » فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته : « أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءونها آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمد» . وكان عمر كاتبا ، فلما قال ذلك قالت له أخته : « انا نخشاك عليها » . قال : « لا تخافى » وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها اليها ، فلما قال ذلك طمعت فى اسلامه ، فقالت له : « يا آخى انك نجس على شركك ، وأنه لا يمسه الا الطاهر » فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها « سورة طه » فقرأها فلما قرأ منها صدرا قال : « ما أحسن هذا الكلام وأكرمه !! » فلما سمع خباب خرج اليه فقال له : يا عمر ! والله انى لأرجو أن يكون الله خصك بدعوة نبيه فانى سمعته وهو يقول : اللهم أيد الاسلام بأبى الحكم بن هاشم أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر ؟ فقال له عند ذلك عمر :
« فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم » فقال له خباب:
« هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه » .
فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد الى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلال الباب فرآه متوشحا بالسيف . فرجع الى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال :
« يا رسول الله! هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف » .
فقال حمزة بن عبد المطلب : « تأذن له فان جاء يريد خيرا بذلناه له ، وان كان يريد شرا قتلناه بسيفه ، فقال رسول الله ﷺ « ائذن له ! » فأذن له الرجل ونهض اليه رسول الله ﷺ حتى لقيه بالحجرة فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة وقال : « ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ورسوله وبما جاء من عند الله » . قال : « فكبر رسول

الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحابه أن عمر قد أسلم » فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله وينتصفون بهما من عدوهم ٠٠ » ٠

هذه قصة اسلام عمر بن الخطاب ، وهذا موضع ما فيها من الوعيد والاغراء ٠٠ خرج بالسيف ليقتل محمدا ولم يخرج عليه أحد من المسلمين بسيف ، وقرأ صدرا من سورة طه ليس فيه ذكر للخمر والنعيم وهو :

طه ① مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ② إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ③ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَٰوَٰتِ الْعُلَى ④ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ⑤ لَهُۥ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ⑥ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى

طه (١ ــ ٧)

فلا جبن اذن ولا طمع فى اسلام عمر بن الخطاب ، بل رحمة وانابة واعتذار ٠

ولم يكن فى اسلام الفقراء الذين هم أقل من عمر حربا أو أضعف منه بأسا جبنا ولا طمعا لأنهم تعرضوا باسلامهم للسيف ولم يخضعوا للسيف حين أسلموا لله ورسوله ، وما كفر الذين كفروا لزهد ولا شجاعة فيقال ان الذين سبقوهم الى الاسلام قد فعلوا ذلك لشغف بلذات الجنة وجبن عن مواجهة القوة ٠٠ ولكنهم اختلفوا حيث تطلب طهارة السيرة وصلاح الأمور ، فمن كان أقرب الى هذه الطلبة من

غنى أو فقير ومن سيد أو مستعبد فقد أسلم ، ومن كان به زيغ عنها فقد أبى • وهذا هو الفيصل القائم بين الفريقين قبل أن يتجرد للاسلام سيف يذود عنه ، وبعد أن تجرد له سيف تهابه السيوف • وما يقسم الطائفتين أحد فيضع أبا بكر وعمر وعثمان فى جانب اللذة والخوف ، ويضع الطغاة من قريش فى جانب العصمة والشجاعة الا أن يكون به هوى كهوى الكفار من قريش فى الاصرار والانكار •

انما نجحت دعوة الاسلام لأنها دعوة طلبتها الدنيا ومهدت لها الحوادث • وقام بها داع تهيأ لها بعناية ربه وموافقة أحواله وصفاته •

فلا حاجة بها الى خارقة ينكرها العقل أو الى علة عوجاء يلتوى بها ذوو الأهواء ، فهى أوضح شىء فهما لمن أحب أن يفهم ، وهى أقوم شىء سبيلا لمن استقام •

سادسا : عبقرية محمد العسكرية :

حروب دفاعية :

ينبغي أن تستحضر في الذهن بعض الحقائق التي تظهر لنا الاختلاف بين الدين الاسلامي والأديان الأخرى في مسألة القتال ، لتثبت ان للاسلام شأنا في اجتناب القوة كشأن كل دين • وأنه ما كان لينتصر بالقوة لو لم يكن الى جانب ذلك صالحا للانتصار ، وأن الأديان الأخرى ما كانت لتحجم عن عمل أقدم عليه النبي لو كانت دعوتها كدعوته ، كانت أسبابها كأسبابه •

فالحقيقة الأولى ، أن مظن القائلين بأن الاسلام دين قتال انما يصدق — لو صدق — في بداءة عهد الاسلام كما أسلفنا ، يوم دان بهذا الدين كثير من العرب المشركين ، ولولاهم لما كان له جند ولا حمل في سبيله سلاح •

لكن الواقع أن الاسلام في بداءة عهده كان هو المعتدى عليه ، ولم يكن من قبله اعتداء على أحد •• وظل كذلك حتى بعد تلبية الدعوة المحمدية واجتماع القوم حول النبي عليه السلام ، فانهم كانوا يقاتلون من قاتلهم ولا يزيدون على ذلك :

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) •

وقد صبر المسلمون على المشركين حتى أمروا أن يقاتلوهم كافة كما يقاتلون المسلمين كافة ، فلم يكن لهم قط عدوان ولا اكراه •

وحروب النبي عليه السلام كما اسلفنا كانت كلها حروب دفاع ولم تكن منها حرب هجوم الا على سبيل المبادرة بالدفاع ، بعد الايقان من نكث العهد والاصرار على القتال،

وتبستوي في ذلك حروبه مع قريش وحروبه مع اليهود أو مع الروم ٠٠ ففي غزوة تبوك عاد الجيش الاسلامي أدراجه بعد أن ايقن بانصراف الروم عن القتال في تلك السنة ، وكان قد سرى الى النبي نبأ أنهم يعبئون جيوشهم على حدود البلاد العربية ٠ فلما عدلوا عدل الجيش الاسلامي عن الغزوة على فرط ما تكلف من الجهد والنفقة في تجهيزه وسفره ٠

والحقيقة الثانية ، أن الاسلام انما يعاب عليه أن يحارب بالسيف فكرة يمكن أن تحارب بالبرهان والاقناع ٠

ولكن لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف « سلطة » تقف في طريقه وتحول بينه وبين أسماع المستعدين للاصغاء اليه ٠

لأن السلطة تزال بالسلطة ، ولا غنى في اخضاعها عن القوة ٠

ولم يكن سادة قريش أصحاب فكرة يعارضون بها العقيدة الاسلامية ، وانما كانوا أصحاب سيادة موروثة وتقاليد لازمة لحفظ تلك السيادة في الأبناء بعد الآباء ، وفي الأعقاب بعد الاسلاف ٠٠ وكل حجتهم التي يذودون بها عن تلك التقاليد أنهم وجدوا آباءهم عليها ، وأن زوالها يزيل ما لهم من سطوة الحكم والجاه ٠

قصد النبي بالدعوة عظماء الأمم وملوكها وأمراءها لأنهم أصحاب السلطة التي تأبى العقائد الجديدة ، وقد تبين بالتجربة بعد التجربة أن السلطة هي التي كانت تحول دون الدعوة المحمدية وليست أفكار مفكرين ولا مذاهب حكماء لأن امتناع المقاومة من هؤلاء العظماء والملوك كانت تمنع العوائق التي تصد الدعوة الاسلامية ، فيمتنع القتال ٠

ومن التجارب التي دل عليها التاريخ الحديث كما دل عليها التاريخ القديم أن السلطة لا غنى عنها لانجاز وعود المصلحين ودعاة الانقلاب ٠٠ ومن تلك التجارب تجربة فرنسا في القرن الماضي ، وتجربة روسيا في القرن الحاضر ،

وتجربة مصطفى كامل فى تركيا وتجارب سائر الدعاة من أمثاله فى سائر البلاد .

فمحاربة السلطة بالقوة غير محاربة الفكر بالقوة .. ولابد من التمييز بين العملين ، لأنهما جد مختلفين .

والحقيقة الثالثة ، أن الاسلام لم يحتكم الى السيف قط الا فى الأحوال التى أجمعت شرائع الانسان على تحكيم السيف فيها .

فالدولة التى يثور عليها من يخالفها بين ظهرانيها ، ماذا تصنع ان لم تحتكم الى سلاح ؟

وهذا ما قضى به القرآن الكريم حيث جاء فيه :

وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾

البقرة ١٩٣

والدولة التى يحمل أناس من أبنائها السلاح على أناس آخرين من أبنائها ، بماذا تفض الخلاف بينهم ان لم تفضه بقوة السلطان .

وهذا ما قضى به القرآن الكريم أيضا حيث جاء فيه :

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾

الحجرات ٩

وفى كلتا الحالتين يكون السلاح آخر الحيل ، وتكون نهاية الظلم والاعتداء نهاية الاعتماد على السلاح .. ثم يأتى الصلح والتوفيق أو يأتى التفاهم بالرضا والاختيار .

والحقيقة الرابعة ، أن الأديان الكتابية بينها فروق موضوعية لابد من ملاحظتها عند البحث فى هذا الموضوع :

فاليهودية أو الاسرائيلية كانت كما يدل عليها اسمها أشبه بالعصبة المحصورة فى أبناء اسرائيل منها بالدعوة العامة لجميع الناس .. فكان أبناؤها يكرهون أن يشاركهم غيرهم فيها كما يكره أصحاب النسب الواحد أن يشاركهم غيرهم فيه ! وكانوا من أجل هذا لا يحركون ألسنتهم ــ فضلا عن امتشاق الحسام ــ لتعميم الدين اليهودى وادخال الأمم الأجنبية فيه ، ولا وجه اذن للمقارنة بين اليهودية والاسلام فى هذا الاعتبار .

أما المسيحية فقد عنيت « أولا » بالآداب والأخلاق ، ولم تعن مثل هذه العناية بالمعاملات ونظام الحكومة .

وقد ظهرت « ثانيا » فى بلاد المعاملات والنظم الحكومية فيها قوانين تحميها كما يحميها الكهان المعززون بالسلطان ، فهى قد عدلت عن فرض المعاملات والدساتير لهذه الضرورة ، لا لأن المعاملات والدساتير ليست من شأن الدين .

وقد ظهرت « ثالثا » فى وطن تحكمه دولة أجنبية ذات حول وطول ، وليس للوطن الذى ظهرت فيه طاقة بمصادمة تلك الدولة فى ميدان القتال .

أما الاسلام فقد ظهر فى وطن لا سيطرة للأجنبى عليه ، وكان ظهوره لاصلاح المعيشة وتقويم المعاملات وتقرير الأمن والنظام .. والا فلا معنى لظهوره بين العرب ثم فيما وراء الحدود العربية .

فاذا اختلفت نشأته ونشأة المسيحية صنعت صنع الاسلام حين قامت بين أهلها الدول والجيوش ، وحين استقلت شعوبها

عن الأجانب المتغلبين ... وأربت حروب المذاهب فيما بين أبنائها على حروب صدر الاسلام مجتمعات .

والحقيقة الخامسة ، أن الاسلام شرع الجهاد ، وأن النبى عليه السلام قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » .

وجاء فى القرآن الكريم :

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا

النساء ٨٤

وحدث فعلا أن المسلمين فتحوا بلادا غير بلاد العرب ، ولم يفتحوها ولم يكن يتأتى لهم فتحها بغير السلاح .

الا أن هذه الفتوح تأخرت فى الزمن ولم يتم شيء منها قبل استقرار الدولة للاسلام ، فلا يمكن أن يقال أنها كانت وسيلة الاسلام للظهور وقد ظهر الاسلام قبلها وتمكن من أرضه واجتمعت له جنود تؤمن به وتقدم على الموت فى سبيله .

ثم أن هذه الفتوح كانت تفرضها سلامة الدولة ان لم تفرضها الدعوة الى دينها .

فلو قدرنا أن الخليفة المسلم لم يكن صاحب دين ينشره ويدعو اليه ، لوجب فى ذلك العهد أن يأمن على بلاده من الفوضى التى شاعت فى أرض فارس وفى أرض الروم . ووجب أن يكف الشر الذى يوشك أن ينقض عليه من كلتيهما ، وأن يمنع عدوى الفساد أن تسرى منهما الى حماه .

هذا الى أن الاسلام قد أجاز للأمم أن تبقى على دينها مع أداء الجزية والطاعة للحكومة القائمة ، وهو أهون ما يطلبه غالب من مغلوب ..

والحقيقة السادسة ، أن المقابلة بين ما كانت عليه شعوب العالم يومئذ قبل اسلامها وبعد اسلامها تدل على أن جانب الاسلام هو جانب الاقناع لمن أراد الاقناع .

فقد استقر السلام بين تلك الشعوب ولم يكن له قرار ، وانتظمت بينها العلاقات ولم يكن لها نظام .. واطمأن الناس على أرواحهم وأرزاقهم وأعراضهم ، وكانت جميعها مباحة لكل غاصب من ذوى الأمر والجاه .

فاذا قيل ان المدعوين الى الاسلام لم يقتنعوا بفضله سابقين ، فلا ينفى هذا القول أنهم اقتنعوا به متأخرين .. ان الاسلام مقنع لمن يختار ويحسن الاختيار الى جانب قدرته على اكراه من يركب رأسه ويقف فى طريق الاصلاح .

ومن نظر الى الاقناع العقلى ، تساوى لديه من يستميلك الى العقيدة بتوزيع الدواء والطعام أو بتربية الأطفال عليها وهم لا يعقلون ومن يستعيلك اليها بالخوف من الحاكم .. على فرض أن خوف الحاكم كان ذريعة من ذرائع نشر الاسلام .

فالشاهد الذى تطعمه وتكسوه ليقول قولك فى احدى القضايا ، كالشاهد الذى ينظر الى السوط فى يديك فيقول ذلك القول . كلاهما لا يأخذ باقناع الدليل ولا بنفاذ الحجة ، ولا يدفع عن عقيدة دفع العارف البصير .

وصفوة ما تقدم أن الاسلام لم يوجب القتال الا حيث أوجبته جميع الشرائع وسوغته جميع العقول . وان الذين خاطبهم بالسيف قد خاطبتهم الأديان الأخرى بالسيف كذلك .

وان الاسلام عقيدة ونظام وهو من حيث النظام شأنه كشأن كل نظام فى آخذ الناس بالطاعة ومنعهم أن يخرجوا عليه ٠

القائد البصير :

لم يكن الاسلام اذا دين قتال ، ولم يكن النبى رجلا مقاتلا يطلب الحرب للحرب ويطلبها وله غنى عنها ، ولكنه مع هذا كان نعم القائد البصير اذا وجبت الحرب ودعته اليها المصلحة اللازمة ٠٠ يعلم من فنونها بالالهام ما لم يعلم غيره بالدرس والمرانة ٠ ويصيب فى اختيار وقته وتسيير جيشه وترسيم خططه اصابة التوفيق واصابه الحساب واصابه الاستشارة ٠ وقد يكون الأخذ بالمشورة الصالحة آية من آيات حسن القيادة تقترن بآية الابتكار والانشاء لأن القيادة الحسنة هى التى تجند كل ما بين يديها من قوى الآراء والقلوب والأجسام ٠

وقد كانت غزوة بدر هى التجربة الأولى للنبى عليه السلام فى ادارة المعارك الكبيرة ، فلم يأنف أن يستمع فيها الى مشورة الحباب بن المنذر حين اقترح عليه الانتقال الى غير المكان الذى نزل فيه ، ثم وعى من تجربة واحدة ما قل أن يعيه القادة المنقطعون للحرب من تجارب شتى ٠٠ فلو تتبع حروبه عليه السلام ناقد عسكرى من أساطين فن الحرب فى العصر الحديث ليقترح وراء خططه مقترحا أو ينبه الى خطأ لأعياه التعديل ٠٠

ونختار أبرع القادة المحدثين وهو نابليون على أسلوب حرب الحركة الذى كان هو الأسلوب الغالب فى العصور الماضية ، والذى ظهر فى الحرب العالمية الحاضرة انه لا يزال الخطوة الأخيرة فى جميع الحروب ، على الرغم من الحصون والسدود ٠٠ لأن اختيار نابليون بونابرت يبين لنا السبق فى خطط النبى العسكرية ، بالمضاهات بينها وبين خطط نابليون ٠

١ ــ فنابليون كان يوجه همه الأول الى القضاء على قوة العدو العسكرية بأسرع ما كان يستطيع ، فلم يكن يعنيه ضرب المدن ولا اقتحام المواقع ·· وانما كان عنايته الكبرى منصرفة الى مبادرة الجيش الذى يعتمد عليه العدو بهجمة يفاجئه بها أكثر الأحيان ، وهو على يقين أن الفوز فى هذه الهجمة يغنيه عن المحاولات التى يلجأ اليها جلة القواد ·

وعنده أنه يستفيد بخطته تلك ثلاثة أمور ·· أن يختار الموقع الملائم له ، وأن يختار الفرصة ، وأن يعاجل العدو قبل تمام استعداده ··

وكان النبى عليه السلام سابقا الى تلك الخطط فى جميع تفصيلاتها ··

ــ فكان كما قدمنا لا يبدأ أحدا بالعدوان ، ولكنه اذا علم بعزم الأعداء على قتاله لم يمهلهم حتى يهاجموه جهد ما تواتيه الأحوال ، بل ربما وصل اليه الخبر كما حدث فى غزوة تبوك والناس مجدبون والقيظ ملتهب والشدة بالغة ، فلا يثنيه ذلك عن الخطة التى تعودها ، ولا يكف عن التأهب السريع وعن حض المسلمين على جمع الأموال وجمع الرجال ، ولا يبالى ما أرجف به المنافقون الذين توقعوا الهزيمة للجيش المحمدى فلم يحدث ما توقعوه ·

وكان عليه السلام يعمد الى القوة العسكرية حيث أصابها ، فيقضى على عزائم أعدائه بالقضاء عليها ·· ولا يضيع الوقت فى انتظار ما يختاره أولئك الأعداء ، واضعاف أنصاره بتركه زمام الحركة فى أيدى المهاجمين ، الا أن يكون الهجوم وبالا على المقدمين عليه ، كما حدث فى غزوة الخندق ·

٢ ــ وكان نابليون يقول أن نسبة القوة المعنوية الى الكثرة العددية كنسبة ثلاثة الى واحد ··

والنبى عليه السلام كان عظيم الاعتماد على هذه القوة المعنوية التى هى فى الحقيقة قوة الايمان · وربما بلغت

نسبة هذه القوة إلى الكثرة العددية كنسبة خمسة الى واحد في بعض المعارك ، مع رجحان الفئة الكثيرة فى السلاح والركاب الى جانب رجحانهم في عدد الجنود ·· ومعجزة الايمان هنا أعظم جدا من أكبر ميزة بلغها نابليون بفضل ما أودع نفوس رجاله من صبر وعزيمة · فالنبى عليه السلام كان يحارب عربا بعرب ، وقريشيين بقريشيين ، قبائل من السلالة العربية بقبائل من صميم تلك السلالة · فلا يقال هنا أن الفضل لقوم على قوم فى المزايا الجسدية أو المزايا النفسية كما يمكن أن يقال هذا فى جيوش نابليون ، وكل فضل هنا فهو فضل العقيدة والايمان ·

٣ ـ وقد كان نابليون مع اهتمامه بالقضاء على القوة العسكرية لا يغفل القضاء على القوة المالية أو التجارية التى يتناولها اقتداره ·· فكان يحارب الانجليز بمنع تجارتهم وسفنهم أن تصل الى القارة الأوربية وتحويل المعاملات عن طريق انجلترا الى طريق فرنسا ·

وهكذا كان النبى عليه السلام يحارب قريشا فى تجارتها ، ويبعث السرايا فى أثر القوافل كلما سمع بقافلة منها ·

وأذكر بعض المتعصبين من كتاب أوربه هذه السرايا وسموها « قطعا للطريق » وهى هى سنة « المصادرة » بعينها التى أقرها « القانون الدولى » وعمل بها قادة الجيوش فى جميع العصور ، ورأينا تطبيقها فى الحرب الحاضرة والحرب الماضية ، رشيدا تارة وغاليا فى الحمق والشطط تارة أخرى ·

٤ ـ وقد أسلفنا أن نابليون كان يوجه همه الى الجيش ، ولا يقتحم المدن أو يشغل باله بمحاصرتها لغير ضرورة عاجلة · ونرجع الى غزوات النبى عليه السلام ، فلا نرى أنه حاصر محله ، الا أن يكون الحصار هو الوسيلة الواحدة العاجلة لمبادرة القوة التى عسى أن تخرج منها قبل استعدادها · أو قبل نجاحها فى الغدر والوقيعة ، كما حدث فى حصار بنى قريظه وبنى قينقاع فكان الحصار هنا

كمبادرة الجيش بالهجوم في الميدان المختار بغير كبير اختلاف ·

٥ ــ وكان نابليون معتدا برأيه في الفنون العسكرية ، ولا سيما الخطط الحربية ولكنه مع هذا الاعتداد الشديد لا يستغنى عن مشاورة صحبه في مجلس الحرب الأعلى قبل ابتداء الزحف أو قبل العزم على القتال ·

ومحمد عليه السلام كان على رجاحة رأيه يستشير أصحابه في خطط القتال وحيل الدفاع ، ويقبل مشورتهم أحسن قبول ، ومن ذلك ما صنعه ببدر ·

وقيل فى روايات كثيرة انه عمل بمشورة سلمان الفارسى فى حفر الخندق عند المنفذ الذى خيف أن يهجم منه المشركون على المدينة فحفر الخندق وعمل النبى بيديه فى حفره ·

وقبول النبى مشورة سلمان عمل من أعمال القيادة الرشيدة ، وسنة من سنن القواد الكبار ، غير أننا نعتقد أنه عليه السلام كان خليقا أن يشير بحفر الخندق لو لم يكن الالتفات الى سد الثغور ، وحماية الظهور فى جميع وقعاته · وفى وقعة أحد ، جعل الجبل الى ظهره وأقام على الشعب الذى يخشى منه النفاذ والالتفاف خمسين راميا مشددا عليهم فى التزام موقفهم قائلا لهم : احموا ظهورنا فانا نخاف أن يجيئوا من ورائنا والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، وان رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم ، وان رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا، وانما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل » ·

والذى يفعل هذا فى شعب جبل ، لا يفوته أن يفعل مثله فى ثغرة مدينة ، ولكن المشاورة هنا هى المقصودة بالمضاهاة بين ما سبق اليه النبى وما تبع فيه نابليون ، فهذه خصلة معهودة فى كبار القواد لا تقدم فيما عرفوا به من قدرة على وضع الخطط وابتكار الأساليب ·

٦ ـ ولم يعرف عن قائد حديث أنه كان يعنى بالاستطلاع والاستدلال عناية نابليون ٠

وكانت فراسة النبى فى ذلك مضرب الأمثال ، فلما رأى أصحابه يضربون العبدين المستقيين من ماء بدر ، لأنهما يذكران قريشا ولا يذكران أبا سفيان علم بفطنته الصادقة أنهما يقولان الحق ولا يقصدان المراء وسأل عن عدد القوم ، فلما لم يعرفا العدد سأل عن عدد الجزور التى ينحرونها كل يوم ، فعرف قوة الجيش بمعرفته مقدار الطعام الذى يحتاج اليه ٠ وكان صلوات الله عليه انما يعول فى استطلاع أخبار كل مكان على أهله وأقرب الناس الى العلم بفجاجه ودروبه ، ويعقد ما يسمى اليوم مجلس الحرب قبل أن يبدأ بالقتال فيسمع من كل فيما هو خبير به من فنون حرب أو دلائل استطلاع ٠

٧ ـ واشتهر عن نابليون أنه كان شديد الحذر من الألسنة والأقلام وكان يقول أنه يخشى من أربعة أقلام ، ما ليس يخشاه من عشرة آلاف حسام ٠

والنبى عليه السلام ٠ كان أعرف الناس بفعل الدعوة فى كسب المعارك وتغليب المقاصد فكان يبلغه عن بعض أفراد أنهم يحقرون الذمة التى عاهدوا عليها ويشهرون به وبالاسلام ، أو يثيرون العشائر لقتاله ويزيدون فى هجوه وهجو دينه ، فينفذ اليهم من يحاربهم فى حصونهم أو يتكفل له بالخلاص منهم ٠

وعاب هذا بعض المغرضين من الكتاب الأوربيين وشبهوه بما عيب على نابليون من اختطاف الدوق دانجان وما قيل عن محاولته أن يختطف الشاعر الانجليزى كولردج الذى كان يخوض فى ذمه ويستهوى الأسماع بسحر حديثه ٠

الا أن الفارق عظيم بين الحالتين : لأن حروب الاسلام انما هى حروب دعوة أو حروب عقيدة ٠ وانما هى فى مصدرها وغايتها كفاح بين التوحيد والشرك أو بين الالهية

والوثنية . وليس وقوف الجيش أمام الجيش الا سبيلا من سبل الصراع فى هذا الميدان .

فليس فى حالة سلم مع النبى اذن من يحاربه فى صميم الدعوة الدينية ويقصده بالطعن فى لباب رسالته الاسلامية ، وان لم ينفر الناس لقتاله ولم يحرضهم على النكث بعهده ، وانما هو مقاتل فى الميدان الأصيل ينتظر من أعدائه ما ينتظره المقاتل من المقاتلين ولا سيما اذا كانت الحرب قائمة دائمة لا تنقطع فترة الا ريثما تعود .

أما نابليون فالحرب بينه وبين أعدائه حرب جيوش وسلاح ، فلا يجوز له أن يقتل أحدا لا يحمل السلاح فى وجهه أو لا يدينه القانون بما يستوجب ازهاق حياته . وما نهض نابليون لنشر دين أو تفنيد دين . ولا كان للرسول الاسلامى من غرض لو جاز له أن يقبل المسالمة ممن يحاربونه فى دينه وان لم يشهروا السيف فى وجهه . فان الضرب بالسيف لأهون من المقتل الذى يضربون فيه .

تلك مقابلة مجملة بين الخطط والعادات التى سبق اليها محمد وجرى عليها نابليون بعد مئات السنين . ومن الواجب أن نحكم على قيمة القيادة بقيمة الفكرة أو الخطة قبل أن نحكم عليها بضخامة الجيوش وأنواع السلاح .

ولم يتخذ محمد الحرب صناعة ، ولا عمد اليها كما أسلفنا الا لدفع غارة واتقاء عداوة . فاذا كان مع هذا يتقن منها ما يتولاه مدفوعا اليه فله فضل السبق على اجتياز الحروب الحديثة التى تعلمها وعاش لها ولم ينقطع عنها منذ ترعرع الى أن سكن فى منفاه ولم يبلغ من نتائجه بعض ما بلغ القائد الآمن بين رمال الصحراء .

ولقد كانت خبرة النبى ببعوث الاستطلاع كخبرته ببعوث القتال فكانت طريقته فى الحديث الذى كثرت فيه ذرائع التخبئة والمراوغة وذرائع الكشف والدعوة فكثرت فيه — من ثم — حاجة المقاتلين الى استقصاء أحوال الأعداء .

ففي الحروب الحديثة يتردد ذكر الأوامر المختومة التي تصدر عن قواد السرايا والسفن ليفتحوها عند مدينة معلومة أو بعد مسيرة ساعات أو في عرض البحر على درجة معينة من درجات الطول والعرض . الى أمثال ذلك من العلامات التي تعين بها الجهات .

ويتفق في أمثال هذه البعوث أن يكون القائد وحده مطلعا على سر البعث ورجاله جميعا يجهلونه ولا يعرفون أهم خارجون في غزوة أم في مناورة استطلاع . الى ما قبل الحركة المقصودة بساعات معدودات ، وهنالك تصدر الأوامر التي لابد من صدورها للتهيؤ والتنفيذ ، ولا خوف من كشفها في تلك الساعات لصعوبة الاستعداد الذي يقابلها به العدو اذا انكشف له قبل تنفيذها بفترة وجيزة . ولا سيما اذا كانت الحركة من حركات البحار .

هذه الأوامر المختومة ليست بحديثة .

وقد عرفت في المأثورات النبوية على أتم أصولها التي تلاحظ في أمثالها ، ومن ذلك انه عليه السلام بعث عبدالله بن جحش ومعه كتاب أمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ، وفحواه أن « سر حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركاته ، لا تكرهن أحدا من أصحابك على المسير معك وامض فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة فترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم » وهذا نموذج من الأوامر المختومة جامع لكل ما يلاحظ فيها حديثا وقديما وعند بداءة الدعوات على التخصيص .

فأولها كتمان الخبر عمن يحيطون بالنبي عليه السلام، فلا يبعد أن يكون منهم من هو مدخول النية عينا عليه وعلى أصحابه من قبل قريش ، ولا يبعد أن يكون منهم من يبوح بالخبر ولا يريد به السوء أو يدرك ما في البوح به من الخطر المحظور ، ولا يبعد أن يكون منهم الضعفاء والمخالفون .

وان الاستعانة على قضاء الحاجات بالكتمان لسنة

حكيمة من سنن النبى عليه السلام فى جمع المطالب، وهى فى حروب الدعوات على التخصيص اقمن باتباع ، ولهـذا كان اذا أراد غـزوة ورى بغيرها عـلى النحـو الذى يتبعه قادة الحروب الى الآن •

ومما لوحظ فى كتاب النبى لعبد الله بن جحش كتمان الخبر عن أصحابه ثم وصاه ألا يكره أحدا منهم عـلى المسـير معه بعد معرفته بوجهتـه ، وهـذا هو أهم المـلاحظات فى هذا المقام •

فقد يحارب الرجل وهو مكره مهدد بالموت الذى يتقيه اذ يفر من القتال ، ولكنه لا يستطلع من أرسـلوه بل لعله ينقلب الى النقيض فيحرف الأخبار عمدا ، أو يتلقاها على غير اكتراث ، أو يطلع الأعـداء عـلى أسرار أصـحابه وهم غافلون عنه •

ولهذا تعانى الدول أكبر العناء فى مراقبة الجواسيس بالجواسيس وفى امتحان كل خبر بالمراجعة بعد المراجعـة والمناقضة بعـد المناقضـة ، حتى تطمئن الى صـحته قبـل الاعتماد عليه •

وفى الحرب الحاضرة تجربة جـديدة لهـذا النوع من المستطلعين أو الرواد المتقدمين •

فقد عرف أن هتلر يعتمد على أفراد من جنده يهبطون من الطيارات وراء الصفوف فيتسللون الى مراكز المواصلات ويعيشون بين القرى المعزولة ، فيشيعون فيها الرعب والحيرة ويوهمون من يراهم أن الجيش المغير كله على مقربة منهم فلا جدوى لهم من الاستغاثة أو المقاومة ويحمل معظم هؤلاء الرواد المتقدمين أجهزة للمخـاطبة يسـتعينون بهـا عـلى الاتصال برؤسائهم من بعيد •

قيل فى الاعجاب بها أنها أفادت فى قطع المواصلات • واشاعة الذعر وتضليل المدافعين ، وأنهـا شىء جـديد فى شكله وان لم يكن جديدا فى غايته ومرماه •

ومن أسباب انتقادها أن كل فائدة فيها تتوقف على العقيدة وحسن النية ، فهي تستلزم أن يكون الرائد غيورا على عمله متحمسا لانجازه رقيبا على نفسه وهو بمعزل عن رقبائه ، فليس أيسر له اذا هو انفرد وأعوزته الرغبة فى انجاز عمله من أن يستأسر فى أول مكان يصل اليه من بلاد الأعداء طلبا للسلامة ٠ ولا عقاب عليه الى نهاية القتال ٠ ثم يتعلل بما شاء من المعاذير ان وجد بعد ذلك من يحاسبه ويعاقبه ، وهيهات أن تستجمع الأدلة عليه فى أمثال هذه الفوضى بين معسكرين أو عدة معسكرات ٠

قيل فى الاعجاب بهذه الخطة الهتلرية كثير ، وقيل فى انتقادها التنبيه الى خطرها كثير ٠

فالخطة الهتلرية فاشلة لا محالة ان لم ينفذها مريدون متعصبون غير مكرهين ولا متشككين فيما هو موكول اليهم ، وهى لهذا أحرى أن تحسب من وحى اخوان الطريق والهام العقائد لأمن النظام الذى يدرب عليه كل جيش ويصلح لجميع الجنود ، فلولا أن النازيين قضوا قبل الحرب الحاضرة زهاء عشر سنين ينفخون فى نفوس الناشئة جذوة البغضاء ويلهبونهم بحماسة العقيدة ويخلقون فيهم اللدد الذى يغنى عن الرقابة ساعة التنفيذ لحبطت الخطة كل الحبوط وانقلبت على النازيين بشر انقلاب ٠

وها هنا تتجلى حكمة النبى عليه السلام فى اشتراط الرغبة والطواعية واجتناب القسر والاكراه ٠

فهذه « أولا » بعثة منفردة لا سبيل الى الاكراه الفعال بين رجالها اذا أريد ٠

وهى « ثانيا » بعثة استطلاع لا يغنى فيها عمل الكاره المقسور ، وألزم ما يلزم العامل فيها ايمانه وصدق نيته وحسن مودته لمن أرسلوه ، فان أعوزته هذه الصفة فقد أعوزه كل شىء ٠

أما غرض البعثة كلها وهو الاستطلاع ، فقد كان النبى عليه السلام عليما بمزاياه معنيا به غاية العناية ، يحسب العدو المجهول كالعدو المستتر بأسوار الحصون ، فى خمى من الجهل به قد يحول دون الاستعداد له بالعدة الضرورية فى الوقت الضرورى ، ويحول من ثم دون الانتصار عليه .

ومحمد عليه السلام لم يتعلم ما تعلمه هتلر ونابليون ، ولكنه لم يخطىء قط مثل هذا الخطأ فى جميع غزواته وكشوفه ، ولعلنا نفهم ـ كلما درسنا زمانه الحافل بالعبر والأمثلة الباقية ـ لأنها تشتمل على أكثر من جانب واحد من جوانب السنة النبوية والتشريع الاسلامى فى هذه الشئون .

فهى سرية استطلاع كما علمنا لم تؤمر بقتال ولم يؤذن لها فيه .

ولكن حدث بعد فض الكتاب أن اثنين من رجال السرية ذهبا يطلبان بعيرا لهما ضل فأسرتهما قريش ، وهما سعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غزوان .

ثم نزل الركب بنخلة فمرت بهم عير قريش تحمل تجارة عليها عمرو بن الحضرمى ، آخر شهر رجب . وكانت قريش قد حجزت أموال أناس من المسلمين منهم بعض من فى السرية . فتشاوروا فى قتال أهل العير ، وحاروا فيما يصنعون ، ان تركوا العير تمضى ليلتها امتنعت بالحرم وفاتهم تعويض ما حجزته قريش فى هذه الفرصة السانحة ، وان قاتلوا أهلها قتلوهم فى شهر حرام ولكنهم اندفعوا الى القتال فأصابوا من أصابوه ورمى أحدهم عمرو بن الحضرمى بسهم فأرداه قتيلا وأسروا رجلين .

وقفل عبد الله بن جحش ومن معه الى المدينة وقد حجزوا للنبى عليه السلام ، الخمس من غنيمتهم ، فأباه عليه السلام وقال لهم : « ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام ، وعنفهم اخوانهم لمخالفة النبى ، وساءت لقيامهم بين أهل المدينة .

وراحت قريش تثير ثائرة العرب ، واندس جماعة من اليهود يشعلون نار الفتنة ، وتنادوا أن محمـــدا وأصـــحابه قد أباحوا الدماء والأموال في الشهر الحرام .

وقال المسلمون في مكة : بل كان ذلك في شعبان ، ثم نزلت الآيات :

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)

البقرة ٢١٧

فقبض النبي العير والأسيرين ، وطلبت قريش فداءهما فقال عليه السلام : « لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا ، فانا نخشاكم عليهما ، فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم » .

هذه قصة السرية ، وما وقع فيهـــا خـــلافا لأمر النبي وما نجم عنها من تشريع فاذا نحن كتبناها باصطلاح العصر الحديث ، فكيف نكتبها ؟؟ وكيف نفهمها ؟

هي لا خلاف حادثة طلائع أو حادثة حدود .

ترسل احدى الدول طليعة من جندها الى حدودها للكشف أو للحراسة ، فيقع الاشتباك بينها وبين طليعة في بلاد دولة أخرى على غير علم من الحكومتين .

فالذي يحدث في هذه الحالة أن تنظر الحكومة الأخرى الى المسألة كأنها مسألة فردية عرضية لا تســتوجب القتـــال وتكتفي بما ينال المسئولين على أيدي حكومتهم من جزاء أو تأنيب ، وينحسم النزاع .

هذا أو تصر الحكومة الأخرى على طلب الترضية ، فان قبلتها الحكومة المطلوبة فالنزاع منحسم ، وان لم تقبلها فالمفاوضة والمساومة ، أو امتشاق الحسام ٠

ذلك اذا نظر الفريقان الى المسألة كأنها مسألة فردية عرضية ، ولم يشأ أحدهما أو كلاهما أن يضعاها موضع التشريع العام لتقرير الحكم الذى تجريان عليه فيها وفى أمثالها أو تقرير ما يعترفان به وما ينكرانه من الشرائط والأصول ٠

وقريش لم تكتف بالنظر الى حادثة السرية كأنها حادثة فردية عرضية ولم تعلن الحرب توا لأنها تبينت النية لاعلانها بعد حين ٠٠ ولكنها أثارت مسألة تشريع عام فى قتال الشهر الحرام ٠ فوجب أن ينصن الاسلام على هذا التشريع صريحا لا لبس فيه ، وهو الذى كان ٠

ليست المسألة أن عبد الله بن جحش قد خالف أمر النبى ، فهذا أمر مفروغ منه ولا محل للبحث فيه ٠

انما المسألة هى : ما الحكم بعد الآن فى قتال الأشهر الحرام ؟ ماذا يبلغ من حق المشركين فى الاحتماء بحرمة هذه الأشهر اذا كانوا لا يرعون للمسلمين حرمة ولا يزالون يقاتلونهم ويردونهم ما استطاعوا ! وما الجواب على تشهير قريش واحتجاجها بالحرمات التى لا ترعاها ؟

هذا هو الحكم الذى وجب أن يعلنه الاسلام ، وقد أعلنه على الوجه الذى دانت به الشرائع الحديثة فى علاقتها الحربية ولا تزال تدين به حتى اليوم ٠ فهناك حرمات دولية اذا خالفتها احدى الدول بطل احتماؤها بها وأحل لغيرها أن يخالفها كما خالفتها أو يتخذ من القصاص ما يردع الشر ويعوض الخسارة ، والا كانت الحرمات درعا للمعتدين ولم تكن مانعا لهم وسدا فى وجوههم كما أريد بها أن تكون ٠

واليوم تنقطع العلاقة بين دولتين فى حالة حرب أو جفاء فيجوز لكلتيهما أن تحجز ما عندها من اموال الدولة الأخرى وأن تأسر الذين فى بلادها من رعاياها ، ويجوز لها أن تجعل تلك الأموال ضمانا لسداد المغارم التى تنزل بها وبأبنائها ! وأن تتخذ من المعتقلين رهائن تعاملهم بمثل ما يعامل به المعتقلون من أبنائها فى سجون الدولة الأخرى ٠

فالذى حدث بعد سرية عبد الله بن جحش هو هذا بعينه وهو حكم القانون الدولى المتفق عليه : أسيران بأسيرين والمتعصبين فى تعقيبهم على هذا الحادث المألوف أو على حكم النبى والاسلام فيه ٠ فان أصحاب هذه الضجة يعمون عما حولهم وينسون أن المعاملات الدولية فى زمانهم لم تفصل فى أمثال هذه الحوادث ، بحكم أنفع ولا أعدل من الحكم الذى ارتضاه النبى ونزل به القرآن وهو حكم مساواة يدين به المسلمون كما كانوا يدانون ، ويحار المتعسف لو شاء أن يستبدل به ما هو خير منه وأدى الى النفاذ والأتباع ٠

وكان هذا القائد الملهم الخبير بتجنيد بعوث الحرب وبعوث الاستطلاع ، خبيرا كذلك بتجنيد كل قوة فى يديه متى وجب القتال ، ان قوة لسان وان قوة نفوذ فما نعرف أن أحدا وجه قوة الدعوة توجيها أسد ولا أنفع فى بلوغ الغاية من توجيهه عليه السلام ٠

غرضان :

والدعوة فى الحرب لها ــ كما لا يخفى ــ غرضان أصيلان بين أغراضها العديدة ٠٠ أحدهما اقناع خصمك والناس بحقك ، وهذا قد تكفل به القرآن والحديث ودعاة الاسلام جميعا ، فالدين كله دعوة من هذا القبيل ٠

وثانيهما : اضعافه عن قتالك باضعاف عزمه وايقاع الشتات بين صفوفه ؛ وربما بلغ النبى برجل واحد فى هذا

الغــرض ما لم تبلغــه الدول بالفــرق المنظمة ، وبالمكاتب والدواوين وبدر الأموال ٠

قال ابن اسحاق ما ننقله ببعض تصرف : أن نعيم بن مسعود الغطفانى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله انى قد أسلمت وان قومى لم يعلموا باســلامي ٠٠ فمرني بما شئت ، فقال رسول الله : انما أنت فينا رجل واحد فخزل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة ٠٠ أى أدخل بين القوم حتي يخذل بعضهم بعضا فلا يقوموا لنا ولا يستمروا على حربنا ٠

« فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما فى الجاهلية ـ قال : يابنى قريظة ، قد عرفتم ودى اياكم ، وخاصة ما بينى وبينكم » ٠ « قالوا : صدقت ٠٠ لست عندنا بمتهم » ٠

فقال لهم : « ان قريشــا وغطفان ليســوا كأنتم ٠٠ البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه الى غيره وأن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمــد وأصحابه ٠ وقد ظاهرتموهم عليــه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ٠ فليسوا كأنتم ! فان رأوه نهزه أصابوها ، وان كان غير ذلك لحقوا ببلدهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم ، فلا تقتلوه مــع القوم حتى تأخذوا منه رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا محمدا حتى تناجزوه ٠

« فقالوا له لقد أشرت بالرأى » ٠

« ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من قريش ، قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا ، وانه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقا أن أبلغكمــوه نصــحا لكم ٠٠ فاكتموا عنى ! ٠٠

« قالوا : نفعل » ٠

« قال : تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا ٠ فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟٠ فأرسل اليهم أن نعم ٠٠ فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ٠

« ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان ، انكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا أراكم تتهموننى قالوا : « صدقت ما أنت عندنا بمتهم » ٠

« قال : فاكتموا عنى » ٠

قالوا : نفعل ، فيما أمرك ؟ ٠

فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم ٠

« فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمسة ، أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان الى بنى قريظة عكرمة ابن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان ، فقالوا له : انا لسنا بدار مقام ، لقد هلك الخف والحافر ، فاقضوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه ٠ فأرسلوا اليهم : ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، ولسنا مع ذلك بمقاتلى محمد حتى تعطونا رهينا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا فانا نخشى أن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ٠ أن تنشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه ٠

« فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش : والله ان الذى حدثكم به نعيم ابن مسعود لحق

فأرسلوا الى بنى قريظة : أنا والله لن ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا ، ان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ·
وقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل اليهم بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها ، وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم ·

« ··· وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آبنيتهم · ثم رحلت قريش وغطفان الى بلادها ، وانصرف رسول الله من الخندق راجعا الى المدينة »

هذه دعوة نعيم بن مسعود ·

وما نجحت دعوة قط برجل واحد نجاح هذا الرجل ، ولا انتهزت فرصة العناصر الطبيعية والعناصر التى تتألف منها جماعة الأعداد ، كما انتهزت هذه الفرصة · فكل كلمة قبلت طائفة من طوائف ، فهى الكلمة التى ينبغى أن تقال فى الوقت الذى ينبغى أن تفعل فيها فعلها ، وهذه هى دعوة الاضعاف والتمزيق كأمضى ما تكون ·

★★★

قائد بغير نظير :

عندما تنعقد المقارنة بين المعارك القديمة والمعارك العصرية ينبغى أن ننظر الى فكرة القائد قبل أن ننظر الى ظواهر المعارك أو الى اشكالها وأحجامها ، لأننا اذا نظرنا الى الظواهر ، فلا معنى اذن للمقارنة على الاطلاق · اذ من المقطوع به أن عشرة ملايين يجتمعون فى ميدان واحد أضخم من عشرة آلاف ، وان حربا تدار بالمذياع والتليفون أعجب من حرب تدار بالفم والاشارة ، وأن نقل الجنود بالطائرات والدبابات أسرع من السهم · فلا معنى اذن لمقارنة بالظواهر تنتهى الى نتيجة واحدة ·· وهى استضخام

الحرب الحديثة والنظر الى القيادة الغابرة كأنها شيء صغير الى جانب القيادة التى توجه هذه الضخامة ٠

لكننا اذا نظرنا الى فكرة القائد ، أمكننا أن نعرف كيف أن توجيه ألف رجل قد تدل على براعة فى القيادة لا تراها فى توجيه مليون ٠٠ بينهم الراجل والراكب ، ومنهم يركبون كل ما يركب من مخلوقات حية وآلات مخترعة ٠

وهذه الفكرة هى التى تربنا محمدا عليه السلام قائدا حربيا بين أهل زمانه بغير نظير فى رأيه وفى الانتفاع بمشورة صحبه ، وتبرز لنا قدرته النادرة بين قادة العصور المختلفة فى توجيه كل ما يتوجه على يدى قائد من قوى الرأى والسلاح والكلام ٠ وهذه القدرة هى شهادة كبرى للرسول ، تأتى عن طريق الشهادة للقائد الخبير بفنون القتال ٠

فمن كانت عنده هذه الأداة النافذة فاقتصر بها على الدفاع واكتفى منها بالضرورى الذى لا محيص عنه ، فذلك هو الرسول الذى تغلب فيه الرسالة على القيادة العسكرية ولا يلجأ الى هذه القيادة الا حين توجيها رسالة الهداية ٠

ويزيد هذه الشهادة عظما ان الرجل الذى يتجنب القتال فى غير ضرورة ، رجل شجاع غير هياب ٠

شجاع وليس كبعض الهداة المصلحين الذين تجور فيهم فضيلة الطيبة على فضيلة الشجاعة ، فيحجمون عن القتال لأنهم ليسوا بأهل قتال ٠

ان بعض المستشرقين زعموا أنه عليه الصلاة والسلام قد اشترك فى حرب الفجار بتجهيز السهام ، لأنه عمل أقرب الى خلقه من الخوض فى معمعة القتال ٠٠ وكأنهم أرادوا انه لم يكن قادرا على المشاركة فى المعمعة بغير ذلك ٠

فهذا خطأ فى الاحاطة بمزايا هذه النفس العظيمة التى تعددت جوانبها حتى تجمعت فيهـا أطيب صـفات الحنـان وأكرم صفات البسالة والاقدام ·

فمحمد كان فى طليعة رجاله حين تحتـدم نار الحـرب ويهاب شـواظها من لا يهاب ، وكان عـلى فارس الفرسـان يقول : « كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ ·· فما يكون أحد أقرب منه الى العدو » ·

ولولا ثباته فى وقعة حنين ، وقد ولت جمهرة الجيش ، وأوشك أن ينفرد وحده فى وجه الرماة والطاعنين ، لحقت الهزيمة على المسلمين ·

وخروجه والليل لما يسفر عن صبحة ليطوف بالمدينـة مستطلعا ، وقد هددها الأعداء بالغارة والحصار ، أمر لو لم تدعه اليه الشجاعة الكريمة لم يدعه اليه شىء ، لأن المدينة كانت يومئذ حافلة بمن يؤدون عنه مهمة الاستطلاع وهـو قرير فى داره ، ولكنه أراد أن يرى بنفسه فلم يثنه خـوف ولم يعهد بهذا الواجب الى غيره ·

ومشاركته فى الوقعات الأخـرى هى مشـاركة القائد الذى لا يعفى نفسه وقد أعفته القيادة من مشـاركة الجنـد عامة فيما يستهدفون له ، فهي شجاعة لا تؤثر أن تتـوارى وعندها العذر المقبول بل العذر المحمود ·

واذا كان القائد خبيرا بالحرب قديرا عليها غير هيـاب لمخاوفها ، ثم اكتفى منها بالضرورى الذى لا محيص عنه ·· فذلك هو الرسول تأتيه الشهادة بالرسالة من طريق القيادة العسكرية ، وتأتى جميع صـفاته الحسـنى تبعا لصـفات الرسول ·

خصـائص العظمـة :

لكن للعظمـة خصـائص تدعو الى العجب ، وان كانت معروفة الأسباب وناهيك بالعظمة التى ترتقى هذا المرتقى ·

فمن تلك الخصائص أنها قد توصف بالنقيضين فى وقت واحد :

لأنها متعددة الجوانب ، فيراها ناس على صورة ، ويراها غيرهم على صورة أخرى وربما رأتها العين الواحدة على اختلاف فى الوقتين المختلفين ..

ولأنها تبعث الحب الشديد كما تبعث البغض الشديد ، وبين الطرفين مجال للاعتدال يستقيم للراشدين ، ومجال للمغالاة من هنا ، وللمغالاة من هناك .

ولأنها عميقة الأغوار ، فلا يسهل استيطانها لكل ناظر ، ولا يتأتى تفسيرها لكل مفسر . وهذا اذا اسلمت النفوس من سوء النية ، فأما اذا ساءت النيات وران الهوى على البصائر ، فلا عجب اذن فى الضلال .

ومن خصائص العظمة النبوية فى محمد عليه السلام ، أنه وصف بالنقيضين على السنة المتعصبين من أعداء دينه — فهو عند أناس منهم صاحب رقة تحرمه القدرة على القتال وهو عند أناس آخرين صاحب قسوة تغريه بالقتل واهدار الدماء البشرية فى غير جريرة وتنزه محمد عن هذا وذاك .

فاذا كانت شجاعته عليه السلام تنفى الشبهة فى رقة الضعف والخوف المعيب فحياته كلها من طفولته الباكرة تنفى الشبهة فى القسوة والجفاء ، اذ كان فى كل صلة من صلاته بأهله أو بمرضعاته أو بصحبه أو بزوجاته أو بخدمه ، مثلا للرحمة التى عز نظيرها فى الأنبياء .

ولا تقف كثيرا عند الحوادث التى ذكرها المتعصبون ليستدلوا بها على اهدار الدماء .

وفى جريرة فأكثرها لم يثبت قط ثبوتا يقطع الشك فيه ولا سيما القول بتحريض النبى عليه السلام على قتل عصماء بنت مروان اليهودية ، لأنها كانت تهجو الاسلام والمسلمين • فان النبي عليه السلام قد نهى فى قول صريح عن قتل النساء وكرر قوله فى غير موضع ، حتى قال بعض الفقهاء بمنع قتل المرأة وان خرجت للقتال ، ما لم يكن ذلك لدفع خطر لا يدفع بغير قتلها •

والحادث الوحيد الذى يستحق الالتفات اليه هو مقتل كعب بن الأشرف الذى كان يهجو المسلمين ، ويقدح فى دينهم ، ويؤلب عليهم الأعداء ويأتمر بقتل النبى ويدخل فى كل دسيسة تنقض معالم الاسلام •• وكان مع قومه بنى النضير معاهدا على أن يحالف المسلمين ، ويحارب من يحاربونهم ، ولا يخرج لقتالهم ، ولا يقابلهم الا بما يقابل به الحليف حليفه من المودة والمعونة •

فنقض العهد وزاد على نقضه تأليب العرب مع قومه على النبى وصحبه وانه رجع الى المدينة « فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم » وافترى عليهن وعليهم ما ليس يفتريه رجل شريف وليس يرضاه فى عرضه عربى غيور •

ورد فى حديث مقتله أن الرهط الذين خرجوا لقتله انتهوا الى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ــ وكان حديث عهد بعرس ــ فوثب فى ملحفته فأخذت امرأته بناحيتها وقالت : « انك امرؤ محارب ، وان أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة ! » •

وصدقت امرأته حين وصفته بأنه محارب يعامل معاملة المحاربين ، وقد حنثوا فى ايمانهم ، فلم يكن راعيا لعهده ، ولم يكن له وازع من نفسه ولا من قومه ، ولم يكن مأمونا على المسلمين وهو لائذ بحصنه •• فهو أقل الناس حقا فى

أمان وجاء فى الخبر ان النبى عليه السلام آخر مقتله ، فعاب بعض المؤرخين الاوربيين ذلك ، وحسبوه خروجا على سنن القتال يشبه فعلة نابليون الكبير حين أمر باختطاف الدوق دنجان ومحاكمته بغير حق ، مع ما بين الحادثين من بون بعيد بيناه من قبل فلا نعود اليه • الا أننا نوجز هنا فلا نزيد على أن نشير الى حكم القانون الدولى فى أحدث العصور على من يؤخذون بصنيع معيب كصنيع ابن الأشرف وان لم يبلغ مبلغه من القدر والكيد والاساءة الى الأعراض •

وذلك هو حكم الأسير الذى ينطلق بعهد الشرف ألا يعود الى القتال •• فان القانون الدولى يوجب عليه أن يوفى بعهده ويوجب على حكومته الا تنتدبه الى عمل ينقض ما عاهد الأعداء عليه ، ويقضى بحرمانه حق المعاملة كما يعامل أسرى الحرب اذا شهر السلاح على الذين أطلقوه أو على حلفائهم المحاربين فى صفوفهم ويصبح اذن أن يحاكم كما يحاكم المذنبون ويقضى عليه بالموت •

فقوانين العصر الحديث اذا تعاقب بالموت جريمة أهون من جريمة كعب بن الأشرف بكثير لأنه تجاوز القدر الى التأليب والائتمار وثلب الأعراض وليس فى توقيع هذه الأحكام قسوة ولا رحمة لأن المراجع فيها الى الضرورة التى أوجبت القصاص وفرضته على الناس فى أحوال السلم بين أبناء الأمة الواحدة ، فضلا عن أحوال القتال بين الأعداء •

★★★

سابعا : عبقرية محمد السياسية والادارية :

١ ــ سياسة الخصوم والأتباع :

السياسة على معان كثيرة من العرف الحديث :

فمنها ما يكــون بين بعض الدول وبعض من المراسم والعلاقات ، ومنها ما يكون بين هــذه الدول من معــاهدات وخطط في أعمالها الخارجية ومنهــا ما يكــون بين الراعي ورعيته أو بين الأحزاب والوزارات من برامج ودعوات ولكل معنى من هذه المعاني اصطلاحه في العرف الحــديث ، وان جمعتها كلمة السياسة في اللغة العربية ٠

وقد تولى النبي عليــه السلام أعمالا كثيرة مما يطلق عليه لفظ السياسة في عموم مدلوله ٠٠ ولكننــا لا نعرف بينها عملا واحدا هــو أدخــل في أبواب الســياسة وأجمع لضروبها ، وأبعد على المشاركة في صفة القيادة العسكرية أو صفة الوعظ العلني أو سائر الصفات التي اتصف بها عليــه السلام من عهد الحديبية في مراحله جميعا ، منــذ ابتــدأ بالدعوة الى الحج الى أن انتهى بنقض الميثاق على أيدى قريش ففي عهد الحديبية تجلى تدبير محمــد في سياســة خصــومه وسياسة أتباعه وفي الاعتماد على السلم والعهد حيث يحسنان ويصلحان ، والاعتماد على الحرب والقــوة حيث لا تحسن المسالمة ولا تصلح العهود ٠

بدأ بالدعوة الى الحج ، فلم يقصره في تلك السنة على المسلمين المصدقين لرسالته ٠ بل شمل به كل من أراد الحج من أبناء القبائل العربية التي تشــارك المسلمين في تعظيم البيت والسعي اليه ، فجعل له وللعرب أجمعين قضية واحدة في وجه قريش ، ومصلحة واحدة في وجه مصلحتها ٠ وفصل

بذلك بين دعواها ودعوى القبائل الأخرى ، ثم أخذ على قريش ما تعمدوه من اثارة نخوة العرب وتوجيهها الى مناوأة محمد والرسالة الاسلامية • فليس محمد وأصحابه أناسا معزولين عن النخوة العربية يضعون من شأنها ويبطلون مفاخرها ، ولكنهم اذن عرب ينتصر بهم العرب ولا يذلون بانتصارهم ، أو يقطعون ما بينهم وبين آبائهم وأجدادهم فاذا خالفوا قريشا في شيء فذلك شأن قريش وحدهم أو شأن المنتفعين من قريش بالسيطرة على مكة ، وليس هو بشأن القبائل أجمعين ، ثم أفسد على قريش من جهة أخرى ما تعمدوه من اغضاب العرب على الاسلام ، بما ادعوا من قطعه للأرزاق وتهديده للأسواق التي يعمرها الحاج ويستفيد منها الغادون الى مكة والرائحون منها • فها هو ذا محمد نفسه يأخذ معه المسلمين الى مكة كما يأخذ معه من شاء مصاحبته وذلك وزره على نفسه وعلى قومه ـ ولا وزر فيما أصاب الأرزاق أو أصاب الأسواق على المسلمين •

وقد سمعنا كثيرا في العصور الحديثة عن المقاومة السلبية أو المقاومة التي تجتنب العنف ولا تعتمد على غير وجه الحق والحجة •

سمعنا بها عن الحركة الهندية التي قام على رأسها غاندى وتابعه فيها بعض مريديه ، حتى كان لها الأثر في ازعاج الحكومة البريطانية ما لم يكن للقنابل ولا للمشاغبات الدامية ••

وقيل يومئذ ان غاندى قد تتلمذ في هذه الحركة للمصلح الروسي الكبير ليون تولستوى •• وقيل بل هو أحرى أن يعرفها من آداب البرهميين والبوذيين التي تحرم ايذاء الحيوان فضلا عن الانسان قبل أن يشرع ليون تولستوى مذهبه الجديد ، والذين قالوا بهذا الرأى الأخير استبعدوا أن يتفق المسلمون والبرهميون والبوذيون على حركة غاندى وتبشيره بتلك المقاومة السلبية لاعتقادهم أن الاسلام قد شرع

القتال ، فلا يوائم المسلمين ما يوائم البوذيين والبرهميين ، من اجتناب القوة والتزام السلم وترك المقاومة . ولكن المثل الذى قدمه النبى صلوات الله وسلامه عليه فى رحلة الحديبية ينقض ما توهموه ، ويبين لهم ان الاسلام قد أخذ من كل وسيلة من وسائل نشر الدعوة بنصيب يجرى فى حينه مع مناسباته وأسبابه .. فلا هو يركن الى السيف وحده ولا الى السلم وحده ، بل يضع كليهما حيث يوضع ، «ويدفع بكليهما حيث يوضع » ، ويدفع بكليهما حيث ينبغى أن يدفع ، وهو الحكم المتصرف حيث يختار ما يختار ، وليس بالآلة التى يسوقها السلم أو الحرب مساق الاضطراب .

ــ وقد خرج النبى الى مكة في رحلة الحديبية حاجا لا غازيا يقول ذلك ويكرره .

ويقيم الشواهد عليه لمن سأله ، ويثبت نية السلم بالتجريد من السلاح ، الا ما يؤذن به لغير المقاتلين .

فلم يفصل بهذه الخطة بين العرب وقريش وحسب ، بل فصل بين قريش ومن معهم من الاحابيش ، وجعل الزعماء وذوى الرأى يختلفون فيما بينهم على ما يسلكون من مسلك فى دفعه أو قبوله أو مهادنته ، وهو عليه السلام يكرر الوصاية لاتباعه بالمسالمة والصبر ، منعا للاتفاق بين خصومه على قرار واحد ، وقل من أتباعه من أدرك قصده ومرماه حتى الصفوة المختارون .

ولما اتفق الطرفان ــ المسلمون وقريش ــ على التعاهد والتهادن ، كانت سياسة النبى فى قبول الشروط التى طلبتها قريش ، غاية فى الحكمة والقدرة الدبلوماسية » كما تسمى فى اصطلاح الساسة المحدثين .

دعا بعلى بن أبى طالب فقال له :

« بسم الله الرحمن الرحيم » .

فقال سهيل بن عمرو مندوب قريش : « أمسك ! لا أعرف الرحمن الرحيم ، بل أكتب باسمك اللهم » .

فقال النبى « اكتب باسمك اللهم » ٠

ثم قال : « اكتب (هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو) » ٠

فقال سهيل : « أمسك ! لو شهدت أنك رسـول الله لم أقاتلك ولكن أكتب اسمك واسم أبيك » ٠

وروى أن عليا تردد فمسح النبى ما كتب بيده ، وأمره أن يكتب «محمد بن عبد الله» فى موضـع «محمد رسول الله» ٠

ثم تعاهدوا على أن من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا من رجال محمد لم يردوه عليه ، وأن من أحب من العرب محالفة محمد فلا جناح عليه ٠٠ من أحب محالفة قريش فلا جناح عليه ، وأن يرجع محمد وأصحابه عن مكة عامهم هـذا عـلى أن يعودا اليهـا فى العام الذى يليه ويقيموا بها ثلاثة أيام ومعهم من السـلاح السيوف فى أغمادها ولا سلاح غيرها ٠

ولو كان عهد الحديبية هذا قد كتب بعـد قتال انهزم فيه المشركون وانتصر فيه المسلمون ، لوجب أن يكتب عـلى غير هذا الأسلوب ٠٠ فيعترف المشركون كرها أو طوعا بصبغة النبوة ، ولا يردون أحدا من مواليهم أو قاصريهم يذهب الى النبى عليه السلام ويلحق بالمسلمين ٠

ولكنه عهد مهادنة أو عهد «ايقاف أعمال العداء الى حين» كما يسمونه فى اصطلاح العصر الحاضر ٠٠ فلا يعوزه شىء من الأصول المرعية فى أمثال هـذه العهود من اثبات صـفة المندوبين التى لا ارغام فيهـا لأحـد الطرفين ولا مخالفـة لدعوى الفريقين ، ومن حفظ كل لحقـه فى تحـديد دعواه واستئناف مسعاه ٠

فلو أن النبى عليه السلام شرط على قريش أن ترد اليه من يقصدها من رجاله لنقض بذلك دعوى الهداية الاسلامية، ونقض الوصف الذى يصف به المسـلمين فان المسـلم الذى

يترك النبي باختياره ليلحق قريشا ليس بمسلم ، ولكنه مشرك يشبه قريشا فى دينها وهى أولى به من نبى الاسلام .

أما المسلم الذى يرد الى المشركين مكرها ، فانما الصلة بينه وبين النبى الاسلام ، وهو شىء لا سلطان عليه للمشركين ولا تنقطع الصلة فيه بالبعد والقرب . فان كان الرجل ضعيف الدين ففتنوه عن دينه فلا خير فيه ، ان كان وثيق الدين فبقى على دينه فلا خسارة على المسلمين .

وما انقضت فترة وجيزة حتى علمت قريش أنها هى الخاسرة بذلك الشرط الذى حسبته غنما لها وخذلانا لمحمد صلوات الله وسلامه عليه ... فان المسلمين الذين نفروا من قريش ولم يقبلهم محمد فى حوزته رعاية لعهده قد خرجوا الى طريق القوافل يأخذونها على تجارة قريش وهى أمان فى عهد الهدنة بين الطرفين ، فلا استطاع المشركون أن يشكوهم الى النبى لأنهم خارجون عن ولايته بحكم الهدنة ، ولا استطاعوا أن يحجزوهم فى مكة كما أرادوا يوم أملوا شروطهم فى عهد الحديبية ، ولو قضى العهد بولاية النبى على من ينفر من مسلمى مكة لجاز للمشركين أن ينقضوه أو يطالبوا النبى بالمحافظة عليه .

وتم العهد .. وعرف من لم يعرف ما أفاء على الاسلام بعد قليل .

فجهر بمحالفة النبى من لم يكن يجهر بولائه .. واستراح النبى من قريش ففرغ ليهود خيبر وللممالك الأجنبية يرسل الى عظمائها بالدعوة الى دينه ، وفتح الأبواب لمن يفدون اليه ممن أنكروا بغى قريش وأمنوا أن تكون نصرتهم للاسلام حربا يبتلون فيها بما لا يطيقون .

ويوم نزلت الآية الكريمة على أثر اتفاق الحديبية يفقه الكثيرون معناها فى حينها ، لم يتبينوا موضع الفتح

من ذلك الاتفاق الذى حسبوه محض تسليم ·· ولكنهم فهموا أى فتح هو بعد سنتين وعلموا أن من الفتوح ما يكون بغير السيف ، وما يشبه الهزيمة فى ظاهره عند من يتعجلون ولا يحسنون النظر الى بعيد ·

الفتح المبين :

كان فى تلك السنة فتح يراه الناظر بعين الغيب ولا يراه الناظر بعينه ، ولكنها سنة واحدة ثم رأى الفتح المبين من لا يرون بغير العيون ·· رأوه وامتلأت عيونهم بالنظر اليه ، فسر قوما وساء آخرين ·

ففى السنة التالية نادى الرسول أصحابه أن يتجهزوا للحج ولا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية ، فخرجوا فى شوق المنطلق بعد منع والمنتظر بعد صبر ، الا من استشهد فى خيبر وأدركته الوفاة خلال العام · وخرج معهم جمع كبير ممن لم يشهدوا الحديبية يتبعهم النساء والأطفال وساقوا أمامهم ستين بدنة مقلدات للهدى وقد حملوا السلاح والدروع والرماح على رأسهم مائة فارس يقودهم محمد بن مسلمة ·

فلما انتهى الرسول وصحبه الى ذى الحليفة قدم الخيل أمامه وعلمت قريش بالنبأ ففزعوا وبعثوا بمكرز بن حفص فى نفر منهم فجاءوا يقولون : « لا والله يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالقدر ·· تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد شرطت عليهم ألا تدخل الا بسلاح المسافر : السيوف فى القرب ؟ » فقال عليه السلام : « انى لا أدخل عليهم بسلاح» قال مكرز هو الذى تعرف به «البر والوفاء» ·

وانما حمل النبى السلاح للحيطة كما قال لصحبه : « ان هاجنا هائج من القوم كان السلاح قريبا منا » ·· وتركه فى الحراسة على مقربة من مكة حيث يوصل اليه عند الحاجة اليه ·

ثم أقبل عليه السلام على ناقته القصواء وجموع المسلمين محدقون به متوشحون بالسيوف يلبون ويهللون ، وآخذ عبد الله بن رواحة بزمام القصواء وهو ينشد :

خلوا بني الكفار عن سبيله
خلو فكل الخير في رسوله

يا رب انى مؤمن بقبلة
انى رأيت الحق فى خيوله

وأوشك وقد هزته النخوة أن يصيح فى قريش صيحة الحرب ، فنهاه عمر رضى الله عنه وأمر النبى أن ينادى ولا يزيد « لا اله الا الله وحده ، نصر عبده ، وأعز جنده وخذل الأحزاب وحده » فرفع ابن رواحة بها صوته الجهير وتلاه المسلمون يرددونها وتهتز بها جنبات الوادى القريب فيسمعها من فارقوا مكة لكيلا يسمعوها ولا يروا ركب النبى يخطو فى نواحيها ٠

كان الفتح الذى بصر به عيانا من لم يره يوم الحديبية بنور البصيرة ٠٠ وأسلم من الضعفاء والأقوياء من كان عصيا على الاسلام ! فريق منهم يهزهم وفاء النبى بعهده مع استطاعة نقضه ، وفريق منهم راعهم سمت الدين ورحم الاسلام فيما بين المسلمين ، وجمال ما بينهم وبين نبيهم من طاعة وتمكين ، وفريق منهم علموا أن العاقبة للاسلام ، فجنحوا الى طريق السلامة والسلام وحسبك أن عمرة القضاء هذه قد جمعت فى آثارها من أسباب الاقناع بالدعوة المحمدية ما أقنع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وهما فى رجاجة الخلق والعقل مثلان متكافئان ، وان كانا لا يتشابهان ٠

وهكذا تجلت عبقرية محمد فى سياسة الأمور كما تجلت فى قيادة الجيوش فكان على أحسن نجاح فى سياسته اذ نادى بعزيمة الحج وهو لم يفتح مكة بعدده وعدته ، واذ دعا المسلمين وغير المسلمين الى مصاحبته فى رحلته ، واذ توخى ما توخى من طريقة المسالمة اقامة الحجة فى انفاذ

عزيمته ، واذ قبل العهد الذى كبر قبوله على أقرب المقربين من عشيرته ، واذ نظر الى عقباه ووصل به الى القصد الذى توخاه ·

٢ ـ عبقرية محمد الادارية :

(ا) ملكات شخصية :

فى الاسلام أحكام كثيرة مما يدخل فى تعرف رجال الادارة كما نسميهم اليوم ·

وفيه وصايا كثيرة عن المعاملات ، كالمساقاة والمبايعة والاستقراض والشفعة والتجارة وسائر شئون المعيشة الاجتماعية يقتدى بها المشرعون فى جميع العصور ·

ولكننا لا نريد بما نكتب عن النبى عليه السلام أن نسرد أحكام الفقه ونبسط وصايا الدين ، فهى مشروحة فى مواطنها لمن شاء الرجوع اليها ·

وانما نريد أن نعرض لأعماله ووصاياه من حيث هى ملكات شخصية وسلائق نفسية ، تلازمه حيث كان مؤديا لرسالة الدين ، أو مؤديا لغير الرسالة من سائر أعمال الانسان ·

كذلك لا يعنينا مثلا أن نتكلم عن « الادارة » كأنها نصوص المنشورات واللوائح التى تدار بها الدواوين وتجرى عليها تفصيلات الحركة فى مكاتب الحكومة ، فان هذه وما اليها هى أعمال منفذين مأمورين وليست أعمال مديرين آمرين ·

وانما نعنى الملكة الادارية من حيث هى أساس فى التفكير ·

ومن اعتمد عليه واستطاع أن يقيم بناء الادارة على أسس قويمة ثم يدع لغيره تفصيلات الأضابير والأوراق فليس فى وسع رجل مطبوع على الفوضى مستخف بالتبعة ،

أن يؤسس ادارة نافعة ولو كان فيما عدا ذلك كبير العقل كبير الهمة ٠

أما السليقة المطبوعة على انشاء الادارة النافعة ، فهى السليقة التى تعرف النظام ، وتعرف التبعة ، وتعرف الإختصاص بالعمل ، فلا تسنده الى كثيرين متفرقين يتولاه كل منهم على هواه ٠

وقد كانت هذه السليقة فى محمد عليه السلام على أتم ما يكون ٠

كان يوصى بالرياسة حيثما وجد العمل الاجتماعى أو العمل المجتمع الذى يحتاج الى تدبير ٠ ومن حديثه المأثور : « اذا خرج ثلاثة فى سفر ، فليؤمروا أحدهم » ٠ ومن أعماله المأثورة أنه كان يرسل الجيش وعليه أمير وخليفة للأمير وخليفة للخليفة اذا أصيب من تقدمه بما يقعده عن القيادة ٠ وكان قوام الرئاسة والامامة عنده شرطين ، هما جماع الشروط فى كل رئاسة ، وهما الكفاءة والحب : « أيما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس علم أن العشرة أفضل ممن استعمل ، فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين » .

و « أيما رجل أم قوما وهم له كارهون لم تجز صلاته أذنيه » ٠

وكان الى عنايته باسناد الأمر الى المدير القادر عليه حريصا على تقرير التبعات فى الشئون ، ما كبر منها وما صغر ، على النهج الذى أوضحه صلوات الله عليه حيث قال : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع عن أهل بيته وهو مسئول عنهم ، المرأة راعية على بيت بعلها وهى مسئولة عنه ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ٠

وقد كانت أوامر الاسلام ونواهيه معروفة لطائفة

كبيرة من المسلمين أنصارا كانوا أو مهاجرين ، ولكنه عليه السلام لم يترك أحدا ما يدعى لنفسه حقا في اقامة الحدود واكراه الناس على طاعة الأوامر واجتناب النواهي غير من لهم ولاية الأمر وسياسة الناس .

فلما قتل بعض المسلمين غداة فتح مكة رجلا من المشركين غضب عليه السلام وقال فيما قال من حديثه المبين « .. فمن قال لكم أن رسول الله قد قاتل فيها فقولوا ان الله قد أحلها لرسوله ولم يحللها لكم يا معشر خزاعة » .

ولما أراد أن يصادر الخمر نهج في ذلك منهجا يقصد به التعليم والاستنان كما جاء في رواية ابن عمر حيث قال :

« أمرني النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن آتيه بمدية ، فأتيته بها . فأرسل بها فأرهفت ثم أعطانيها فقال أغد على بها . ففعلت ، فخرج بأصحابه الى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام . فأخذ المدية منى فشقق ما كان من تلك الزقاق بحضرته ثم أعطانيها . وأمر الذين كانوا معه أن يمضوا معي ويعاونوني ، وأمرني أن آتى الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر الا شققته ففعلت ، فلم أترك في أسواقها زقا الا شققته » .

وهذا تصرف المدير بعد تصرف النبي الذي يبين الحرام ويبين الحلال .

فالخمر شربها وبيعها ونقلها حرام يعلمه جميع المسلمين من تفقه منهم ومن لم يتفقه في الدين ، ولكن المحرمات الاجتماعية ينبغي أن تكون في يد ولى المسلمين لا في يد كل فرد يعرف الحلال والحرام . وليست المسألة هنا مسألة تحريم وتحليل ولكنها مسألة ادارة وتنفيذ في مجتمع حافل يشتمل على شتى المصالح والأهواء ، ولا يصاب ببلاء هو أضر عليه من بلاء الفوضى والاضطراب واختلاف الدواعي وانتزاع الطاعة وتجاهل السلطان ، فلم يكتف النبي عليه السلام بصريح التحريم في القرآن ولا أكتفى باسناد الأمر

الى غير معروف الصفة فى تنفيذ الأحكام ، بل خرج بنفسه ثم أمر رجلا بعينه وأناسا بأعينهم أن يمضوا فى اتمام عمله، ولم يجعل ذلك اذنا لمن شاء أن يفعل ما شاء ٠

وما أكثر ما سمعنا فى أيامنا الأخيرة عن الأمن والنظام وتوطيد أركان الشريعة والقانون ، ولكننا لا نعرف فى كل ما قيل كلاما هو اجمع لوجوه الصواب فى هذه المسألة من قول النبى : « السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » ٠

ومن قوله فيما رواه ابن الصامت : « ٠٠ الا ننازع الأمر أهله الا أن تروا كفرا بواحا عندكم بعض الشر خيار» ٠

ومن قوله « الامام الجائر خير من الفتنة ، وكل لا خير فيه ٠ وفى بعض الشر خيار » ٠ ومن قوله : « ان الأمير اذا ابتغى الريبة فى الناس أفسدهم » الى أحاديث فى هذا المعنى هى جماع الضوابط التى تقوم عليها الادارة الحكيمة أو الخطط السليمة المستقيمة بين آمر ومأمور ٠

نظام وفوق النظام سلطان ، وفوق السلطان برهان من الشرع والعقل لا شك فيه ، وجميع أولئك على سماحة لا تتعسف النزاع ولا تتعسف الريبة ولا تلتمس الغلواء ٠

هذا الالهام النافذ السديد فى تدبير المصالح العامة ، وعلاج شئون الجماعات هو الذى أوحى الى الرسول الأمى قبل كشف الجراثيم ، وقبل تأسيس الحجر الصحى بين الدول ٠

وقبل العصر الحديث بعشرات القرون ٠ أن يقضى فى مسائل الصحة واتقاء نشر الأوبئة بفصل الخطاب الذى لم يأت العلم بعده بمزيد ، حيث قال « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » ٠

فتلك وصية من ينظر فى تدبيره الى العالم الانسانى

بأسره لا الى سلامة مدينة واحدة أو سلامة فرد واحـد . اذ ليس أضون للعالم من حصر الوباء في مكانه ، وليس من حق مدينة أن تنشد السلامة لنفسها أو لأحد من سكانها بتعريض المدن كلها لعدواها .

(ب) تدبير الشئون العامة :

على أن الادارة العليا انما تتجلى فى تدبير الشئون العامة حين تصطدم بالأهـواء وتنذر بالفتنـة والنزاع ، فليست الادارة كلها نصوصا وقواعـد يجرى الحـاكم فى تنفيذها مجرى الآلات والموازين التى تصرف الشئون على نسق واحد، ولكنها فى كثير من الأحيـان عـلاج نفوس وقيادة أخطار لا أمان فيها من الانحراف القليل هنا أو الانحراف القليـل هنـاك .

وذلك هو المجال الذى تمت فيه عبقرية محمد فى حلول التوفيق واتقاء الشرور أحسن تمام . فما عرض له تدبير أمر من معضلات الشقاق بعد الرسالة ولا قبلها ! الا أشـار فيه بأعدل الآراء ، وأدناها الى السلم والارضاء .

صنع ذلك حيث اختلفت القبائل على أيها يستأثر باقامة الحجر الأسود فى مكانه وهو شرف لا تنزل عنه قبيلة لقبيلة ولا تؤمن عقبى الفصل فيه بايثار احدى القبائل على غيرها، ولو جاء الايثار من طريق المصادفة والاقتراع ، فأشار محمد بالرأى الذى لا رأى غيره لحاضر الوقت ولمقبل الغيب المجهول، فجاء بالثوب ووضع الحجر الأسود عليه وأشرك كل زعيم فى طرف من أطرافه ، وكان من قسمته هو غير خلاف بين الناس أن يقيمه بيده حيث كان ، وأن يتسلف الدعوة وهى مكنونة فى طوايا الزمان ، ولو علموا بهـا يومئذ لما سلموا ولا سلم من عدوان وشنآن .

وصنع ذلك يوم هاجر من مكة الى المدينة ، فاستقبلته الوفود تتنافس على ضيافته ونزوله ، وهو يشفق أن يقـدح فى نفوسها شرر الغيرة بتمييز أناس منهـم عـلى أناس أو

اختيار محلة دون محلة ‥ فترك لناقته خطامها تسير ويفسح الناس لهـا طريقهـا حتى بركت حيث طاب لهـا ان تبرك ، وفصلت فيما لو فصل فيه انسان كبيرا أو صغيرا لما مضى فصله بغير جريرة لا تؤمن عقباها بعد ساعتها ولو منت فى تلك الساعة على دخل وسوء طوية ٠

وصنع ذلك يوم فضـل بالغنـائم أناسا من أهـل مكة الضعيف ايمانهم على أناس من الأنصار الذين صدقوا الإسلام وثبتوا على الجهاد ، فلما غضب المفضلون لم يكن أسرع معه على ارضائهم بالحجة التى لا تغلب من يدين بها ، بل تريه انه هو الغالب الكاسب ، وأنها تصيب منه المقنع والاقناع فى وقت واحد : « أوجدتم يا معشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله ﷺ الى رحالكم ؟ فوالذى نفسى بيده لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ٠ اللهم ارحم الأنصـار ، وأبنـاء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار » ٠

كلام مدير فيه الادارة والرياسة هبـة من هبات الخلق والتكوين ‥ فهو مدير حين تكون الادارة تدبير أمور ومدير حين تكون الادارة تدبير شعور وهو كفيل ألا يلى مصلحة من المصالح تعتريها الفوضى ويتطرق اليهـا الاختـلال ، لأنه يسوسها بالنظام وبالتبعة ، وبالاختصـاص والسـماحة ، وما من مجتمع يساس بهذه الخصال ويبقى فيه منفذ بعدها لاختلال أو انحلال أو لخطل فى ادارة الأعمال ٠

ثامنا : محمد البليغ والصديق :

١ ــ البليــغ :

« اللهم هل بلغت » !

هذه هي اللازمة التي رددها النبي في خطبته الأخيرة ، وهي خطبة الوداع ٠

وهي لازمة عظيمة الدلالة في مقامهـــا ، لأنهـــا لخصت حياة كاملة في ألفاظ معدودات فما كانت حياة النبي كلهـــا بعملها وقولها وحركتها وسكونهـــا الا حيـــاة تبليغ وبلاغ ، وما كان لها من فاصلة خاتمة أبلغ من قوله عليه السلام وهو يعود بنفسه « جلال ابن الرفيع فقد بلغت ! » .

ولصدق هذه الدلالة ترى أن السمة البالغة على أسلوب النبي في كلامه المحفوظ بين أيدينا هي سمة الابلاغ قبل كل سمة أخرى ، بل هي السمة الجامعة التي لا سمة غيرها ، لأنها أصل شامل لما تفرق من سمات هي منها بمثابة الفروع ٠

وكلام النبي المحفوظ بين أيدينا ٠

أما معاهدات ورسائل كتبت بعـــد حينهـــا واما خطب وأدعية ووصايا وأجوبة عن أسئلة كتبت بعد حينها وروعيت الدقة في المضاهاة بين رواياتها جهد المستطاع ٠

والابلاغ هو السمة المشتركة في أفانين هـــذا الـــكلام جميعا ، حتى ما جرى منه مجرى القصص أو مجرى الأوامر الى المرءوسين أو مجرى الدعاء الذي يلقنه المسلم ليدعو الله على مثاله ٠

انظر مثلا الى قصة أصـــحاب الغار الثـــلاثة وتوسلهم بصالح الأعمال وهي كما جاءت في مختار مسلم :

« ... بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا الى غار فى جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم . فقال بعضهم لبعض : أنظروا أعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها ، لعل الله يفرجها عنكم ، فقال أحدهم : اللهم انه كان لى والدان شيخان كبيران وامرأتى ، ولى صبية صغار أرعى عليهم . فاذا أرحت عليهم آمسيت ، فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رءوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما ، وأكره أن أسقى الصبية قبلهما . فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتى طلع الفجر ، فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها فرجة نرى منها السماء .

« ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء » .

« وقال الآخر : اللهم انه كانت لى ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء ، وطلبت اليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار ، فجئتها بها .

« فلما وقعت بين رجليها قالت : يا عبد الله ! اتق الله ولا تفضى الخاتم الا بحقه . فقمت عنها ، فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة . ففرج لهم .

« وقال الآخر : اللهم انى أستعمل أجيرا يعزق أرزا ، فلما قضى عمله قال : اعطنى حقى ، فعرضت عليه فرقه فرغب عنه ، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا فقال : اتق الله ولا تستهزىء بى . خذ ذلك البقر ورعاءها ! فأخذه فذهب به فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا ما بقى .

« ففرج الله ما بقى » .

٢ ـ محمد الصديق عطوف ودود :

اذا كان الرجل محبا للناس ، أهلا لحبهم اياه ، فقد تمت له أداة الصداقة من طرفيها . وانما تتم له أداة الصداقة

بمقدار ما رزق من سعة العاطفة الانسانية ومن سلامة الذوق ومتانة الخلق ، وطبيعة الوفاء .

فلا يكفي أن يحب الناس ليحبوه لأنه قد يحبهم وفى ذوقه نقص ينفرهم منه ويزهدهم فى حبه .

ولا يكفى أن يكون محبا سليم الذوق ليبلغ من الصداقة مبلغها . فقد يكون محبا محبوبا حسن الذوق ، ثم يكون نصيبه من الخلق المتين والطبع الوفى نزرا ضعيفا لا تدوم عليه صداقة ، ولا تستقر عليه علاقة .

انما تتم أداة الصداقة بالعاطفة الحية ، والذوق السليم ، والخلق المتين ، وقد كان محمد فى هذه الخصال جميعا مثلا عاليا بين صفوة خلق الله .

كان عطوفا يرأم من حوله ويودهم ويدوم لهم على المودة طول حياته ، وان تفاوت ما بينه وبينهم من سن وعرق ومقام .

كان صبيا فى الثانية عشرة يوم سافر عمه فتعلق به حتى أشفق العم أن يتركه وحده فاصطحبه فى سفره .

وكان شيخا قارب الستين يوم بكى على قبر أمه بكاء من لا ينسى .

وليس فى سجل المودة الانسانية أجمل ولا أكرم من حنانه على مرضعته حليمة ومن حفاوته بها وقد جاوز الأربعين ، فيلقاها هاتفا بها : أمى ! أمى ! ويفرش لها رداءه ويمس ثديها بيده . كأنه يذكر ما لذلك الثدى عليه من جميل ، ويعطيها من الابل والشاه ما يغنيها في السنة الجدباء .

ولقد وفدت عليه هوازن وهى مهزومة فى وقعة حنين وفيها عم له من الرضاعة لأجل هذا العم من الرضاعة تشفع النبى الى المسلمين أن يردوا السبى من نساء وأبناء ، وأشترى السبى ممن أبوا رده الا بمال .

وحضنته في طفولته جارية عجماء فلم ينس لها مودتها بقية حياته وشغله أن تنعم بالحياة الزوجية ما يشغل الأب من أمر بناته ورحمة منه ، فقال لأصحابه : « من سره أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن » • ومازال يناديها يا أمي يا أمي ، كلما رآها وتحدث اليها • وربما رآها في وقعـــة قتال تدعـو الله وهي لا تدري كيف تدعو بلكنتها الأعجمية فلا تنسيه الوقعة الحازمة أن يصغي اليها ويعطف عليها •

وكان هذا عطفه على كل ضعيف ولو لم يذكره بحنان الطفولة ورحم الرضاع • فما نهر خادما ولا ضرب أحدا ما وقال أنس : « خدمت النبي ﷺ عشر سنين ، فما قال لي أف قط ، ولا قال لشيء صنعته : لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته : لم تركته ؟ »

وكان من أضحك الناس وأطيبهم نفسا ، صافي القلب اذا كره شيئا رؤى ذلك في وجهه ، واذا رضي عرف من حوله رضاه •

وقد اتسع عطفـه حتى بسطه للأحياء كافة ولم يقصره على ذوي الرحم ، فكان يضـع الاناء للهـرة لتشرب ، وكان يواسي من موت طائر يلهو به أخو خادمه ، وأوصى المسلمين : « اذا ركبتم هذه الدواب فاعطوها حظها من المنازل ولا تكونوا عليها للشياطين » وكرر الوصايا بها أن « اتقوا الله في البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة » •

وقال : « ان الله غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركن يلهث قد يكاد يقتله العطش ، فنزعت خفهـا فأوثقتـه بخمارها ، فنزحت له من الماء فغفر لها بذلك » •

وقال في هذا المعنى : « دخلت امرأة النـار في هـرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشـاش الأرض » •

لا بل شمل عطفه الأحياء والجماد كأنه من الأحياء ، فكانت له قصعة يقال لها الغراء • وكان له سيف محلى يسمى

ذا الفقار ، وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول ، وكان له سرج يسمى الداج وبساط يسمى الكز وركوة تسمى الصادر، ومرآة تسمى المدله ، ومقراض يسمى الجامع ، وقضيب يسمى المشوق ٠

وفى تسمية تلك الأشياء بالأسماء فيه معنى الألفة التى تجعلها أشبه بالاحياء المعروفين ممن لهم السمات والعناوين، كأن لها « شخصية » مقربة تميزها من بين مثيلاتها ، كما يتميز الأحباب بالوجوه والملامح وبالكنى والألقاب ٠

هذه العاطفة الانسانية التى رحبت حتى شملت كل ما أحاطت به وأحاط بها لم تكن هى كل أداة الصداقة في تلك النفس العلوية بل كان معها ذوق سليم يضارعها رفعة ونبلا ويتمثل ــ فيما ترجع الى علاقات النبى بالناس ــ فى رعاية شعورهم أتم رعاية وأدلها على الكرم والجود ٠

« كان اذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه قام معه ، فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذى ينصرف عنه ٠ واذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده اياها فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذى ينزع يده منه ٠٠ » .

« وكان أرحم الناس بالصبيان والعيال ٠٠٠ واذا قدم من سفر تلقى بصبيان أهل بيته » ٠

« وكان أشد حياء من العذراء فى خدرها ٠ وأصبر الناس على أقذار الناس » ٠

يحفظ مغيبهم كما يحفظ محضرهم ، ويقول لصحبته : «من اطلع فى كتاب أخيه بغير أمره فكأنما أطلع فى النار»٠

ومع العاطفة الانسانية والذوق السليم والأدب الكريم سمت جميل ونظافة بالغة وحرص على أن يراه الناس في أجمل مرأة ومع هذا كله أمانة يثق بها العدو فما بال الصديق ؟ وحسبك من ثقة الناس به ما أودعوه من أمانات وهم يناصبونه العداء ، فلم يخرج للهجرة وهو مهدد فى

سربه حتى رد الأمانات الى أصحابها ، وقد يكون في ردها ما ينبههم الى خروجه ويأخذ عليه سبيل النجاة ، وهـذا الى اشتهاره بالأمانة في صباه حتى سمي بالأمين قبل أن يتجرد لدعوة ينبغي لداعيها أمثال هذه الصفات ·

كل هـذه المزايا النفسية ــ بل بعض هـذه المزايا النفسية ــ خليق أن يتم لصاحبه أداة الصداقة أوفى تمام ، وأن يجعله محببا لمن حوله جديرا منهم بأحسن حب وولاء ، فلم يعرف في تاريخ العظمة لا بين الأنبياء ولا غير الأنبياء ــ انسان ظفر بنخبة من الصداقات على اختلاف الأقدار والبيئات والأمزجة والأجناس كالتي ظفر بها محمد ، ولم يعرف عن انسان انه أحيط من قلوب الضعفاء والأقوياء بما يشبه الحب الذى أحيط به هذا القلب الكبير .

نقدم في بعض فصول هذا الكتاب حديث زيد بن حارثة الذى خطف من أهله وهو صغير ثم اهتدى اليه أبوه واهتدى هو الى أبيه على لهفة الشوق بعد يأس طويل ، فلما وجب أن يختار بين الرجعة الى اهله وبين البقاء مع سيده « محمد » اختار البقاء مع السيد على الرجعة مع الوالد ،وشق عليه أن يحتجب عن ذلك القلب الذى غمره بحبه ومواساته ، وهو ضعيف شريد لا يدرى من هم ذووه ·

وكان لا يغنى من لازمـوه أن يلـزموه في الحيـاة حتى يثقوا من ملازمتهم اياه بعـد الممـات · فضعف مولاه ثوبان ونحل جسمه وألح عليه الحزن في ليله ونهاره ، فلما سأله السيد العطوف يستفسره علة حزنه ونحوله قال في طهارة الأبرار : « أني اذا لم أرك اشتقتك واستوحشـتك وحشة عظيمة ، فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك لأني ان دخلت الجنة فأنت تكون في درجات النبيين فلا أراك» ورويت هذه القصة في أسباب نزول الآية الكريمة :

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾

(النساء ٦٩)

وقد عنينا مما تقدم بحب الصداقة بين الانسان والانسان لأننا لم نقصد حب المؤمن لنبيه فى هذا الباب ۰ فقد بلغ من امتلاء قلوب المسلمين والمسلمات بهذا الحب ان المرأة كانت تسمع أنباء المعركة فينعى اليها خاصة أهلها وهى تسترجع وتعرض عن هذا لتسأل عن النبى وتهتم بسلامته قبل اهتمامها بسلامة الاخوة وبنى الأعمام ۰ الا أننا عنينا محبة الصداقة فى هذا الباب لأنها هى المحبة التى جعلت كثيرا من الناس يؤمنون بمحمد لمحبتهم اياه واطمئنانهم اليه ، فكانت سابقة فى قلوبهم وأرواحهم لحب العقيدة والايمان ۰۰

عظمة العظمات :

أن عطف العظيم على الصغير حتى يستحق منه هذا الحب لفضيلة يشرف بها مقام العظيم فى نظر بنى الانسان ۰

ولكن قد يقال أن استحقاق العظيم أن يحبه العظماء لأشرف من ذلك رتبة وأدل على حظه الجليل من فضائل التفوق والرجحان ۰۰۰ وهذا صحيح لا ريب فيه ۰

وهنا أيضا قد تمت لمحمد معجزته التى لم يعارضه فيها أحد من ذوى الصداقات النادرة ۰

فأحدقت به نخبة من ذوى الأقدار تجمع بين عظمة الحسب وعظمة الثروة وعظمة الرأى وعظمة الهمة وكل منهم ذو شأن فى عظمته تقوم عليه دولة وتنهض به أمة كما أثبت التاريخ

من سير أبى بكر وعمر وخالد وأسامه وابن العاص والزبير وطلحة وسائر الصحابة الأولين ·

وربما عظم الرجـــل في ميزة من المزايا ، فأحاط به الأصدقاء والمريدون من النابغين فى تلك الميزة ، كما أحاط الحكماء بسقراط والقادة بنابليون ·

بل ربما أحاط الصـــالحون بالنبى العظيم كمنا أحاط الحواريون بالمسيح عليه السلام وكلهم من معدن واحد وبيئة واحدة

أما عظمة العظمات فهى تلك التى تجذب اليها الأصحاب النابغين من كل معدن وكل طراز ، وهى التى يتقـابل فى حبها رجال بينهم من التفاوت مثل ما بين أبى بكر وعلى ، وبين عمر وعثمان ، وبين خالد ومعاذ ، وبين أسامه وابن العاص كلهم عظيم وكلهم مع ذلك مخالف فى وصف العظمة لسواه ·

تلك هى العظمة التى اتسعت آفاقها وتعددت نواحيها ، حتى أصبح فيها ناحية مقابلة لكل خلق ، وأصبح فيها قطب جاذب لكل معدن ، وأصبحت تجمع اليهـا البـأس والحلم ، والحيلة والصراحة والألمعية والاجتهاد ، وحنكة السن وحمية الشباب ·

تلك هى بلا ريب عظمة العظمات ، معجزة الاعجاز فى باب الصداقات ·

وما استحقها محمد الا بنفس غنيت بالحب وخلصت له حتى أعطت كل محب لها كفاء ما يعطيها : مودة بمودة وصفاء بصفاء ، وعليها المزيد من فضل التفاوت فى الأقدار ·

ولقد كان صاحب الفضل على أصفيائه جميعا بما هداهم اليه من نور العقل ونور البصيرة ، وهما أشرف من نور البصر لانه نعمة يشترك فيها الانسان والعجماوات ، ونور العقل ونور البصيرة نعمتان يختص بهما الانسان ، ومع هذا كان

يذكر فضلهم ويشيد بذكرهم كما قال عن أبى بكر « ما أحد أعظم عندى يدا من أبى بكر : واسانى بنفسه وماله وانكحنى ابنته » ، وكما قال عن أبى بكر وعمر : « أبو بكر وعمر منى بمنزلة السمع والبصر » ، وكما قال عن على : « على أخى فى الدنيا والآخرة » ، وكما قال عن بعض أصحابه : « ان الله تعالى أمرنى بحب أربعة وأخبرنى أنه يحبهم : على منهم ، أبو ذر ، والمقداد ، وسلمان » ، وكما قال عن الأنصار جميعا وهو فى مرض الموت : « استوصوا بالأنصار خيرا • انهم عيبتى التى أويت اليهم ، فأحسنوا الى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » ••• وغير ذلك كثير عن الصحابة كافة وعن بعضهم مذكورين بأسمائهم •

★★★

على أننا نلمس دلائل هذا الفؤاد الرحب وهذا العطف الانسانى الشامل فى معاملته لأعدائه وشانئيه فضلا عن معاملته للأصفياء ، ومن ليس بينهم وبينه عداء ولا صفاء •

فما ثأر من أحد أساء اليه فى شخصه ، وقد عفا عن رجل هم بقتله وهو نائم ورفع السيف ليهوى به فسقط من يده على كره منه ، وما حارب قط أحدا كان فى وسعه أن يسالمه ويحاسنه ويتقى شره •

ومعاملته لعبد الله بن أبى الذى كان المسلمون يسمونه رأس النفاق مثل من أمثلة الاغضاء والصفح الجميل فقد عاهد وغدر ثم عاهد وغدر وعاش ، يكيد للنبى فى سره ويمالىء عليه أعداءه ، وشاع أن النبى عليه السلام قضى بقتله فتقدم ابنه فقال له : « يا رسول الله ، انه بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه ، فان كنت فاعلا فمرنى به فأنا أحمل اليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده منى ، وانى لأخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر الى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله فأقتل رجلا مؤمنا « بكافر فأدخل النار » •

فأبى النبى أن يقتله وآثر الرفق به ، وزاد فى افضاله واجماله فكافأ الولد خير مكافأة على خلوص نيتــه وايثـارم البر بدينه على البر بأبيه • فأعطاه قميصه الطاهر يكفن به آباه وصلى عليه ميتا ووقف على قبره حتى فرغ من دفنه ، وقد حاول عمر أن يثنيه عن الصلاة على ذلك العــدو الذى آذاه جهد الايذاء فذكر الآية :

« استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ..» •

فقـــــال :

«لو أعلم ان زدت على السبعين غفر له زدت» •

هذا النفس المطبوعة على الصداقة والرحمة والسماحة أعجب اتهامهــا بالقســوة عـــلى ألســنة بعض المــؤرخين الأوربيين !

ما أعجب اتهامها بالقســوة لأنها دانت أناسا بالمــوت كما يدين للقاضى مجرما بذنبه وهو أرحم الرحماء ! •

ما أعجبهم اذ يذكرون العقوبة وينســون الذنب الذى استوجب العقوبة كما يستوجب السبب النتيجة وأى ذنب ؟ ذنب لو قوبل به غير محمــد لأراق فيه أنهــارا من الدماء وله حجة من سلطان الدنيا والآخرة •

فلا نذكر استهزاء المشركين به واعناتهم اياه والقاءهم عليه القذر والحجارة وائتمارهم بحيــاته وحيــاة أصحابه واخراجهم المسلمين من ديارهم الى أقصى الديار ، ولا نذكر العناد والاغاظة والاستثارة لغير جريرة الا أنهم دعوا الى عبادة الله والتحلى بمكارم الأخــلاق وترك عبادة الأصــنام وترك الرذيلة .

لا نذكر شيئا من هــذا فهو أطول من أن يضمه هــذا الكتاب ، ولكننا نذكر حادثا واحدا تجمع فيه من اللؤم ما

تفرق فى كثير غيره ، وذلك حادث الرسل الأربعين ـ وقيل السبعين ـ الذين قتلوا فى بئر معونة ولا ذنب لهم الا أنهم ذهبوا تلبية لدعوة الداعين ليعلموا من ينشد علم القرآن والدين ، غير مغضوب عليه ٠

فماذا كانت دول الحضارة صانعة بالقاتلين الغادرين لو كان هؤلاء الأربعون أو السبعون مبشرين بالدين المسيحى قتلوا فى قبيلة من الهمج الذين يأكلون الآدميين ومن حقهم أن يغدروا كما تغدر الوحوش ٠٠ ان بقى من أبناء القبيلة ، يروى أنباء القبيلة ، قد يقال أن القوم لرحماء فى العقاب !

ولم يكن حادث بئر معونة بالحادث الوحيد من حوادث الغدر بالرسل الأبرياء ٠ فعلنا نختم هذا الفصل عن الصداقة بخير ما يختم به حين نشير الى غدر قبيلة هذيل بالرسل الستة الذين ذهبوا اليهم ليعلموا من شاء أن يتعلم أحكام الدين وهو آمن فى داره ، لا اكراه له ولا بغى عليه ٠ فقتلوا جميعا وجىء بأحدهم زيد بن الدثنة أسيرا ليباع فاشتراه صفوان ابن أميه ليقتله بأبيه ونصب للقتل فسأله سفيان مستهزئا ؟ « أنشد الله يا زيد ٠ أتحب أن محمدا الآن عندنا فى مكانك تضرب عنقه وأنت فى أهلك ؟ » فأجابه زيد : « والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانك الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس فى أهلى ٠٠ » ٠

فصاح أبو سفيان دهشا : « ما رأيت الناس أحدا يحبه أصحابه ما يحب أصحاب محمد محمدا ٠٠

من فعلة كهذه نعلم مدى ما استحقه محمد من حب الأصدقاء ومدى ما استحقه أعداؤه من جزاء ما فقد أحبه أصدقاؤه وأحبوه لأنه طبع على الصداقة أما أعداؤه فقد لقوا جزاءهم لأنهم هم طبعوا على العداء والاعتداء .

محمد الرئيس ومعاملته لزوجاته :

الرئيس الصديق :

من الحسن أن نكتب عن محمد الرئيس بعد كتابتنا عن محمد الصديق • لأنه هو قد جعل للرئاسة معنى الصداقة المختارة •

فمحمد الرئيس هو الصديق الأكبر لمرءوسيه ، مع استطاعته أن يعتز بكل ذريعة من ذرائع السلطان •

فهناك الحكم بسلطان الدنيا •

وهناك الحكم بسلطان الآخرة •

وهناك الحكم بسلطان الكفاءة والمهابة •

وكل أولئك كان لمحمد الحق الأول فيه : كان له من سلطان الدنيا كل ما للأمير المطلق اليدين في رعاياه ، وكان من سلطان الآخرة كل ما للنبي الذى يعلم من الغيب ما ليس يعلم المحكومون •• وكان له من سلطان الكفاءة والمهابة ما يعترف به أتباعه أكفأ كفء وأوقر مهيب •

ولكنه لم يشأ الا أن يكون الرئيس الأكبر بسلطان الصديق الأكبر : بسلطان الحب والرضا والاختيار ••

فكان أكثر رجل مشاورة للرجال ، وكان حب التابعين شرطا عنده من شروط الامامة فى الحكم بل فى العبادة •

فالامام المكروه لا ترضى له صلاة ..

وكان يدين نفسه بما يدين به أصغر أتباعه •• فروى أنه كان فى سفر وأمر أصحابه باصلاح شاه • فقال رجل :

يا رسول الله ! على ذبحها وقال آخر : عـلى سـلخها . وقال آخر : على طبخها .. فقال عليه السلام : وعلى جمع الحطب . وقالوا : يا رسـول الله نكفيك العمـل : قال علمت أنكم تكفوننى ، ولكنى أكره أن أتميز عليكم ، ان الله سـبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه » .

وأبى ، والمسـلمون يعملون فى حفـر الخنـدق حول المدينة ، الا أن يعمل معهم بيديه لولا انها سنة حميدة يستنها للرؤساء فى حمـل التكاليف لأعفى نفسـه من ذلك العمـل وأعفاه المسلمون منه شاكرين .

وجعل قضاء حوائج الناس أمانا من عذاب الله أو كما قال : « ان لله تعالى عبادا اختصهم بقضاء حوائج الناس يفزع اليهم الناس فى حوائجهم أولئك « الآمنون من عذاب الله » .

وقد كان أعلم الناس أن الأعمال بالنيات . ولكنه علم كذلك « أن الأمير اذا ابتغى الريبـة فى النـاس أفسدهم » فوكل الضمائر الى أصحابها والى الله ، وحاسب النـاس بما يجدى فيه الحساب .

سمع خصومه بباب حجرته فخرج اليهم فقال : « انما أنا بشر . وانه يأتينى الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صـدق ، فأقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها» .

واليوم يكثر اللاغطون بحرية الفكر ويحسبونها كشفا من كشوف الثورة الفرنسية وما بعـدها ، ويحرمون عـلى الحاكم أن يؤاخذ الناس فيما فكروا به ما لم يتكلمـوا أو يعملوا ويكثون فى كلامهم وعملهم ما يخالف الشريعة .

فهذا الذى يحسبونه كشفا من كشوف العصر الأخير قد جرى عليه حكم النبى قبل أربعة عشر قرنا ، وشرعه لأمتـه فى أحاديثه حيث قال عليه السلام : « ان الله تجاوز لأمتى عما حدثت به نفسها ، ما لم تتكلم به أو تعمل به » .

وزعموا كذلك أن تقديم الرحمة على العدل فى تطبيق الشريعة دعوة من دعوات المصلحين المحدثين لم يسبقوا اليها، وهى هى دعوة النبى العربى التى كررها ولم يدع قط الى غيرها فقال : « ان الله تعالى خلق الخلق وكتب بيده على نفسه ان رحمتى تغلب غضبى » وقال : « ان الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطى عليه مالا يعطى على العنف » وقال : « ان الله تعالى لم يبعثنى معنتا ولا متعنتا ولكن بعثنى معلما ميسرا » وروى عنه غير صاحب من أصحابه أنه ما خير بين حكمين الا اختار أيسرهما ، ما لم يكن فيه خرق للدين ٠

وكان يوصى بالضعفاء ويقول لصحبه : « أبغونى الضعفاء فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم » ، ويذم الترفع على الخدم والفقراء : « ما استكبر من أكل مع خادمه وركب الجمال بالأسواق واعتقل الشاة فحلبها » ٠

لكنه مع الرحمة بالصغير لا ينسى حق الكبير : « من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا » ٠

اذ ليس الانصاف حراما على الكبراء حلالا لمن صغر دون من كبر ، فلكل حق ولكل انصاف ٠ وانزال الناس منازلهم كما أمر قومه هو خير شعار تستقيم عليه الحكومة ، وتنعكس أمور الأمم بانعكاسه ٠

وكان النبى الرئيس يعلم أن الرئاسة لجميع المرءوسين وليست للموافقين منهم دون المخالفين ، فيأمر قومه أن « اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانها ليست دونها حجاب » ٠

واذا قال هذا رئيس ونبى فانها لأولى السنن التى يتبعها الرؤساء كافة ، لأنهم يبعثون لنشر الدين ومحو الكفر كما بعث الأنبياء .

لقد كانت سنة الرئاسة عند محمد هى سنة الصداقة فلو

استغنى حكم عن الشريعة لاستغنى عنها حكم هذا الرئيس الذى جاء بالشريعة لجميع متبعيه ٠

★★★

٢ ـ معاملته لزوجاته :

الكلام عن زوج يستدعى الكلام عن مكانه امرأة عند رجل ، وعن مكانة النساء عامة عند الرجال عامة ٠

وانما تعرف مكانة المرأة التى وصلت اليها بفضل محمد ودينه ، حتى عرفت مكانة المرأة التى استقرت عليها فى الجاهلية ، ومكانة المرأة التى استقرت عليها فى عصره ـ وبعد عصره ـ وبين أمم أخرى غير الأمة العربية ٠

وقياسان اثنان كافيان لبيان الفارق البعيد بين ماكانت عليه المرأة فى الجاهلية وما صارت اليه بعد رسالة محمد ٠

كانت متاعا يورث ويقسم تقسيم السوائم بين الوارثين، فأصبحت بفضل الإسلام ونبيه صاحبة حق مشروع ، ترث وتورث ولا يمنعها الزواج أن تتصرف بمالها وهى فى عصمته كما تشاء ٠

وكانت وصمة تدفن فى مهدها فرارا من عار وجودها ، أو عبئا تدفن فى مهدها فرارا من نفقة طعامها ٠ فأصبحت انسانا مرعى الحياة ينال العقاب من ينالها بمكروه ، ولم تكن فى البلاد الأخرى بأسعد حظا منها فى البلاد العربية فلا نذكر شرائع الرومان واستعبادها النساء ٠ ولا نذكر المتنطعين فى صدر المسيحية وتسجيلهم عليها النجاسة وتجريدهم اياها من الروح ٠

وكفى أن نذكر عصر الفروسية الذى قيل فيه انه عصر المرأة الذهبى بين الأمم الأوربية ، وان الفرسان كانوا يفدون النساء بالدم والمال ٠

فهذا العصر كان كما قال الدارسون له : عصر الحصان قبل أن يكون عصر المرأة أو عصر « السيدة المفداه » ٠

وقد أجملت « جون لا نجدون دافيز » صاحب « التاريخ الموجز للنساء » فقال : أن عصر الفروسية كان معروفا بما لحظ فيه من فقدان الشباب على الجملة الاهتمام بالجنس الآخر ولعلنا نقل من الدهشة لذلك لو أننا وعينا كلمة الفروسية ٠

وذكرنا أنها لم تكن ذات شأن بالسيدات كما كانت ذات شأن بالخيل على خلاف ما يروق الكثيرين أن يذكروه فقلما بلغ الاهتمام بالمرأة مبلغ الاهتمام بالحصان فى عصر الفروسية الا على اعتبار أنها عنوان ضيعة » .

الى القارىء محادثة من كتاب أغلى الآداب والتحيات Chanson de geste يرى فيها أن ابنه أوسيس Auseis جلست فى نافذتها ذات يوم ، فعبر بها فتيان ــ هما جاران وجربرت ٠ وقال أحدهما : « انظر ، انظر يا جربرت : وحق العذراء ما أجملها من فتاة ! » فلم يزد صاحبه على أن قال : « يا لهذا الجواد من مخلوق جميل ! ٠ دون أن يلتفت بوجهه ٠٠ وعاد صاحبه يقول مرة أخرى : « ما أحسبنى رأيت قط فتاة بهذه الملاحة ، ما أجمل هاتين العينين السوداوين ! » ٠ وانطلقا وجربرت يقول : « ما أحسب أن جوادا قط يماثل هذا الجواد » وهى حادثة صغيرة ولكنها واضحة الدلالة : اذ قلة الاهتمام تورث الازدراء ٠٠٠ والحق أن عصر الفروسية يرينا بعض الشواهد الواضحة على هذا الازدراء ٠ واليك مثلا حادثة فى الكتاب المتقدم تروى أن الملكة بلانشفلور ذهبت الى قرينها الملك بيبن Pepin تسأله معونة أهل اللورين ٠ فأصغى اليها الملك ثم استشاط غضبا ولطمها على أنفها بجمع يده ، فسقطت منها أربع قطرات من الدم وصاحت تقول : شكرا لك ، ان أرضاك هذا فأعطنى من يدك لطمة أخرى حين تشاء » ٠

ولم تكن هذه حادثة مفردة لأن الكلمات على هذا النحو كثيرا ما تتكرر كأنها صيغة محفوظة وكأنما كانت اللطمة بقبضة اليد جزاء كل امرأة جسرت في عهد الفروسية على أن تواجه زوجها بمشورة ·

« ··· ومتى كانت المرأة تزف الى زوجها عفو الساعة وكثيرا ما تزف الى رجل لم تره قبل ذاك ، اما لتسهيل المحالفات الحربية والمدد العسكرى ، أو لتسهيل صفقة من صفقات الضياع · ومتى كانت بعد زفافها الى فارس مجنون بالحرب معطل الذكاء قد يكون في معظم الأحوال من الاميين ـ عرضة للضرب كلما واجهته بمخالفة ـ أترى سيدة القصر اذن واحدة لها رحمة أو ملاذ من حياة الشقاء أو من صحبة قرين ليس لها بأهل ؟ » ·

●●●●

ولقد تقدم الزمن في الغرب من العصور المظلمة الى عصور الفروسية الى ما بعدها من طلائع العصر الحديث ، ولما تبرح المرأة في منزله ـ مسفه لا تفضل ما كانت عليه في الجاهلية العربية وقد تفضلها منزلة المرأة في تلك الجاهلية ·

ففي سنة ١٧٩٠ بيعت امرأة في أسواق انجلترا بشلنين لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التى كانت تأويها وبقيت المرأة الى سنة ١٨٨٢ محرومة حقها الكامل في ملك العقار وحرية المقاضاة ·

وكان تعلم المرأة سبة تشمئز منها النساء قبل الرجال ، فلما كانت اليصابات بلاكويل تتعلم في جامعة جنيف سنة ١٨٤٩ ـ وهي أول طبيبة في العالم ـ كان النسوة المقيمات معها يقاطعنها ويأبين أن يكلمنها ، ويذوين ذيولهن من طريقها احتقارا لها كأنهن متحرزات من نجاسة يتقين مساسها .

ولما اجتهد بعضهم في اقامة معهد يعلم النساء الطب بمدينة فلادلفيا الأمريكية ، أعلنت الجماعة الطبية بالمدينة آنها تصادر كل طبيب يقبل التعليم بذلك المعهد وتصادر كل ما يستشير أولئك الأطباء ·

وهكذا تقدم الغرب الى أوائل عصرنا الحديث ، ولم تتقدم المرأة فيه تقدما يرفعها من مراغة الاستعباد التى استقرت فيها من قبل الجاهلية العربية ·

فماذا صنع محمد ؟ وماذا صنعت رسالة محمد ؟

حكم واحد من أحكام القرآن الكريم أعطى المرأة من الحقوق كفاء ما فرض عليها :

وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ (٢٢٨)

البقرة (٢٢٨)

وحكم آخر من أحكامه العالية أمر المسلم باحسان معاشرتها ولو مكروهة غير ذات حظوة عند زوجها :

وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)

النساء (١٩)

وأباح لها الدين في الجهاد أن تكسب كما يكسب الرجال :

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧)

النساء (٧)

ولن يفضل الرجل عليها الا بما كلفه من واجب كفالتها واقامة أودها والسهر عليها .

اما محمد فقد جعل خيار المسلمين خيارهم لنسائهم « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم » .

وأمر بمداراة ضعفها ونقصها لأن « المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة ، فان استمعت لها استمعت بها وبها عوج ، وان ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها » .

وأوجب على الرجل أن يتجمل لامرأته ويبدو لها في المنظر الذى يروقها ، فقال عليه السلام مما قال في هذا المعنى وهو كثير « اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا ، فان بنى اسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم » .

وأوجب على الرجل اذا خطب امرأة أن يظهرها على عيبه ان كان به عيب مستور ! « اذا خطب أحدكم المرأة وهو يخضب بالسواد فليعلمها انه يخضب » .

وبلغ من رعاية شعورها ومداراة خجلها الذى فطرت عليه أنه أوجب على الرجل أن يمتعها كما تمتعه لأنها لا تطلب لنفسها ما يطلبه الرجل منها : « فاذا جامع أحدكم أهله فليصدقها ، ثم اذا أقضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها » .

وكان تأديبه المسلمين فى هذه الصلة غاية فى الكياسة والترفق فقال مما قال فى هذا المعنى : « اذا دخلت ليلا فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمشط الشعثة .. الكيس ، الكيس ! » .

وانما نلخص ما أوجبه على المسلمين عامة فى معاملاتهم لزوجاتهم ، وهو دون ما أوجبه على نفسه فى معاملة زوجاته بكثير ·

فكان يشفق أن يرينه غير باسم فى وجوههن ، ويزورهن جميعا فى الصباح والمساء ، واذا خلا بهن « كان ألين الناس ضحاكا باسما » كما قالت عائشة رضى الله عنها ·

ولم يجعل من هيبة النبوة سدا رادعا بينه وبين نسائه · بل آنسهن برفقه وايناسه أنهن يخاطبن رسول الله فى بعض الأحايين · فكانت منهن من تقول له أمام أبيها : « تكلم ولا تقل الا حقا ·· » ومن تراجعه أو تغاضبه سحابة نهارها · ومن تبلغ من الاجتراء عليه ما يسمع به رجل كعمر بن الخطاب فى شدته ، فيعجب له ويهم بأن يبطش بابنته حفصة لأنها تجترىء كما يجترىء الزوجات الأخريات· واذا رأى النبى غضبا كهذا من جرأة كتلك ، كف من غضب الأب وقال له : « ما لهذا دعوناك ! » ·

وقد كان يتولى خدمة البيت معهن ، أو كما قال : « خدمتك زوجتك صدقة » .

وكان يستغفر الله فيما لا يملك من التسوية بين احداهن وسائرهن وهو ميل قلبه : « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما لا أملك » ·

ولما أقعده مرض الوفاة أن يزورهن كل يوم كما عودهن بعث اليهن فتلطف فى سؤالهن : « أين أنا غدا ؟ أين أنا غدا ؟ ؟ ليقلن عند عائشة ويأذن له فى الاقامة ببيتها ولو أنه أحل لنفسه أن يقيم حيث أقام وهو مريض لما كان فى ذلك من حرج ·

والمعاملة الطيبة فى الزمن الطويل خلق نادر بين الناس ولكنه فى حالة الرضى خلق على يشق فهمه على الكثيرين ·

الا أن الخلق الذي يشق فهمه على الأكثرين ، هو طيب المعاملة عندما تتعرض الحياة الزوجية لأخر ما يمسها من خطر وهو المساس بالوفاء .

في هذه الخصلة تتسامى الحضارة الحديثة ، تتسامى فلا نخالها تحلم بمعاملة أطيب ولا أكرم من المعاملة التي أثرت عن النبي في قصة عائشة بنت الصديق وهي أحظى نسائه لديه ، ونلخصها مما روته بلسانها اذ تقول رضي الله عنها :

« ... كان رسول الله اذا أراد أن يخرج لسفر ، أقرع بين نسائه ، فأيها خرج سهمها خرج بها رسول الله معها . وأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي ، ثم قفلنا من الغزوة الى أن دنونا من المدينة ، فقمت حين أذنوا بالرحيل فتمشيت حتى جاوزت الجيش قضيت من شأني وأقبلت الى الرحل فلمست صدري فاذا عقدي قد انقطع ، فرجعت التمسه فحبسني ابتغاؤه وأقبل الى الرهط الذين كانوا يرحلون لي ، فحملوا هودجي وهم يحسبون أني فيه ، وكانت النساء اذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم . انما يأكلن العلقة من الطعام . فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه اذ كنت مع ذاك جارية حديثة السن .

« ووجدت عقدي فجئت منازل الجيش وليس بها داع ولا مجيب ، فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون الي ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم ، فعرفني حين رآني واسترجع ، فاستيقظت وخمرت وجهي بجلبابي ، ووالله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ وأجلسته وركبتها وانطلق يقودها حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا في نحر الظهيرة .

« فهلك من هلك فى شأنى ، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبى بن سلول .

« واشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون فى قول أهل الافك ولا أشعر بشىء من ذلك .

« . . . ويريبنى أنى لا أعرف من رسول الله اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى . انما يدخل رسول الله فيسلم ثم يقول : كيف يتكلم ! فذاك يريبنى ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقصت وخرجت معى أم مسطح قبل المناصع .

« ثم عدنا فعثرت أم مسطح فى مرطها ، فقالت : تعس مسطح ! »

قلت بئس ما قلت ! أتسبين رجلا قد شهد بدرا ؟

قالت : أى هنتاه ! أولم تسمعى ما قال ؟

قلت وماذا قال ؟

فأخبرتنى بقول أهل الافك . فازددت مرضا الى مرضى، فلما رجعت الى بيتى فدخل على رسول الله فسلم ثم قال : كيف يتكلم ؟ استأذنت أن آتى أبوى . أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لى .

« قالت أمي : يا بنية هونى عليك . فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها خدائر الا كثرن عليها .

« قلت : سبحان الله ! وقد تحدث الناس بهذا ؟ فبكيت حتي أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم .

« ودعا رسول الله على بن أبى طالب وأسامة بن زيد ، يستشيرهما فى فراق أهله فأما أسامة بن زيد فأشار على

رسول الله الذى يعلم من براءة أهله والذى يعلم فى نفسه لهم من الود • وقال لرسول الله : هم أهلك ولا نعلم الا خيرا •

« وأما على بن أبى طالب فقال : لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير ، وان تسأل الجارية تصدقك •

فدعا رسول الله بريرة يسألها : هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟ قالت : والذى بعثك بالحق ان رأيت عليها أمرا قد اعمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها • فتأتى الداجن فتأكله •

« •• وبكيت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتى المقبلة لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ، وأبواى يظنان أن البكاء فالق كبدى •

«فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس وتشهد ثم قال : أما بعد يا عائشة فانى قد بلغنى عنك كذا وكذا ، فان كنت بريئة فسيبرئك الله ، وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه • فان العبد اذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه •

« فلما قضى رسول الله مقالته فاض دمعى حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبى أجب عنى رسول الله ! فقال والله ، ما أدرى ماذا أقول لرسول الله •

« فقلت لأمى : أجيبى عنى ، فقالت كذلك : والله ، ما أدرى ماذا أقول لرسول الله •

« قلت — وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن — انى والله لقد عرفت أنكم سمعتم بهذا حتى استقر فى نفوسكم وصدقتم به : فان قلت لكم انى بريئة ، والله يعلم أنى بريئة لا تصدقون ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى بريئة لتصدقوننى ، وانى والله ما أجد لى ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف : « فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » •

« ثم تحولت فاضطجعت على فراشى ٠

« ٠٠٠ فوالله ما رأم رسول الله مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحى حتى أنه ليتحدر عنــه مثــل الجمان ٠ فى اليوم الشاتى ٠

فلما سرى عن رسول الله وهو يضحك كان أول كلمــة تكلم بها أن قال : أبشرى يا عائشة ! أما الله فقد برأك ٠

« قالت لى أمى : قومى اليه .

« قلت والله لا أقوم اليه ، ولا أحمد الا الله ، هو الذى أنزل براءتى » ٠

فأنزل الله عز وجل :

وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾

النــور ٢٢

فقال أبــو بكر : « والله انى لأحب أن يغفــر الله لى » وأرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفقها عليه ٠

تلك هى القصة التى عرفت بقصة الافك كما روتها لنا السيدة عائشة رضى الله عنها

وهى مسبار صادق يسبر لنا أغوار المروءة والرفق فى معــاملة النبى لزوجاته ، حيث لا رفق ولا مــروءة عنــد الأكثرين ٠ فليس النبى هنا فى حالة من حالات الرضا التى

تسلس الحمية وتثير الحب وتثمر النقمة ، وتثير في النفس البشرية كل ساكنة تدعو الى طيب المعاملة ، فلم يكن في هذه الحالة ألا كريما خالصا بما سلك في أمر نفسه وفي أمر أهله وفي أمر دينه ولم يدع لحالم من حالمي الحضارة الحديثة مرتقى يتطلع اليه في جميع هذه الغايات ٠

سمع النبي حديثا يلاك بين المنافقين ويسري الى المسلمين بل الى خاصة ذويه الأقربين ، حديثا يسمعه رجل كعلي بن أبي طالب في بره وكرم نحيزته ، فلا يرى بعده حرجا من الطلاق والنساء كثيرات ٠

سمع النبي ذلك الحديث المريب فلم يقبله بغير بينة ولم يرفضه بغير بينة وكان عليه أن يعود الى زوجه المريضة أو يجفوها الى حين فعادها وبه من الرفق والانصاف ما يأبى عليه أن يفاتحها في مرضها بما يخامر نفسه الكريمة ٠ وبه من الموجدة والترقب ما أبى عليه أن يقابلها بما كان يقابلها به والنفس صافية كل الصفاء ٠ وظل يسأل عنها سؤال متعتب ينتظر أن تشفى وأن تأتيه بالبينة ، فيشتد كل الشدة أو يرحم كل الرحمة ، ولا يعجله لغط الناس أن يأخذ في هذا الموقف الأليم بما توجبه الحمية وما توجبه المروءة ٠

وسأل من ينبغي أن يسأل : عليا وأسامة وهما بمقام ولديه ، وبريرة الجارية التي كانت تعرف عائشة وتخلص لسيدتها كما تخلص لسيدها وضرة لعائشة تنافسها وتكاد أن تضارعها في خطوتها لديه : زينب بنت جحش التي كانت أسرع من يقول او علمت شيئا يقال فاستعاذت بالله وقلت : « أحمي سمعي وبصري ، والله ما علمت الا خيرا » ٠

واتصل الحديث بعائشة فاستأذنته في زيارة أهلها ، وآن له أن يفاتحها وقد وصل النبأ الى سمعها ٠ ولم يئن له قبل ذلك وهو كاظم ما في فؤاده ، قادر على كتمانه مخافة أن يؤذيها بغير حق وهي تشكو سقامها ٠

فاتحها لتبرىء نفسها أو تستغفر الله ٠

وغضبت غضب البرىء المشكوك فيه ، وانها لبريئة في نظر كل منصف يفهم أن امرأة كعائشة لا تعرض نفسها لهذه الريبة أمام جيش ، وفي وضح النهار ، ولغير ضرورة ، ومع رجل من المسلمين يتقي ما يتقيه المسلم في هذا المقام من غضب النبي وغضب المسلمين وغضب الله ٠ فتلك خلة تترفع عنها من هى أقل من عائشة منبتا ومنزلة وخلقا وأنفة ، فكيف بها في مكانها المعلوم ؟ ٠

إلا أن النبى أراد لها البراءة أمام الخلق عامة وأمام نفسه المحبة ، حذرا أن تكون تبرأته اياها عن محبة وضعف لا عن تبين واستيثاق ، فلما قضى كل حق وانتهى به الاستيثاق الى الثقة كان قد وفى الكرم والحمية والانصار والرحمة أجمعين ٠

نعم ، وفى الرحمة حتي باللاغطين المتعجلين الذين أبدوا أو أعادوا فى ذلك الحديث المريب ٠ وما أحد أرحم ممن يرحم المفترين على سمعة أهله وهناءة بيته وأمان سربه ، ولا يعذر الناس أحدا كما يعذرون نبيا مطاعا ينال فى عرضه ، فينال بالعقاب العدل من استحقوه ٠

★★★

سماحة الكريم :

وقد علمنا من رواية السيدة عائشة كما علمنا من روايات شتى ، أن عبد الله بن أبى بن سلول كان أكبر اللاغطين بحديث الافك عن سوء نية وكيد مبيت للنبى ودينه وكان هذا الرجل كما تقدم فى بعض فصول هذا الكتاب ٠ بغيضا الى المسلمين متهما عندهم يتوجسون منه ويسمونه رأس المنافقين ، ولا يكفون عن طلب دمه واستئذان النبى فى قتله ٠ فما ضر النبى لو خلى بين المسلمين وبينه يحاسبونه

على فريته ويحاسبونه على كيده ، وينقمون لعرض النبى منه ليأمنوا شره ويجعلوه عبرة لغيره ؟ .

واذا قيل ان عبد الله بن أبى كان من أصحاب العصبية التى يحسب حسابها وتتقى بوادرها ، فماذا يقال فى مسطح وهو مكفول أبى بكر وضيعته الذى يأكل من ماله ؟

ما الذى أنجاه من السخط والعقاب وكفل له دوام البر والمعونة لولا سماحة النبى وسماحة أبى بكر وسماحة القرآن؟ على أن العصبية التى كان عبد الله بن أبى يلوذ بها لم تكن لتحميه عقاب النبى لو أراده بعقاب ولو كان أصرم عقاب . فما من عصبية هى أقرب الى رحم الرجل وأولى بالذود عنه من ولده المشهور ببره . وقد أسلفنا ـ ان ولد عبد الله قد تطوع لقتله يوم قيل له ان النبى يهدر دمه ويقضى بموته .

انما هى سماحة الكريم . انما هى السماحة التى شملت مسطحا كما شملت كبير المنافقين ، وخرجت من حديث الافك بالعفو عن جميع المسيئين مخلصين فى الرأى وغير مخلصين ، وهى التى سبرت غورا فى قصة هذا الحديث فتكشفت عن أطيب معاملة للزوجات فى أحرج الحالات ، وتلك هى المعاملة الطيبة فى مثلها الأعلى ، معاملة لا تتبدل بعد أيام وشهور بل تطول مدى السنين ، وتطول مدى السنين مع نساء مختلفات لا مع امرأة واحدة ، وتطول فى جميع الحالات ومنها حالة الألم البالغ ولا تنحصر فى حالة الرضى والطمأنينة ، وأقل من ذلك أمنية يتمناها الحالمون بالوئام بين الأزواج فى العصر الذى وصفوه بعصر المرأة لفرط ما أطنب فيه المطنبون من اكبار شأنها والدعوة الى انصافها .

★★★

تعدد الزوجات :

هنا يعرض لنا الكلام عن تعدد زوجات النبى وهو الهدف الثانى الذى يرميه المشهرون بالاسلام فيكتوون من رميه

كلما تكلموا عن أخلاق محمد عليه السلام وذكروا منها ما يزعمونه منافيا لشمائل النبوة ، مخالفا لما ينبغي أن يتصف به هداة الأرواح ٠

السيف والمرأة ! ٠

كأنهم يريدون أن يجمعوا على النبى بين الاستسلام للغضب والاستسلام للهوى ، وكلاهما بعيد من صفات الأنبياء ٠

أما السيف فقد أسلفنا الكلام فيه ٠

أما المرأة فالظنة فيها أضعف من الظنة فى السيف على ما نراه ، لأن الاستسلام للشهوة آخر شيء يخطر على بال الرجل المحقق ــ مسلما كان أو غير مسلم ــ حين يبحث فى تعدد زوجات النبى ، وفيما يدل عليه ذلك التعدد ، وفيما اقتضاه ٠

قال لنا بعض المستشرقين ان تسع زوجات لدليل على فرط الميول الجنسية ــ قلنا انك لا تصف السيد المسيح بأنه قاصر الجنسية لأنه لم يتزوج قط ٠ فلا ينبغى أن تصف محمدا بأنه مفرط الجنسية لأنه جمع بين تسع نساء ٠

ونحن قبل كل شيء لا نرى ضيرا على الرجل العظيم أن يحب المرأة ويشعر بمتعتها ٠ هذا سواء الفطرة لا عيب فيه ، وما من فطرة هى التى فى طبائع الأحياء عامة من فطرة الجنسين والتقاء الذكر والأنثى ، فهى الغريزة التى تلهم الحى فى كل طبقة من طبقات الحياة ، لا تلهمه غريزة أخرى ٠

أرأيت الى السمك وهو يعبر الماء المالح فى موسمه المعلوم فيطوى آلوفا من الفراسخ ليصل الى فرجة نهر عذب يجدد فيها نسله ثم يعود أدراجه ؟ أرأيت الى العصفور وهو يبنى عشه ويعود من هجرته الى وطنه ؟ أرأيت الى الزهر وهو يتفتح ليغذى الطير والنمل ينقل لقاحه ؟ أرأيت الى سنة

الحياة فى كل طبقة من طبقات الأحياء ، ما هى سنتها ان لم تكن هى سنة الألفة بين الجنسين ؟ وأن يكون سواء الفطرة ان لم يكن على هذا السواء ؟

فحب المرأة لا معابة فيه

هذا هو سواء الفطرة لا مراء ٠

وانما المعابة أن يطغى هذا الحب حتى يخرج عن سوائه وحتى يشغل المرء عن غرضه ، وحتى يكلفه شططا فى طلابه فهو عند ذلك مسخ للفطرة المستقيمة يعاب كما يعاب الجور فى جميع الطباع ٠

فمن الذى يعلم ما صنع النبى فى حياته ثم يقع فى روعه أن المرأة شغلته عن عمل كبير أو عن عمل صغير ؟ من من بناة التاريخ قد بنى فى حياته وبعد مماته تاريخا أعظم من تاريخ الدعوة المحمدية والدول الاسلامية ؟ ومن ذا الذى يقول إن هذا عمل رجل مشغول ؟

عم شغلته المرأة ؟ ومن ذا تفرغ لعظيم من المسعى فبلغ فيه شأن محمد فى مسعاه ؟

فان كانت عظمة الرجل ، قد أتاحت له أن يعطى الدعوة حقها ويعطى المرأة حقها فالعظمة رجحان وليست بنقص ، وهذا الاستيفاء السليم كمال وليس بعيب ٠ ورسالة محمد اذن هى الرسالة التى يتلقاها أناس خلقوا للحياة ولم يخلقوا نابذين لها ولا منبوذين منها فليست شريعة هؤلاء بالشريعة المطلوبة فيما يخاطب به عامة الناس فى عامة العصور ٠

وأعجب شىء أن يقال عن النبى انه استسلم للذات الحسية وقد أوشك أن يطلق نساءه أن يجبرهن فى الطلاق لأنهن طلبن اليه المزيد من النفقة وهو لا يستطيعها ٠

فقد شكون — على فخرهن بالانتماء اليه — انهن لا يجدن نصيبهن من النفقة والزينة ، واجتمعت كلمتهن على الشكوى

واشتددن فيهـا حتى وجم النبى وهم بتسريحهن أو تخيرهن بين الصبر على معيشتهن والتسريح .

وذهب اليه أبو بكر يوما « يستأذن عليه فوجد النـاس جلوسا لا يؤذن لأحد منهم . ثم دخل أبو بكر وعمر من بعده فوجـدا النبى جالسا حـوله نسـاؤه واجما ساكتا . فأراد أبو بكر أن يقول شيئا يسرى عنه ، فقال : يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتنى النفقة !! فقام أبو بكر الى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر الى حفصة يجأ عنقها ويقولان .

« تسألن رسول الله ما ليس عنده ؟ فقلن : «والله لا نسأل رسول الله شيئا أبدا ليس عنده » .

ثم اعتزلهن الرسول شهرا وتسعة وعشرين يوما فنزلت بعدها الآية التى فيها التخيير وهى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

الأحزاب ٢٨ ، ٢٩

فبدأ الرسول بعائشة فقال لها : يا عائشة ! انى أريد أن أعرض عليك أمرا أحسب ألا تعجلى فيه حتى تستشـيرى أبويك .. » قالت : « وما هو يا رسول الله ؟ » فتـلا عليها الآية قالت :

فيك يا رسول الله أستشير أبوى ؟ بل أختار الله والدار الآخرة .. » .

ثم خير نساءه كلهن فاجبن كما أجابت عائشة ، وقنعن بما هن فيه من معيشة كان كثير من زوجات المسلمين يظفرن بما هو آنعم منها .

علام يدل هذا ؟

نساء محمد يشكون قلة النفقة والزينة ، ولو شاء لأغدق عليهن النعمة وأغرقهن فى الحرير والذهب وأطايب الملذات .

أهذا فعل رجل يستسلم للذات حسه ؟

أما كان يسيرا عليه أن يفرض لنفسه ولآهله من الإثقال والغنائم ما يرضيهن ولا يغضب المسلمين وهم موقنون ان ارادة الرسول من ارادة الله ؟

وماذا كلفه الاحتفاظ بالنساء حتى يقال انه كان يفرط فى ميله الى النساء ؟ هل كلفه أن يخالف ما يحمد من سننه أو يخالف ما يحمد من سيرته أو يترخص في ما يرضاه أتباعه ولا ينكرون عليه ؟ لم يكلفه شيئا من ذلك ، ولم يشغله عن جليل أعماله وصغيرها ، ولم نر هنا رجلا تغلبه لذات الحس كما يزعم المشهرون ، بل رأينا رجلا يغلب تلك الملذات فى طعامه ومعيشته وفى ميله الى نسائه فيحفظها بما يملك منها ولا يأذن لها أن تسومه ضريبة مفروضة عليه ، ولو كانت هذه الضريبة بسطة فى العيش قد ينالها أصغر المسلمين ، ولا شك فى قدرة النبى عليها لو أراد .

رجل الجد والرصانة :

وهكذا نبحث عن الرجل الذى توهمه المشهرون من مؤرخى أوروبا ، فلا نرى الا صورة من أعجب الصور التى تقع فى وهم واهم .

نرى رجلا كان يستطيع أن يعيش كما يعيش الملوك ويقنع مع هذا بمعيشة الفقراء ثم يقال انه رجل غلبته لذات حسه ! ٠

ونرى رجلا تألبت عليه نساؤه لأنه لا يعطيهن الزينة التى يتحلين بها لعينيه ثم يقال انه رجل غلبته لذات حسه ٠

ونرى رجلا آثر معيشة الكفاف والقناعة على ارضاء نسائه بالتوسعة التى كانت فى وسعه ثم يقال انه رجل غلبته لذات حسه ٠

ذلك كلام لو شاء المشهرون أن يرسلوه كلاما مضحكا مستغربا لأفلحوا فيما قالوه أحسن فلاح ٠ أو لعله أقبح فلاح !

ويزيد فى غرابته أن الرجل الذى توهموه ذلك التوهم لم يكن مجهولا قبل زواجه ولا بعد زواجه فتخبط فيه الظنون ذلك الخبط الذريع ٠

فمحمد كان معروف الشباب قبل قيامه بالدعوة الدينية كأشهر ما يعرف فتى من قريش وأهل مكة ٠

كان معروفا من صباه الى كهولته ، فلم يعرف عنه أنه استسلم للذات الحس فى ريعان صباه ، ولم يسمع عنه أنه لها كما يلهو الفتيان حين كانت الجاهلية تبيح مالا يباح ٠٠ بل عرف بالطهر والأمانة واشتهر بالجد والرصانة ٠٠ وقام بالدعوة بعدها ، فلم يقل أحد من شانئيه والناعين عليه والمنقبين وراءه عن أهون الهنات : تعالوا يا قوم فانظروا هذا الفتى الذى كان من شأنه مع النساء كيت وكيت يدعوكم اليوم الى الطهارة والعفة ونبذ الشهوات ٠٠ كلا ، لم يقل أحد هذا قط من شانئيه وهم عديد لا يحصى ، ولو كان لقوله موضع لجرى على لسان ألف قائل ٠

ولما بنى بأولى زوجاته ــ خديجة ــ لم تكن لذات الحس هى التى سيطرت على هذا الزواج لأنه بنى بها وهى فى

نحو الأربعين وهو فى نحو الخامسة والعشرين ونيف على الخمسين وأوتى الفتح المبين وليس له من زوجة غيرها ولا من رغبة فى الزواج بأخرى ٠

ولم يكن وفاؤه لها بقية حياته وفاء المرء لذات حس أو ذكرى متاع جميل لأنه فضلها على عائشة فى صباها وهى أحب نسائه اليه ، وكانت عائشة تغار منها فى قبرها فلم يكتمها قط أنه يفضلها عليها ٠

قالت له مرة : هل كانت الا عجوزا بدلك الله خيرا منها ؟ فقال لها غاضبا : « لا والله ما بدلنى الله خيرا منها ٠ آمنت بى اذ كفر الناس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء » ٠

فلهذا أحب خديجة ووفى لها وفضلها ولم يمح ذكراها من نفسه قط من أعقبتها من الزوجات الفتيات : وفاء قلب وليست لذات حس ولا ذكرى متاع جميل ٠

أسباب تعدد زوجاته :

ولو كانت لذات الحس هى التى سيطرت على زواج النبى بعد وفاة خديجة ، لكان الأحجى بارضاء هذه الملذات أن يجمع النبى اليه تسعا من الفتيات اللاتى اشتهرن بفتنة الجمال فى مكة والمدينة والجزيرة العربية ، فيسرعن اليه راضيات فخورات ، وأولياء أمورهن أرضى منهن وأفخر بهذه المصاهرة التى لا تعلوها مصاهرة ٠

لكنه لم يتزوج بكرا قط غير عائشة رضى الله عنها ، ولم يكن زواجه بها معقودا فى بداءة الأمر حتى رغبته فيه خولة بنت حكيم التى عرضت عليه الزواج بعد وفاة خديجة ٠

قالت عائشة رضى الله عنها : « لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان ابن مظعون للنبى « أن رسول

الله ! « ألا يتزوج ؟ » قال : « من؟ » « قالت : « ان شئت بكرا وان شئت ثيبا ؟ » قال : « فمن البكر ؟ » قالت : « بنت احب الناس اليك ، عائشة بنت أبى بكر » قال : « فمن الثيب ؟ » قالت : « سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك » .

ثم كانت سودة هى أولى النساء اللاتى بنى بهن بعد وفاة خديجة ، وكان زوجها الأول ابن عمها — قد توفى بعد رجوعه من الهجرة الى الحبشة . وكانت هى من أسبق النساء الى الاسلام ، فامنت وهجرت أهلها وغاب زوجها الى الحبشة فرارا من اعنات المشركين له ولها . فلما مات لم يبق لهـا الا أن تعود الى أهلها فتصبأ وتؤذى ، أو تتزوج بغير كفء أو بكفء ، لا يريدها . فضمها النبى اليه حماية لها وتأليفا لأعدائه من أهلها . وكان غير هذا الزواج أولى به لو نظر الى لذات حس ومال الى متاع .

وكانت للنبى زوجة أخرى سمت بالوضاءة والنقاء وهى زينب بنت جحش ابنة عمته عليه السلام التى زوجها زيدا ابن حارثة بأمره وعلى غير رضى منها ، لأنها أنفت — وهى ذات الحسب والقرابة من رسول الله — أن يتزوجها غلام عنيف .

هذه أيضا لم يكن « للذات الحس » المزعومة سلطان فى بناء النبى بها بعد تطليق زيد اياها وتعذر التوفيق بينهما ، ولو كان للذات الحس سلطان فى هذا الزواج لكان أيسر شىء على النبى أن يتزوجها استباء ولا يروضها على قبول زيد وهى تأباه . فقد كانت ابنة عمته يراها من طفولتها ولا يفاجئه من حسنها شىء كان يجهله يوم عرض عليها زيدا وشدد عليها فى قبوله . فلما تجافى الزوجان وتكررت شكوى زيد من اعراضها عنه وترفعها عليه واغلاظها القول له كان زواج النبى بها « حلا لمشكلة » بيتيه بين ربيب فى منزلة الابن وابنة عمه أطاعته فى زواج لم يقرن بالتوفيق .

أما سائر زوجاته عليه السلام فما من واحدة منهن — رضى الله عنهن — الا كان لزواجه بها سبب من المصلحة

العامة أو من المروءة والنخوة دون ما يهزىء به المرجئون من لذات الحس المزعومة ٠

فأما سلمة كانت كهلة مسنة يوم خطبها ، كما قالت له معتذرة اليه لاعفائه من تكاليف نفسه ان يتزوجها ، جبرا لخاطرها بعد موت زوجها عبد الله المخزومى من جرح اصابه فى غزوة آحد ٠

ولما برح بها الحزن لوفاته واساها رسول الله قائلا : «سلى الله آن يؤجرك فى مصيبتك ، وآن يخلفك خيرا» فقالت: « ومن يكون خيرا من ابى سلمة ؟ » فأوجب على نفسه خطبتها لأنها تعلم آنه خير من آبى سلمة ، ولأنه يعلم أن آبا بكر وعمر خطباها فترفقت بالاعتذار ، وهما أعظم المسلمين قدرا بعد النبى عليه السلام ٠

وجويرية بنت الحارث سيد قومه كانت احدى السبايا فى غزوة بنى المصطلق فتزوجها النبى لعتقها ويحض المسلمين على عتق آسراهم وسباياهم تفريجا عنهم وتأليفا لقلوبهم ، فأسلموا جميعا وحسن اسلامهم ، وخيرها أبوها بين العودة اليه والبقاء فى حرم رسول الله فاختارت البقاء فى حرم رسول الله ٠

وحفصة بنت عمر بن الخطاب مات زوجها فعرضها أبوها على آبى بكر فسكت وعلى عثمان فسكت وبث عمر آسفه للنبى فلم يكن للنبى عليه السلام آن يضن على وليه وصديقه بالمصاهرة التى شرف بها آبا بكر من قبله ، وقال : يتزوج حفصة من هو خير من آبى بكر وعثمان ٠

ورملة بنت آبى سفيان تركت أباها لتسلم وتركت وطنها لتهاجر مع زوجها الى الحبشة ، ثم تنصر زوجها وفارقها وهى غريبة هناك بغير عائل ٠ فأرسل النبى الى النجاشى فى طلبها لينقذها من ضياع الغربة وضياع الأهل وضياع القرين ٠ فكانت النجدة الانسانية باعث هذا الزواج ولم يكن له باعث من المتعة والاستزادة من النساء ،

وكان للنبى مقصد جليل من هذا الزواج الذى لم يفكر فيه حتى ألجأته النجدة الى التفكير فيه ، وهو أن يصل بينه وبين أبى سفيان بآصرة النسب عسى أن يهديه ذلك الى الدين ، بما يعطف من قلبه ويرضى من كبريائه ٠

وكان اعزاز من ذلوا بعد عزة سنة النبى عليه السلام فى معاملة جميع النـاس ولا سـيما النسـاء اللاتى تنكسر قلوبهن فى الذل بعد فقد الحماة والأقرباء ، ولهـذا خـير صفية اليهودية سيدة بنى قريظة بين أن يلحقهـا بأهلها وأن يعتقها ويتزوج بها ٠ فاختارت الزواج منه عليه السلام٠ وآية الآيات فى رعاية الشعور الانسانى انه عليـه السـلام انتشب صفية بلالا لأنه مر بها وبابنة عمها على قتلى اليهود ٠ فقال له مغضـبا : « أنزعت الرحمـة من قلبك حين تمـر بالمرأتين على قتلاهما ؟ » واحتقرتها زينب فلقبتهـا يـوما باليهودية فهجرها شهرا لا يكلمها ليأخذ بناصر هذه الغريبة ويدفع عنها الضيم ٠

تتكشف لنا مراجعة الحياة الزوجية لمحمد عليه السـلام عن هذه الأسباب وشبيهاتها من دواعى اختيـاره لنسـائه واستجماعه لهذا العدد من الزوجات فى حين واحد ٠

ولا حرج ــ كما أسلفنا ــ على رجل قويم الفطرة أن يلتمس المتعة فى زواجه ٠ ولكن الذى حدث فعلا أن المتعة لم تكن قط فى مقدمة الاعتبار عنـد نظر النبى فى اختيـار واحدة من زوجاته قبل الدعوة أو بعدها وفى ابان الشـباب أو بعد تجاوز الكهولة ٠

وآخر صورة يتصورها المنصف هنا هى صـورة رجـل فرغ للذاته وجلس ينتقى واحدة بعد واحدة من الحسان على حسب ما يرجوه عندها من متاع ٠ فانما كان الاختيار كله على حسب حاجتهم الى الايواء الشريف أو على حسب المصلحة الكبرى التى تقتضى باتصال الرحم بينه وبين سادات العرب وأساطين الجزيرة من أصدقائه وأعدائه ، ولا استثناء من هذه

الخصلة لزوجة واحدة بين جميع زوجاته حتى التى بنى بها فتاة بكرا موسومة بالجمال ، وهى السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه ٠

الا آن المشهرين المتقولين نسوا كل حقيقة من حقائق هذه الحياة الزوجية التى سجلت لنا بأحدث تفصيلاتها ، ولم يذكروا الا شيئا واحدا جرفوه عن معناه ودلالته ، ليفتروا على النبى ما طاب لهم أن يفتروه وذاك أنه جمع فى وقت واحد بين تسع زوجات ٠

ونسوا آنه اتسم بالطهر والعفة فى شبابه فلم يستبح قط لنفسه ما كان شباب الجاهلية يستبيحونه لانفسهم من اللهو المطروق لكل طارق ، فى غير مشقة عندهم ولا معابة ٠

ونسوا انه بقى الى نحو الخامسة والعشرين لم يتعسف فى طلب الزواج الحلال وهو ميسر له تيسره لكل فتي وسيم حسب منظور اليه بين الأسر وبين الفتيات ٠

ونسوا أنه لما تزوج فى تلك السن ، كان زواجه بسيدة نحو الأربعين اكتفى بها الى أن توفيت وهو يجاوز الخمسين ٠

ونسوا آنه اختـار أحسـابا فى حاجة الى التـالف آو الرعاية ولم يختر جمالا مطلوبا للمتاع ٠

ونسوا آن الرجل الذى وصفوه بما وصفوا من تغليب لذات الحس ، لم يكن يشبع فى بعض أيامه من خبز الشعير ، ولم يجـاوز حياة القناعة قط لارضـائه نساءه وارضـاء نفسه ، ولو شاء لما كلفه ارضاء نفسه . وارضاؤهن غـير القليل بالقياس الى ما فى يديه ٠

نسوا كل هذا وهو ثابت فى التاريخ ثبوت عدد النساء اللاتى جمع بينهن عليه السلام فلماذا نسوه ؟

نسـوه لأنهـم أرادوا أن يعيبـوا وأن يتقولوا وأن ينحرفوا عن الحقيقة ، وقد كانت رؤية الحقيقة آيسر لهم

من الانقياد عنها ، لو أنهم أرادوها وتعمدوا ذكرها ولم يتعمدوا نسيانها ٠

عاشرا : الأب (الآبوة الروحية والابوة النوعية) :

حفظ النوع سر من أسرار الحياة الكبرى التي دقت عن الفهم وحارت في تعليلها عقول الأساطين من العلم والحكمة ٠

وهو لا ريب يجرى على قانون مطرد في جميع طبقات الأحياء وان كنا نحن لا نعلم كنهه ولا نسبر عمقه ، ولا نزيد على استقصاء بعض الملاحظات التي تقارب الحقيقة ، أو هي أقرب ما نستطيع الوصول اليه ٠

وأهم هذه الملاحظات التقريبية أنه يجرى على سنة المكافأة والتعويض في معظم حالاته ، فيقابل النقص في جانب بالزيادة في جانب آخر ويقابل القصور في مزية من المزايا بالاتقان في مزية أخرى ٠

فالأحياء السفلى عرضة للعطب الكثير في طور الولادة والحضانة ، فيقابل هذا أن الأحياء السفلى ترسل ذرياتها بالألوف وألوف الألوف فيبقى منها القليل الكافى لدوام النوع بعد فناء الكثير ٠

والأحياء العليا يقل عدد المولود منها فيالبطن الواحد٠ فيقابل هذا أن تطول حضانتها والعناية بها ، وتجد من وسائل الصيانة ما يعوض الكثرة في الأحياء السفلى ٠

ويغلب أن يزيد النسل حين تكون زيادة النسل هي الوسيلة التي يستطيعها الفرد لخدمة نوعه وضمان دوامه ٠ فاذا تيسرت للفرد وسائل مختلفة لخدمة نوعه ، فقد يجوز ذلك على نسله وينتقص من قسمته في أبنائه ، كأنما خدمة النوع ضريبة مفروضة على كل فرد بصورة من الصور ، فاذا أداها في صورة أعفى منها في الصور الأخرى ، أو كأنما هي مواهب وأرزاق لا يستوفيها الفرد الواحد الا بثمن غال يحسب عليه ويؤدى حسابه للنوع على نحو من الأنحاء ٠

والانسان هو اقدر المخلوقات الحية على خدمة نوعه بوسائل كثيرة لا تنحصر فى تجديد النسل وزيادة عدده ٠

فهل يجوز لنا أن نقول ان العظماء الذين حرسوا النسل قد أدوا ضريبتهم باصلاح شئون الناس فلم يبق من اللازم المفروض عليهم ان يؤدوا هذه الضريبة عن طريق الذرية ؟

ان قلنا ذلك فانما نقوله على سبيل الملاحظة التقريبية التى آشرنا اليها ، ولا نبلغ بتلك الملاحظة فوق مبلغها من اليقين الذى تستحقه ، فغاية مبلغها عندنا انها تستوقف النظر للتأمل والمراجعة ولا تقضى بنا الى الجزم أو الى التغليب :

وبعض العظماء الذين تزوجوا لم يرزقوا الذرية ، أو يرزقوا ذرية كلها اناث ، أو رزقوا ذرية كلها اناث وذكور لم يعيشوا ، أو عاشوا ولم يعمروا ولا كانوا على حالة مستحبة من الصحة والنجابة ٠

وتواريخ العظماء فى جميع نواحى العظمة ، وفى جميع الأمم ، وفى جميع العصور ، حافلة بالشواهد التى تعزز تلك الملاحظة وتجعلها خليقة بالتأمل والمراجعة ، يدخل فيهم القديسون كما يدخل فيهم الحكماء ويدخل فيهم العلماء كما يدخل فيهم رجال الفنون والمخترعون ، ويدخل فيهم القادة العسكريون والشكليون ولا يصعب على أحد أن يدين بصره الى فترة من الزمن فى بلد قريب يعرفه حق المعرفة ليشاهد مصداق ذلك من نفر من عظمائه ومشهوريه ، وحسبنا فى مصر أسماء جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، وسعد زغلول ، وعبد الله نديم ، ومصطفى كامل ، ومصطفى فهمى ، محمود سامى البارودى ، وحافظ ابراهيم ٠

فاذا جاز لنا أن نقف عنـد تلك الملاحظة وأن نتـأمل مغزاها ، وجاز لنا أن نفهم أن اصلاح شئون النوع الانساني ضريبة تغنى عن ضريبة الذرية فى بعض الأحوال ـ فأين ترانا نجد تلك الضريبة فى أرفع حالة وأغلى قيمة ان لم نجدها في رسالة نبوية تتناول الأجيال بعد الأجيال، وتتناول الملايين فى كل جيل ، وأى أبوة انسانية تغنى عن أبوة اللحم والدم كما تغنى أبوة النبى الذى يتكفل بتربية الأرواح فى أمته ، وفى أمم لا يلقاها في زمانه ، وأمم لا تزال تستجد بعد زمانه الى أقصى الزمان ؟ نذكر هـذا حـين تذكر حظ محمد من الابوة الروحية ومن الابوة النوعية ، ونرى تكافؤا فى الجانبين جديرا بالملاحظة والاعتبار ٠

ألا ما أثقل ثمن الاصلاح !

الا ما أحق المصلحين بالتمجيد وحسن الجزاء ٠

فمحمد الأب كان أصلح الآباء ، ثم فجع فى بنيه فجيعة لا يدارى فيها ألم الانسان الا صبر الأنبياء ومن النـاس من لا يكون صديقا صالحا ولا سيدا صالحا ولا زوجا صالحا ولكنه أب صالح بر ببنيه لأن الرحم بين الآباء والأبناء أدنى الأرحام الى المودة وأحراها بتحريك الشفقة فيمن لا يشفق على أحد فكيف تكون الأبوة فى نفس صلحت للصداقة وصلحت للسيادة وصلحت للزوجية لأنها تصـلح للعطف الذى يعـم القريب والغريب ٠٠ ويشمل القوى والضعيف ؟

ذلك أب تعلم كيف يفرح بأبنائه ٠

وتعلم كيف يحزن حين يفجع فى أولئك الأبناء ٠

ومن الراجح أن العطف الأبوى لم يتمثل قط فى مولد أحد من أبناء محمد عليه السلام كما تمثل فى مولد ابنه الذى سماه باسم جده الأكبر أملا فى أن يصبح بعده خليفته الأكبر ٠

ولعل العطف الأبوى قد تمثل فى تشييع هـذا الطفـل الصغير أشد من تمثله فى استقباله يوم ميلاده .

كانت أسباب كبيرة توحى الى قلب محمد العظيم شوقه الطويل الى استقبال ذلك الوليد .

كان منها أن محمدا عربى يحرص على العقب من بعـده كحرص كل رجل من أبناء القبائل وأصحاب العصبية . هم فخورون بالنسب فخورون بالعقب ، يحفظون سيرة السلف ويتوقون الى استبقاء الخلف على نحو لا يعهده الحضريون ، وان كان حب الذرية فطرة مركبة فى جميع الطبـاع ومحمد كان يحب التكاثر لنفسه ويحبه لأمته ويوصى المسلمين أن يستكثروا من النسل ما استطاعوا ليفاخر بهن الأمم وفرة وعزة .. فاشتياقه الى العقب من الذكور خليقـة عربيـة تقترن بالخليقة الانسانية والخليقة النبوية ، فتزداد قوة على قوتها التى ركبت فى جميع الطباع .

وكان من أسباب هذا الشوق القوى طول العهد بالأبناء وبعد أن ولدتهم له السيدة خديجة رضى الله عنها ، وشـماتة أناس من شـانئيه سـماه بعضهم بالأبتر لانقطـاع معظـم نسله ، وفى ذلك نزول الآية الكريمة :

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾
الكوثر ٣

فقد مضى نيف وعشرون سنة لم تلد له فى خلالها زوجة من زوجاته . ومات فى هذه الفترة كل أولاده ما عدا فاطمة رضى الله عنهـا التى ماتت بعـده بقليـل : مات القـاسم والطاهر طفلين ، وماتت زينب ورقية وأم كلثـوم بعد أن تزوجن ولم يتعوض من فقدهن ما يعزيه بعض العزاء .

فجيعة تضاعف الشوق الى الوليد المأمول ·

وطول انتظار يضاعف الحب له كما يضاعف الشوق اليه ، ولسنا ندرى لم طالت الفترة التي مضت على أزواج النبي عليه السلام جميعا بغير عقب · ولكننا لا نستبعد تعليلها باجتماع المصادفات التي لا يندر أن تجتمع في أمثال هذه الأحوال · فعائشة البكر التي لم يتزوج النبي بكرا غيرها قد مات عنها عليه السلام وهي دون العشرين وهي سن قد تبلغها المرأة ولا تلد · وان كانت ولودا فيما بعدها ·

أما أزواجه الأخريات اللائي تزوجن قبله فلا نعلم من أخبارهن أنهن أعقبن لأزواجهن الأولين خلفا غير رملة أم حبيبة وهند بنت أمية المخزومية ، وهذه كانت مسنة يوم بني بها النبي عليه السلام ، وفي عمر لا يستغرب فيه امتناع الولادة ·

فكلهن ما عدا هاتين لم يلدن للنبي ولا لزوج قبله - واجتماع هذه المصادفة ليس بالعجيبة المعضلة التي يصعب تعليلها اذا تذكرنا أن النبي قد توخى في اختيارهن تلك الأغراض العامة التي أجملناها في الفصل السابق ولم يتحر منها النسل خاصة وهي الايواء الشريف والمصاهرة · وبعضهن ـ بل معظمهن ـ قد لقينا من الشدائد والمخاوف وعناء الهجرة البعيدة ، ما يعقم المولود ·

فاذا أضفنا الى ذلك معيشة الكفاف وضريبة العظمة النبوية التي أشرنا اليها على سبيل الاحتمال ، واشتغال النبى فيما بين الخمسين والستين بتعزيز الدين وقمع الفتن ودرء الأخطار ـ لم يكن منهم تلك الظاهرة الحيوية بالأمر العصى على التعليل ·

حـــزن الأبـــوة :

طال اشتياق النبى الى الوليد المأمول ، وتجدد اشتياقه فى اثر كل زواج حتى جاءته مارية القبطية من قطر بعيد ومن معدن غير المعدن الذى يختار لايواء المحزونات وتقريب الأسر والعصبيات • فبشرت النبى بعقب لعله غلام ، واجتمع فى هـذه البشارة اشـتياق نيف وعشرين سـنة • ورجاء لا ينتهى بانتهاء الزمان •

وولد ابراهيم •

ولد الطفل الذى نظر أبوه اليه يوم مولده فامتد به الامل مئات السنين أو ألوف السـنين وتخير له الاسـم الذى وراءه أعقاب كأعقاب جده الاعلى ليكون أبا ويكـون له احفـاد ، ويكون لأحفاده من بعدهم أحفاد • ثم مات ذلك الطفل الصغير ومات ذلك الأمل الكبير •

مات كلاهما والأب فى الستين ، أى صـدمة فى ختـام العمر ؟ أى أمل فى الحياة ؟ الدين قد تم ، وهذه الاصرة قد انقطعت ، فليس فى الحياة ما يستقبل وينتظر : كل ما فيها للاشاحة والادبار •

مات الطفل ولما يدرك السنتين • مصاب صغير ان كانت المصائب تقاس بسنوات المفقودين ولكن المصائب فى الأعزاء انما تقاس بمبلغ عطفنا عليهم ، والصغير أحوج الى العطف من الكبير المستقل بشأنه •

وانما تقاس بمبلغ تعويلهم علينا ، وتعويل الصغير على وليد أكبر من تعويل الكبير وانما تقاس بمبلغ الأمل فيهم • والأمل يطول فى بداءة الطـريق وقد يقصر فى منتصـف الطريق •

انما تقاس آلام المفقـودين بأعمـار الفاقدين • وأى

مصاب أفدح من مصاب الستين وما بعدها في الأمل الوحيد الواصل بينها وبين الزمان : ماضيه وآتيه ؟

ما تخيلت محمدا في موقف أدني الى القلوب الانسانية من موقفه على قبر الوليد الصغير ذارف العينين مكظوم الوجه ضارعا الى الله ·

نفس قد نفثت الرجاء في نفوس الألوف بعد الألوف ، وهى فى ذلك الموقف قد انقطع لها رجاء عزيز رجاء وأسفاه لا يحييه كل ما ينفثه المصلح في الدنيا من رجاه ·

وكأنى بمحمد كان يومئذ أقرب الى قلوب المخالفين من بعده مما كان مع الجالسين حوله ، ومع أقرب الناس اليه ·

وكان أقرب الناس اليه زوجاته أمهات المسلمين ، وكن يحببنه غاية ما يحب النساء الأزواج، ولكن حبهن اياه لم يكن في هـذا المـوقف من المقـربات العاطفات ، لأنه حب آثار غيرتهن من أم الوليد المأمول فاحتجب من عطفهن بمقدار تلك الغيرة وبمقدار ذلك الحب · ولا لوم عليهن فيما طبع عليـه الانسان وفيما لا يعقدنه ولا يقدرن عليه ·

وكان أقرب الناس اليه أصحابه الخاشعون بين يديه · وكان اكبارهم لسيد الأنبياء ينسيهم أنه أب من الآباء ، بل انه أب أرحم من سائر الآباء ·

ظنوا أن النبى لا يحزن · كما ظنوا أن الشجاع لا يخاف ولا يحب الحياة وأن الكريم لا يعرف قيمة المال لكن القلب الذى لا يعرف قيمة المال لا فضل له في الكرم ، والقلب الذى لا يخاف لا فضل له في الشـجاعة ، والقلب الذى لا يحـزن لا فضل له في الصبر · انما الفضل في الحزن والغلبة عليه، وفى الخوف والسمو عليه ، وفى معرفة المال والايثار عليه ·

وفضل النبى في نبوته وفى أبوته أنه حـزن وبكى ، وتلك هى الصلة بينـه وبين قلب الانسـان ، وبينـه وبين

الناس ، وأى نبى تنقطع بينه وبين القلب الانسانى صلة كهذه الصلة التى تجمع شتات القلوب ؟

روى أسامة بن زيد أن زينب بنت النبى أرسلت اليه « ان ابنتى قد حضرت فأشهدنا ، فأرسل اليها السلام ويقول (ان لله ما أخذ وما أعطى ، وكل شىء عنده مسمى فلتتحسب ولتصبر ، فأرسلت تقسم عليه . فقام النبى ﷺ وقمنا . فرفع الصبى فى حجر النبى ونفسه تقعقع ، ففاضت عينا النبى ﷺ . فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : هذه رحمة وضعها الله فى قلوب من شاء من عباده ولا يرحم الله من عباده الا الرحماء .

ما هذا يا رسول الله ؟ هذا رسول الله فى أصدق ما تكون عليه رسالة الرسل : فى الرحمة وفى الانسانية ، وغير هذا لن يكون .. ومحمد قد انقى رؤية طفل يموت لابنته وهو كهل غير يائس من العقب فكيف يكون حزنه على فلذة كبده ابراهيم وهو بعده ذاهب الرجاء فى الأبناء .

لقد كان حزنه لموته بمقدار فرحته بمولده . وكان فرحه بمولده بمقدار أمله فيه واشتياقه اليه وان العطف الانسانى كله ليتجه الى تلك النفس الزكية وهى تتوسع فرحا بالوليد المأمول .. حلق الأب المتهلل شعر وليده وتصدق بزنته فضة على المساكين ، وذلك هو التوسع الذى وسعه رجل كان أقدر الرجال على وجه البسيطة، غير مستثنى فيها برؤساء ولا ملوك .

جاء بأقصى ما عنده من الفرح وأقصى ما عنده من التوسعة . ولو شاء لقد كان وزن الوليد كله درا وجوهرا بعض ما يستطيع ذلك اليوم الأغر الميمون . وبمقدار هذا الفرح الطغوى يوم الاستقبال : كان الحزن الفظيع يوم الوداع .

خرج الرجل الذى اضطلع بأعباء الدنيا من فيها وهو لا يضطلع بحمل قدميه ، خرج يتوكأ على صديق عطوف الى حيث يحمل الوليد آخر مرة فى حجره الأبوى قبل أن يودعه حجر التراب ٠ وكان يستقبل الجبل بوجهه ٠ فقال : يا جبل لو كان بك مثل ما بى لهدك ٠ ولكن انا لله وانا اليه راجعون ٠

اى والله انها لاحدى النواقر التى يحملها اللحم والدم ولا تحملها صخور الجبال ٠

وصرخ آسامة حينما بكى رسول الله ــ فنهاه رسول الله وقال « البكاء من الرحمن والصراخ من الشيطان » ، حزن كما ينبغي له أن يحزن ٠ أما الحزن الذى لا ينبغى له فهو الصراخ الذى نهى عنه وهو أن تتكسف الشمس يوم موت ابراهيم ، فيحسب المسلمون أنها انكسفت لموته ، ويقول الأب الذى انكسفت الشمس حقا فى عينيه « كلا ٠ ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته ! أو تخسفان ولكن فى أكباد المحزونين ، وليس فى كبد السماء ٠

★★★

أكرم الآباء :

أو كان من المحتم أن يكون محمد مثال الآباء كما كان مثال الأنبياء ؟ كذلك شاء القدر القادر ، وكذلك رأينا محمدا مثال الأب يوم ولد ابراهيم ٠ ومثال الأب يوم ذهب عنه ابراهيم ٠

ما يتمنى طفل ٠ لو جاز أن يتمنى الأطفال ــ آبوة أرحم ولا أزكى من هذه الابوة فى الحالتين بل كان محمد مثال الأب حيثما كان له نسل قريب أو بعيد ، وذكر أو أنثى

وصغير او كبير ارأيت الى الحسن بن فاطمة وقد دخل عليه فركب ظهره وهو ساجد فى صلاته ؟

أن النبى فى صلاته لهو النبى فى مقامه الأسنى ٠ وان النبى فى مقامه الأسنى ليشفق أن يشغل الصبى عن لعبه فيطيل السجدة حتى ينزل الصبى عن ظهره غير معجل ٠ ويسأله بعض أصحابه : لقد أطلت سجودك ؟ فيقول : ان ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله ٠ أرأيت الى فاطمة تدخل البيت ، أشبه الناس مشية بمشية محمد ؟ أرأيت الى حنان يفيض على القلب كحنانه حيث يرى فتاة تشبه أبا فى مشيته وسمته ؟ تلك فاطمة بقية الباقيات من الأبناء والبنات ، يختصها النبى بمناجاته فى عشية وفاته ٠

انى مفارق الدنيا فتبكى ٠ انك لاحقة بى فتضحك ٠٠ فى هذا الضحك وفى ذلك البكاء على برزخ الفراق بين الدنيا والآخرة أخلص الود والحنان بين الآباء والأبناء ٠

سرها بنبوته ، وسرها بأبوته ، فضحكت ساعة الفراق لأنها ساعة الوعد باللقاء وكذلك فارق الدنيا أكرم الأنبياء وأكرم الآباء ٠

★★★

العـــــابد

الطبائع الأربع :

طبيعة العبـادة ، وطبيعة التفـكير ، وطبيعة التعبير الجميل ــ وطبيعة العمل والحركة ٠

هذه طبائع أربع تتفرق في الناس ، وقلما تجتمع في انسان واحد على قوة واحدة ٠ فاذا اجتمعت معـا فواحـدة منهن تغلب سائرهن لا محالة ، وتلحق الأخريات بها في القوة والدرجة على كل شيء من التفاوت ٠

طبيعة العبادة تدعـونا الى الاتصـال بأسرار الكـون للمعاطفة والتآلف بيننا وبينهـا ٠ تدعونا الى الحلـول من الكون في أسرة كبيرة ٠ وطبيعة التفكير تدعونا الى الاتصـال بأسرار الكون للفهم والكشف والاستقصاء تدعونا الى الحلول من الكون في معمل كبير ٠ وطبيعة التعبير الجميل ستشب النار المقدسة في سرائرنا فتصهر معادن الجمال من هـــذه الدنيا وتفرغها في قوالب حسناء من صنع قرائحنا وألسنتنا أو صنع قرائحنا وأيدينا أو صـنع قرائحنـا وأوصالنا ، تدعونا الى الحلول من الكون في متحف كبير ٠

وطبيعة العمل والحركة ٠ تعلمنا كيف نتأثر بدوافع الكون وكيف نؤثر فيها ، وتجذبنا اليها فنستمد منها القدرة التي تجذبها الينا : تدعونا الى الحلول من الكون في ميدان صراع ومضمار سباق وقلما تشـعر بالـكون مبيتا لأسرة ، ومعملا لباحث ، ومتحف فن ، ومضمار سباق في وقت واحد ــ انما هي حالة من هذه الحالات تجب سائر الحالات ، وقد تلحقها بها الحاق التابع بالمتبوع والمساعد بالعامل الأصيل ٠

محمد بن عبد الله كانت فيه هذه الطبائع جميعا على نحو ظاهر في كل طبيعة : كان عابدا ومفكرا وقائلا بليغا وعاملا يغير الدنيا بعمله . ولكنه عليه السلام كان عابدا قبل كل شيء ومن أجل العبادة قبل كل شيء كان تفكيره وقوله وعمله ، وكل سجية فيه .

تهيأ للعبادة بميراثه ونشأته وتكوينه فولد في بيت السدانة والتقوى . وتقدمه آباء يؤمنون ويوفون بايمانهم ويعتقدون ويخلصون فيما اعتقدوه ..

ونشأ يتيما من طفولته . فانطوى على نفسه وتعود التأمل والجد والعزوف عن عبث الصغار ، والنظر الى ما حوله بعين الناقد المترفع عن الدنايا . الجانح الى الطهر واستقامة الضمير .

وتكون في بنيته عابدا من صباه . قيل انه في الثانية أو الثالثة من عمره ، قد أدركته حالة يختلف شراح التاريخ في تفسيرها . ويرويها من سمعوا بها على روايات مختلفات لا ندرى ما هو الواقع الصحيح منها . ويتعجل بعض المؤرخين الأوربيين ، فيحسبها ضربا من الصرع على غير سند علمى أو تاريخى محقق يستند اليه كل ما يمكن أن نجزم به من هذه الحالة أو من غيرها ، أن محمدا قد تكون ليتلقى الوحى الالهى . وأن لهذا التكوين استعدادا لابد أن يلحظ من أوائل صباه ، لأن البنيه الحية لن تتهيأ له فى أيام ولا فى شهور ولا فى سنوات ، ولن تستطيعه الا اذا تمت أهبتها له والمولود فى صلب أبيه ، ولا نقول فى المهد أو فى الرضاع .

فمن الأقوال المتواترة أنه كان عليه السلام اذا نزل عليه الوحى نكس رأسه ، وكرب لذلك وتربد وجهه ، وأخذته البرحاء حتى أنه ليتحه ومنه مثل الجمان فى اليوم الشاتى ، وسمع عند وجهه كدوى النحل ، وقد يصدع فيغلب رأسه بالحناء ، وقد شاب فقال « شيبتنى هود وأخواتها » وعدد حين سئل عن أخواتها سورا أخرى من القرآن الكريم .

وليس هذا من خليقة كل نبية انسانية : انما هو خليقة النبية التى تتلقى وحيا وتستوعب سرا وتهتز لنبأ عظيم .

★★★

صفة العابد :

وكان أوصافه فى غير حالة الوحي توافق الاستعداد الذى يرشحه لتلقى الوحي والنبوة . فكان حسا كله وحياه كله : يراه ينظر اليه فيرى فؤادا يقظا يتنبه لكل خالجة نفسية ، وكل نبأة خفية . يسرع فى مشيته ويلتفت فيلتفت بكل جسمه ، ويشير فيشير بكل كفه . ويفكر فلا يزال يطرق الى الأرض أو يرفع بصره الى السماء . ويدعو فيرفع يديه حتي يرى بياض ابطيه ويغضب فتحمر عيناه ووضباه ويمتلىء غرق جبينه ينام وقلبه يقظ لا ينام . حس مرهف يدنى اليه ما وراء الحجاب ويوقظ سريرته لأخفى البواطن ، ويجعله أبدا فى حالة قريبة من حالة الوحي حينما هبط الوحي عليه .

هذه صفة عابد يفكر ويعبر ويعمل . ليست بصفة عابد ينقطع للعبادة أو ينقطع للتفكير ، أو يعمل كما يعمل بعض النساك الذين هزلت بنيتهم الجسدية فلم يبق لهم الا عكوف الصومعة أو رحلة الزهادة .

كانت عبادة محمد خلوا بالنفس الى حين ، أو عجبا من بدائع الكون التى ألفها الناس لأنهم لم يوهب لهم فى أبصارهم وبصائرهم تلك النظرة الجديدة التى ترى كل شىء كأنه فى خلق جديد .

ما أعظم دهشة الناظر أن يرى الشمس قد خلقت اليوم أمام عينيه . دهشة لا تعدلها دهشة وهى هى دهشة العين التى أبت أن تكل من الألفة لأنها أبدا فى نظر جديد ، أو فى

نظر الى كل منظور كأنه مخلوق جديد وهكذا كانت عبادة محمد عليه السلام . عجب من بدائع الكون في كل نظرة كأنه يراها لأول مرة . وتفكير في الخلق ينتهي الى الايمان لأنه يبدأ بالعجب ، ولا يزال أبدا بين العجب والايمان . وان محمدا باعث الايمان الى القلوب . لقد كان يجدد ايمانه كما يجدد عجبه كل يوم . وكان يدعو الله فيقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » وقيل له في ذلك فقال « انه ليس آدمي الا وقلبه بين اصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ » .

حركة متجددة في الحس وفي الفكر وفي الضمير فلا انقطاع عن الحس للعبادة كل الانقطاع ولا انقطاع عن الحس للتفكير كل الانقطاع . وانما هو تفكير من ينتظره العمل . وليس بتفكير من ترك العمل ليوغل في الفروض ومذاهب الاحتمال والتشكيك . ثلث أيامه لربه . وثلثها لأهله . وثلثها لنفسه . وما كان في فراغه لنفسه ولا لأهله شيء يخرجه عن معنى عبادة الله والاتصال بالله على نحو من التعميم . يهره الجمال من صباه : جمال الشمس والقمر والنهار والليل والروض والصحراء وجمال الوجوه التي يلمح عليها الحسن فيطلب عندها الخير . انما هو الخير على كل حال .

ما قد طلب من الجمال . انما جمال الله هو الذي قد كان يدعوه اليه ، كلما نظر الى خلق جميل .

فكر في الخلق فآمن بالخالق واستقر هنالك لا يتقدم ولا يتأخر ، فقال : « ان الشيطان يأتي أحدكم فيقول : من خلق السماء ؟ فيقول : الله ، فيقول من خلق الأرض؟ فيقول: الله ، فيقول : من خلق الله ؟ فاذا وجد ذلك أحدكم فليقل : آمنت بالله ورسوله » .

تلك هي نهاية التفكير التي ينتهي اليها عقل مستقيم خلق لعبادة عامل ، وتعليم الناس عبادة وعملا ، ولم يخلق ليوغل في الفروض ويتقلب بين الشكوك .

وانا لنسأل مع هـذا : الى أين انتهى المفـكرون الذين أوغلوا في شكوكهم وتطوحوا بهـا الى قصوى ما تفرضـه الفروض ؟ •

الى آين انتهى « كانت » Kant امام المفكرين فى هذا الباب بين فلاسفة العصر الحـديث ، ان لم نقل الحـديث والقديم ؟

انتهى الى آن النفس نفسان والوجود وجودان : نفس حسية ونفس حقيقية • ووجود محسـوس ووجود حق هـو ذات الوجود •

النفس الحقيقية تدرك الوجود الحقيقى عندما ترجع الى قرارها ، ثم لا تتخطى بادراكها عالم البـاطن الى عالـم المحسوسات التى يتناولها التعبير وتصدير الكلام •

أليس معنى هذا آن ايمان النفس الباطنة أمر لا يتعلق بالبرهان ؟ وأن المرجع غاية المـرجع انمـا هـو الايمـان ولا شيء غير الايمان ؟

بل حتى البرهان الأكبر على وجود الله نعود اليه لنسأله ونسمع منه ، فماذا يقول ؟

يقول لنا ان العدم معدوم فالوجود اذن موجود ، وانك اذا آمنت بالوجود فلا مناص لك من الايمان به في صـفته المثلى ، لأنك تحتاج الى مقتضى لفرض النقص ولا تحتـاج الى مقتضى لفرض الكمال في وجود لا يتطرق اليه العدم •

وما الفارق بين الايمان بالله والايمـان بالوجـود في صفته المثلى ؟

وهنا ينتهى الايغال فى الفروض والشكوك ••

وهنا انتهى الايمان ، بغير ايغال في فروض ولا شكوك

لا تتلاقى النهايتان ، أو لا تضل الفروض والشـكوك حيث نضل ثم لا يخطو لها قدمان وراء خطو الايمان •

هذه السنة التى استنها النبى عليه السلام فى عبادته الروحية كثرت وصاياه بادمان التفكير فى خلق الله واجتناب التفكير فى ذات الله · فقال فى حديث : تفكروا فى آلاء الله ولا تتفكروا فى الله » ·

وقال هذا المعنى : « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فتهلكوا » وقال فى حديث قدسى :

« كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق فعرفت » ·

أو كما جاء فى رواية ، « فخلقت الخلق فبى عرفونى» ·

طريق الوصول :

وخلاصة هذه الأحاديث وما فى معناها أن التفكير فى حقائق الوجود هو طريق الوصول الى الله ولا طريق غيره للحواس ولا للعقل ولا للبديهة : ايمان بالوجود الأبدي فى صفته المثلى · وتفكير فى حقائق الوجود كما نراها ونحسها ونعقلها ، وذلك قصارى ما عند العقيدة ، وقصارى ما عند الفلسفة ، وقصارى ما عند العلم ، اذ يقف العلم عند حده وهذا هو العلم الذى فرضه الاسلام على كل مسلم ومسلمة · وقال النبى فى رواية ابن عباس : « انه أفضل من الصلاة والصيام والحج والجهاد فى سبيل الله ، لأنه سبيل الوصول الى الله » ·

ومن الواجب أن نذكر بعد هذا جميعه أن محمدا نبى ، وأن النبى يعلم جميع الناس الايمان وتلك سبيل جميع الناس فيما يفتح لهم من أبواب التفكير وأبواب الاعتقاد فهم يضلون فى تيه الشكوك والمناقضات التى يتعمق فيها الفلاسفة والمنطقيون ولا يبلغون الى هداية أقوم وأسلم من هداية الأيمان بالخالق والتفكير فى الخليقة فاما هذه الهداية واما الضلال الذى لا هداية وراءه · وليس لنبى أن يحجب طريق الهداية ويفتح طريق الضلال ·

وقد تكلمنا فى هـذا الفصل عن روح العبـادة أو عن فطرة العابد التى توحى اليه (عبادته الروحية) ٠

أما عبادة الشعائر الظاهرة فهى عبادة الاسلام كمـا فرضت على جميع المسلمين : يصلى النبى ويصوم ويحج ويؤدى الزكاة على الشريعة التى يتبعها كل مسلم ، وقد يطلب الى نفسه فى هذه العبادات ما ليس يطلبه الى غيره ٠ على سنة السماحة والتيسير التى أثرت عنه فى كل عمل من أعماله وكل سجية من سجاياه ٠

فكان أخف الناس صلاة على الناس وأطول الناس صلاة لنفسه وربما قام الليل أكثره أو أقله ولا يدين أحد بالتهجد كما كان يتهجد ، أو بالصلاة والصيام كما كان يصلى ويصوم ٠

بل قد غضب من الناس يتشددوا فى العبادة فيصبحوا كالمنبت « لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » لأن الناس جميعا يتلقون الأمر بالعبادة كما يتلقون الأمر بفريضة واجبة ، فهم فى حاجة الى الرفق والتيسير ٠

أما النفس المفطورة على العبادة فالصلاة عندها مناجاة حب وفرحة لقاء ، ومطاوعة لميل الضمير وميل الجوارح على السواء ٠

وكان محمد « اذا حزبه أمر صلى » ٠

كذلك اذا حزب الأمر نفسا رجعت الى من تحب فخف وقرها وانفرج كربها ، وأنست بعد وحشة واهتدت بعد حيرة ٠

ومتى وجدت النفس « فرحة اللقاء » فى الصلاة فلا اجهاد فيها لجسد ولا تضييق فيها لوقت بل فيها الترويح عن الجهد والتنفس عن الضيق ٠ ولا سيما اذا كانت النفس من سعة الأفق بحيث تحيى ما تحيى من ليلها ونهارها فى الصلاة والعبادة ثم تؤدى عملها وتفكر تفكيرها ، ولا يحسب

أحد يعرفها أنها تنقطع بالصلاة العبادة عن حق من حقــوق حياتها ، أو عن حق من حقوق بني الانسان ·

الرجـــل المختــــار :

عاش في العصور الماضـية كثير من العظمـاء الذين تواترت الأنباء بأوصافهم السماعية وأوصـافهم المرسـومة فى الصور والتماثيل غير أننـا لا نعـرف أحـدا من هؤلاء العظماء تمت صورته السماعية أو المنقولة كما تمت صورة محمد عليه السلام من رواية أصحابه ومعـاصريه ، فنحن نعرفه بالوصف خيرا من معرفتنا لبعض المخلدين بصـورهم وتماثيلهم التى نقلت عنهم نقل الحكاية والمطابقة ، لأن هذه الصور والتماثيل قد تحـكي للنـاظرين ملامح أصـحابها ومعارفهم الظاهرة ، وقد تحكي للمتفرسين شيئا من طبائعهم التى تفهم عليها سيماهم ، الا أنها لا تحفظهم لنا كما حفظت الروايات المتواترة أوصـاف النبى فى كل حالة من حالاته وكل لمحة من لمحاته فى سـيماه وفى هنـدامه ، وفى شرابه وطعامه ، وصلاته وجياته وحلة ومقامه وسكوته ، لأن الذين وصفوه وأحبوه وأحبوا أن يقتدوا به فتحرجوا فى وصفه كما يتحرج المرء فى الاقتداء بصفات النجاة والأخذ بأسباب السـلامة ، فكانت أمانة الوصـف هنـا مزيجـا من العطف والتدين وضربا من اتباع السنن وقضاء الفروض لم يختلف الوصف مرة الا كما تختلف نظرة الناظر الى وجه واحد بين ساعة وأخرى فيقول غير ما قال آنفا ثم لا يبـدو التنـاقض ولا أقصد التحريف بين القولين ·

وخلاصة المحفوظ من الروايات المتواترة أن النبى عليه السلام كان مثلا نادرا لجمال الرجولة العربية كان كشأنه فى جميع شمائله مستوفيا للصفة من جميع نواحيها · فرب رجل وسيم غير محبوب غير مهيب ، ورب رجل وسيم يحبه الناس

ويهابونه وهو لا يحب الناس ولا يعطف عليهم ولا يبادلهم الولاء والوفاء ، أما محمد عليه السلام فقد استوفى شمائل الوسامة والمحبة والمهابة والعطف على الناس • فكان على ما يختاره واصفوه ومحبوه ، وكان نعم المسمى بالمختار •

اذا نظر اليه الناظر رأى رجلا أزهر اللون عظيم الهامة • مفاض الجبين ، مسبط الشعر أزج الحاجبين بينهما عرق يدره الغضب ، أدعج العينين فى كحل • أقنى الأنف يحسبه من لم يتأمله ، أشم العرنين ، أسيل الخد ضليع الفم ، غزير اللحية • جميل الجيد ، عريض الصدر ، واسع ما بين المنكبين ، ضخم الكراديس ، طويل الزندين ، رحب الراحة خشن الكفين والقدمين ، لا بالمشذب ولا بالقصير ، مربوعا أو أطول من المربوع ، معتدل الخلق ، متماسكا ليس بالبدين ولا بالنحيل •

واذا أقبل يتحرك نظر اليه الناظر فرأى رجلا يصفه الأقدمون بأنه « حى القلب » ويصفه المحدثون « بالحركة الحيوية » •

يمشى فكأنما ينحدر من جبل أو ينحط من صبب ، ويرفع قدمه فيرفعها تقلعا كأنما ينشط بجملة جسمه ، ويلتفت فيلتفت كله ، ويشير فيشير بكفه كلها ، ويتحدث فيقارب يده اليمنى من اليسرى ويضرب بابهام اليمين راحة اليسرى ، ويفتتح الكلام بأشداقه ويختمه بأشداقه ، وربما حرك رأسه وعض شفتيه فى أثناء كلامه • وهو على هذه الحركة الحية جم الحياء أشد حياء من العذراء ، فضاح المحيا ، اذا كره شيئا عرف ذلك فى وجهه واذا رضى تطلعت أساريره وتبين رضاه ••

واقترن النشاط والحياء بالقوة والمضاء فى هذه البنية الجميلة •• فكان عليه السلام يصرع الرجل القوى ويركب الفرس عاريا فيروضه على السير • ويداعب من يحب بالمسابقة فى العدو • قالت عائشة رضى الله عنها « خرجت مع النبى ﷺ فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل

اللحم . فقال ﷺ للناس : « تقدموا ! فتقدموا » . ثم قال : « تعالى حتي أسابقك » فسابقته فسبقته فسكت .

« حتى اذا حملت اللحم وكنا فى سفرة آخرى قال ﷺ : « للناس تقدموا فتقدموا » ثم قال : « تعالى أسابقك فسابقته فسبقنى فجعل ﷺ يضحك ويقول هذه بتلك » .

وهذا بعد أن قارب الستين . انها لمسابقة تنم على فتوة الروح فوق ما نمت عليه فتوة الأوصال .

وتجلت هذه الأريحية فى علاقته لكل انسان من خاصة أهله أو من عامة صحبه فرقت حاشية جده حتى عطفت على كل آسى ، ورحمت كل ضعف ، وامتزجت بكل شعور .

قال أنس بن مالك رضى الله عنه « دخل النبى عليه السلام على أمى فوجد أخى أبا عمير حزينا : فقال يا أم سليم، ما بال أبى عمير حزينا ؟ فقالت يا رسول الله : مات نغيره تعنى طيرا كان يلعب به فقال ﷺ « أبا عمير ما فعل النغير ؟ » وكان كلما رآه قال له ذلك .

وهذه قصة صغيرة تفيض بالعطف والمروءة من حيثما نظرت اليها فالسيد يزور خادمه فى بيته . ويسأل أمه عن حزن أخيه . ويواسيه فى موت طائر ولا يزال يرحم ذكراه كلما رآه .

ومثل هذا عطفه على الضعف البشرى فى رجل مثل عبد الله الخمار . الذى لقب بهذا اللقب لما اشتهر به من السكر والدعابة ، فكان النبى عليه الصلاة والسلام يجده فى الخمر ولا يتمالك أن يضحك منه .

قبوله للدعابة :

وكان نعيمان بن عمرو أشهر الأنصار بالدعابة ، لا يقبل منها أخذا ولا يراه النبى فيتمالك أن يبتسم . وربما

قصد النبى ببعض هذه الدعابات لطمعه فى حلمه وعلمه بموقع الفكاهة من نفسه ٠

جاء اعرابى الى رسول الله فدخل المسجد وأناخ راحلته بفنائه فقال بعض الصحابة لنعيمان لو نحرتها فأكلناها ؟ فأنا قد حرمنا الى اللحم ، ويغرم النبى ﷺ حقها فنحرها نعيمان وخرج الاعرابى فرأى راحلته فصاح : « واعقراه يا محمد » فخرج النبى يسأل « من فعل هذا » قالوا : « نعيمان » ٠٠ فاتبعه النبى حتى وجده بدار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب قد اختفى في خندق وجعل عليه الجريد ٠ فأشار اليه رجل ورفع صوته ٠ « ما رأيته يا رسول الله » وهو يشير باصبعه الى حيث هو ، فأخرجه رسول الله وقد تعفر وجهه بالتراب فقال ما حملك على ما صنعت ؟ قال والذين دلوك على يا رسول الله هم الذين أمرونى : « فجعل رسول الله يمسح عن وجهه التراب ويضحك ٠ ثم غرم بثمن الراحلة ٠

ونعيمان هذا هو الذى باع عاملا لأبى بكر الصديق وهو يعلم أن النبأ واصل الى النبى لا محالة ٠

سافر أبو بكر الى بصرى تاجرا ومعه نعيمان وسويط بن حرملة عامله على زاده فجاء نعيمان وطلب اليه طعاما فأباه عليه حتى يأتى أبو بكر ٠ فأقسم نعيمان ليغيظنه ٠

وذهب الى قوم فقال لهم « تشترون منى عبدا ؟ » قالوا « نعم » قال : « انه عبد له كلام ، وهو قائل لكم : لست بعبده ، أنا رجل حر ٠٠ الى أشباه ذلك ، فان كان اذا قال لكل هذا تركتموه فلا تشتروه ولا تفسدوا على عبدى ٠ قالوا : لا بل نشتريه ولا ننظر فى قوله » فاشتروه منه بعشر قلائص ٠ ثم أراهم اياه فوضعوا عمامته فى عنقه ولم يحفلوا بقوله ، وجعلوا كلما قال لهم ٠ « أنا حر ٠ انه يتهزأ ولست أنا بعبده فسخروا منه وقالوا : بل عرفنا خبرك فدع عنك

اللجاجة . فلما جاء أبو بكر سأل عنه فقص عليه نعيمان قصته . وذهبوا جميعا ليلحقوا بالقوم فيفتدوه ويعيدوه ثم قدموا على رسول الله فضحك من فعله نعيمان وجعل بذكرها حولا كاملا كلما رآه ومن معه التمس أن ينهض الرجل بعظائم الأمور بل بأعظمها جدا ووفاء وهو اقامة الأديان واصلاح الأمم وتحويل مجرى التاريخ ثم يطيب نفسا للفكاهة ويطيب عطفا على المتفكهين ويشركهم فيما يشغلهم من طرائف الفراغ . فللجد صرامة تستغرق بعض النفوس فلا تنفع لهذا الجانب اللطيف من جوانب الحياة . ولكن النفوس لا تستغرق هذا الاستغراق الا دلت على شيء من ضيق الحظيرة، ونقص المزايا وان نهضت بالعظيم من الأعمال فاستراحة محمد الى الفكاهة هي مقياس تلك الآفاق النفسية الواسعة التي شملت كل ناحية من نواحي العاطفة الانسانية ، وهي المقياس الذي يبدى من العظمة ما يبديه الجد في أعظم الأعمال .

وكان محمد يتفكه ويمزح كما كان يستريح الى الفكاهة والمزاح ، وكان دأبه في ذلك كدأبه في جميع مزاياه .

يعطي كل مزية حقها ولا يأخذ لها من حق غيرها ، أو يعطي الفكاهة حقها ولا ينقص بذلك من حق الصدق والمروءة . فعبد الله الخمار كان يجد من قلب النبي عطف القلب الكبير على نقيصه الضعف في الرجل السكير ، ولكنه كان يجد من تأديب النبي جزاء الشارب الذي يخالف الدين ويخل تماديه بالشريعة ، عطف يحمل النبي على أحسن ما يكون ، لأنه يحمل بالانسان على أحسن ما يكون ، لأنه يجمل بالانسان على أفضل ما يكون .

واذا مزح محمد فانما كان يعطي الرضى والبشاشة حقهما ولا يأخذ لهما من حق الصدق والمروءة . فكان مزاحه آية من آيات النبوة لأنه كان كذلك آية من آيات الانسانية ، ولم يكن بالنقيض الذى يستغرب من نبى كريم .

قال لعمته صفية : لا تدخل الجنة عجوز ! فبكت · فقال لها وهو يضحك : الله تعالى يقول :

﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝ ﴾

الواقعة ٣٥ ــ ٣٧

ففهمت ما أراد وثابت الى الرضى والرجاء ·

وطلب اليه بعضهم أن يحمله على بعير ، فوعده أن يحمله على ولد الناقة ، فقال يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة ! فقال : « وهل تلد الابل الا النوق » ؟ ·

وكان عليه السلام يقول لحاضنته السمحاء أم أيمن وهي عجوز : « غطي قناعك يا أم أيمن » ·

وسمعها في يوم حنين تنادي بلكنتها الأعجمية : « ثبت الله أقدامكم ! » فلم تنسه الغزوة القائمة أن يصغي اليها ويداعبها بين نذر الحرب وصليل السيوف ، وأقبل عليها يقول : « اسكتي يا أم أيمن فانك عسراء اللسان ! » · فكانت هذه الدعابة في ذلك الموقف المرهوب كأنها تربيت سيد الفصحاء على تلك اللكنة البريئة ·

★★★

القسم الثانى

معجـــزاتــه

انقسمت المعجزات الى كثير من الدلائل . وهذه الدلائل معنوية وحسية .

أولا : الدلائل المعنوية :

(١) القرآن الكريم :

فمن المعنوية : انزال القرآن عليه ﷺ ، وهو أعظم المعجزات ، وأبهر الأيات ، وأبين الحجج الواضحات .. لما اشتمل عليه من التركيب المعجز الذى تحدى به الانس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك مع توافر دواعى أعدائه على معارضته ، وفصاحتهم وبلاغتهم .. ثم تحداهم بعشر سور منه فعجزوا – ثم تنازل الى التحدى بسورة من مثله ، فعجزوا عنه وهم يعلمون عجزهم وتقصيرهم عن ذلك ، وان هذا ما لا سبيل لأحد اليه أبدا ، قال تعالى :

قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

الاسراء (٨٨) مكية

وهذه الآية مكية

وقال فى سورة الطور وهى مكية :

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾

الطور (٣٣ ، ٣٤)

أى ان كنتم صادقين فى أنه قاله من عنده ، فهو بشر مثلكم ، فأتوا بمثل ما جاء به فانكم مثله .

وقال تعالى : معيدا للتحدى :

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

البقرة (٢٣ ، ٢٤) مدنية

وقال تعالى :

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

هود (١٣ ، ١٤)

وقال تعالى :

وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾

يونس (٣٧ ، ٣٩)

فبين تعالى أن الخلق عاجزون عن معارضة هذا القرآن : بل عن عشر سور مثله ، بل عن سورة منه وأنهم لايستطيعون ذلك أبدا كما قال تعالى : (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) ·· أى فان لم تفعلــوا فى المــاضى ولن تســتطيعوا ذلك فى المستقبل ·· وهذا تحد ثان ، وهو أنه لا يمكن معارضتهم له لا فى الحال · ولا فى المآل ·

ومثل هذا التحدى انما يصدر عن واثق بأن ما جاء به لا يمكن للبشر معارضته ولا الاتيان بمثله ، ولو كان من يتقول من عند نفسه لخاف أن يعارض فيفتضح ويعود عليه نقيض ما قصده من متابعة الناس له ·

ومعلوم لكل ذى لب أن محمدا ﷺ من أعقل خلق الله ، بل أعقلهم وأكملهم على الاطلاق فى نفس الأمر ·· فما كان ليقدم على هذا الأمر الا وهو عالم بأنه لا يمكن معارضته ، وهكذا وقع ، فانه من لدن رسول الله ﷺ والى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتى بنظيره ولا نظير سورة منــه ، وهــذا لا سبيل اليه أبدا ·· فانه كلام رب العالمين الذى لا يشبهه شىء من خلقه ، لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ·· فأنى يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق ؟ !!

وقول كفار قريش الذى حكاه الله تعالى عنهم فى قوله :

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾

الانفال (٣١)

كذب منهم ودعوى باطلة بلا دليل ولا برهان ولا حجة ولا بيان ·· ولو كانوا صادقين لأتوا بما يعارضه ، بل هم يعلمون كذب أنفسهم فى قولهم :

وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾

الفرقان (٥)

قال الله تعالى :

﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾
الفرقان (٦)

أى أنزله عالم الخفيـات ، رب الأرض والسـموات ، والذى يعلم ما كان وما يكـون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ·· فانه تعالى أوحى الى عبده ورسـوله النبى الأمى الذى كان لا يحسن الكتابة ولا يدريها بالكليـة ، ولا يعلم شيئا من علم الأوائل وأخبار الماضيين ، فقص الله عليه خبر ما كان وما هو كائن على الوجه الواقع سواء بسواء ·

وهو فى ذلك يفصل بين الحق والباطل الذى اختلفت فى ايراده جملة الكتب المتقدمة ، كما قال تعالى :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

هـود (٤٩)

قال الله تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ ﴾

طه (٩٩ ـ ١٠١)

قال الله تعالى :

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ

المائدة (٤٨)

وقال تعالى :

وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩) وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢)

العنكبوت (٤٨ ـ ٥٢)

فبين سبحانه أن نفس انزال هذا الكتاب المشتمل على علم ما كان وما يكون وحكمه ما هو كائن بين الناس ، على مثل هذا النبى الأمى وحده ، كان من الدلالة على صدقه ·

وقال تعالى :

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾

يونس (١٥ ـ ١٧)

انى لا أطيق تبديل هـذا من تلقاء نفسى ، وانما الله عز وجل هو الذى يمحو ما يشاء ويثبت وأنا مبلغ عنـه ، وأنتم تعلمون صـدقى فيما جئتـكم به ، لأنى نشـأت بين أظهركم ، وأنتم تعلمون نسبى وصدقى وأمانتى ، وأنى لم أكذب على أحد منكم يوما من الدهر ، فكيف يسعنى أن أكذب على الله ـ عز وجل ـ مالك الضر والنفع ، الذى هو على كل شىء قدير ، وبكل شىء عليم ؟ !!

وأى ذلك عنده أعظم من الكذب عليه ، ونسبه ما ليس منه اليه ؟ !!

كما قال تعالى :

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾

الحاقة (٤٤ ـ ٤٧)

اى لو كذب علينا لانتقمنا منــه أشــد الانتقام ، وما استطاع أحد من أهل الأرض أن يحجزنا عنه ويمنعنا منه ٠

وقال تعالى :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ
شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ
الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ
الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾

الأنعام (٩٣)

وقال تعالى :

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ
قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن
بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ
وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

الأنعام (١٩)

وهذا الكلام فيه الاخبار بأن الله شهيد على كل شيء ، وأنه تعالى أعظم الشهداء ، وهو مطلع عــلى وعليــكم فيما جئتكم به عنه ٠

وتتضمن قوة الكلام متسما به آنه قد أرسلنى الى الخلق لأنذرهم بهذا القرآن ، فمن بلغه منهم فهــو نذير له كمــا

اخبار القرآن بما مضى :

وفى القرآن العظيم الاخبار عما مضى على الوجه الحق، وبرهانه ما فى كتب أهل الكتاب من ذلك شاهدا له ، مع كونه نزل على رجل أمى لا يعرف الكتابة ، ولم يعان يوما من الدهر شيئا من علوم الأوائل ، ولا أخبار الماضين ، فلم يفاجأ الناس الا يوحى اليه عما كان من الأخبار النافعة التى ينبغى أن تذكر للاعتبار بها من أخبار الأمم مع الأنبياء ، وما كان من أمورهم معهم وكيف نجى الله المؤمنين وأهلك الكافرين ، بعبارة لا يستطيع بشر أن يأتى بمثلها أبد الآبدين ودهر الداهرين ..

ففى مكان تقص القصة موجزة فى غاية البيان والفصاحة .. وتارة تبسط ، فلا أحلى ولا أجلى ولا أعلى من ذلك السياق ، حتى كأن التالى أو السامع مشاهد لما كان، حاضر له ، معاين للخبر نفسه كما قال تعالى :

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا
وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾

القصص (٤٦)

وقال تعالى :

ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ
أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾
آل عمران (٤٤)

قال تعالى :

وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

هود (١٧)

ففى هذا القرآن من الأخبار الصادقة عن الله وملائكته وعرشه ومخلوقاته العلوية والسفلية ، كالسموات والأرضين وما بينهما وما فيهن ، أمور عظيمة كثيرة مبرهنة بالأدلة القطعية المرشدة الى العلم بذلك من جهة العقل الصحيح .. كما قال تعالى :

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

الاسراء (٨٩)

وقال تعالى :

وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

العنكبوت (٤٣)

وقال تعالى :

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

الزمر (٢٧ ــ ٢٨)

وقال تعالى فى سورة يوسف :

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾
وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾
لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

يوسف (١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١١)

وقال تعالى :

وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾

طه (١٣٣)

وقال تعالى :

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾
سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

فصلت (٥٢ ، ٥٣)

وعد الله تعالى أنه سيظهر الآيات .. القرآن وصدقه ، وصدق من جاء به مما يخلقه فى الآفاق من الآيات الدالة على صدق هذا الكتاب ، وفى نفس المنكرين المكذبين ما فيه حجة عليهم وبرهان قاطع لشبههم ، حتى يستيقنوا أنه منزل من عند الله على لسان الصادق .

ثم أرشد الى دليل مستقل بقوله (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) أى فى العلم بأن الله يطلع على هذا الأمر كفاية فى صدق المخبر عنه ، اذ لو كان مفتريا عليه لعاجله بالعقوبة البليغة كما تقدم بيان ذلك .

اخبار القرآن عما يقع فى المستقبل :

وفى هذا القرآن اخبـار عما وقع فى المسـتقبل طبق ما وقع سواء بسواء ، وكذلك فى الأحاديث حسب ما قررناه فى كتابنا التفسير ، وما سنذكره من الملاحم والفتن .

كقوله تعالى :

عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

المزمل (٢٠)

وهذه السورة من أوائل ما نزل بمكة ، وكذلك قوله تعالى فى سورة القمر وهى مكية بلا خلاف :

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾

القمر (٤٥ ، ٤٦)

وقع مصداق هذه الهزيمة يوم بدر بعد ذلك .. الى أمثال هذا من الأمور البينة الواضحة .. وسيأتى فصل فيما أخبر به من الأمور التى وقعت بعده ـ عليه السلام ـ طبق ما أخبر به .

القرآن وأحكامه العادلة :

وفى القرآن الأحكام العادلة أمرا ونهيا .. المشتملة على الحكمة البالغة التى اذا تأملها ذو الفهم والعقل الصحيح قطع بأن هذه الأحكام انما أنزلها العالم بالغيبيات ، الرحيم بعباده ، الذى يعاملهم بلطفه ورحمته واحسانه .

قال تعالى :

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴿١١٥﴾﴾

الانعام (١١٥)

أى صدقا فى الأخبار وعدلا فى الأوامر والنواهى .

وقال تعالى :

﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾

هـود (١)

وقال تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾

الفتح (٢٨)

أى العلم النافع والعمل الصالح .. وهكذا روى عن على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ أنه قال لكميل بن زياد هو كتاب الله ، فيه خبر ما قبلكم ، وحكم ما بينكم ، ونبأ ما بعدكم ..

فالقرآن الكريم معجز من وجوه كثيرة : من فصاحته ، وبلاغته ، ونظمه ، وتراكيبه ، وأساليبه ، وما تضمنه من الأخبار الماضية والمستقبلة ، وما اشتمل عليه من الأحكام المحكمة الجليلة .. والتحدى ببلاغة ألفاظه يخص فصحاء العرب على التحدى بما اشتمل عليه من المعانى الصحيحة ، ــ وهى أعظم فى التحدى عند كثير من العلماء ــ يعم جميع أهل الأرض من الملتين : أهل الكتاب ، وغيرهم من عقلاء اليونان والهند والفرس والقبط .. وغيرهم من أصناف بنى آدم فى سائر الأقطار والأمصار .

الرد على من قال بخلق القرآن :

وأما من زعم من المتكلمين أن الاعجاز انما هو من صرف دواعى الكفرة عن معارضته مع انكار ذلك ، أو هو سلب قدرتهم على ذلك ، نقول باطل .. وهو مفرغ على اعتقادهم أن القرآن مخلوق خلقه الله فى بعض الأجرام ، ولا فرق عندهم بين مخلوق ومخلوق !!

وقولهم هذا كفر وباطل وليس مطابقا لما فى نفس الأمر ــ بل القرآن كلام الله غير مخلوق ، تكلم به كما شاء تعالى وتقدس وتنزه عما يقولون علوا كبيرا ... فالخلق كله لله .

القرآن حجة الله البالغة الى يوم القيامة :

وهذا القرآن الذى يبلغه الرسول ﷺ عن الله أسلوب كلامه لا يشبه أساليب كلام رسول الله ﷺ وأساليب كلامه — عليه السلام — المحفوظة عنه بالسند الصحيح اليه لا يقدر أحد من الصحابة ولا من بعدهم أن يتكلم بمثل أساليبه فى فصاحته وبلاغته ، فيما يرويه من المعانى بألفاظه الشريفة ·· بل وأسلوب كلام الصحابة أعلى من أساليب كلام التابعين، وهلم جرا الى زماننا ·

وعلماء السلف أفصح وأعلم وأقل تكلفا فيما يرونه من المعانى بألفاظهم من علماء الخلف ·· وهذا يشهده من له ذوق بكلام الناس ، كما يدرك تفاوت ما بين أشعار العرب فى زمن الجاهلية وبين أشعار من جاء بعد ذلك ·

ولهذا جاء الحديث الثابت فى هذا المعنى وهو فيما رواه الامام أحمد عن أبى هريرة — رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ — قال (ما من الأنبياء نبى الا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيت وحيا أوحاه الله — عز وجل — الى ، وأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث الليث بن سعد ·

ومعنى هذا : أن الأنبياء — عليهم السلام — كل منهم قد أوتى من الحجج والدلائل على صدقه وصحة ما جاء به عن ربه ، ما فيه كفاية وحجة لقومه الذين بعث اليهم ، سواء آمنوا به ففازوا بثواب ايمانهم ، أو جحدوا فاستحقوا العقوبة ·

وقوله : (وانما كان الذى أوتيت) أى جله وأعظمه ، الوحى الذى أوحاه اليه ، وهو القرآن ، الحجة المستمرة الدائمة القائمة فى زمانه وبعده ·· فان البراهين التى

كانت للأنبياء انقرض زمانها فى حياتهم ، ولم يبق منها الا الخبر عنها .

وأما القرآن وهو حجة قائمة كأنما يسمعه السامع من رسول الله ﷺ فحجة الله قائمة به فى حياته عليه السلام — وبعد وفاته — ولهذا قال ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) أى لاستمرار ما آتانى الله من الحجة البالغة والبراهين الدامغة ، فلهذا يكون يوم القيامة أكثر الأنبياء تبعا .

(٢) أخلاقه — صلى الله عليه وسلم — :

ومن الدلائل المعنوية . أخلاقه — عليه السلام — الطاهرة ، وخلقه الكامل ، وشجاعته ، وحلمه وكرمه ، وزهده ، وقناعته ، وجميل صحبته ، وصدقه ، وأمانته ، وتقواه ، وعبادته ، كرم أصله ، وطيب مولده ، ومنشؤه ومرباه .

وما أحسن ما ذكره شيخنا العلامة أبو العباس بن تيمية — رحمه الله — فى كتابه الذى رد فيه على فرق النصارى واليهود وما أشبههم من أهل الكتاب وغيرهم ، فانه ذكر فى آخره : دلائل النبوة ، وسلك فيها مسالك حسنة صحيحة منتجة كلاما بليغا يخضع له كل من تأمله وفهمه .. قال فى آخر الكتاب المذكور :

وسيرة الرسول ﷺ من آياته ، أى من دلائل نبوته ، قال : وشريعته من آياته ، وأمته من آياته » ، ودينهم من آياته ، وكرامات صالحى أمته من آياته .

وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد الى أن بعث : ومن حيث بعث الى أن مات وتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله .. فانه كان من أشرف أهل الأرض نسبا ، من صميم سلالة ابراهيم الذى جعل الله فى ذريته النبوة

والكتاب .. فلم يأت بعد ابراهيم نبى الا من ذريته .. وجعل الله له ابنين : اسماعيل واسحاق ، وذكر فى التوراة هذا وهذا .. وبشر فى التوراة بما يكون من ولد اسماعيل ، ولم يكن من ولد اسماعيل من ظهر فيه ما بشرت به النبوات غيره ــ ودعا ابراهيم لذرية اسماعيل بأن يبعث الله فيهم رسولا منهم .

ثم الرسول ﷺ من قريش صفوة بنى ابراهيم ، ثم من بنى هاشم صفوة قريش ، ومن مكة أم القرى وبلد البيت الذى بناه ابراهيم ودعا الناس الى حجه ، ولم يزل محجوجا من عهد ابراهيم ، مذكورا فى كتب الأنبياء وبأحسن وصف .

وكان ﷺ من أكمل الناس تربية ونشأة ، لم يزل معروفا بالصدق والبر ومكارم الأخلاق ، والعدل وترك الفواحش والظلم .. مشهودا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ، ومن آمن به ومن كفر بعد النبوة .. ولا يعرف له شىء يعاب ، لا فى أقواله ولا فى أفعاله ولا فى أخلاقه . ولا جرب عليه كذب قط ، ولا ظلم ولا فاحشة .

وقد كان ﷺ خلقه وصورته فى أحسن صورة وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله .. وكان أميا من قوم أميين لا يعرف هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب من التوراة والانجيل .. ولم يقرأ شيئا من علوم الناس ، ولا جالس أهلها . ولم يدع نبوة الى أن أكمل الله له أربعين سنة ، فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها ، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره .. وأخبر بأمر لم يكن فى بلده وقومه من يعرف مثله .. ثم اتبعه اتباع الأنبياء وهم ضعفاء الناس . وكذبه أهل الرياسة وعادوه ، وسعوا فى هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق ، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة ، فانه لم يكن عنده مال يعطيهم ولا جهات يوليهم اياها ، ولا كان

له سيف بل كان السيف والجاه والمال أعداءه ٠٠ وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون لا يرتدون عن دينهم ٠ لما خالط قلوبهم من حلاوة الايمان والمعرفة ٠

وكانت مكة يحجها العرب من عهد ابراهيم ــ عليه السلام ــ فيجتمع فى الموسم قبائل العرب ، فيخرج اليهم يبلغهم الرسالة ويدعوهم الى الله صابرا على ما يلقاه من تكذيب المكذب ، جفاء الجافى ، واعراض المعرض ، الى أن اجتمع بأهل يثرب ، وكانوا جيران اليهود ، وقد سمعوا أخباره منهم وعرفوه ، فلما دعاهم علموا أنه النبى المنتظر الذى يخبرهم به اليهود ، وكانوا قد سمعوا من أخباره أيضا ما عرفوا به مكانته فان أمره كان قد انتشر وظهر فى بضع عشرة سنة ، فأمنوا به وبايعوه على هجرته وهجرة أصحابه الى بلدهم ، وعلى الجهاد معه ، فهاجر هو ومن اتبعه الى المدينة وبها المهاجرون والأنصار ، ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة الا قليلا من الأنصار أسلموا فى الظاهر ثم حسن اسلام بعضهم ٠

ثم أذن له فى الجهاد ، ثم أمر به ، ولم يزل قائما بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها ، من الصدق والعدل والوفاء ، لا يحفظ له كذبة واحدة ، ولا ظلم لأحد ، ولا غدر بأحد ، بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال من حرب وسلم ، وأمن وخوف ، وغنى وفقر ، وقدرة وعجز ، وتمكن وضعف وقلة وكثرة ، وظهور على العدو تارة ، وظهور العدو تارة أخرى ، وهو على ذلك كله لازم لأكمل الطرق وأتمها حتى ظهرت الدعوة فى جميع أرض العرب التى كانت مملوءة من عبادة الأوثان ، ومن أخبار الكهان وطاعة المخلوق فى الكفر بالخالق ، وسفك الدماء المحرمة ، وقطيعة الأرحام ٠٠ لا يعرفون آخرة ولا معادا فصاروا أعلم أهل الأرض وأدينهم وأعدلهم وأفضلهم ، حتى أن النصارى لما رأوهم حين قدموا الشام قالوا : « ما كان الذين صحبوا المسيح أفضل من هؤلاء » !!

وهذه آثار علمهم وعملهم فى الأرض وآثار غيرهم ٠٠ تعرف العقلاء فوق ما بين الأمرين ، وهو ﷺ مع ظهور أمره ، وطاعة الخلق له ، وتقديمهم له على الأنفس والأموال ٠٠ مات ولم يخلف درهما ولا دينارا ، ولا شاة ولا بعيرا الا بلغته وسلاحه ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين وسقا (الوسق : مكيلة معلومة وهى ستون صاعا والصاع خمسة أرطال وثلث) من شعير ابتاعها لأهله ٠٠ وكان بيده عقار ينفق منه على أهله والباقى يصرفه فى مصالح المسلمين ٠٠ فحكم بأنه لا يورث ولا يأخذ ورثته شيئا من ذلك ٠ وهو فى كل وقت يظهر من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وضعه ٠ ويخبرهم بما كان وما سيكون ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويشرع الشريعة شيئا بعد شىء حتى أكمل الله دينه الذى بعثه به ، وجاءت شريعته أكمل شريعة ، بل لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف الا أمر به ، ولا منكر تعرف العقول انه منكر الا نهى عنه ٠٠ لم يأت بشىء فقيل : ليته لم يأمر به ٠٠ ولا نهى عن شىء فقيل ٠ ليته لم ينه عنه ٠٠ وأحل لهم الطيبات ، لم يحرم منها شيئا كما حرم فى شريعة غيره ٠٠ وحرم الخبائث ، لم يحل منها شيئا كما استحل غيره ٠

وجمع محاسن ما عليه الأمم ٠٠ فلا يذكر فى التوراة والانجيل والزبور نوع من الخير عن الله وعن الملائكة وعن اليوم الآخر ، الا قد جاء به على أكمل وجه ، وأخبر بأشياء ليست فى الكتب ، وليس فى الكتب ايجاب لعدل ولا قضاء بفضل ، وندب الى الفضائل وترغيب فى الحسنات ، الا وقد جاء به ، وبما هو أحسن منه ٠

واذا نظر اللبيب فى العبادات التى شرعها وعبادات غيره من الأمم ظهر فضل علمهم ٠٠ واذا قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ، ظهر انهم أدين من غيرهم ، واذا قيس بشجاعتهم وجهادهم فى سبيل الله وصبرهم على

المكاره فى ذات الله ظهر أنهم أعظم جهادا وأشجع قلوبا ..
واذا قيس سخاؤهم وبرهم وسماحة أنفسهم بغيرهم ، ظهر أنهم أسخى وأكرم من غيرهم .

بم نالت أمة محمد كل هذه الفضائل ؟

وهذه الفضائل به نالوها ، ومنه تعلموها ، وهو الذى أمرهم بها .. لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو بتكميله ، كما جاء المسيح ــ عليه السلام ــ بتكميل شريعة التوراة .. فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم : بعضها من التوراة وبعضها من الزبور ، وبعضها من النبوات ، وبعضها من المسيح ، وبعضها ممن بعده من الحواريين ومن بعدالحواريين وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى أدخلوا ــ لما غيروا من دين المسيح فى دين المسيح ــ أمورا من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح .

وأما أمة محمد ﷺ فلم يكونوا قبله يقرءون كتابا ، بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود والتوراة والانجيل والزبور الا من جهته .. هو الذى يأمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ، ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند الله ، ونهاهم عن أن يفرقوا بين أحد من الرسل .. فقال تعالى فى الكتاب الذى جاء به :

وقال تعالى :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾

البقرة (١٣٦ ، ١٣٧)

وقال تعالى :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

خاتمة البقرة (٢٨٥ ، ٢٨٦)

وأمته ــ عليه السلام ــ لا يستحلون أن يستحدثوا شيئا من الدين غير ما جاء به ، ولا يبتدعوا بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا يشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله ·· لكن ما قصه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم اعتبروا به ، وما حدثهم أهل الكتاب موافقا لما عندهم صدقوه ، وما لم يعلم صدقه ولا كذبه أمسكوا عنه ، وما عرفوا أنه باطل كذبوه ، ومن أدخل فى الدين ما ليس منه من أقوال متفلسفة الهند والفرس واليونان أو غيرهم ، كان عندهم من أهل الالحاد والابتداع ·

وهذا هو الدين الذى كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون ، وهو الذى عليه أئمة الدين الذين لهم فى الآمة لسان صدق ، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم ·· ومن خرج عن ذلك كان مذموما مدحورا عند الجماعة ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة ، الظاهرين الى قيام الساعة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ ·

« لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة » ٠

وقد يتنازع بعض المسلمين مع اتفاقهم على هذا الأصل الذى هو دين الرسل عموما ، ودين محمد ﷺ خصوصا ومن خالف فى هذا الأصل كان عندهم ملحدا مذموما ٠٠ ليسوا كالنصارى الذين ابدعوا دينا ، قام به أكابر علمائهم وعبادهم وقاتل عليه ملوكهم ، ودان به جمهورهم ٠٠ وهو دين مبتدع ليس هو دين المسيح ولا دين غيره من الأنبياء ٠٠ والله سبحانه أرسل رسله بالعلم النافع والعمل الصالح ، فمن أتبع الرسل حصلت له سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، وانما دخل فى ابدع من قصر فى اتباع الأنبياء علما وعملا ٠

ولما بعث محمد ﷺ بالهدى ودين الحق ، تلقى ذلك عنه المسلمون من أمته، فكل علم نافع وعمل صالح عليه آمة محمد ﷺ أخذوه عن نبيهم ، كما ظهر لكل عاقل أن أمته أكمل الأمم فى جميع الفضائل العلمية والعملية ٠٠ ومعلوم آن كل كمال فى الفرع المتعلم هو فى الأصل المعلم، وهذا يقتضى أنه ــ عليه السلام ــ كان أكمل الناس علما ودينا ٠

وهذه الأمور توجب العلم الضرورى بأنه كان صادقا فى قوله (انى رسول الله اليكم جميعا) ٠

قال تعالى :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

الاعراف (١٥٨)

لم يكن كاذبا مفتريا ، فان هذا القول لا يقوله الا من هو من خيار الناس وأكملهم ان كان صادقا ، أو من هو من أشر الناس وأخبثهم ان كان كاذبا ‥ وما ذكر من كمال علمه ودينه يناقض الشر والخبث والجهل ، فتعين أنه متصف لغاية الكمال فى العلم والدين ، وهذا يستلزم أنه كان صادقا فى قوله (انى رسول الله اليكم جميعا) ، لأن الذى لم يكن صادقا : اما أن يكون متعمدا للكذب أو مخطئا ‥ والأول يوحى انه كان ظالما غاويا ‥ والثانى يقتضى أنه كان جاهلا مختالا ․

تنزيه الله ـ تعالى ـ لنبيه عن الكذب والخطأ :

ومحمد ﷺ كان علمه ينافى جهله ، وكان دينه ينافى تعمد الكذب ‥ فالعلم بصفاته سيلزم العلم بأنه لم يكن يتعمد الكذب ولم يكن جاهلا يكذب بلا علم ‥ واذا انتفى هذا وذاك تعين انه كان صادقا عالما بأنه صادق ، ولهذا نزهه الله عن هذين الأمرين بقوله تعالى :

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

النجم (١ ـ ٤)

وقال تعالى عن الملك الذى جاء به :

مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾

التكوير (١٩ ـ ٢١)

ثم قال عنه :

﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۝ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ۝ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ ﴾

التكوير (٢٢ ـ ٢٧)

وقال تعالى :

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾

الشعراء (١٩٢ ـ ١٩٥)

الى قوله :

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ۝ ﴾

الشعراء (٢٢١ ـ ٢٢٣)

بين سبحانه أن الشيطان انما ينزل على من يناسبه ليحصل به غرضه ، فان الشيطان يقصد الشر وهو الكذب والفجور ، ولا يقصد الصدق والعدل ٠٠ فلا يقترن الا بمن فيه كذب : اما عمدا واما خطأ وفجورا أيضا ٠٠ فان الخطأ فى الدين هو من الشيطان أيضا كما قال ابن مسعود لما سئل عن مسألة : أقول فيها برأيى ، فان كان صوابا فمن الله ،

وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه • فان رسول الله ﷺ برىء ممن نزل الشياطين عليه فى العمد والخطأ ، بخلاف غير الرسول فانه قد يخطىء ويكون خطؤه من الشيطان وان كان خطؤه مغفورا له •• فاذا لم يعرف له خبر أخبر به كان فيه مخطئا ، ولا أمر أمر به كان فيه فاجرا ، علم أن الشيطان لم ينزل عليه وانما ينزل عليه ملك كريم •

ولهذا قال فى الآية الأخرى عن النبى ﷺ :

سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

القلم (٤٠ ـ ٤٣)

انتهى ما ذكره ، وهذا عين ما أورده بحروفه •

ثانيا : دلائل النبوة الحسية :

(المشاهدة بالأبصار)

وفى هذا الباب قسم الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ الدلائل الحسية الى سماوية وأرضية •

أولا : الدلائل السماوية :

١ ـ انشــقاق القمر :

قال ـ رحمه الله تعالى ـ ومن أعظم ذلك كله انشقاق القمر المنير فرقتين ٠٠ قال الله تعالى :

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۝٥﴾

القمر (١ ـ ٥)

وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان فى عهد رسول الله ﷺ وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة :

● **رواية أنس بن مالك :**

روى الامام أحمد عن أنس قال : سأل أهـل مكة النبى ﷺ آية ، فانشــق القمر بمكة فرقتين ، فقال : (اقتربت الساعة وانشق القمر) ورواه مسلم ٠

وروى البخارى عن أنس بن مالك أن أهـل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم القمـر شـقين ، حتى رأوا حراء بينهما ٠ وأخرجاه فى الصحيحين ٠

● **رواية جبير بن مطعم :**

روى الامام أحمـد عن جبير بن مطعم عن أبيـه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين : فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل٠ فقالوا : سحرنا محمد٠٠

فقالوا : ان كان سـحرنا فانه لا يسـتطيع أن يسـحر الناس ٠٠ تفرد به أحمد ٠

● رواية حذيفة بن اليمان :

روى أبو جعفر بن جرير عن أبى عبد الرحمن السلمى قال : نزلنا المدائن ، فكنا منها على فرسخ (مقيـاس قديم من مقاييس الطول ، يقدر بثلاثة أميال) • فجاءت الجمعة ، فحضر أبى وحضرت معه • فخطبنا حذيفـة فقال : ان الله تعالى يقول (اقتربت السـاعة وانشـق القمر) ، آلا وان الساعة قد اقتربت ، آلا وان القمر قد انشق ، آلا وان الدنيا قد آذنت بفراق ، آلا وان اليوم المضمار وغدا السباق •

فقلت لأبى : آتستبق الناس غدا ؟

فقال : يا بنى انك جاهل ، انما هو السباق بالأعمال •

ثم جاءت الجمعة الأخرى ، فحضرها ، فخطب حذيفة ، فقال : آلا ان الله يقول :

(اقتربت الساعة وانشق القمر) ألا وان الدنيـا قد آذنت بفراق •• ورواه آبو زرعة الرازى فى كتاب دلائل النبوة من غير وجه ، وفيه : آلا وان القمر قد انشق على عهد رسول الله ﷺ آلا وان اليوم المضمار وغدا السباق ، آلا وان الغاية النار ، والسابق من سبق الى الجنة •

● رواية عبد الله بن عباس :

روى النجارى عن عبد الله بن عباس قال : انشق القمر فى زمان النبى ﷺ ورواه البخارى أيضا ومسلم من حديث بكر بن مضر عن جعفر بن آبى ربيعة •

● رواية عبد الله بن عمر بن الخطاب :

عن عبد الله بن عمر فى قوله : (اقتربت الساعة وانشق القمر) وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقتين : فلقة من دون الجبل ، وفلقة من خلف الجبل •• فقال رسول الله ﷺ (اللهم اشهد) •

● رواية عبد الله بن مسعود :

روى الامام أحمد عن ابن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا اليه فقال رسول الله ﷺ (اشهدوا) .

رواه البخارى ومسلم عن حديث سفيان بن عيينة .

وروى البيهقى عن عبد الله قال : انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين ، فقالت كفار قريش من أهل مكة هذا سحر سحركم به ابن أبى كبشة ، انظروا المسافرين ، فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وان كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سحر سحركم به .

قال : فسئل السفار – وقدموا من كل وجه – فقالوا : رأيناه .

ورواه ابن جرير وزاد : فأنزل الله (اقتربت الساعة وانشق القمر) .

وروى ابن جرير عن ابن سيرين قال : نبئت أن ابن مسعود كان يقول : لقد انشق القمر ففى صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه كان يقول : خمس قد مضين :

الروم – واللزام – والبطشة – والدخان – والقمر .

● كيف انشق القمر ؟ ولم لم ينتشر هذا الأمر فى جميع أقطار الأرض ؟

وما يذكره بعض القصاص من أن القمر دخل فى جيب النبى ﷺ وخرج من كمه – ونحو هذا الكلام فليس له أصل يعتمد عليه .. والقمر فى حال انشقاقه لم يزايل السماء بل انفرق باثنتين ، وسارت احداهما حتى صارت وراء جبل حراء – والأخرى من الناحية الأخرى – وصار الجبل بينهما وكلتا الفرقتين فى السماء وأهل مكة ينظرون الى ذلك .

وظن كثير من جهلتهم أن هذا شيء سحرت به أبصارهم . فسألوا من قدم عليهم من المسافرين فأخبروهم بنظير ما شاهدوه ، فعلموا صحة ذلك وتيقنوه .

فان قيل : فلم لم يعرف هذا في جميع أقطار الأرض ؟

فالجواب : ومن ينفي ذلك ؟ .. ولكن تطاول العهد والكفرة يجحدون بآيات الله ، ولعلهم لما أخبروا أن هذا كان آية لهذا النبي المبعوث ، تداعت آراؤهم الفاسدة على كتمانه وتناسيه على أنه قد ذكر غير واحد من المسافرين أنهم شاهدوا هيكلا بالهند مكتوبا عليه : أنه بني في الليلة التي انشق فيها القمر .

ثم لما كان انشقاق القمر ليلا قد يخفى أمره على كثير من الناس لأمور مانعة من مشاهدته في تلك الساعة من غيوم متراكمة كانت تلك الليلة في بلدانهم ، ولنوم كثير منهم ، أو لعله كان في أثناء الليل حيث ينام كثير من الناس وغير ذلك من الأمور والله أعلم .

حديث رد الشمس حديث موضوع :

فأما حديث رد الشمس بعد مغيبها ، فقد أنبأني شيخنا المسند الرحالة بهاء الدين القاسم بن المظفر بن تاج الأمناء ابن عساكر ، فيما رواه عن أسماء بنت عميس قالت : كان رسول الله ﷺ يوحى اليه ورأسه في حجر علي ، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله ﷺ صليت العصر ؟ ، قال .. لا .. فقال النبي ﷺ « اللهم انه كان في طاعتك وطاعة نبيك ، فاردد عليه الشمس » .

قالت أسماء : فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت .

وقد رواه الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال : هذا حديث موضوع ، وقد اضطرب الرواة فيه ،

ففيه : أحمد بن داود ، ليس بشيء ، قال الدارقطني : متروك كذاب ، وقال ابن حبان : كان يضع الحديث .. وفيه عمار ابن مسطر ، قال فيه العقيلي : كان يحدث عن الثقات بالمناكير ، وقال ابن عدى : متروك الحديث .. وفيه فضل ابن مرزوق قد ضعفه يحيى ، وقال عنه ابن حبان : يروى الموضوعات ويخطىء عن الثقات ، وبه قال الحافظ ابن عساكر .

وروى ابن عساكر أيضا عن أبى عروة بن عبد الله بن قشير قال : دخلت على فاطمة بنت على فرأيت فى عنقها خرزة ، ورأيت فى يديها مسكتين غليظتين (المسكة : السوار من القرن والعاج) . وهى عجوز كبير. فقلت لها : ما هذا ؟ فقالت : انه يكره للمرأة ان تتشبه بالرجال .. ثم ان أسماء بنت عميس حدثتها أن على بن أبى طالب رفع الى النبى ﷺ وقد أوحى اليه ، فجلله بثوبه ، فلم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس يقول : غابت أو كادت تغيب ثم ان النبى ﷺ سرى عنه فقال « أصليت يا على » ؟ قال لا .

فقال النبى ﷺ « رد على على الشمس » .. فرجعت حتى بلغت نصف المسجد . قال الحافظ ابن عساكر : هذا حديث منكر ، وفيه غير واحد من المجاهيل .

وقال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى فى الموضوعات : وقد روى ابن شاهين هذا الحديث عن ابن عقدة فذكره ، ثم قال : وهذا باطل ، والمتهم به ابن عقدة ، فانه كان رافضا (الرافضة فرقة من الشيعة تجيز الطعن فى الصحابة) يحدث بمثالب الصحابة . قال الخطيب : حدثنا على بن محمد بن نصر سمعت حمزة بن يوسف يقول : كان ابن عقدة يجامع يرائى على مثالب الصحابة أو قال الشيخين . فتركته فقال الداقطنى : كان ابن عقدة رجل سوء .. وقال ابن عدى سمعت أبا بكر بن غالب يقول : ابن عقدة لا يتدين بالحديث ، لأنه كان يحمل شيوخا بالكوفة على الكذب فيسوى لهم نسخا ويأمرهم أن يرووها ، وقد بينا كذبه من غير شيخ بالكوفة .

وفى الصحيح عن رسول الله ﷺ « أن الشمس لم تحبس عن أحد الا ليوشع » ٠

قلت : وهذا الحديث ضعيف ومنكر من جميع طرقه ، فلا تخلو واحدة منها عن شيعى ، ومجهول الحال ، وشيعى ومتروك ومثل هذا الحديث لا يقبل فيه خبر واحد اذا اتصل سنده ، لأنه من باب ما تتوافر الدواعى على نقله ، فلابد من نقله بالتواتر والاستفاضة لا أقل من ذلك ٠

ونحن لا ننكر هذا فى قدرة الله تعالى ، وبالنسبة الى جناب رسول الله ﷺ فقد ثبت فى الصحيح أنها ردت ليوشع ابن نون ، وذلك يوم حاصر بيت المقدس ، واتفق ذلك فى آخر يوم الجمعة ، وكانوا لا يقاتلون يوم السبت ، فنظر الى الشمس وقد تنصفت للغروب فقال :

انك مأمورة ، وأنا مأمور ، اللهم أحبسها على ، فحبسها الله عليه حتى فتحوها ، ورسول الله ﷺ أعظم جاها وأجل منصبا وأعلى قدرا من يوشع بن نون بل من سائر الأنبياء على الاطلاق ، ولكن ما نقول الا ما صح عندنا ، ولا نسند اليه ما ليس بصحيح ، ولو صح لكنا فى أول القائلين به ، والمعتقدين له وبالله المستعان ٠

الرد على الروافض الذين قالوا بحديث رد الشمس :

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن حاتم بن زنجويه البخارى فى كتابه « اثبات امامة أبى بكر الصديق » فان قال قائل من الروافض : ان أفضل فضيلة لأبى الحسن وأدل دليل على امامته ، ما روى عن أسماء بنت عميس قالت : كان رسول الله ﷺ يوحى اليه ورأسه فى حجر على بن أبى طالب فلم يصل العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله ﷺ لعلى : صليت ؟ ٠٠ قال ٠٠ لا ٠٠ فقال رسول الله ﷺ « اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فأردد عليه الشمس » ٠

قالت أسماء : فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعـد ما غربت •

قيل له : كيف لنا لو صح هذا الحديث فنحتج على مخالفينا من اليهود والنصارى ؟

ولكن الحديث ضعيف جدا لا أصل له ، وهذا مما كتبت أيدى الروافض ، ولو ردت الشـمس بعـدما غربت لرآها المؤمن والكافر ، ونقلوا الينا أنه في يوم كذا من شهر كذا في سنة كذا ردت الشمس بعدما غربت !!

لم يقال للروافض : أيجوز أن ترد الشمس لأبى الحسن حين فاتته صـلاة العصر ، ولا ترد لرسـول الله ﷺ ولجميع المهاجرين والأنصار وعلى فيهم ، حين فاتتهم صـلاة الظهـر والعصر والمغرب يوم الخندق ؟ !!

قال : وأيضا مرة أخرى عرس رسول الله ﷺ بالمهاجرين والأنصار حين قفل (رجع) من غـزوة خيبر ، فذكر نومهم عن صلاة الصبح وصلاتهم لها بعد طلوع الشمس

قال : فلم يرد الليل على رسول الله ﷺ وعـلى الصـحابة قال ولو كان هذا فضلا أعطيه رسول الله ﷺ وما كان ليمنع رسوله شرفا وفضلا : يعنى أعطيه على بن أبى طالب •

ثم قال : وقال ابراهيم بن يعقوب الجوزجانى : قلت لمحمد بن عبيـد الطنافسى : ما تقول فيمن يقـول : رجعت الشمس على على بن أبى طالب حتى صلى العصر ؟

فقال : من قال هذا فقد كذب •

وقال ابراهيم بن يعقوب : سألت بعلى بن عبيد الطنافسى قلت : ان ناسا عندنا يقولون : ان عليا وصى رسول الله ﷺ ورجعت عليه الشمس •• فقال : كذب هذا كله •

٢ ـ استسقاؤه ـ عليه السلام ـ لأمته حين تأخر المطر :

ومما يتعلق بالآيات السماوية فى باب دلائل النبوة : استسقاؤه ـ عليه السلام ـ ربه ـ عز وجل ـ لآمته حين تأخر المطر ، فأجابه الى سؤاله سريعا ، بحيث لم ينزل عن منبره الا والمطر يتحادر على لحيته ـ عليه السلام ـ ، وكذا ذهاب الغيم ٠

روى البخارى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه قال : سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبى طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وروى البخارى عن سالم عن أبيه : ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه رسول الله ﷺ يستسقى ، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ٠ ثمال اليتامى عصمة للأرامل وهو قول أبى طالب ٠

وروى البخارى أيضا عن أنس بن مالك ان رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما ، فقال : يارسول الله هلكت المواشى ، وانقطع السيل ، فادع الله أن يغيثنا ٠

قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال « اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا » ٠

قال أنس : ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئا ، وما بيننا وبين ساع من بيت ولا دار ٠٠ فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال : والله ما رأينا الشمس سبتا ٠٠ ثم

دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائما ، فقال : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل فادع الله أن يمسكها . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والجبال والظراب ومنابت الشجر » (والظراب جمع ظرب وهو الجبل المنبسط ليس بالعالى) .

قال : فانقطعت وخرجنا نمشى فى الشمس .

قال شريك : فسألت أنسا : أهو الرجل الأول ؟ قال : لا أدرى .

وروى البخارى عن أنس قال : بينما رسول الله ﷺ يخطب يوم جمعة ، اذ جاء رجل فقال يارسول الله قحط المطر، فادع الله أن يسقينا ، فدعا ، فمطرنا ، فما كدنا أن نصل الى منازلنا ، فمازلنا نمطر الى الجمعة المقبلة .. قال : فقام ذلك الرجل ، أو غيره ، فقال يا رسول الله ادع الله أن يصرفه عنا .. فقال رسول الله ﷺ « اللهم حوالينا ولا علينا » قال فرأيت السحاب ينقطع يمينا وشمالا يمطرون ولا يمطر أهل المدينة ــ تفرد به البخارى من هذا الوجه .

وفى رواية له أيضا عن أنس قال : جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : هلكت المواشى وتقطعت السبل ، فادع الله ، فدعا ، فمطرنا من الجمعة الى الجمعة ، ثم جاء رجل فقال تهدمت البيوت وتقطعت السبل ، وهلكت المواشى ، فادع الله أن يمسكها فقال :

« اللهم على الآكام والظراب والأودية ومنابت الشجر » فانجابت عن المدينة انجياب الثوب » .

ــ وروى البخارى أيضا عن أنس بن مالك قال : أصابت الناس سنة (القحط) على عهد رسول الله ﷺ فبينما رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة ، قام اعرابى فقال :

يا رسول الله هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله لنا ٠

قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ، وما فى السماء قزعة ، فوالذى نفسى بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ٠ ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ، فمطرنا يومنا ذلك وفى الغد ، ومن بعد الغد ، والذى يليه الى الجمعة الأخرى ٠٠ وقام ذلك الاعرابى ـ أو قال غيره ٠

فقال : يا رسول الله ، تهدم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا ٠

فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال « اللهم حوالينا ولا علينا »٠

قال : فما جعل يشير بيده الى ناحيةالسحاب الا انفرجت ، وصارت المدينة مثل الجوبة (الفجوة) ٠

وسال الوادى قناة شهرا ، ولم يجىء واحد من ناحية الا حدث بالجود ٠

وروى الامام أحمد عن حميد قال : سئل أنس : هل كان رسول الله ﷺ يرفع يديه ؟ فقال : قيل له يوم جمعة : يا رسول الله قحط المطر ، وأجدبت الآرض وهلك المال ، قال : فرفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه فاستسقى ، ولقد رفع يديه فاستسقى ، ولقد رفع يديه وما نرى في السماء سحابة ، فما قضينا الصلاة حتى ان قريب الدار الشاب ليهمه الرجوع الى أهله ٠

قال : فلما كانت الجمعة التى تليها قالوا : يا رسول الله تهدمت البيوت واحتبست الركبان ، فتبسم رسول الله ﷺ من سرعة ملالة ابن آدم ، وقال « اللهم حوالينا ولا علينا » ٠

قال فتكشطت عن المدينة .

وروى البيهقى عن آنس بن مالك قال : جاء أعرابى فقال : يا رسول الله ، لقد أتيناك وما لنا بعير يبسط ولا صبى يصطبح وآنشد :

آتيناك والعذراء يدمى كيانها
وقد شغلت أم الصبى عن الطفل

والقى بكفيه الفتى لاستكانة
من الجوع ضعفا قائما وهو لا يخلى

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا
سوى الحنظل العامي والعلهز الغسل

وليس لنا الا اليك فرارنا
وأين فرار الناس الا الى الرسل

قال : فقام رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه ، حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه . ثم رفع يديه نحو السماء ، وقال : اللهم اسقنا غيثا فغيثا مريئا مريعا سريعا غدقا طبقا عاجلا غير رائث نافعا غير ضار ، تمىلأ به الضرع ، وتنبت به الزرع ، وتحيي به الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون » .

قال : فوالله ما ريده الى نحره حتى ألقت السماء بأوراقها ، وجاء أهل البطانة يصيحون : يا رسول الله ، الغرق الغرق ، فرفع يديه الى السماء وقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » .

فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالاكليل . . فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قال لله در أبى طالب لو كان حيا قرت عيناه ، من ينشد قوله ؟ » فقام على بن أبى طالب ، فقال يا رسول الله كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده فى نعمة وفواضل

كذبتم وبيت الله يبذى محمد
ولما نقاتل دونه ونناضل

ونسالمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن أبنائنا والحلائل

قال : وقام رجل من بنى كنانة فقال :

لك الحمد والحمد ممن شكر
سقينا بوجه النبى المطر

دعا الله خالقه دعوة
اليه وأستخفض منه البصر

فلم يك الا كلف الرداء
وأسرع حتى رأينا الدرر

رقاق العوالى عم البقاع
أغاث به الله علينا مضر

وكان كما قال عمه
أبو طالب أبيض ذو غرر

به الله يسقى بصوب الغمام
وهذا العيان كذا الخبر

فمن يشكر الله يلقى المزيد
ومن يكفر الله يلقى الغير

قال : فقال رسول الله ﷺ « ان لك شاعرا يحسن فقد أحسنت » وهذا السياق فيه غرابة ولا يشبه ما قدمنا من الروايات الصحيحة المتواترة عن أنس ، فان كان هكذا محفوظا فهو قصة أخرى غير ما تقدم .. والله أعلم .

● **وروى البيهقي** عن أبى وجزة يزيد بن عبيد السلمي قال : لما قفل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك آتاه وفد بني فزارة فيهم بضعة عشر رجلا ، فيهم خارجة بن الحصين ، والحر بن قيس ـ وهو أصغرهم ـ ابن أخي عيينه بن حصن ، فنزلوا في دار رملة بنت الحارث من الأنصار ، وقبلوا على ابل ضعاف عجاف وهم مسنتون .

فأتوا رسول الله ﷺ مقرين بالاسلام ، فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم ، فقالوا : يا رسول الله أسنتت بلادنا ، واجدبت احياؤنا ، وعربت عيالنا ، وهلكت مواشينا ، فادع ربك أن يغيثنا ، وتشفع لنا الى ربك ويشفع ربك اليك .. فقال رسول الله ﷺ « ويلك هذا ما شفعت الى ربى ، فمن ذا الذى يشفع ربنا اليه ؟ لا اله الا الله ، وسع كرسيه السموات والأرض ، وهو يئط (١) من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد » ثم قال ﷺ « ان الله يضحك من شفقتكم وأزلكم وقرب غياثكم » .

فقال الاعرابى : أويضحك ربنا يا رسول الله ؟ قال : نعم .

فقال الاعرابى : لن نعدم يا رسول الله من رب يضحك خيرا .

فضحك رسول الله ﷺ من قوله ، فقام فصعد المنبر ، وتكلم بكلام ، ورفع يديه ، وكان رسول الله ﷺ لا يرفع يديه فى شىء من الدعاء الا فى الاستسقاء ، ورفع يديه حتى رئى بياض ابطيه ، وكان مما حفظ من دعائه .

---

(١) أط الرحل يئط : أحدث صوتا عند مسير الابل .

« اللهم اسق بلدك وبهائمك ، وانشر رحمتك ، وأحى بلدك الميت ، اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا طبقا واسعا ، عاجلا غير آجل ، نافعا غير ضار ، اللهم سقيا رحمة ولا سقيا عذاب ، ولا هدم ولا غرق ولا محق ، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء » .

فقام أبو لبابة عبد المنذر فقال : يا رسول الله ان التمر فى المرابد ــ فقال رسول الله ﷺ « اللهم اسقنا » .

فقال أبو لبابة : التمر في المرابد .. ثلاث مرات .

فقال رسول الله ﷺ « اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا فيسد ثعلب مربده بازاره » ..

قال : فلا والله ما فى السماء من قزعة ولا سحاب ، وما بين المسجد وسلع من بناء ولا دار ، فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينتظرون ، ثم أمطرت .. فوالله ما رأوا الشمس سبتا ، وقام أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه .

فقال رجل : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل .. فصعد رسول الله ﷺ المنبر فدعا ورفع يديه حتى رئى بياض ابطيه ، ثم قال « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ، ومنابت الشجر » .

فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب . وهذا السياق يشبه سياق مسلم الملائى عن أنس ، ولبعضه شاهد فى سنن أبى داود ، وفى حديث أبى رزين العقيلى شاهد لبعض .. والله أعلم .

الاستسقاء فى غزوة تبوك :

وقد وقع مثل هذا الاستسقاء فى غزوة تبوك فى أثناء الطريق · كما روى عبد الله بن وهب عن عبد الله بن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب : حدثنا عن شأن ساعة العسرة ·

فقال عمر : خرجنا الى تبوك فى قيظ شديد ، فنزلنا منزلا ، وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى ان كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرجل فلا يجده حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقى على كبده ·

فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله ، ان الله قد عودك فى الدعاء خيرا ، فادع الله لنا ·

فقال : أوتحب ذلك ؟؟ قال : نعم · قال : فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأطلت ثم سكبت ، فملئوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر وهذا اسناد جيد قوى ولم يخرجوه ·

وقد قال الواقدى : كان مع المسلمين فى هذه الغزوة اثنا عشر ألف بعير ، ومثلها من الخيل ، وكانوا ثلاثين ألفا من المقاتلة ·· قال : ونزل من المطر ماء أغدق الأرض ، حتى صارت الغدران تسكب بعضها فى بعض وذلك فى حمأة القيظ ـ أى شدة الحر البليغ ·

فصلوات الله وسلامه عليه ، وكم له ـ عليه السلام ـ من مثل هذا فى غير ما حديث صحيح ·

ولله الحمد ، وروى البخارى عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقنا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ·

قال : فيسقون ·· تفرد به البخارى ·

ثانيا : المعجزات الأرضية :

وأما المعجزات الأرضية ، فمنها ما هو متعلق بالجمادات، ومنها ما هو متعلق بالحيوانات ٠

أولا : ما يتعلق بالجمادات من المعجزات السماوية :

فمن المتعلق بالجمادات : تكثيره الماء فى غير ما موطن على صفات متنوعة ، ستوردها ان شاء الله وبدآنا بذلك لأنه أنسب باتباع ما أسلفنا ذكره من استسقائه واجابة الله له ٠ ٠

« نبع الماء من تحت أصابعه ﷺ » ٠

● حديث أنس بن مالك :

روى البخارى عن آنس بن مالك قال : رأيت رسول الله ﷺ وقد حانت صلاة العصر ، والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فأتى رسول الله ﷺ باناء ، فوضع رسول الله ﷺ يده فى ذلك الاناء ، فأمر الناس أن يتوضئوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم ٠ وقد رواه مسلم والترمذى والنسائى من طرق عن مالك وقال الترمذى : حسن صحيح ٠

● روى الامام أحمد عن أنس بن مالك آن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم لبعض مخارجه ومعه ناس من آصحابه ، فانطلقوا يسيرون ، فحضرت الصلاة ، فلم يجد القوم ، ماء يتوضئون به فقالوا : يا رسول الله ــ والله ما نجد ماء نتوضأ به ، ورأى فى وجوه أصحابه كراهية ذلك فانطلق رجل من القوم فجاء بقدح من ماء يسير ، فأخذه نبى الله فتوضأ منه ، ثم مد أصابعه الأربع - على القدح ثم قال (هلموا فتوضئوا)

فتوضأ القوم حتى أبلغوا فيما يريدون من الوضوء . قال الحسن : سئل أنس : كم بلغوا ؟ قال : سبعين أو نحو ذلك . وهكذا رواه البخارى .

● وروى أحمد من طريق أخرى عن أنس بن مالك قال : نودى للصلاة ، فقام كل قريب الدار فى المسجد وبقى من كان أهله نائى الدار ، فأتى رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة وصخر وبسط كفه فيه ، قال : فضم أصابعه ، قال : فتوضأ بقيتهم . قال حميد : وسئل أنس كم كانوا ؟ قال ثمانين أو زيادة .

ـ وفى رواية للامام أحمد بن أنس أن رسول الله ﷺ كان بالزوراء ، فأتى باناء فيه ماء لا يغمر أصابعه ، فأمر أصحابه أن يتوضئوا ، فوضع كفه فى الماء ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم . قال : قلت لأنس : كم كنتم ؟ قال : كنا ثلاثمائة وهكذا رواه مسلم .

● **حديث جابر بن عبد الله :**

روى الامام أحمد عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : شكا أصحاب رسول الله ﷺ اليه العطش قال : فدعا بعس فصب فيه شىء من ماء ، فوضع رسول الله ﷺ فيه يده ، وقال « استقوا » .. فاستقى الناس . قال : فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابع رسول الله ﷺ تفرد به أحمد من هذا الوجه .

● **نبع الماء من بئر الحديبية :**

روى البخارى عن البراء بن عازب قال : كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر ، فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة ، فجلس النبى ﷺ على شفير البئر ، فدعا بماء فمضمض ومج فى البئر فمكثنا غير بعيد ، ثم استقينا حتى روينا وروت ـ أو صدرت ـ ركائبنا .

ـ وروى الامام أحمد بن البراء قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى مسير ، فاتينا على ركى ذمة يعنى قليلة الماء ، قال ، فنزل فيها ستة أنا سادسهم ماجة ، فأدليت الينا دلو ·· قال : رسول الله ﷺ على شفة الركى ، فجعلنا فيها نصفها أو قرب ثلثيها ، فرفعت الى رسول الله ﷺ ·

قال البراء : فملت باناثى على أجد شيئا أجعله فى حلقى ، فما وجدت ، فرفعت الدلو الى رسول الله ﷺ ، فغمس يده فيها فقال ما شاء الله له أن يقول ثم أعيدت الينا الدلو بما فيها ، قال فرأيت أحدنا أخرج بثوب خشية الغرق · قال · ثم ساحت ، يعنى جرت نهرا تفرد به الامام أحمد ، واسناده جيد قوى ، والظاهر أنها قصة أخرى غير يوم الحديبية والله أعلم ·

رابعا : [انقياد الشجرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سترته] :

روى مسلم عن جابر عن عبد الله فى حديث طويل قال فيه : سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا واديا أفيح ·· فذهب رسول الله ﷺ يقضى حاجته ، فاتبعته باداوة من ماء ، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئا يستتر به ـ فاذا شجرتان بشاطىء الوادى ، فانطلق رسول الله ﷺ الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها · فقال « انقادى على باذن الله » ·

فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى ، فأخذ بغصن من أغصانها فقال : « انقادى على باذن الله » ·

فانقادت معه كذلك ·· حتى اذا كان بالمنتصف مما بينهما لأم بينهما ـ يعنى جمعهما · فقال « التئما على باذن الله » فالتأما قال جابر : فخرجت أعدو مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربى فيبتعد ـ فجلست أحدث نفسى ، فحانت منى

لفتة فاذا برسول الله ﷺ مقبلا واذا بالشجرتين قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق ، فرأيت رسـول الله ﷺ وقف وقفة فقال برأسه هكذا ــ وأشار أبو اسماعيل برأسه يمينا وشمالا ــ ثم أقبل ، فلما انتهى الى قال :

« يا جابر ، هل رأيت مقامى » ؟

قلت نعم يا رسول الله ، قال « فانطلق الى الشجرتين ، فاقتطع من كل واحدة منهما غصنا ، فأقبـل بهما حتى اذا قمت مقامى ، فأرسل غصنا عن يمينك وغصنا عن يسارك »

قال جابر : فقمت فأخـذت حجـرا فكسرته وحسرته فانفلق لى ، فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحـدة منهما غصنا ، ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسـول الله ﷺ أرسلت غصنا عن يمينى وغصنا عن يسارى ، ثم لحقتـه ، فقلت : قد فعلت يا رسول الله ــ نعم ذاك ؟ قال : « انى مررت بقبرين يعذبان ، فأحببت بشفاعتى أن يرفه عنهما ، مادام الغصنان رطبين »

قال : فأتينا العسكر ، فقال رسول الله ﷺ يا جابر ، ناد بوضوء ، فقلت : ألا وضوء ؟ ألا وضوء ؟ قال : فقلت : يا رسول الله ما وجدت فى الركب من قطرة .. وكان رجل من الأنصار يبرد لرسول الله ﷺ الماء فى الشجاب له عـلى حمازة من جريد ، قال : فقال لى « انطلق الى فلان ابن فلان الأنصارى ، فانظر هل فى اشجابه من شيء »؟ قال : فانطلقت اليه . فنظرت فيها فلم أجد فيها الا قطرة فى عزلاء شـجب منها لو أنى أفرغه لشربة يابسة .. فأتيت رسول الله ﷺ فقلت .. يا رسول الله ، انى لم أجـد فيهـا الا قطـرة فى عزلاء شـجب منها ، لو أنى أفرغه لشربة يابسـة . فقال : « أذهب فأتنى به » .. فأتيته به ، فأخذ بيده فجعل يتـكلم بشيء لا أدرى ما هو . ويغمزه بيده ، ثم أعطانيه ، فقال : « يا جابر ، ناد بجفنه » .

فقلت : يا جفنة الركب ٠٠ فأتيت بها تحمل ٠٠ فوضعتها بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ بيده فى الحفنة هكذا ، فبسطها وفرق بين أصابعه ، ثم وضعها فى قعر الجفنة ، وقال « خذ يا جابر ، فصب على ، وقل باسم الله » ٠٠ فصببت عليه وقلت : باسم الله ، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله ﷺ ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت ٠٠ فقال « يا جابر » « ناد من كل له حاجة بماء » قال : فأتى الناس فاستقوا حتى ارتوا ٠٠ قال : فقلت : هل بقى أحد له حاجة : فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهى ملأى ٠

● وعسى الله أن يطعمكم :

وشكا الناس الى رسول الله ﷺ الجوع فقال « عسى الله أن يطعمكم » فأتينا سيف البحر فزحن البحر زحزة ، فالقى دابة ، فأورينا (أوقدنا) على شقها النار ، فأطبخنا واشتوينا وأكلنا حتى شبعنا ٠

قال جابر : فدخلت أنا وفلان وفلان ، حتى عد خمسة ، فى حجاج عينها ، ما يرانا أحد حتى خرجنا فأخذنا ضلعا من أضلاعه فقوسناه ، ثم دعونا بأعظم رجل فى الركب ، وأعظم جمل فى الركب ، وأعظم كفل فى الركب ، فدخل تحته ما يطأطىء رأسه ٠

نبع الماء وتكثيره بين يديه صلى الله عليه وسلم فى غزواته وأسفاره

نبع الماء من أصابعه صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ٠

روى البخارى عن جابر بن عبد الله قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبى ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ ، فجهش الناس نحوه ، فقال « مالكم » ، قالوا :

ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب الا ما بين يديك ٠٠ فوضع يده في الركوة ، فجعل الماء يفور بين أصابعه كأمثال العيون ، فشربنا وتوضأنا ٠ قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ٠٠ كنا خمس عشرة مائة ٠

● **تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم :**

روى البخارى عن عبد الله بن مسعود قال : كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقل الماء ، فقال « اطلبوا فضلة من ماء » ٠

فجاءوا باناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الاناء ، ثم قال : « حي على الطهور المبارك ، والبركة من الله عز وجل » قال : فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ٠

● **ساقي القوم آخرهم :**

روى الامام أحمد عن أبي قتادة قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقال : «انكم ان لا تدركوا الماء غدا تعطشوا» ٠

وانطلق سرعان الناس يريدون الماء ٠٠ ولزمت رسول الله ﷺ ، فمالت برسول الله ﷺ راحلته ، فنعس رسول الله ﷺ فدعمته فادعم ، ثم مال فدعمته فادعم ، ثم مال حتى كاد أن ينجفل عن راحلته فدعمته فانتبه ٠٠ فقال «من الرجل؟» قلت : أبو قتادة ٠٠ قال « منذ كم كان سيرك؟ » ثم قال منذ الليلة ٠٠ قال « حفظك الله كما حفظت رسوله » ثم قال « لو عرسنا » فمال الى شجرة فنزل فقال « انظر هل ترى أحدا ؟ » قلت : هذا راكب ، هذان راكبان ٠٠ حتى بلغ سبعة ٠ فقال « احفظوا علينا صلاتنا » ٠

فنمنا ، فما أيقظنا الا حر الشمس ، فانتبهنا ٠٠ فركب رسول الله ﷺ ، فسارو وسرنا هنيهة ثم ترك فقال « أمعكم

ماء ؟ » قال : قلت : نعم ، معي ميضأة فيها شيء من ماء ٠٠ قال « ائتني بها » ٠٠ فأتيته بها ، فقال « مسوا منها » ، مسوا منها » ٠

فتوضأ القوم وبقيت جرعة ، فقال « ازدهر بهـــا ، يا أبا قتادة ، فانه سـيكون لهـا نبـأ ثم اذن بلال وصـلوا الركعتين قبل الفجر ثم صلوا الفجر ٠٠ ثم ركب وركبنا ، فقال بعضهم لبعض فرطنا في صلاتنا ٠٠ فقال رسول الله ﷺ ما تقولون ؟ ان كان امر دنياكم فشأنكم وان كان أمر دينكم فالى) ٠

قلنا : يا رسول الله ، فرطنـا في صـلاتنا ٠٠ فقـال « لا تفريط في النوم انما التفريط في اليقظة فاذا كان ذلك فصلوها ومن الغد وقتها » ثم قال « صلوا بالقوم » ٠

قالوا : انك قلت بالأمس : ان لا تدركوا المـاء غـدا تعطشوا ، والناس بالماء ٠٠ قال فلما أصـبح النـاس وقد فقدوا بنيهم ، فقال بعضهم لبعض : ان رسول الله ﷺ بالماء ، وفي القوم أبو بكر وعمر ، فقالا : أيها الناس ، ان رسـول الله ﷺ لم يكن ليسبقكم الى الماء ويخلفكم ، وان يطع الناس أبا بكر وعمر يرشدوا ، قالها ثلاث ، فلما اشتدت الظهيرة رفع لهم رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسـول الله ، هلكنا عطشـا ، تقطعت الأعناق ٠٠ فقال « لا هلك عليكم » ثم قال « يا أبا قتادة ائت بالميضأة ، فأتيته بها ٠٠ فقال « احلل لي عمري » يعني قدحه ٠٠

فحللته فأتيته به ، فجعل يصب فيـه ويسـقي الناس ، فازدحم الناس عليه ٠٠ فقال رسول الله ﷺ « أيها النـاس أحسنوا الملأ فكلكم سيصدر عن ري » ٠

فشرب القوم حتى لم يبق غيري وغير رسول الله ﷺ ، فصب لي فقـال :« اشرب يا أبا قتادة » قال : قلت : اشرب

أنت يا رسول الله ٠٠ قال « ان ساقى القوم آخرهم » فشربت وشرب بعدى ، وبقى فى الميضأة نحو مما كان فيها ، وهم يومئذ ثلاثمائة ٠

قال عبد الله : فسمعنى عمران بن حصين وأنا أتحدث بهذا الحديث فى المسجد الجامع ، فقال من الرجل ؟ ، قلت : إنا عبد الله بن رباح الأنصارى ، قال : القوم أعلم بحديثهم، انظر كيف تحدث ، فانى أحد السبعة تلك الليلة ــ فلما فرغت قال : ما كنت أحسب أحدا يحفظ هذا الحديث غيرى ٠

● حديث عمران بن حصين فى ذلك :

روى الشيخان عن عمران بن حصين : كنا مع نبى الله ﷺ فى مسير فأدلجنا (الادلاج : السير الليل كله) ليلتنا ، حتى اذا كان فى وجه الصبح عرسنا ، فغلبتنا أعيننا حتى بزغت الشمس فكان أول من استيقظ منا أبو بكر ، وكنا لا نوقظ نبى الله ﷺ من منامه اذا نام حتى يستيقظ ، ثم استيقظ عمر ، فقام عند نبى الله ﷺ فجعل يكبر ويرفع صوته بالتكبير ، حتى استيقظ رسول الله ﷺ، فلما رفع رأسه ورأى الشمس قد بزغت قال « ارتحلوا » ٠ فسار بنا حتى اذا ابيضت الشمس ثم نزل فصلى بنا الغداة ، فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا فلما انصرف قال له رسول الله ﷺ « يا فلان، ما منعك أن تصلى معنا ؟ » قال : يا نبى الله أصابتنى جنابة ، فأمره رسول الله ﷺ أن يتيمم بالصعيد ، فصلى ، ثم عجلنى فى ركب بين يديه لطلب الماء ، وقد عطشنا عطشا شديدا ، فبينما نحن نسير اذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين ، فقلنا لها : أين الماء ؟ قالت : أيهاه ، أيهاه لا ماء لكم ٠ قلنا : فكم بين أهلك وبين الماء ؟ قالت مسيرة يوم وليلة ٠٠ فقلنا : انطلقى الى رسول الله ﷺ قالت :

وما رسول الله ؟ فلم نملكها من أمرها شيئا حتى انطلقنا بها ، فاستقبلنا بها رسول الله ﷺ سألها ، فأخبرته مثل الذى أخبرتنا وأخبرته أنها موتمة ، لها صبيان أيتام ، فأمر براويتها ،فأنخيت ، فمج فى العزلاوين العلياوين ، ثم بعث براويتها فشربنا ونحن اربعون رجلا عطاشا ، حتى روينا ، وملأنا كل قربة معنا واداوة ، وغسلنا صاحبنا غير آنا لم نسق بعيرا وهى تكاد تنضرج من الماء (يعنى المزاوتين) ثم قال : هاتوا ما كان عندكم » فجمعنا لها من كيس تمر ، وصر لها صرة ، فقال لها « اذهبى فأطعمى هذا عيالك ، واعلمى أنا لم نرزأ من مائك » فلما أتت أهلها قالت : لقد لقيت أسحر البشر ، أو انه لنبى كما زعم ، كان من أمره ذيت وذيت . فهدى الله ذاك القوم بتلك المرأة ، فأسلمت وأسلموا .

★★★

● **حديث أنس بن مالك :**

روى البيهقى عن آنس بن مالك أن رسول الله ﷺ جهز جيشا الى المشركين فيهم أبو بكر فقال : « جدوا السير ، فان بينكم وبين المشركين ماء ، ان سبق المشركون الى ذلك الماء شق على الناس وعطشتم عطشا شديدا أنتم ودوابكم . قال : وتخلف رسول‌الله ﷺ فى ثمانية أنا تاسعهم، وقال لأصحابه : « هل لكم أن نعرس قليلا ثم نلحق بالناس ؟ » قالوا نعم يا رسول الله .. فعرسوا ، فما أيقظهم الا حر الشمس ، فاستيقظ رسول الله ﷺ واستيقظ أصحابه .. فقال لهم « تقدموا واقضوا حاجاتكم » ففعلوا ، ثم رجعوا الى رسول‌الله ﷺ فقال لهم « هل مع أحد منكم ماء ؟ » .

فقال رجل منهم : يا رسول الله ، معى ميضأة فيها شيء من ماء .. قال « فجيء بها » فجاء بها ، فأخذها نبى الله ﷺ فمسحها بكفيه ودعا بالبركة فيها ، وقال لأصحابه « تعالوا فتوضئوا » .

فجاءوا وجعل يصب عليهم رسول الله ﷺ حتى توضئوا كلهم ، فأذن رجل منهم وأقام ، فصلى رسول الله ﷺ بهم وقال لصاحب الميضأة : « ازدهر بميضأتك فسيكون لها شأن » .

وركب رسول الله ﷺ قبل الناس وقال لأصحابه « ما ترون الناس فعلوا ؟ » .

قالوا : الله ورسوله أعلم .. فقال لهم : « فيهم أبو بكر وعمر وسيرشد الناس » .

فقدم الناس وقد سبق المشركون الى ذلك الماء ، فشق ذلك على الناس وعطشوا عطشا شديدا ركابهم ودوابهم .. فقال رسول الله ﷺ : « أين صاحب الميضأة ؟ » .

قالوا : هو هذا يا رسول الله قال« جئنى بميضأتك » فجاء بها وفيها شىء من ماء فقال لهم : « تعالوا فاشربوا » .

فجعل يصب لهم رسول الله ﷺ حتى شرب الناس كلهم وسقوا دوابهم وركابهم وملأوا ما كان معهم من أداوة وقربة ومزادة ، ثم نهض رسول الله ﷺ وأصحابه الى المشركين فبعث الله فقرب وطوه المشركين وأنزل الله نصره ، وأمكن من ديارهم ، فقتلوا مقتلة عظيمة ، وأسروا أسارى كثيرة ، واستاقوا غنائم كثيرة .. ورجع رسول الله ﷺ والناس وافرين صالحين جريان عين تبوك بالماء .

روى مسلم عن معاذ بن جبل قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك ،فكان يجمع الصلاة ، فصلى الظهر والعصر جميعا ، والمغرب والعشاء جميعا ، حتى اذا كان يوما آخر الصلاة ثم خرج فصلى الظهر والعصر جمعا ، ثم دخل ثم خرج بعد ذلك ، فصلى المغرب والعشاء جمعا ، ثم قال : « انكم ستأتون غدا ، ان شاء الله ، عين تبوك ، وانكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئا حتى آتى » فجئناها وقد سبقنا اليها رجلان ، والعين مثل الشراك تبيض بشىء من ماء .

قال : فسألهما رسول الله ﷺ « هل مسستما من مائهــا شيئا ؟ » ٠

قالا : نعم ٠٠ فعاتبهما رسول الله ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول ، قال : ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلا قليلا، حتى اجتمع فى شيء ٠٠ قال : وغسل رســول الله ﷺ يديه ووجهه ، ثم أعاده فيها ٠٠ فجرت العين بماء منهمر ، وقال : غزير ــ شك أبو على أيهما قال ــ حتى استقى الناس ثم قال « يوشك يا معاذ ، ان طالت بك حيــاة أن ترى ما ههنا قد ملىء جنانا » ٠

● ما ظهر فى البئر التى كانت بقباء من بركة :

روى البيهقى عن يحيى بن ســـعيد أن أنس بن مالك أتاهم بقباء ، فسأله عن بئر هناك ٠٠ قال : فدللته عليها٠

فقال : لقد كنت هذه وان الرجل لينضح عــلى حمــاره فينزح ، فجاء رسول الله ﷺ وأمر بذنوب فسقى ، فاما أن يكون توضأ منه ، واما أن يكون تفل فيه ، ثم أمر به فأعيد فى البئر ٠٠ قال : فما نزحت بعد ٠ قال : فرأيته بال ثم جاء فتوضأ ومسح على جبينه ثم صلى ٠

وروى أبو بكر البزار عن أنس قال : أتى رسول الله ﷺ فنزلنا فسقيناه من بئر لنا فى دارنا كانت تسمى النذور ، فى الجاهلية ، فتفل فيها فكانت لا تنزح بعــــد ، ثم قال : لا نعلم هذا يروى الا من هذا الوجه ٠

● تكثيره ــ عليه السلام ــ الأطعمة للحاجة اليها فى غير ما موطن :

ما جاء فى تكثيره اللبن لأهل الصفة :

روى الامام أحمد أن أبا هريرة كان يقول : والله انى كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع وانى كنت لأشد

الحجر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدت يوما عــلى طريقهم الذى يخرجون منه ، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله عز وجل ، ما سألته الا ليستتبعنى . فلم يفعل .. فمر عمر فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته الا ليستتبعنى ، فلم يفعل .. فمر أبو القاسم ﷺ ، فعرف ما فى وجهى وما فى نفسى ، فقال « آبا هريرة » قلت له : لبيك يا رسول الله فقال « ألحق » واستأذنت فأذن لى ، فوجدت لبنا فى قدح .. فقال « من أين لكم هذا اللبن ؟ » .

قالوا : أهداه لنا فلان وآل فلان .. قال « أبا هريرة » قلت لبيك يا رسول الله قال «انطلق الى أهل الصفة، فادعهم لى».

قال : وأهل الصفة اضياف الاسلام ، لم يأووا الى أهل ولا مال ، اذا جاءت رسول الله ﷺ هدية أصاب منها وبعث اليهم منها .. قال : وأحزننى ذلك ، وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوى بها بقية يومى وليلتى ، فقلت : أنا الرسول ، فاذا جاء القــوم كنت أنا الذى أعطيهم ، وقلت : ما يبقى لى من هــــذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فانطلقت فدعوتهم فأقبلوا ، فاستأذنوا فأذن لهم ، فأخذوا مجالسهم من البيت .. ثم قال « أبا هر ! خذ فأعطهم». فأخذت القدح فجعلت أعطيهم ، فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى أتيت على آخرهم ، ودفعت الى رســول الله ﷺ فأخــذ القدح فوضعه فى يده وبقى فيه فضلة ، ثم رفع رأســـه ونظر الى وتبسم ، وقال : « أبا هر » فقلت : لبيك رسول الله .. قال « بقيت أنا وأنت » فقلت : صدقت يا رسول الله .. قال «فاقعد فاشرب» . قال فقعدت فشربت ثم قال لى «اشرب». فشربت فمازال يقول لى « اشرب » فأشرب حتى قلت : لا ، والذى بعثك بالحق ما أجد له فى مسلكا .. قال « ناولنى القدح » فرددت اليه القــدح فشرب من الفضلة .. ورواه البخارى عن أبى نعيم ، وأخرجه الترمذى وقال : صحيح .

نزول اللبن من ضرع الشاة ببركة مسحة صلى الله عليه وسلم :

روى الامام أحمد عن أبى مسعود قال : كنت أرعى غنما لعقبة بن أبى معيط ، فمر بى رسول الله ﷺ وأبو بكر فقال « يا غلام ، هل من لبن ؟ » .. قال : فقلت نعم ولكنى مؤتمن .. قال « فهل من شاة لم ينشز عليها الفحل ؟ » .. فأتيته بشاة ، فمسح ضرعها ، فنزل لبن ، فحلبه فى اناء فشرب وسقى ابا بكر .. ثم قال للضرع : « اقلص » .. فقلص .

قال : ثم أتيته بعد هذا فقلت : يا رسول الله علمنى من هذا القول ، قال : فمسح رأسى وقال » يرحمك الله ، فانك عليم معلم » رواه البيهقى ، وقال فيه : فأتيته بعناق جذعة فاعتقلها ، ثم جعل يمسح ضرعها ويدعو ، وأتاه أبو بكر بجفنة تحلب فيها وسقى أبا بكر ثم شرب ، ثم قال للضرع « اقلص » .. فقلص ..

فقلت : يا رسول الله علمنى من هذا القول ، فمسح رأسى وقال « انك غلام معلم » فأخذت عنه سبعين سورة ما نازعنيها بشر .

حديث أم معبد :

روى البيهقى عن أبى معبد الخزاعي أن رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة الى المدينة هو وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثى ، فمروا بخيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتسى وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقى فسألوها : هل عندها لحم أو لبن يشترونه منها ؟ فلم يجدوا عندها شيئا من ذلك ، وقالت : لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى واذا القوم مرحلون فنظر رسول الله ﷺ ، فاذا شاة فى كيسر خيمتها فقال « ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ فقالت :

شاة خلفها الجهد عن الغنم ٠٠ فقال « فهل بهـا من لبن ؟ » قالت : هي أجهد من ذلك قال : « أتأذنين لى أن أحلبها » ؟ قالت : ان كان بها حلب فاحلبها ٠

فدعا رسول الله ﷺ بالشـاة فمسحها وذكر اسـم الله ومسح ضرعها وذكر اسم الله ودعا باناء لها يربض الرهط ، فتفاجت واجترت ، فحلب فيـه ثجـا حتى ملأه وأرسله اليها فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللا بعد نهل ، حتى اذا رووا شرب آخرهم وقال : « ساقى القوم آخرهم » ٠

ثم حلب فيه ثانيا عودا عـلى بدء ، فغادره عندها ثم ارتحلوا ٠ فقلما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا تتناوه هزلى لا نقى بهن ، مخهن قليل ، فلما رأى اللبن عجب وقال : من أين هـذا اللبن يا أم معبـد ولا حلوبة فى البيت والشاة عازب ؟ فقالت : لا والله ، انه مر بنـا رجـل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ٠

فقال : صفيه لى ، فوالله انى لأراه صاحب قريش الذى تطلب ٠ فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، حسن الخلق ، مليح الوجه ، لم تعبه ثجلة (ضخامة البطن) ، ولم تزر به صعلة ، قسيم وسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف ، وفى صوته صحل ، أحور ، أكحـل أزج أقرن ، فى عنقـه سطع ، وفى لحيته كثاثة ، اذا صـمت فعليه الوقار ، واذا تكلم سما وعلاه البهاء حلو المنطق ، فصل ، لا ترد ولا هذر كأن منطقه حرزات نظم ينحدرن أبهى الناس وأجمله من بعيد وأحسن من قريب ــ ربعه لا تنشأه عين من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدا ، له رفقاء يحفون به ، ان قال استمعوا لقوله ، وان أمر تبادروا لأمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفتد ٠ فقال ــ أى بعلها : هذا والله صـاحب قريش الذى تطلب ، ولو صادفته لالتمست أن أصحبه ، ولأجتهدن ان وجدت الى ذلك سبيلا ٠

وأصبح صوت بمكة عال بين السماء والأرض يسمعونه
ولا يرون من يقول ، وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به
فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ما ذوى الله عنكم
به من فعال لا تجازى وسؤدد
سلوا أختكم عن شاتها وانائها
فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت
له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادره رهنا لديها لحالب
يدور لها فى مصدر ثم مورد

وأصبح الناس – يعنى بمكة – وقد فقدوا نبيهم ،
فأخذوا على خيمتى أم معبد حتى لحقوا برسول الله ﷺ .
قال : وأجابه حسان بن ثابت :

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم
وقد سر من يسرى اليهم ويغتدى
ترحل عن القوم فزالت عقولهم
وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم
وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا
عمى وهداة يهتدون بمهتد ؟

نبى يرى مالا يرى الناس حوله
ويتلو كتاب الله فى كل مشهد

وان قال فى يوم مقالة غائب
فتصديقها فى اليوم أو ضحى الغد

ليهن أبا بكر سعادة جده
بصحبته من يسعد الله يسعد

وليهن بنى كعب مكان فتاتهم
ومقعدها للمسلمين بمرصد

قال عبد الملك بن وهب : فبلغنى أن أبا معبد أسلم وهاجر الى النبى ﷺ .

تكثيره ـ صلى الله عليه وسلم ـ السن لأم سليم :

● حديث أنس ـ رضى الله عنه :

روى الحافظ أبو يعلى عن أنس عن أمه قال : كانت لها شاة ، فجمعت من سمنها فى عكة، فملأت العكة ، ثم بعثت بها مع ربيبة . فقالت : يا ربيبة ، أبلغى هذه العكة رسول الله ﷺ يأتدم بها ، فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله هذه عكة سمن بعثت بها اليك أم سليم ، قال : « افرغوا لها عكتها » ففرغت العكة فدفعت اليها ، فانطلقت بها ، وجاءت وأم سليم ليست فى البيت ، فعلقت العكة على وتد فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر ، فقالت أم سليم : يا ربيبة ألست أمرتك أن تنطلقى بها الى رسول الله ﷺ ؟ فقالت : قد فعلت ، فان لم تصدقينى، فانطلقى فسلى رسول الله ﷺ ؟ فانطلقت ومعها ربيبة ، فقالت : يارسول الله ، انى أبعث معها اليك بعكة فيها سمن ، قال « قد فعلت ، قد جاءت » .

قالت : والذى بعثك بالحق ودين الحق انها لممتلئة تقطر سمنا ، فقال لها رسول الله ﷺ « يا أم سليم ، اتعجبين ان كان الله أطعمك ، كما اطعمت نبية ؟ كلي وأطعمى ، فقالت فجئت الى البيت فقسمت فى قعب لنا وكذا وكذا ، وتركت فيهـا ما ائتدمنا به شهرا او شهرين ٠

● حديث أوس بن خالد :

روى البيهقى عن أوس بن خالد عن أم أوس البهزية قالت : سليت سمنا لى فجعلته في عكة فأهديته لرسـول الله ﷺ فقبله ، وترك فى العكة قليلا ونفخ فيها ، ودعا بالبركة ، ثم قال « ردوا عليها عكتها » ٠٠ فردوها عليها وهى مملوءة سمنا ٠٠ قالت فظننت أن رسول الله ﷺ لم يقبلها ، فجاءت ولها صراخ ، فقالت : يا رسول الله انما سليته لك لتأكله ، فعلم أن قد استجيب له ، فقال : « اذهبوا فقولوا لها فلتأكل سمنها وتدعـو بالبركة ٠٠ فأكلت بقيـة عمر النبى ﷺ وولاية أبى بكر وولاية عمر وولاية عثمان ، حتى كان من أمر على ومعاوية ما كان » ٠

تكثيرة السمن لأم شريك :

روى البيهقى عن أبى هريرة قال : كانت امرأة من دوس يقال لها أم شريك ، أسلمت فى رمضان فذكر الحـديث فى هجرتها وصحبة ذلك اليهودى لها ، وأنها عطشت فأبى أن يسقيها حتى تهـود فنامت فرأت فى النـوم من يسـقيها ، فاستيقظت وهى ريانة ٠٠ فلما جاءت رسول الله قصت عليه القصة ، فخطبها الى نفسـها ، فرأت نفسـها أقل من ذلك ، وقالت : بل زوجنى من شئت فزوجها زيدا ، وأمر لها بثلاثين صاعا ، وقال « كلوا ولا تكيلوا » ٠٠ وكانت معها عكة سمن هدية لرسول الله ﷺ ، فأمرت جاريتها أن تحملها الى رسول الله ﷺ ، ففرغت وأمرها رسـول الله ﷺ اذا أردتهـا أن تعلقها ولا توكئها ، فدخلت أم شريك فوجدتها ملآى ، فقالت

للجارية : ألم آمرك أن تذهبى بها الى رسول الله ﷺ ؟ فقالت: قد فعلت ٠٠ فذكروا ذلك لرسـول الله ﷺ ، فأمرهم أن لا يوكئوها ٠٠ فلم تزل حتى أوكتها أم شريك ، ثم كالوا الشعير فوجدوه ثلاثين صاعا لم ينقص منه شىء ٠

ما جاء فى سمن أم مالك :

روى مسلم عن جابر أن أم مالك كانت تهدى للنبى ﷺ فى عكة لها سمنا فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم شىء ، فتعمد الى الذى كانت تهدى فيه للنبى ﷺ فتجد فيه سمنا ، فمازال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته ، فأتت النبى ﷺ فقال : «غضرتيها ؟ » ٠٠ قالت : نعم ٠ قال « لو تركتيها مازال قائما » ٠

وروى مسلم أيضا عن جابر أن رجلا أتى النبى ﷺ يستطعمه ، فأطعمه شطر وسق شعير فمازال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله فأتى النبى ﷺ فقال « لو لـم تكله لأكلتم منه ولقام لكم » ٠

تكثير الطعام بين يديه صلى الله عليه وسـلم وما فى ذلك من معجـزات :

(١) ضيافة أبى طلحة الأنصارى رسول الله ﷺ وما ظهر فى ذلك اليوم من دلالات النبوة فى تكثير الطعام :

روى البخارى عن أنس بن مالك قال : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيـه الجوع ، فهل عندك من شىء ؟

قالت : نعم : فأخرجت أقراصا من شعير ، ثم أخرجت خمارا لها ، فلت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدى ولاثتنى ببعضه ٠٠ ثم أرسلتنى الى رسول الله ﷺ ٠٠ قال : فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ فى المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال لى رسـول الله ﷺ « أرسـلك أبو طلحة ؟ » ٠ فقلت : نعم ٠٠ قال « بطعام ؟ » قلت : نعم ٠

فقال رسول الله ﷺ لمن معه « قوموا » ٠٠ فانطلق ، وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته ، فقال أبو طلحة : « يا أم سليم » قد جاء رسول الله ﷺ والناس ليس عندنا ما نطعمهم !!

فقالت : الله ورسوله أعلم ٠٠ فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله ﷺ فاقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله : هلمى يا ام سليم ما عندك؟» ، فاتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول . ثم قال : « ائذن لعشرة » ٠٠ فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال « ائذن لعشرة » فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ، ثم قال « ائذن لعشرة » فأكل القوم كلهم حتى شبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا ٠ وقد رواه البخارى فى موضع آخر من صحيحه ، وسلم من غير وجه عن مالك ٠

● وروى الامام أحمد عن أنس بن مالك قال : بعثنى أبو طلحة الى رسول الله ﷺ لأدعوه ، وقد جعل له طعاما ٠٠ فأقبلت ورسول الله ﷺ مع الناس ٠٠ قال : فنظر الى ، فاستحييت ، فقلت أجب أبا طلحة ٠٠ فقال للناس « قوموا » فقال أبو طلحة : يا رسول الله ، انما صنعت شيئا لك قال : فمسها رسول الله ﷺ ودعا فيها بالبركة ، ثم قال : « أدخل نفرا من أصحابى عشرة » فقال « كلوا » ٠٠ فأكلوا حتى شبعوا وخرجوا ، وقال « أدخل عشرة »٠٠ فأكلوا حتى شبعوا فمازال يدخل عشرة ويخرج عشرة حتى لم يبق منهم أحد الا دخل فأكل حتى شبع ٠٠ ثم هيأها فاذا هى مثلها حين أكلوا منها ٠ وقد رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى بكر بن شيبة ٠

● وروى الامام أحمد بن أنس بن مالك قال : أتى أبو طلحة بمدين من شعير ، فأمر به فصنع طعاما ، ثم قال لى : يا أنس ، انطلق ائت رسول الله ﷺ فادعه ، وقد تعلم ما عندنا ، قال : فأتيت رسول الله ﷺ وأصحابه عنده فقلت :

ان آبا طلحة يدعوك الى طعامه ، فقال وقال للناس «قوموا» ٠٠ فقاموا ، فجئت آمشي بين يديه حتى دخلت على ابى طلحة فأخبرته ، قال : فضحتنا قلت : انى لم أستطع ان ارد على رسول الله ﷺ أمره ٠٠ فلما انتهى النبي ﷺ الى الباب قال لهم « اقعدوا » ٠٠ ودخل عاشر عشرة ، فلما دخل أتى بالطعام ، تناول فأكل وآكل معه القوم حتى شبعوا ، ثم قال لهم « قوموا » ٠٠ وليدخل عشرة مكانكم ٠٠ حتى دخل القوم كلهم وآكلوا قال : قلت : كم كانوا ؟ قال : كانوا نيفا وثمانين ٠٠ قال : وفضل لأهل البيت ما أشبعهم وقد رواه مسلم فى الأطعمة عن أنس قال : أمر أبو طلحة أم سليم قال : اصنعى للنبى ﷺ لنفسه خاصة طعاما يأكل منه ، فذكر نحو ما تقدم ٠

● وروى الامام أحمد من طريق يونس بن محمد عن انس بن مالك ، قال : قالت أم سليم : اذهب الى نبى الله ﷺ فقل: ان رأيت أن تتغذى عندنا فافعل، قال: فجيئته فبلغته ـ « ومن عندى ؟ » فقلت : نعم ٠٠ قال : « انهضوا » قال : فجئت فدخلت على أم سليم وأنا لندهش لمن أقبل مع رسول الله ﷺ قال : فقالت أم سليم : ما صنعت يا أنس ؟

فدخل رسول الله ﷺ على أثر ذلك فقال « هل عندك سمن ؟ » قالت : نعم ٠٠ قد كان منه عندى عكة فيها شىء من سمن ٠٠ قال : « فائت بها » ٠٠ قالت فجئته بها ـ ففتح رباطها ، ثم قال : « باسم الله ، اللهم أعظم فيها البركة » قالت : فقال « اقلبيها » ، فقلبتها ، فعصرها نبى الله ﷺ وهو يسعى ، فأخذ تقطر قطرا ، فأكل منها بضعة وثمانون رجلا ، ففضل فضلة فدفعها الى أم سليم فقال : كلى وأطعمى جيرانك » ورواه مسلم من طريق حجاج بن الشاعر ٠

● وروى مسلم من طريق حرملة بن يحيى التجيبى عن أنس بن مالك قال : جئت رسول الله ﷺ يوما فوجدته جالسا مع أصحابه يحدثهم ، وقد عصب بطنه بعصابة ٠ قال أسامة : وأنا أشك « على حجر » ـ فقلت لبعض أصحابه :

لم عصب رسول الله ﷺ بطنه ؟ قالوا : من الجوع ٠٠ فذهبت الى أبي طلحة ، وهو زوج أم سليم بنت ملحان ، فقلت : يا أبتاه قد رأيت رسول الله ﷺ عصب بطنه بعصابة ، فسألت بعض أصحابه فقالوا من الجوع فدخل أبو طلحة على أمي فقال : هل من شيء ؟

فقالت : نعم ـ عندى كسر من خبز وتمرات ، فان جاءنا رسول الله ﷺ اشبعناه ، وان جاء آخر معه قل عنهم ٠٠ ثم ذكر سائر الحديث بقصته ٠

فهذه طرق متواترة عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أنه شاهد ذلك ، على ما فيه من اختلاف عنه في بعض حروفه ، ولكن أصل القصة متواتر لا محالة كما ترى ، ولله الحمد والمنة ٠

(٢) حديث جابر وما ظهر يوم الخندق من معجزات وبركة :

روى البخارى عن جابر بن عبد الله قال : انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة ، فجاءوا النبى ﷺ فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق ٠٠ فقال «أنا نازل» ٠٠ ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا ، فأخذ النبى ﷺ المعول فضرب فى الكدية فعاد كثيبا أهيل أو أهيم ٠٠ فقلت : يا رسول الله، ائذن لى الى البيت ، فقلت لامرأتى : رأيت النبى ﷺ شيئا ما كان فى ذلك صبر، فهل عندك شيء ؟ قالت : عندى شعير وعناق ٠ فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم بالبرمة ، ثم جئت النبى ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافى قد كادت أن تنفح ٠٠ فقلت : طعيم لى ، فقم أنت يارسول الله ورجل أو رجلان، قال « كم هو » ٠٠ فذكرت له ، فقال « كثير طيب ، قل لها : لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى » ٠

فقال « قوموا » ٠٠ فقام المهاجرون والأنصار ، فلما دخل على امرأته قال : ويحك ! جاء النبى ﷺ بالمهاجرين

والأنصار ومن معهم ٠٠ قالت : هـل سألك ؟ قلت نعم ٠٠ فقال « ادخلوا ولا تضاغطوا » فجعـل يكسر الخبز ويجعـل عليه اللحم ويخمر البرمة والقدر اذا أخذ منه ويقرب الى أصـحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقى بقية ، قال : « كل هذا وأهدى ، فان النـاس أصابتهم مجاعة » تفرد به البخارى ٠

ورواه البيهقى فى الدلائل عن الحاكم ، وفيه : لما علم النبى ﷺ بمقدار الطعام ٠ قال للمسلمين جميعا « قوموا الى جابر » ٠٠ فقاموا ٠٠ قال : فلقيت من الحيـاء مالا يعلمه الا الله ، وقلت : جاءنا بخلق على صاع من شعير وعناق !! ودخلت على امرأتى أقول : افتضحت ٠٠ جاءك رسـول الله ﷺ بالخندق أجمعين ، فقالت : هل كان سألك : كم طعامك ؟ قلت : نعم ٠٠ قلت الله ورسوله أعلم ٠

قال : فكشفت عنى غما شديدا ٠٠ ودخل رسول الله ﷺ فقال « خذى ودعينى من اللحم » وجعل رسول الله ﷺ يثرد ويغرف اللحم ويخمر هذا ــ ويخمر هذا ، فمازال يقرب الى الناس حتى شـبعوا أجمعين ، ويعود التنـور والقـدر آملا ما كانا ، ثم قال رسول الله ﷺ : « كلى وأهدى » ٠٠ فلم تزل تأكل وتهدى يومها ٠ ومن العجب الغريب ما ذكره الحافظ أبو عبد الرحمن بن محمد بن المنذرى العروى ــ المعـروف بشكر فى كتاب « العجائب الغريبة » فى هذا الحديث فانه أسنده وساقه بطوله ، وذكر فى آخره شيئا غريبا ، فقد روى عن كعب بن مالك قال : أتى جابر بن عبد الله الى رسول الله ﷺ فعرف فى وجهه الجوع ، فذكر أنه رجع الى منزله فذبح داجنا كانت عندهم وطبخها ، وثرد تحتها فى جفنة ، وحملها الى رسول الله ﷺ فأمره أن يدعو له الأنصار ، فأدخلهم عليـه آرسالا ، فأكلوا كلهم وبقى مثل ما كان ٠ وكان رسول الله ﷺ يأمرهم أن يأكلوا ولا يكسروا عظما ، ثم انه جمع العظام فى وسط الجفنة فوضع عليها يده ، ثم تكلم بكلام لا أسمعه ، الا أنى أرى شفتيه تتحـرك ، فاذا الشـاة قد قامت تنفض

أذنيها ، فقال « خذ شاتك يا جابر ، بارك الله لك فيهـــا » قال : فأخذتها ومضيت ، وانها لتنازعني أذنها حتى آتيت بها البيت ، فقالت لي المرأة : ما هذا يا جابر ؟

فقلت : هذه والله شاتنا التي ذبحناها لرسول الله ، دعا الله فأحياها لنا . فقالت : أنا أشهد أنه رسول الله ، آشــهد أنه رسول الله ، أشهد أنه رسول الله .

(٣) تكثيره ــ صلى الله عليه وسلم ــ الطعــــام في بيت فاطمــــة :

روى الحافظ أبو يعلى عن جابر أن رسول الله ﷺ أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شــق ذلك عليه فطــاف في منازل أزواجه فلم يصب عند واحدة منهن شيئا ، فأتى فاطمة فقال « يا بنية ، هل عندك شيء آكله فاني جائع ؟ » .. فقالت : لا ، والله بأبي أنت وأمي فلما خرج من عندها بعثت اليهــا جارة لها برغيفين وقطعة لحم ، فأخذته منها فوضــعته في جفنة لها وغطت عليها وقالت : لأوثرن بهذا رسول الله ﷺ على نفسي ومن عندي ــ وكانوا جميعا محتــاجين الى شــبعة طعام ، فبعثت حسنا أو حسينا الى رسول الله ﷺ فرجع اليها فقالت له : بأبي وأمي قد أتى الله بشيء فخبأته لك .. قال : « هلمي يا بنية » فكشف عن الجفنة ، فاذا هي مملوءة خبزا ولحما ، فلما نظرت اليها بهتت وعرفت أنها بركة من الله .. فحمدت الله وصلت على نبيه ﷺ وقدمته الى رسول الله .. فلما رآه حمد الله وقال : « من أين لك هذا يا بنية ؟ »

قالت : يا أبت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب .. فحمــد الله وقال « الحمــد لله الذي جعلك يا بنية شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ، فانهــا كانت اذا أرزقها الله شيئا فسئلت عنه قالت : هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب .

فبعث رسول الله ﷺ الى علي ، ثم أكل رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج رسول الله ﷺ وأهل بيته جميعا حتى شبعوا .

قالت : وبقيت الجفنة كما هى ٠٠ فأوسعت بقيتها على جميع جيرانها ، وجعل الله فيها بركة وخيرا كثيرا ٠ وهـذا حديث غريب اسنادا ومتنا ٠

(٤) تكثيره ـ صلى الله عليه وسلم ـ الطعام فى بداية الدعوة :

روى البيهقي فى الدلائل عن على بن أبى طالب قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ « وانذر عشيرك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » قال رسول الله ﷺ عرفت أنى ان بادأت بها قومى رأيت منهم ما أكره ، فصمت ـ فجاءنى جبريل ـ عليه السلام ، فقال يا محمد ، ان لم تفعل ما آمرك به ربك عذبك بالنار » ٠

قال على : فدعانى فقال « يا على ، ان الله قد أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين ، فأصنع لنا يا على شاة على صاع من طعام وأعد لنا عس لبن ، ثم أجمع لى بنى عبد المطلب ففعلت فاجتمعوا له يومئذ وهم أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون ، فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث ٠٠ فقدمت اليهم تلك الجفنة ، فأخذ رسول الله ﷺ منها خذية فشقها بأسنانه ثم رمى بها فى نواصيها وقال « كلوا باسم الله » ٠٠ فأكل القوم حتى نهلوا عندما نرى الا آثار أصابعهم ، والله ان كان الرجل ليأكل مثلها ٠٠ ثم قال رسول الله ﷺ « اسقهم يا على » ـ فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا ، وأيم الله ان كان الرجل ليشرب مثله ٠٠ فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب لعنه الله فقال :

تهد ما سحركم صاحبكم ٠٠ فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ « عد لنا مثل الذى كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب ، فان الرجل قد بدر الى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ، ثم جمعتهم له ، وصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس ،

فأكلوا حتى نهلوا عنه وأيم الله ان كان الرجل ليأكل مثلها .. ثم قال رسول الله ﷺ « اسقهم يا علي » فجئت بذلك القعب ، فشربوا منه حتى نهلوا جميعا ، وأيم الله ان كان الرجل منهم ليشرب مثله .. فلما أراد رسول الله ﷺ ان يكلمهم ، بدره أبو لهب لعنه الله الى الكلام فقال « تهد ما سحركم صاحبكم ؟ » فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ . فلما كان من الغد ، قال رسول الله ﷺ « يا علي ، عد لنا بمثل الذى كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب ، فان هذا الرجل قد بدرني الى ما سمعت قبل أن أكلم القوم » ففعلت ثم جمعتهم له ، فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا ، وأيم الله ان كان الرجل ليأكل مثلها وليشرب مثلها .. ثم قال رسول الله ﷺ .. يا بني عبد المطلب ، اني والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، اني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة .

(٥) مائدة تمد من السماء :

روى الامام أحمد عن سمرة بن جندب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ اذ أتى بقصعة فيها ثريد .. قال : فأكل وأكل القوم ، فلم يزل يتداولونها الى قريب من الظهر ، يأكل قوم ثم يقومون ويجيء قوم فيتعاقبونه .. قال : فقال له رجل : هل كانت تمد بطعام ؟ قال : أما من الأرض فلا الا وان كانت تمد من السماء .

وفي رواية أخرى لأحمد عن سمرة أيضا : أن رسول الله ﷺ أتى بقصعة فيها ثريد فتعاقبوها الى الظهر من غدوة ، يقوم ناس ويقعد آخرون ، قال له رجل : هل كانت تمد ؟ فقال له : فمن أي شيء تعجب ؟ ما كانت تمد الا من ها هنا ، وأشار الى السماء .

(٦) بركة الطعام فى بيت الصديق :

روى البخارى عن عبد الرحمن بن أبى بكر ــ رضى الله عنهما ــ أن اصحاب الصفة كانوا اناسا فقراء وان النبى ﷺ قال مرة « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس » أو كما قال وان أبا بكر جاء بثلاثة ، وانطلق النبى ﷺ بعشرة ، وأبو بكر بثلاثة ، قال : فهو أنا وأبى وأمى ، ولا أدرى هل قال امرأتى وخادمى بين بيتنا وبيت أبى بكر .. وأن أبا بكر تعشى عند النبى ﷺ ثم لبث حتى صلى العشاء ، ثم رجع فلبث حتى تعشى رسول الله ﷺ ، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله ، قالت له امرأته : ما أحسبك عن أضيافك ، أو ضيفك ؟ قال : أو ما عشيتيهم ؟ قالت : أبوا حتى تجىء قد عرضوا عليهم فغلبوهم ..

قال : فذهبت فاختبأت ، فقال : يا غنثر ! فجدع وسب وقال : كلوا .. [وفى رواية أخرى لا هنيئا] وقال : لا أطعمه أبدا .

قال : وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة الا قربا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا ، وصارت أكثر مما كانت قبل .. فنظر أبو بكر فاذا هى شىء أو أكثر .. فقال لامرأته :

ما هذا يا أخت بنى فراس . قالت لا ، وقرة عينى لهى الآن أكثر مما قبل بثلاث مرات .

فأكل منها أبو بكر وقال : انما كان الشيطان ، يعنى عينه .. ثم أكل منها لقمة . ثم حملها الى النبى ﷺ فأصبحت عنده . قال : وكان بيننا وبين قوم عهد ، فمضى الأجل فتعرفنا اثنى عشر رجلا ، مع كل رجل منهم أناس ، الله أعلم كم مع كل رجل ، غير أنه بعث معهم .. قال : فأكلوا منها أجمعون .. أو كما قال . ورواه أيضا مسلم فى صحيحه .

(٧) وكبد شاة تكفى مائة وثلاثين رجلا :

روى الامام أحمد عن عبد الرحمن بن أبى بكر قال : كنا مع النبى ﷺ ثلاثين ومائة ، فقال النبى ﷺ « هل مع أحد منكم طعام ؟ » فاذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه ، فعجن ، ثم جاء رجل مشرك مشعان طويل بغنم يسوقها ، فقال النبى ﷺ « أبيع أم عطية ؟ أو قال : « أم هبة » ؟ قال : لا ، بل بيع فاشترى منه شاة ، فصنعت ، وأمر النبى ﷺ بسواد البطن أن تشوى .

قال : وأيم الله ما من الثلاثين والمائة الا قد حز له رسول الله ﷺ حزة من سواد بطنها .. ان كان شاهدا أعطاها اياه ، وان كان غائبا خبأها له .. قال : وجعل منها قصعتين قال : فأكلنا أجمعين وشبعنا وفضل فى القصعتين فجعلناه على البعير .. أو كما قال . وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث معتمر بن سليمان .

(٨) دعاؤه صلى الله عليه وسلم بالبركة على فضل الزاد فى غزوة تبوك :

روى الامام أحمد عن أبى هريرة قال : خرج رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها فأرمل فيها المسلمون ، واحتاجوا الى الطعام ، فاستأذنوا رسول الله ﷺ فى نحر الابل فأذن لهم .. فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ قال : فجاء فقال يا رسول الله ابلهم تحملهم وتبلغهم عدوهم . ينحرونها ؟ . بل ادع يا رسول الله بخيرات الزاد فادع الله عز وجل فيها بالبركة .. قال « أجل » .. فدعا بخيرات الزاد ، فجاء الناس بما بقى معهم فجمعه ثم دعا الله عز وجل فيه بالبركة ، ودعا بأوعيتهم فملأها وفضل فضل كثير ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك :

« أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أني عبد الله ورسوله ، ومن لقي الله عز وجل بهما غير شاك دخل الجنة » ورواه مسلم والنسائي جميعا من طريق أبي بكر بن أبي النضر ·

● وروى الحافظ أبو يعلى عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد ــ شك الأعمش ــ قال ــ لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة ، فقالوا : يا رسول الله لو آذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وأدهنا ؟ قال « افعلوا » ·· فجاء عمر فقال : يا رسول الله ان فعلوا قل الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع لهم عليها بالبركة ، لعل الله أن يجعل في ذلك البركة فأمر رسول الله بنطع ، فبسط ودعا بفضل أزوادهم ·· قال · فجعل الرجل يجيء بكف التمر ، والآخر بالكسرة ، حتى اجتمع على النطع شيء من ذلك يسير ، فدعا عليه بالبركة ، ثم قال « خذوا في أوعيتكم » فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملأوه ، وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة ·· فقال رسول الله ﷺ « أشهد أن لا اله الا الله ، وأني رسول الله ، لا يلقى الله بها غير شاك فتحتجب عنه الجنة ، وهكذا رواه مسلم أيضا من طريق سهل بن عثمان ·

(٩) ما ظهر من بركة الطعام والماء في غزوة خيبر :

روى الحافظ أبو يعلى عن سلمة بن الاكوع قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر ، فأمرنا أن نجمع ما في أزوادنا ــ يعني من التمر ــ فبسط لنا نطعا نشرنا عليه أزوادنا ·· قال : فتمطيت فتطاولت فحزرته ــ كربضة شاة ، ونحن أربع عشرة مائة · قال : فأكلنا : ثم تطاولت فنظرت فحزرته كربضة شاة ، وقال رسول الله ﷺ « هل من وضوء ؟ » قال · فجاء رجل بنقطة في أداوته قال : فقبضها فجعلها في قدح ، قال : فتوضأنا كلنا فدغفقها دغفقة ونحن أربع عشرة مائة قال : فجاء اناس فقالوا :

يا رسول الله ، ألا من وضوء ؟ فقال « قد فرغ الوضوء » ، وقد رواه مسلم من طريق أحمد بن يوسف الأزدى ٠

(١٠) ما ظهر من المعجزات فى حفر الخندق :

روى محمد بن اسحاق أنه حدث ان ابنة البشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت : دعتنى امى عمرة بنت رواحة فاعطتنى حفنة من تمر فى ثوبى ، ثم قالت : أى بنية ، اذهبى الى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغذائهما ٠ قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها فمررت برسول الله ﷺ وأنا التمس أبى وخالى ، فقال « تعالى يا بنية ، ما هذا معك ؟ » ٠

قالت : قلت يا رسول الله هذا تمر بعثتنى به أمى الى أبى بشير بن سعد وخالى عبد الله بن رواحة يتغذيانه ٠٠ فقال « هاتيه » ٠٠ قالت : فصببته فى كفى رسول الله ﷺ فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لانسان عنده : « اصرخ فى أهل الخندق أن هلم الى الغداء » ٠٠ فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب ٠ هكذا رواه ابن اسحاق وفيه انقطاع ، وهكذا رواه البيهقى ومن طريقه ٠

● وروى ابن اسحاق قال : حدثت عن سلمان الفارسى أنه قال : ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت على صخرة ، ورسول الله ﷺ قريب منى ، فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان على نزل فأخذ المعول من يدى ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى قال : ثم ضرب به الثالثة ٠ فلمعت برقة أخرى فضرب ٠٠ قال : قلت بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟

قال : « أو قد رأيت ذلك يا سلمان ؟ » قال : قلت : نعم ٠٠ قال « أما الأولى فان الله فتح على بها اليمن ، وأما

الثانية فان الله فتح على بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فان الله فتح على بها الشرق » .

(١١) بركة تمر جابر وسداد دين أبيه :

روى البخارى عن جابر رضى الله عنه أن أباه توفى وعليه دين ، فأتيت النبى ﷺ ، فقلت : ان أبى ترك عليه دينا ، وليس عندى الا ما يخرج نخلة ، ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه ، فانطلق معى لكى لا يفحش على الغرماء .. فمشى حول بيدر من بيادر التمر ، فدعا ، ثم آخر ثم جلس عليه فقال «انزعوه» فأوفاهم الذى لهم ، وبقى مثل ما أعطاهم .

وهذا الحديث قد روى من طرق متعددة عن جابر بألفاظ كثيرة ، وحاصلها : أنه ببركة رسول الله ﷺ ودعائه له ومشيه فى حائطه وجلوسه على تمرة وفى الله دين أبيه ، وكان قد قتل بأحد ، وجابر كان لا يرجو وفاءه فى ذلك العام ولا ما بعده ، ومع هذا فضل له من التمر فوق ما كان يؤمله ويرجوه ، ولله الحمد والمنة .

(١٢) بركته ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى أداء دين سلمان :

روى أحمد عن سلمان قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذى على يا رسول الله ؟ أخذها فقلبها على لسانه ثم قال « خذها فأوفهم منها » فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم أربعين أوقية .

(١٣) بركته ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى مزود أبى هريرة وتمره :

روى الامام أحمد عن أبى هريرة قال : أتيت النبى ﷺ يوما بتمرات ، فقلت ادع الله لى فيهن بالبركة قال : فصفهن بين يديه ، ثم دعا فقال لى « اجعلهن فى مزود وأدخل يدك ولا تنثره » .

قال : فحملت منه كذا وكذا وسقا فى سبيل الله ، ونأكل ونطعم ، وكان لا يفارق حقوى فلما قتل عثمان ــ رضى الله

عنه ـ انقطع عن حقوى فسقط ورواه الترمذى وقال : حسن غريب من هذا الوجه ٠

● وفى رواية للبيهقى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : كان رسول الله ﷺ فى غزاة ، فأصابهم عوز من الطعام ، فقال « يا أبا هريرة ، عندك شىء ؟ » قال : قلت : شىء من تمر فى مزود لى ٠ قال « جىء به » قال : فجئت بالمزود قال « هات نطعا » ٠

فجئت بالنطع فبسطته ، فأدخل يده ، فقبض على التمر ، فاذا هو واحد وعشرون فجعل يضع كل تمرة ويسمى حتى اتى على التمر ، فقال به هكذا ، فجمعه ، فقال « ادع فلانا واصحابه » فأكلوا حتي شبعوا وخرجوا ثم قال « ادع فلانا واصحابه » وفضل ثم قال لى « اقعد » ٠

فقعدت ، فأكل وأكلت ٠٠ وفضل تمر فأدخلته فى المزود ، وقال لى : « يا أبا هريرة ، واذا أردت شيئا فأدخل يدك وخذه ، ولا تكفأ فيكفى عليك » قال : فما كنت أريد تمرا الا أدخلت يدى ، فأخذت منه خمسين وسقا فى سبيل الله ٠ قال ٠ وكان معلقا خلف رحلى ، فوقع فى زمن عثمان ، فذهب ٠

● وروى الامام أحمد عن أبى هريرة قال : أعطانى رسول الله ﷺ من تمر فجعلته فى مكيل فعلقناه فى سقف البيت ، فلم نزل نأكل منه حتي كان آخره اصابة أهل الشام حيث أغاروا بالمدينة تفرد به أحمد ٠

(١٤) حديث العرباض بن سارية وما كان من بركة تمر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

روى الحافظ ابن عساكر عن العرباض بن سارية قال : كنت ألزم باب رسول الله ﷺ فى الحضر والسفر فرأينا

ليلة ونحن بتبوك ، أو ذهبنا لحاجة فرجعنا الى رسول الله ﷺ وقد تعشى ومن عنده فقال « أين كنت منذ الليلة » فأخبرته ، وطلع جعيل بن سراقة وعبد الله بن معقل المزنى ، فكنا ثلاثة كلنا جائع ، فدخل رسول الله ﷺ بيت أم سلمة فطلب شيئا نأكله فلم يجده . فنادى بلالا « هل من شيء ؟ » فأخذ الجرب ينفضها ، فاجتمع سبع تمرات ، فوضعها فى صحفة ووضع عليهن يده وسمى الله ، وقال « كلوا باسم الله » فأكلنا ، فأحصيت أربعا وخمسين تمرة ، كلها أعدها ونواها فى يدى الأخرى وصاحباى يصنعان ما أصنع ، فأكل كل منهما خمسين تمرة ، ورفعنا أيدينا ، فاذا التمرات السبع كما هن : فقال « يا بلال ارفعهن فى جرابك » .

فلما كان الغد وضعهن فى الصحفة وقال « كلوا باسم الله » .. فأكلنا حتى شبعنا وانا لعشرة ، ثم رفعنا أيدينا وانهن كما هن سبع ، فقال « لولا أنى أستحى من ربى عز وجل لأكلت من هذه التمرات حتى نرد الى المدينة عن آخرنا» .. فلما رجع الى المدينة طلع غليم من أهل المدينة فدفعهن الى ذلك الغلام ، فانطلق يلوكهن .

(١٥) لو لم تكله لأكلت منه ما عشت :

روى البيهقى عن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، أنه استعان رسول الله ﷺ فى التزويج ، فأنكحه امرأة ، فالتمس شيئا فلم يجده .. فبعث رسول الله ﷺ أبا رافع وأبا أيوب بدرعه فرهناها عند رجل من اليهود بثلاثين صاعا من شعير، فدفعه رسول الله ﷺ اليه ، قال فطعمنا منه نصف سنة ، ثم أكلناه فوجدناه كما أدخلناه .. قال نوفل : فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال « لو لم تكله لأكلت منه ما عشت » .

• المسلم يشرب في معى واحد ، والكافر يشرب في سبعة أمعاء :

روى مالك عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ ضافه ضيف كافر ـ فأمر له رسول الله ﷺ بشاة فحلبت ، فشرب حلابها • ثم أخرى فشربه ، ثم أخرى فشربه حتى شرب حلاب سبع شياه •• ثم انه أصبح فأسلم ، فأمر له رسول الله ﷺ بشاة ، فحلبت فشرب حلابها • ثم أمر له بأخرى فلم يستتمها ••

فقال رسول الله ﷺ « المؤمن يشرب في معى واحد ، والكافر يشرب في سبعة أمعاء » •

(١٦) دعاؤه صلى الله عليه وسلم حين ضافه ضيف ولم يكن عنده طعام :

روى البيهقي عن واثلة بن الاسقع قال : حضر رمضان ونحن في أهل الصفة فصمنا فكنا اذا أفطرنا اتى كل رجل منا رجل من أهل الصفة فانطلق به فعشاه •

فأتت علينا ليلة لم يأتنا أحد وأصبحنا صياما ، وأتت علينا القابلة فلم يأتنا أحد ، فانطلقنا الى رسول الله ﷺ فأخبرناه بالذي كان من أمرنا ، فأرسل الى كل امرأة من نسائه يسألها هل عندها شيء ؟ •• فما بقيت منهن امرأة الا أرسلت تقسم ما أمسى في بيتها ما يأكل ذو كبد •• فقال لهم رسول الله ﷺ فاجتمعوا ، فدعا وقال « اللهم انى أسألك من فضلك ورحمتك ، فانهما بيديك لا يملكها أحد غيرك ، فلم يكن الا ويستأذن يستأذن ، فاذا بشاة مصلية ورغفا ، فأمر بها رسول الله ﷺ فوضعت بين أيدينا ، فأكلنا حتى شبعنا ، فقال لنا رسول الله ﷺ « انا سألنا الله من فضله ورحمته ، فهذا فضله ، وقد ادخر لنا عنده رحمته » •

(١٧) بركة الطعام فى بيت عمر :

روى الامام أحمد عن ابن سعيد الخثعمى قال : أتينا رسول الله ﷺ ونحن أربعون وأربعمائة نسأله الطعام ، فقال النبى ﷺ لعمر « قم فاعطهم » فقال : يا رسول الله ، ما عندى الا ما يقيظنى والصبية ، قال وكيع : القيظ فى كلام العرب : أربعة أشهر ٠

قال : قم فاعطهم ، قال : يا رسول الله ، سمعا وطاعة ٠٠ قال : فقام عمر وقمنا معه ٠٠ فصعد بنا الى غرفة له فأخرج المفتاح من حجرته ، ففتح الباب ٠

قال دكين : فاذا فى الغرفة من التمر شبيه بالفصيل الرابض ٠٠ قال : شأنكم ٠ قال فأخذ كل رجل منا حاجته ما شاء قال : ثم التفت ، وانى لمن آخرهم ، وكأنا لم نرزأ منه تمرة ٠٠

حديث الذراع ٠٠ وقصة الشاة المسمومة :

روى الامام احمد عن أبى رافع قول رسول الله ﷺ قال : أهديت له شاة فجعلها فى القدر فدخل رسول الله ﷺ فقال « ما هذا يا أبا رافع » ؟ قال ٠ شاة أهديت لنا يا رسول الله فطبختها فى القدر ٠ فقال «ناولنى الذراع يا أبا رافع» فناولته الذراع ٠٠ ثم قال « ناولنى الذراع الآخر » فناولته الذراع الآخر ٠ ثم قال : « ناولنى الذراع الآخر » فقال : يا رسول الله ، انما للشاة ذراعان ٠٠ فقال له رسول الله ﷺ « أما انك لو سكت لناولتني ذراعا فذراعا ما سكت » ٠٠ ثم دعا بماء فمضمض فاه وغسل أطراف أصابعه ثم قام فصلى ثم عاد اليهم فوجد عندهم لحما باردا فأكل ، ثم دخل المسجد فصلى ولم يمس ماء ٠

● وفي رواية : فقلت : يا رسول الله ، وهل للشاة الا ذراعان ؟ فقال « لو سكت لناولتني منها ما دعوت به » قال : وكان رسول الله ﷺ يعجبه الذراع · قلت : ولهذا لما علمت اليهود ـ عليهم لعائن الله ـ في خيبر سموه في الذراع في تلك الشاة التي أحضرتها زينب اليهودية ، فأخبره الذراع بما فيه من السم ·

● وروى الامام أحمد عن أبي هريرة قال : لما فتحت خيبر آهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم فقال رسول الله ﷺ » اجمعوا الى من كان ههنا من اليهود » فجمعوا له ·· فقال النبي ﷺ : « اني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله ﷺ « من آبوكم » أبونا فلان · فقال رسول الله ﷺ « كذبتم ، أبوكم فلان ، قالوا : صدقت وبررت · فقال « هل أنتم صادقي عن شيء اذا سألتكم عنه ؟: قالوا : نعم يا أبا القاسم، وان كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا · فقال رسول الله ﷺ « من أهل النار ؟ » · فقالوا : نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها ·

فقال لهم رسول الله ﷺ والله لا نخلفكم فيها أبدا ·· ثم قال لهم « هل أنتم صادقي عن شيء اذا سألتكم ؟ » فقالوا : نعم يا آبا القاسم · فقال « هل جعلتم في هذه الشاة سما ؟ » فقالوا : نعم : قال « فما حملكم على ذلك » ؟

قالوا : أردنا ان كنت كاذبا أن نستريح منك ، وان كنت نبيا لم تضرك ، وقد رواه البخاري في الجزية عن عبد الله بن يوسف ، وفي المغازي أيضا عن قتيبة ·

● وفي الصحيحين عن أنس بن مالك : أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها ، فجيء بها الى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك ـ فقالت أردت لأقتلك ·

فقال : « ما كان الله ليسلطك على ذاك » أو قال «على» ·

قالوا : ألا نقتلها ؟ قال « لا » قال أنس · فمازلت أعرفهـا في لهوات رسول الله ﷺ ·

● وروى أبو داود عن جابر بن عبد الله أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله ﷺ ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصـحابه معه ثم قال لهم رسول الله ﷺ « ارفعـوا أيديكم » وأرسـل رسول الله ﷺ الى المرأة فدعاها فقال لها « أسـممت هـذه الشاة ؟ » ·

قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال « أخبرتني هذه التي في يدى » وهي الذراع · قالت : نعـم قال : « فما أردت بذلك ؟ » قالت : قلت : ان كنت نبيا فلن تضرك ، وان لم تكن نبيا استرحنا منك ·

فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبهـا ، وتوفي بعض أصـحابه الذين أكلوا من الشـاة ، واحتجم النبي ﷺ على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة ، حجمه أبو هند ، بالقرن والشفرة ، وهو مولى لبني بياضة من الأنصار ·

● وروى أبو داود أيضا عن أبي سلمة أن رسـول الله ﷺ أهدت له يهودية لخيبر شاة مصلية فذكر نحو حـديث جابر ، قال : فمات بشر بن البراء بن معرور الأنصـارى ، فأرسل الى اليهودية فقال « ما حملك على الذى صنعت ؟ » ·

فذكر نحو حديث جابر ·· فأمر بهـا رسـول الله ﷺ فقتلت ، ولم يذكر أمر الحجامة ·

قال البيهقي : ويحتمل انه لم يقتلها في الابتداء · ثم لما مات بشر بن البراء أمر بقتلها ·

● وذكر ابن لهيعة عن أبي الأسـود عن عروة وكذلك موسى بن عقبـة عن الزهرى قالوا : لمـا فتح رسول الله ﷺ خيبر وقتل منهم من قتل ، أهدت زينب بنت الحارث اليهودية، وهي ابنة أخي مرحب لصفية شاة مصلية وسمتها ، واكثرت

فى الكتف والذراع ، لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ فدخل رسول الله ﷺ على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور وهو أحد بنى سلمة ، فقدمت لهم الشاة المصلية ، فتناول رسول الله ﷺ الكتف وانتهش منها وتناول شبر عظما فانتهش منه ، فلما استرط (ابتلع) رسول الله ﷺ لقمته استرط بشر بن البراء ما بقى فيه ، فقال رسول الله ﷺ « ارفعوا أيديكم فان كتفا هذه الشاة يخبرنى أنى نعيت فيها » .

فقال بشر بن البراء : والذى أكرمك ، لقد وجدت ذلك فى أكلتى التى أكلت ، فما متعنى أن ألفظها الا أنى أعظمتك أن أبغضك طعامك ، فلما أسفت ما فيك لم أرغب بنفسى عن نفسك ، ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعى .

فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان وما طله وجعه حتى كان لا يتحول حتى تحول .

قال جابر :

واحتجم رسول الله ﷺ يومئذ ، حجمه مولى بنى بياض بالقرن والشفرة ولقى رسول الله ﷺ بعد ثلاث سنين حتى كان وجعه الذى توفى فيه فقال « مازلت أجد فى الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر هدادا ، حتى كان هذا أول انقطاع أبهرى » فتوفى رسول الله ﷺ شهيدا .

●●●●

رابعا : الاشجار والحيوانات وقصصها مع الرسول عليه الصلاة والسلام ومعجزاته لها :

سبق أن ذكرنا حديث جابر بن عبد الله فى انقياد الشجرة لرسول الله ﷺ حتي سترته .

● وروى الامام أحمد عن أنس قال : جاء جبريل الى رسول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة . . فقال له : مالك : فقال « فعل بى

هؤلاء وفعلوا » فقال له جبريل : أتحب أن أريك آية ؟ فقال « نعم » قال : فنظر الى شجرة من وراء الوادى .. فقال : ادع بتلك الشجرة ـ فدعاها ، فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه .. فقال مرها فلترجع . فأمرها . فرجعت الى مكانها .. فقال رسول الله ﷺ « حسبى » .

وهذا اسناد صحيح على شرط مسلم ، ولم يروه الا ابن ماجه عن محمد بن طريف عن ابى معاوية .

● وروى البيهقى عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ كان على الحجون كئيبا لما أذاه المشركون ، فقال « اللهم أرنى اليوم آية لا أبالى من كذبنى بعدها » قال : فأمر فنادى شجرة من قبل عقبة المدينة فأقبلت تخد الأرض حتى انتهت اليه .. قال : ثم أمرها فرجعت الى موضعها .. قال: فقال. « ما آبالى من كذبنى بعدها من قومى » .

● وروى البيهقى أيضا عن الحسن قال : خرج رسول الله ﷺ الى بعض شعاب مكة وقد دخله من الغم ما شاء الله من تكذيب قومه اياه ، فقال « رب ، أرنى ما أطمئن اليه ويذهب عنى هذا الغم » فأوحى الله اليه : ادع اليك أى أغصان هذه الشجرة شئت ، قال : فدعا غصنا ، فانتزع من مكانه ثم خد الأرض حتى جاء رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « ارجع الى مكانك » .

فرجع الغصن فخد الأرض حتى استوى كما كان ، فحمد الله رسول الله ﷺ وطابت نفسه ، وكان قد قال المشركون : أفضلت أباك وأجدادك يا محمد ؟ .. فأنزل الله سبحانه

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾

(الزمر : ٦٤)

قال البيهقى : وهذا المرسل شهد له ما قبله ٠

● وروى الامام أحمد عن ابن عباس قال : أتى النبى ﷺ رجل من بنى عامر ٠ فقال : يا رسول الله ٠ أرنى الخاتم الذى بين كتفيك ، فانى من أحب الناس ، فقال له رسول الله ﷺ « ألا أريك آية ؟ » قال : بلى ٠

قال : فنظر الى نخلة ، فقال « ادع ذلك العذق » فدعاه فجاء ينقز بين يديه ٠٠ فقال رسول الله ﷺ « ارجع » فرجع الى مكانه ٠

فقال العامرى : يا آل عامر ، ما رأيت كاليـوم رجـلا أسحر من هذا ٠

● وروى البيهقى عن ابن عبـاس قال : جاء اعـرابى الى رسول الله ﷺ فقال : بم أعرف أنك رسول الله ؟ قال : « أرأيت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة ٠ أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : نعم قال : فدعا العذق ، فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط فى الأرض ، فجعـل ينقز حتى أتى رسول الله ﷺ ثم قال له : « أرجع » ٠٠ فرجع حتى عاد الى مكانه ٠٠ فقال : أشهد أنك رسول الله ٠٠ وآمن ٠

قلت ٠ ولعله قال أولا : انه سحر ، ثم تبصر لنفسـه فأسلم وآمن ، لما هداه الله عز وجل ٠٠ والله أعلم ٠

● وروى الحاكم عن ابن عمر قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر ، فأقبل اعرابى ، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ « أين تريد » ؟ قال : الى أهلى قال « هل لك الى خير ! » قال : ما هو ؟ قال « تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله » ٠

قال : هل من شاهد على ما تقول ؟ قال «هذه الشجرة» .

فدعاها رسول الله ﷺ وهى على شاطىء الوادى ، فأقبلت تخد الأرض خدا .. فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال .. ثم انها رجعت الى منبتها .. ورجع الاعرابى الى قومه ؟ فقال: ان يتبعونى أتيتك بهم والا رجعت اليك وكنت معك .

حنين الجذع شوقا الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وشفقة من فراقه :

وقد ورد ذلك من حديث جماعة من الصحابة بطرق متعددة تفيد القطع عند فرسان هذا الميدان .

● الحديث الأول :

روى الشافعى عن الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه قال : كان النبى ﷺ يصلى الى جذع نخلة اذ كان المسجد عريشا ، وكان يخطب الى ذلك الجذع ، فقال رجل من أصحابه : يا رسول الله ، هل لك أن نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة فتسمع الناس خطبتك ؟ قال «نعم» .

فصنع له ثلاث درجات هن اللاتى على المنبر ، فلما صنع المنبر ووضع موضعه الذى وضعه فيه رسول الله ﷺ بدا للنبى ﷺ أن يقوم على ذلك المنبر فيخطب عليه ، فمر اليه ، فلما جاوز ذلك الجذع الذى كان يخطب اليه ، خار حتى تصدع وانشق ، فنزل النبى ﷺ لما سمع صوت الجذع ، فمسحه بيده ثم رجع الى المنبر . فلما هدم المسجد آخذ ذلك الجذع أبى بن كعب ـ رضى الله عنه ـ فكان عنده حتى بلى وأكلته الأرضه ، وعاد رفاتا .

وهكذا رواه أحمد بن حنبل ، وعنده : فمسحه بيده حتى سكن ، ثم رجع الى المنبر ، فكان اذا صلى صلى اليه والباقى مثله . وقد رواه أيضا ابن ماجه .

الحديث الثاني :

● روى ابو يعلى الموصلى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يوم الجمعة يسند ظهره الى جذع منصوب فى المسجد يخطب الناس، فجاءه رومى فقال : ألا نصنع لك شيئا تقعد عليه كأنك قائم ؟ .. فصنع له منبر درجتان ويقعد على الثالثة .. فلما قعد نبى الله على المنبر ، خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج لخواره حزنا على رسول الله فنزل اليه رسول الله من المنبر فالتزمه وهو يخور ، فلما التزمه سكت .. ثم قال : «والذى نفس محمد بيده لو لم التزمه لما زال هكذا حتى يوم القيامة حزنا على رسول الله » .

فأمر رسول الله ﷺ فدفن . وقد رواه الترمذى وقال : صحيح غريب من هذا الوجه .

● وروى أبو بكر البزار فى مسنده عن أنس عن النبى ﷺ أنه كان يخطب الى جذع نخلة فلما اتخذ المنبر تحول اليه ، فحن ، فجاء رسول الله ﷺ حتى احتضنه ، فسكن .. وقال « لو لم أحتضنه لحن الى يوم القيامة » وهكذا رواه ابن ماجه باسناد على شرط مسلم .

● وروى أحمد عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ اذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره الى خشبة ، فلما كثر الناس قال « ابنوا لى منبرا » .. أراد أن يسمعهم . فبنوا له عتبتين ، فتحول من الخشبة الى المنبر ، فأخبر أنس أنه سمع الخشبة تحن حنين الواله .. قال فمازالت تحن حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر فمشى اليها ، فاحتضنها ، فسكنت .. تفرد به أحمد .

وقد رواه البغوى عن أنس، فذكره ، وزاد : فكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال : عباد الله ، الخشبة تحن الى رسول الله ﷺ شوقا اليه لمكانه من الله ، فأنتم أحق أن تشتاقوا الى لقائه .. وقد رواه الحافظ أبو نعيم من حديث الوليد بن مسلم .

● وروى أبو نعيم عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يخطب الى جــذع ، فحن الجـذع ، فاحتضنه وقال « لو لم أحتضنه لحن الى يوم القيامة » •

الحـديث الثـالث :

● روى الامام أحمد عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ يخطب الى جذع نخلة فقالت امرأة من الأنصــار وكان لهـا غلام نجار : يا رســول الله ــ ان لى غلاما نجــارا أفآمره أن يتخذ لك منبرا تخطب عليه ؟ قال «بلى» •

قال : فاتخذ منبرا ، فلما كان يوم الجمعة خطب عــلى المنبر ، فأن الجذع الذى كان يقوم عليــه كما يئن الصبى ، فقال النبى ﷺ « ان هذا بكى لما فقد من الذكر » •

● وروى البخارى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل : يا رسول الله ــ ألا نجعل لك منبرا ؟ قال « ان شئتم » فجعلوا له منبرا •• فلما كان يوم الجمعــة دفع الى المنبر ، فصاحت النخلة صياح الصبى ، ثم نزل النبى ﷺ فضمها اليه وهى تئن أنين الصبى الذى يسكن ، قال « كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها » •

● وروى البخارى عن جابر بن عبــد الله الأنصــارى قال : كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخــل فكان النبى ﷺ اذا خطب يقوم الى جذع منها ، فلما صنع له المنبر وكان عليه ، سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبى ﷺ فوضع يده عليها فسكنت • تفرد به البخارى •

● وروى الامام أحمد عن جابر بن عبد الله قال : كان النبى ﷺ يخطب الى خشبة ، فلما جعل له منبرا حنت حنين الناقة ، فأتاها فوضع يده عليها فسكنت • تفرد به أحمد •

● وروى الامام أحمد ـ أيضا ـ عن جابر قال : كان رسول الله ﷺ اذا خطب يستند الى جذع نخلة من سوارى المسجد ، فلما صنع له المنبر فاستوى عليه ، اضطربت السارية كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد ، فنزل اليها رسول الله ﷺ فالتزمها فسكنت .

الحديث الرابع :

روى ابن أبى شيبة عن أبى حازم قال : أتوا سهل بن سعد فقالوا : من أى شىء منبر رسول الله ﷺ ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ يستند الى جذع فى المسجد يصلى اليه اذا خطب ، فلما اتخذ المنبر حن الجذع حتى أتاه رسول الله ﷺ فوطئه حتى سكن . وأصل هذا الحديث فى الصحيحين واسناده على شرطهما .

الحديث الخامس :

روى الامام أحمد عن أبى عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ كان يخطب الى جذع قبل أن يتخذ المنبر ، فلما اتخذ المنبر وتحول اليه حن عليه ، فأتاه فاحتضنه فسكن .. قال « لو لم أحتضنه لحن الى يوم القيامة » وهذا الاسناد على شرط مسلم ولم يروه الا ابن ماجه فى حديث حماد بن سلمة .

الحديث السادس :

روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان النبى ﷺ يخطب الى جذع ، فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع ، فأتاه فمسح يده عليه . هكذا ذكره البخارى .

● وروى الامام أحمد عن عبد الله بن عمر قال : كان جذع نخلة فى المسجد يسند رسول الله ﷺ ظهره اليه اذا كان يوم جمعة ، أو حدث أمر يريد أن يكلم الناس . فقالوا :

آلا نجعل لك يا رسول الله شيئا كقدر قيامك ؟ قال « لا عليكم أن تفعلوا » فصنعوا له منبرا ثلاث مراق ٠٠ فجلس عليه ٠٠ قال فخار الجذع كما تخور البقرة جزعا على رسول الله ﷺ فالتزمه ومسحه حتى سكن ٠ تفرد به أحمد ٠

الحديث السابع :

روى عبد بن حميد عن أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة الى جذع نخلة فقال له الناس : يا رسول الله ــ انه قد كثر الناس ــ يعنى المسلمين ــ وانهم ليحبون أن يروك فلو اتخذت منبرا تقوم عليه ليراك الناس ؟ قال « نعم ، من يجعل لنا هذا المنبر ؟ » ٠

فقام اليه رجل فقال : أنا ، قال « تجعله ؟ » قال : نعم ٠٠ ولم يقل ، ان شاء الله ٠٠ قال « ما اسمك ؟ » قال : فلان ٠٠ قال « اقعد » فقعد ثم عاد فقال : « من يجعل لنا هذا المنبر ؟ » فقام اليه رجل فقال : أنا ٠ قال : « تجعله ؟ » قال : نعم ٠٠ ولم يقل ان شاء الله ٠ قال : « ما اسمك ؟ » قال : فلان ٠ قال « اقعد » فقعد ثم عاد فقال : « من يجعل لنا هذا المنبر » ؟

فقام اليه رجل فقال : أنا ، قال : « تجعله ؟ » قال : نعم ، ولم يقل : ان شاء الله قال : ما اسمك ؟ قال : فلان ، قال « اقعد » فقعد ثم عاد فقال « من يجعل لنا هذا المنبر ؟ » فقام اليه رجل فقال أنا ، قال : « تجعله » قال : نعم ، ان شاء الله ــ قال : « ما اسمك » قال : ابراهيم قال « اجعله » ٠

فلما كان يوم الجمعة اجتمع الناس للنبى ﷺ فى آخر المسجد ، فلما صعد رسول الله ﷺ المنبر فاستوى عليه ، فاستقبل الناس ، حنت النخلة حتى أسمعتنى وأنا فى آخر المسجد قال : فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فاعتنقها ، فلم يزل حتي سكنت ، ثم عاد الى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم

قال : « ان هذه النخلة انما حنت شوقا الى رسول الله ﷺ لما فارقها فوالله لو لم أنزل اليها فأعتنقها لما سكنت الى يوم القيامة » •

وهذا اسناد على شرط مسلم ، ولكن فى السياق غرابة ، والله تعالى أعلم •

الخلاصة :

فهذه الطرق من الوجوه تفيد القطع بوقوع ذلك عند أئمة هذا الفن وكذا من تأملها وأمعن فيها النظر والتأمل ، مع معرفته بأحوال الرجال ، وبالله المستعان •

وقد روى البيهقى عن عمرو بن سواد قال : قال لى الشافعى : ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا ﷺ فقلت له : أعطى عيسى احياء الموتى •

قال : أعطى محمدا الجذع الذى كان يخطب الى جنبه حتى هيىء له المنبر ، فلما هيىء له المنبر حن الجذع حتى سمع صوته ، فهذا أكبر من ذلك •

تسبيح الحصى فى كفه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتسليم الحجر عليه :

● روى البيهقى عن أبى ذر قال: لا أذكر عثمان الا بخير بعد شىء رأيته ، كنت رجلا أتتبع خلوات رسول الله ﷺ ، فرأيته يوما جالسا وحده ، فاغتنمت خلوته فجئت حتى جلست اليه ، فجاء أبو بكر فسلم عليه ثم جلس عن يمين رسول الله ﷺ ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبى بكر ، ثم جاء عثمان فسلم ثم جلس عن يمين عمر، وبين يدى رسول الله ﷺ سبع حصيات ، أو قال : سبع حصيات فأخذهن فى كفه فسبحن ، حتى سمعت لهن حنينا كحنين النخل، ثم وضعهن

فخرسن ، ثم أخذهن ، فوضعهن فى كف أبى بكر ، فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النخل ، ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن ، فوضعهن في يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النخل ، ثم وضعهن فخرسن ، فقال النبى ﷺ « هذه خلافة النبوة » .

● وروى البيهقي أيضا أن رجلا من بنى سليم كبير السن ، كان ممن ادرك أبا ذر بالربذة ، ذكر انه بينما هو قاعد يوما فى المجلس وأبو ذر في المجلس ، اذ ذكر عثمان ابن عفان .. يقول السلمى : فأنا أظن أن فى نفس أبى ذر على عثمان معتبة لازالة اياه بالربذة . فلما ذكر له عثمان عرض له أهل العلم بذلك وهو يظن أن في نفسه عليه معتبة ، فلما ذكره قال : لا تقل فى عثمان الا خيرا ، فانى أشهد لقد رأيت منه منظرا وشهدت منه مشهدا لا انساه حتى أموت .. كنت رجلا ألتمس خلوات النبى ﷺ لأسمع منه او لآخذ عنه ، فهجرت يوما من الأيام ، فاذا النبى ﷺ قد خرج من بيته ، فسألت عنه الخادم ، فأخبرنى انه فى بيته ، فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس ، وكان حينئذ أرى أنه فى وحى ، فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال « ما جاء بك ؟ » .

فقلت : جاء بى الله ورسوله .. فأمرنى أن أجلس .. فجلست الى جنبه ، لا أسأله عن شيء ولا يذكره لى فمكثت غير كثير ، فجاء أبو بكر يمشى مسرعا ، فسلم عليه فرد السلام ، ثم قال : « ما جاء بك » ؟

قال : جاء بى الله ورسوله . . فأشار بيده أن أجلس ، فجلس الى ربوة مقابل النبى ﷺ بينه وبينها الطريق ، حتى اذا استوى أبو بكر جالسا ، فأشار بيده فجلس الى جنبى عن يمينى .. ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك ، وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك ، وجلس الى جنب أبى بكر على تلك الربوة ، ثم جاء عثمان فسلم فرد السلام وقال : « ما جاء بك ؟

قال : جاء بى الله ورسوله ، فأشار اليه بيده ، فقعد الى الربوة ، ثم أشار بيده فقعد الى جنب عمر ، فتكلم النبى ﷺ بكلمة لم افقه أولها غير انه قال « قليل ما يتعين » ثم قبض على حصيات سبع أو تسع وقريب من ذلك ، فسبحن فى يده حتى سمع لهن حنين كحنين النخل فى كف النبى ﷺ ثم ناولهن أبا بكر وجاوزنى فسبحن فى كف ابى بكر كما سبحن فى كف النبى ﷺ ثم اخذهن منه فوضعهن فى الأرض فخرسن ، فصرن حصا .. ثم ناولهن عمر فسبحن فى كفه كما سبحن فى كف أبى بكر ، ثم أخذهن فوضعهن فى الارض فخرسن ، ثم ناولهن عثمان فسبحن فى كفه نحو ما سبحن فى كف أبى بكر وعمر ، ثم أخذهن فوضعهن فى الأرض فخرسن .

وقد تقدم ما رواه البخارى عن ابن مسعود قال : لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

حوائط البيت تؤمن على دعاء النبى صلى الله عليه وسلم :

وروى البيهقى عن ابى أسيد الساعدى قال : قال رسول الله ﷺ للعباس من عبد المطلب « يا أبا الفضل لا ترم منزلك غدا أنت وبنوك حتى آتيكم ، فان لى فيكم حاجة » .

فانتظروه حتى جاء بعد ما أضحى . فدخل عليهم ، فقال « السلام عليكم » .. فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال « كيف أصبحتم » .. قالوا أصبحنا بخير والحمد لله ، فكيف اصبحت بأبينا وأمنا أنت يا رسول الله قال «أصبحت بخير أحمد الله» فقال لهم : «تقاربوا تقاربوا» يزحف بعضكم الى بعض » .

حتى اذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته وقال « يا رب ، هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترتى اياهم بملاءتى هذه » .

قال « فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت: آمين، آمين ، آمين » .

● الحجر يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم :

روى الامام أحمد عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ « انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث ، انى لا أعرفه الآن » وروى مسلم من طريق أبى بكر ابن أبى شيبة ٠

● تسليم الجبال والأشجار على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

روى الترمذى عن على بن أبى طالب قال : كنت مع النبى ﷺ بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها ، فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول : السلام عليك يا رسول الله ٠

وذكر ابن اسحاق عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة ، كان اذا خرج لحاجة أبعد حتى تحسر عنه البيوت ويفضى الى شعاب مكة وبطون أوديتها ، فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال : السلام عليك يا رسول الله — قال : فيلتفت حوله ، عن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى الا الشجر والحجارة تمكث كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاء جبريل عليه السلام بما جاء من كرامة الله وهو بحراء فى رمضان ٠

(وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) :

روى الواقدى أن مروان بن الحكم سأل حكيم بن حزام عن يوم بدر ، فجعل الشيخ يكره ذلك ، فألح عليه فقال حكيم : التقينا فاقتتلنا ، فسمعت صوتا وقع من السماء الى الأرض مثل وقعة الحصاة فى الطست ، وقبض النبى ﷺ القبضة من التراب فرمى بها ، فانهزمنا ٠ وقال السدى الكبير : قال رسول الله ﷺ لعلى يوم بدر : «أعطنى حصباء من الأرض» ٠

فناوله حصباء عليها تراب ، فرمى بها فى وجوه القوم ، فلم يبق مشرك الا دخل فى عينه من ذلك التراب بشىء ، ثم ردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وأنزل الله فى ذلك :

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

(الأنفال ١٧)

● وروى مسلم عن العباس قال : شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء آهداها له فروة بن نفاثة الجذامى • فلما التقى المسلمون والكفار ، ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكبار •

قال عباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها ارادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « أى عباس ، ناد أصحاب السمرة »

فقال عباس (وكان رجلا صيبتا) : فقلت بأعلى صوتى: أين أصحاب السمرة ؟

قال : فوالله ، لكأنى عطفتهم حين سمعوا صوتى ، عطفة البقر على أولادها •

فقالوا : يا لبيك ، يا لبيك • قال : فاقتتلوا • والكفار، والدعوة فى الأنصار يقولون يا معشر الأنصار ، يا معشر الأنصار • قال : ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج فقالوا : يابنى الحارث بن الخزرج ، يابنى الحارث ابن الخزرج •

فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته ، كالمتطاول عليها ، الى قتالهم ، فقال ﷺ « هذا حين حمى الوطيس » •

قال : ثم آخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ، ثم قال : « انهزموا ورب محمد » قال : فذهبت

أنظن فاذا القتال على هيئته فيما أرى ، فوالله ما هو الا آن رماهم بحصياته ، فمازلت أرى أحدهم كليلا وأمرهم مدبرا ·

٢ ــ الحيـــوان :

سجود البعير لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ :

روى الامام أحمد عن انس بن مالك قال : كان أهــل بيت من الانصار لهم جمل يُسنتون عليه ، وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهــره ، وان الانصــار جاءوا الى رســول الله ﷺ فقالوا : انه كان لنا جمل نسنتى عليه ، وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره ·

وقد عطش الزرع والنخــل ·· فقال رســول الله ﷺ لأصحابه « قوموا » · فقاموا فدخل الحــائط والجمــل من ناحيته ، فمشى النبى ﷺ نحوه ، فقالت الأنصار : يا نبى الله انه قد صار مثل الكلب الكلب ، وانا نخــاف عليك صــولته فقال « ليس علي منه بأس » فلما نظر الجمل الى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه ، فأخذ رســول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط ، حتى أدخله فى العمل ، فقال له أصحابه : يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك ·

فقال : « لا يصح لبشر أن يسجد لبشر ، ولو صح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، والذى نفسى بيده لو كان من قدمه الى مفرق رأســه قرحة تتفجر بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه » ·

● حديث جابر ــ رضى الله عنه :

روى الامام أحمد عن جابر بن عبدالله ــ رضى الله عنهما ــ قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفره حتى اذا دفعنــا الى حائط من حيطان بنى النجار ، اذا فيه جمل لا يدخل الحائط

أحدا الا شد عليه ـ قال فذكروا ذلك للنبى ﷺ فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعا شفره الى الأرض حتى برك بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ « هاتوا خطاما » .. فخطمه ودفعه الى صاحبه ، ثم التفت الى الناس فقال « انه ليس شيء بين السماء والأرض الا يعلم أني رسول الله ، الا عاصى الجن والانس » .

● حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما :

روى الحافظ أبو القاسم الطبرانى عن ابن عباس قال : جاء قوم الى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ان لنا بعيرا قد ند فى الحائط ، فجاء اليه رسول الله ﷺ فقال «تعال» .

فجاء مطأطئا رأسه حتى خطمه وأعطاه أصحابه .. فقال له أبو بكر الصديق : يا رسول الله ، كأنه علم أنك نبى! فقال رسول الله ﷺ « ما بين لابتيها أحد الا يعلم أنى نبى الله الا كفرة الجن والانس » .

● سجود الفحلين وانقيادهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

روى الطبرانى أيضا عن ابن عباس ان رجلا من الأنصار كان له فحلان فاغتلما فأدخلهما حائطا فسد عليهما الباب ، ثم جاء الى رسول الله ﷺ فأراد أن يدعو له ، والنبى ﷺ قاعد مع نفر من الأنصار ، فقال : يا نبى الله ، انى جئت فى حاجة ، فان فحلين لى اغتلما ، وانى أدخلتهما حائطا وسددت عليهما الباب، فأحب أن تدعو لى أن يسخرهما الله لى . فقال لأصحابه : « قوموا معنا » .. فذهب حتى أتى الباب فقال « افتح » .. فأشفق الرجل على النبى ﷺ فقال «افتح» .. ففتح الباب فاذا أحد الفحلين قريبا من الباب . فلما رأى رسول الله ﷺ سجد له ، فقال رسول الله ﷺ « ائت بشيء أشد رأسه وأمكنك منه » .

فجاء بخطام فشد رأسه وأمكنه منه ، ثم مشى الى أقصى الحائط الى الفحل الآخر ، فلما رآه وقع له ساجدا ، فقال

للرجل « ائتنى بشىء أشد رأسه » فشد رأسه وأمكنه منــه ، فقال « اذهب فانهما لا يعصيانك » ٠

فلما راى اصحاب رسول الله ﷺ ذلك قالوا : يا رسول الله ــ هذان فحلان سجدا لك ، أفلا نسجد لك ؟ قال « لا امر احدا يسجد لاحد ، ولو آمرت أحدا يسجد لأحد لأمرت المراة ان تسجد لزوجها » ٠

● **بعير يشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوء معاملة صاحبه :**

روى الامام احمد عن عبد الله بن جعفر قال ، أردفنى رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه ، فأسر الى حديثا لا أخبر به أحدا أبدا ، وكان رسول الله ﷺ احب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل فدخل يوما حائطا من حيطان الانصار ، فاذا جمل قد آتاه فجرجر وذرفت عيناه ، وقال بهز وعفان : فلما رأى رسول الله ﷺ حن وذرفت عيناه فمسح رسول الله ﷺ سراته وذفراه (العظم الشــاخص خلف الاذن) فســكن فقال « من صاحب الجمل ؟ » ٠

فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لى يا رسول الله ، فقال « آما تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملككها الله ، انه شكا الى أنك تجيعه وتدئبه ٠ وقد رواه مسلم من حديث مهدى بن ميمون » ٠

● **حديث أم المؤمنين عائشة ــ رضى الله عنها ــ :**

روى الامام احمد عن عائشــة ــ رضى الله عنها ــ آن رسول الله ﷺ كان فى نفر من المهاجرين والانصار ، فجــاء بعير فسجد له ، فقال اصحابه : يا رسول الله تسجد لك البهائم والشجر فنحن أحق آن نسجد لك ٠

« فقال : ٠ اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم ، ولو كنت آمرا أحدا آن يسجد لأحد لأمرت المرأة آن تسجد لزوجها ،

ولو أمرها أن تنقل من جمل أصفر الى جمل أسود ومن جمل أسود الى جمل أبيض ، كان ينبغي لها أن تفعله » .

واسناده على شرط السنن ، وانما روى ابن ماجه « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها : الى آخره » .

● بعير يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن صاحبه يريد ذبحه :

وروى الامام احمد عن يعلى بن سبابه قال : كنت مع النبى ﷺ فى سير له ، فأراد أن يقضى حاجته فأمر وديتين فانضمت احداهما الى الأخرى ، ثم أمرهما فرجعت الى منابتهما ، وجاء بعير فضرب بجرانه الى الأرض ثم جرجر حتى أبتل ما حوله، فقال رسول الله ﷺ « أتدرون ما يقول البعير ؟ » انه يزعم أن صاحبه يريد نحره » .

فبعث اليه رسول الله ﷺ فقال « أواهبه أنت لى » فقال : يا رسول الله . مالى مال أحب الى منه . فقال « استوص به معروفا » فقال : لاجرم ولا أكرم مالا لى كرامته يا رسول الله قال : وآتى على قبر يعذب صاحبه ، فقال « انه يعذب فى غير كبير » .. فأمر بجريدة فوضعت على قبره ، وقال « عسى أن يخفف عنه مادامت رطبة » .

● وروى الامام أحمد عن يعلى بن مرة الثقفى قال : ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله ﷺ بينما نحن نسير معه اذ مررنا ببعير يسنى عليه ، فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه ، فوقف عليه النبى ﷺ فقال » أين صاحب هذا البعير ؟ »فجاء .. فقال « بعنه » . قال : لا ، بل أهبه لك ، فقال لا ، بل بعنه » قال : لا بل نهبه لك ، انه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره . قال « أما اذا ذكرت هذا من أمره فانه شكا كثرة العمل وقلة العلف ، فأحسنوا اليه .

قال : ثم سرنا فنزلنا منزلا فقام رسول الله ﷺ فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت الى مكانها ، فلما

استيقظ ذكرت له ، فقال « هى شجرة استأذنت ربها عز وجل ـ أن تسلم على رسول الله ﷺ فأذن لها » .

قال : ثم سرنا فمررنا بماء ، فأتته امرأة بابن لها به جنة ، فأخذ النبى ﷺ بمنخره فقال «أخرج انى رسول الله» .

قال : ثم سرنا ، فلما رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء ، فأتته امرأة بجزر ولبن ، فأمرها أن ترد الجزر ، وأمر أصحابه فشربوا من اللبن ، فسألها عن الصبى ، فقالت والذى بعثك بالحق ما رأينا منه ريبا بعدك .

قصة الذئب وشهادته للنبى صلى الله عليه وسلم بالرسالة :

● حديث أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه :

روى الامام أحمد عن أبى سعيد الخدرى قال : عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبها الراعى فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه فقال : ألا تتقى الله ؟ تنتزع منى رزقا ساقه الله الى ؟ !!

فقال : يا عجبى ، ذئب مقع يكلمنى كلام الانس !!

فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ! .. محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق !!

قال : فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة ، فزواها الى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فأمر رسول الله ﷺ فنودى : الصلاة جامعة .. ثم خرج فقال للراعى «أخبرهم» .. فأخبرهم .. فقال رسول الله ﷺ .

« صدق ، والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الانس ، ويكلم الرجل عذبة سوطه ، وشراك نعله ، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده » .

واسناده على شرط الصحيح ، وقد صححه البيهقى ، ولم يروه الا الترمذى من قوله « والذى نفسى بيده لا تقوم

الساعة حتى يكلم السباع الانس ‏٠٠ » الى آخر الحديث ‏٠‏ ثم قال : وهذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه الا من حديث القاسم ، وهو ثقة مأمون عند أهل الحديث ، وثقه يحيى وابن مهدى ‏٠

● **وفى رواية للامام أحمد أيضا عن أبى سعيد الخدرى :**

عن النبى ﷺ قال : بينما أعرابى فى بعض نواحى المدينة فى غنم له ، عدا عليه الذئب فأخذ شاة من غنمه ، فأدركه الاعرابى فاستنقذها منه وهجهجه ، فعانده الذئب يمشى ثم أقعى مستنفرا ، مستغفرا بذنبه يخاطبه ، فقال : أخذت رزقا رزقنيه الله فقال : وأعجبا من ذئب مستغفرا بذنبه يخاطبنى !! فقال : والله انك لتترك أعجب من ذلك ‏٠٠

قال وما أعجب من ذلك ؟ قال : رسول الله ﷺ فى النخلتين بين الحرتين يحدث الناس عن نبأ ما قد سبق وما يكون بعد ذلك ‏٠

قال : فنعق الاعرابى بغنمه حتى ألجأها الى بعض المدينة ، ثم مشى الى النبى ﷺ حتى ضرب عليه بابه فلما صلى النبى ﷺ قال « أين صاحب الغنم ؟ » ‏٠

فقام الأعرابى ، فقال له النبى ﷺ » حدث الناس بما سمعت وبما رأيت » فحدث الاعرابى الناس بما رأى من الذئب وما سمع منه ــ فقال النبى ﷺ عند ذلك :

صدق آيات تكون قبل الساعة ، والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما حدث أهله بعده ‏٠

● **حديث أبى هريرة ــ رضى الله عنه :**

روى أحمد عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : جاء ذئب الى راعى الغنم فأخذ منها شاة ، فطلبه الراعى حتى انتزعها منه قال فصعد الذئب على تل فأقعى واستذفر، فقال:

عمدت الى رزق رزقنيه الله ـ عز وجل ـ انتزعته منى !!
فقال الرجل : تا الله ان رأيت كاليوم ذئبا يتكلم . فقال الذئب : أعجب من هذا رجل فى النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم .. وكان الرجل يهوديا ، فجاء الى النبى ﷺ فأسلم وخبره فصدقه النبى ﷺ ثم قال رسول الله ﷺ :

« انها أمارة من أمارات بين يدى الساعة ، قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدثه أهله بعده .. وهو على شرط السنن ولم يخرجوه .

● حديث أنس ـ رضى الله عنه :

روى أبو نعيم فى دلائل النبوة عن أنس بن مالك قال : كنت مع النبى ﷺ فى غزوة تبوك فشردت على غنمى ، فجاء الذئب فأخذ منها شاة ، فاشتد الرعاء خلفه ، فقال : طعمة أطعمينها الله تنزعونها منى ؟

قال : فبهت القوم .. فقال : ما تعجبون من كلام الذئب ، وقد نزل الوحى على محمد فمن مصدق ومكذب . قال أبو نعيم : تفرد به حسين بنى سليمان عن عبد الملك . قلت : الحسين بن سليمان الرفا هذا ، يقال له الطلخى ، كوفى أورد له ابن عدى عن عبد الملك بن عمير أحاديث ، ثم قال : لا يتابع عليها .

● حديث ابن عمر ـ رضى الله عنهما :

روى البيهقى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان راع على عهد رسول الله ﷺ اذا جاء الذئب فأخذ شاة ، ووثب الراعى حتى انتزعها من فيه ، فقال له الذئب : أما تتقى الله أن تمنعنى طعمة أطعمنيها الله تنتزعها منى ؟ فقال الراعى : العجب من الذئب يتكلم !! فقال الذئب أفلا أدلك على ما هو أعجب من كلامى ؟ ذلك الرجل فى النخل يخبر الناس بأحاديث الأولين والآخرين أعجب من كلامى !

فانطلق الراعى حتى جاء رسول الله ﷺ فأخبره وأسلم ٠ فقال رسول الله ﷺ « حدث به النـــاس » قال الحـــافظ بن عدى : قال لنا أبو بكر بن أبى داود : ولد هذا الراعى يقال لهم : بنو مكلم الذئب ، ولهم أموال ونعم ٠٠ وهم من خزاعة، واسم فكلم الذئب : أهبـــان ٠ قال : ومحمـــد بن أشـعت الخزاعى من ولده قال البيهقى : فدل على اشتهاز ذلك ، وهو مما يقوى الحديث ٠

قصة الوحش الذى كان فى بيته صلى الله عليه وسلم :

روى الامام أحمد عن عائشة رضى الله عنها ٠ قالت كان لآل رسول الله ﷺ ــ وحش ، فاذا خرج رسول الله ﷺ ٠ لعب واشتد وأقبل وأدبر فاذا أحس برسول الله ﷺ قد دخل ربض يترمرم ــ مادام رسول الله ﷺ فى البيت كراهية أن يؤذيه ٠

واسناده صحيح على شرط الصحيح ولم يخرجوه وهـــو حديث مشهور والله أعلم ٠

قصة الأسد الذى سخره الله لسفينة مولى رســول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم :

روى عبد الرزاق أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الـــروم ، أو أسر فى أرض الـــروم فانطلق هاربا يلتمس الجيش ، فاذا هو الأسد ، فقال : يا أبا الحارث، انى مولى رسول الله ﷺ كان من أمرى كيت وكيت ، فأقبـــل الأسد يبصبصه حتى قام الى جنبه ، كلما سمع صوته أهـــوى اليه ، ثم أقبل يمشى الى جنبه ، فلم يزل كذلك حتى أبلغـــه الجيش ، رواه البيهقى ٠

حـــديث الظبية :

روى أبو نعيم الاصبهانى عن زيد بن أبى الأرقم قال: كنت مع النبى ﷺ فى بعض سكك المدينة ، فمررنا بخباء أعرابى، فاذا ظبية مشدودة الى الخباء فقالت : يا رسول الله ، ان هذا الاعرابى صادنى قبيلا ولى خشفان فى البرية ، وقد تعقد

هذا اللبن فى أخلافى ، فلا هو يذبحنى فأستريح ولا يدعنى فأذهب الى خشفى فى البرية ، فقال لها رسول الله ﷺ « ان تركتك ترجعين ؟ » قالت : نعم ، والا عذبنى الله عذاب العشار .

فاطلقها رسول الله ﷺ فلم تلبث أن جاءت تلمظ . فشدها رسول الله ﷺ الى الخباء ، وأقبل الأعرابى ومعه قربة فقال له رسول الله ﷺ أتبيعها ؟ قال : هى لك يا رسول الله فأطلقها رسول الله ﷺ .

قال زيد بن أرقم : فأنا والله رأيتها تسيح فى الأرض وهى تقول « أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ

حديث الطائر الذى فجع فى أفراخه :

روى أبو داود الطيالسى عن عبد الله بن مسعود قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر ــ فدخل رجل غيضن فأخرج بيضة حمرة فجاءت الحمرة ترف على رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال « أيكم فجع هذه ؟ » ، فقال رجل من القوم : أنا أخذت بيضتها .. فقال « رده ، رده رحمة بها » .

● وروى البيهقى عن عبد الله بن سعود قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر، فمررنا على شجرة فيها فرخا حمرة ، فأخذناهما ، قال : فجاءت الحمرة الى رسول الله ﷺ وهى تفرش فقال : « من فجع هذه بفرخيها ؟ » قال قلنا نحن . قال « ردوهما » فرددناهما الى موضعهما ، فلم ترجع .

خامسا : من كرامات الصحابة :

العصا تضىء لصاحبها الطريق :

روى البخارى عن أنس بن مالك أن رجلين من أصحاب النبى ﷺ خرجا من عند النبى ﷺ فى ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما ، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله .

ـ وروى البيهقي عن أنس أن أسيد بن حضير الأنصارى ورجلا آخر من الأنصار تحدثا عند النبى ﷺ فى حاجة لهما، حتى ذهب من الليل ساعة ، وهى ليلة شديدة الظلمة ، حتى خرجا من عند رسول الله ﷺ ينقلبان وبيد كل واحد منهما عصية ، فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشيا فى ضوئها ، حتى اذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه حتى مشى فى ضوئها ، حتى أتى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ أهله ·

ـ روى البيهقى عن أبى هريرة قال : كنا نصلى مع رسول الله ﷺ العشاء ، وكان يصلى ، فاذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره ، فاذا رفع رأسه أخذهما فوضعها وضعا رفيقا ، فاذا عاد عادا ، فلما صلى جعل واحدا ها هنا وواحدا ها هنا فجئته فقلت يا رسول الله ألا أذهب بهما الى أمهما فبرقت برقة ·· فقال « الحقا بأمكما » · فمازال يمشيان فى ضوئها حتى دخلا ·

ـ وروى البيهقى أن أبا عبس كان يصلى مع رسول الله ﷺ الصلوات ثم يرجع الى بنى حارثة ، فخرج فى ليلة مظلمة مطيرة ، فنور له فى عصاه حتى دخل دار بنى حارثة قال البيهقى : أبو عبس ممن شهد بدرا قلت : وروينا عن يزيد ابن الأسود ، وهو من التابعين ، أنه كان يشهد الصلاة بجامع دمشق من جسرين فربما أضاءت له ابهام قدمه فى الليلة المظلمة ·

قصة اسلام الطفيل بن عمرو الدوسى وما وهبه الله من نور وآيات :

ذكر ابن اسحاق ـ رحمه الله تعالى ـ ان الطفيل بن عمرو الدوسى ـ كان سيدا مطاعا شريفا فى دوس وكان قد قدم مكة ، فاجتمع به أشراف قريش وحذروه من رسول الله ﷺ ونهوه أن يجتمع به أو يسمع كلامه · قال : فوالله مازالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه ·

حتى حشوت أذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا ـ فرقا من أن يبلغنى شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمعه ٠٠ قال فغدوت الى المسجد ، فاذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة ٠٠ فقمت منه قريبا ، فأبى الله الا أن يسمعنى بعض قوله ٠٠ فسمعت كلاما حسنا ٠

قال : فقلت فى نفسى : واثكل أمى ! والله انى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح ، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وان كان قبيحا تركته ٠

قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ الى بيته دخلت عليه ، فقلت : يا محمد ، ان قومك قالوا لى كذا وكذا ، للذى قالوا ، قال : فوالله ما برحوا لى يخوفوننى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف (قطن) لئلا أسمع قولك ، ثم أبى الله الا أن يسمعنى قولك ، فسمعت قولا حسنا فاعرض على أمرك ٠٠

قال : فعرض على رسول الله ﷺ الاسلام ، وتلا على القرآن ، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمرا أعدل منه ٠٠ قال : فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت :

يا نبى الله ، انى امرؤ مطاع فى قومى ، وانى راجع اليهم وداعيهم الى الاسلام ، فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم اليه ٠٠

قال : فقال » اللهم اجعل له آية « قال : فخرجت الى قومى حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر وقع بين عينى نور مثل المصباح ٠ قال : فقلت : اللهم فى غير وجهى ، فانى أخشى أن يظنوا أنها مثلة (عقوبة) وقعت فى وجهى لفراق دينهم ٠

قال : فتحول فوقع فى رأس سوطى ٠٠ قال : فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور فى رأس سوطى كالقنديل

المعلق وأنا أهبط عليهم في الثنية حتى جئتهم فاصبحت فيهم • فلما نزلت أتاني أبي ، وكان شيخا كبيرا • فقلت : اليك عني يا أبت ، فلست منك ولست مني !! قال : ولم يا بني ؟ قال قلت : أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ •

قال : أي بني ، فديني دينك •

فقلت : فاذهب واغتسل وطهر ثيابك ثم ائتني أعلمك مما علمت • قال : فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الاسلام ، فأسلم •

قال : ثم أتتني صاحبتي فقلت : اليك عني ، فلست منك ولست مني • قالت : ولم بأبي أنت وأمي ؟

قال : فقلت : فرق بيني وبينك الاسلام ، وتابعت دين محمد ﷺ •

قالت : فديني دينك • فقلت : فاذهبي الى حمى ذي الشرى فتطهري منه • • وكان ذو الشرى صنما لدوس ، وكان الحمى حمى حموه حوله به وشل من ماء يهبط من جبل •

قالت : بأبي أنت وأمي • أتخشى على الصبية من ذي الشرى شيئا ؟ قلت لا ، أنا ضامن لذلك •

قال : فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضت عليها الاسلام فأسلمت ، ثم دعوت دوسا الى الاسلام فأبطأوا على • • ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة ، فقلت يا رسول الله انه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم • قال « اللهم اهد دوسا ، ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم •

فلم أزل بأرض دوس أدعوهم الى الاسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ، ورسول الله ﷺ بخيبر ، حتى نزلت المدينة سبعين أو ثمانين بيتا

من دوس ، فلحقنا برسول الله ﷺ بخيبر ، فأسهم لنا مع المسلمين ثم لم أزل مع رسول الله ﷺ حتى فتح الله عليه مكة ، فقلت :

يا رسول الله ابعثني الى ذى الكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه ٠

قال ابن اسحاق : فخرج اليه ، فجعل الطفيل يوقد عليه النار ويقول :

ياذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا
اني حشوت النار في فؤادكا

قال : ثم رجع الى رسول الله ﷺ فكان معه بالمدينة حتى قبض رسول الله ﷺ فلما ارتدت العرب خرج الطفيل مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ، ثم سار مع المسلمين الى اليمامة ومع ابنه عمرو بن الطفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجه الى اليمامة ، فقال لأصحابه انى قد رأيت رؤيا فاعبروها لى ، رأيت أن رأسى حلق ، وأنه خرج من فمي طائر وأنه لقيته امرأة فأدخلتنى فى فرجها ، وأرى ابنى يطلبنى طلبا حثيثا ثم رأيته حبس عنى !!

قالوا : خيرا ٠٠ قال : أما أنا والله فقد أولتها ٠٠ قالوا : ماذا ؟!

قال : أما حلق رأسى فوضعه ٠٠ وأما الطائر الذى خرج من فمي فروحى ٠٠ وأما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فالأرض تحفر لى فأغيب فيها ٠٠ وأما طلب ابنى اياى ثم حبسه عنى فانى أراه سيجتهد أن يصيبه ما أصابنى ٠

فقتل ـ رحمه الله تعالى ـ شهيدا باليمامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استبل منها ، ثم قتل عام اليرموك زمن عمر شهيدا رحمه الله ـ هكذا ذكر محمد بن اسحاق قصة الطفيل بن عمرو مرسلة بلا اسناد ولخبره شاهد فى الحديث الصحيح ٠

● روى الامام أحمد عن أبى هريرة قال : لما قدم الطفيل وأصحابه على رسول الله ﷺ قال : ان دوسا قد استعصت .. فقال « اللهم اهد دوسا وائت بهم » .

ورواه البخارى من طريق أبى نعيم عن سفيان الثورى.

من كرامات الأولياء :

وكرامات الأولياء معـدودة فى المعجـزات . لأن كل ما يثبت لولى فهو معجزة لنبيه .

● بعث الحمار بعد موته :

روى ابن أبى الدنيا فى كتاب (من عاش بعد المـوت) عن الشعبى أن قوما أقبلوا من اليمن متطوعين فى سبيل الله ـ فنفق حمار رجل منهم ، فأراده أن ينطلق معهم فأبى فقام فتوضأ وصلى ، ثم قال :

اللهم انى جئت من الدفينة مجاهدا فى سبيلك ، وابتغاء مرضاتك ، وانى أشهد أنك تحيى المـوتى وتبعث من فى القبور ، لا تجعل لأحد على منة ، فانى أطلب اليك أن تبعث لى حمارى ثم قام الى الحمار ، فقام الحمار ينفض أذنيه ، فأسرجه وألجمه ، ثم ركبـه وأجـراه فلحق بأصـحابه .. فقالوا : ما شأنك ؟ قال : شأنى أن الله بعث حمارى .

قال الشـعبى : فأنا رأيت الحمـار بيع أو يبـاع فى الكناسة ، يعنى الكوفة ، وذكر ابن أبى الدنيـا عن مسـلم ابن عبد الله بن شريك النخعى أن صـاحب الحمـار رجل من النخع يقال له . نباتة بن يزيد خرج فى زمن عمر غازيا ، حتى اذا كان يلقى عميرة نفق حماره ، فذكر القصة ، غير

انه قال : فباعه وقد قال رجل من رهطه ثلاثة أبيات فحفظت هذا البيت :

ومنا الذى أحيا الاله حماره   وقد مات منه كل عضو ومفصل

ما ظهر لحليمه السعدية من معجزات عند ارضاعه صلى الله عليــه وسلم :

ذكر ابن اســحاق عن حليمة بنت الحــارث أنها قالت : قدمت مكة فى نسوة من بني سعد نلتمس بها الرضعاء في سنة شهباء • فقدمت على أتان لى قمراء كانت أزمت بالركب ومعى صبى لنا ومشارف لنا والله ما نبض بقطرة ، وما تنام ليلنا أجمع مع صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع ، ما نجد فى ثديى ما يغنيه ولا فى شارفى ما يغذيه •• وكلنا كنــا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتانى تلك ، فلقد أزمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا •• فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه اذا قيل انه يتيم تركنــاه ، قلنــا : ما عسى أن تضع الينا آمه ؟ انما نرجو المعروف من أبى الولد ، فأما آمه فماذا عسى آن تضع الينا ؟

فوالله ما بقى من صواحبى امرأة الا أخــذت رضــيعا غيرى •• فلما لم نجد غيره وأجمعنا الانطلاق ، قلت لزوجى الحارث بن عبد العزى : والله انى لأكره أن أرجع من بين صــواحبى ليس معى رضــيع ، لانطلقن الى ذلك اليتيــم فلآخذنه •

فقال : لا عليك آن تفعلى ، فعسى أن يجعل الله لنا فيــه بركة • فذهبت فأخذته فوالله ما آخذته الا انى لم أجد غيره ، فما هو الا آن آخذته فجئت به رحلى فأقبل على ثديى بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى ، وقام

صاحبى الى مشارفنا تلك ، فاذا بلبنها لحافل فحلب منها ما شرب وشربت حتى روينا ٠

فبتنا بخير ليلة ، فقال صاحبى حين أصبحنا : ياحليمة ، والله انى لأراك قد أخذت نسمة مباركة ألم ترى ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه ؟!

فلم يزل الله — عز وجل — يزيدنا خيرا ٠٠ ثم خرجنا راجعين الى بلادنا فوالله لقطعت أتانى بالركب حتى ما يتعلق بها حمار حتى أن صواحبى ليقلن :

ويلك يا بنت أبى ذؤيب ، هذه أتانك التى خرجت عليها معنا ؟

فأقول : والله انها لهى ٠٠ فقلن : ان لها لشأنا ٠٠ حتى قدمنا أرض بنى سعد ، وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها ، فان كانت غنمى لتسرح ثم تروح شباعا لبنا فتحلب ما شئنا وما حوالينا أحد تبض له شاة بقطرة لبن ، وان أغنامهم لتروح جياعا ، حتى انهم ليقولون لرعيانهم ، أو لرعاتهم « ويحكم انظروا حيث سرح غنم بنت أبى ذؤيب فاسرحوا معهم !! » فيسرحون مع غنمى حيث تسرح فتروح أغنامهم جياعا ما فيها قطرة لبن ، وتروح أغنامى شباعا لبنا نحلب ما شئنا ٠ فلم يزل الله يرينا البركة فنعرفها حتى بلغ سنتين فكان شب شبابا لا تشبه الغلمان ٠ فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاما جفرا ، فقدمنا به على أمه ونحن أضن شىء به مما رأينا فيه من البركة ٠

فلما رآته أمه قلت لها : دعينا نرجع بابننا هذه السنة الأخرى فانا نخشى عليه وباء مكة ، فوالله ما زلنا بها حتى قالت : نعم ٠

فسرحته معنا ، فأقمت به شهرين أو ثلاثة ، فبينما هو خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة فى بهم لنا جاء أخوه ذلك

ليشتد ، فقال : ذاك أخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعناه فشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه ليشتد نحوه ، فنجده قائما ممتقعا لونه .. فاعتنقه أبوه وقال يا بني ما شأنك ؟

قال « جاءني رجلان عليهما ثياب بيض أضجعاني وشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان » .

فرجعنا به .. فقال أبوه :

يا حليمة ، لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب ، فانطلقي بنا نرده الى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف قالت حليمة : فاحتفلناه فلم ترع أمه الا به .. فقدمنا به عليها فقالت : ما ردكما به يا ظئر (المرضعة لغير ولدها) فقد كنتما عليه حريصين ؟

فقالا : لا والله الا أن الله قد أدى عنا ديننا الذي علينا وقلنا نخشى الاتلاف والاحداث ، نرده الى أهله .

فقالت : ماذا بكما ، فأصدقاني شأنكما .. فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره . فقالت : أخشيتما عليه الشيطان، كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل ، والله انه لكائن لابني هذا شأن ألا أخبركما خبره ؟

قلت : بلى ..

قالت : حملت به فما حملت حملا قط أخف منه ، فأريت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام ، ثم وقع حين ولدته وقوعا ما يقعه المولود ، معتمدا على يديه ، رافعا رأسه الى السماء ، فدعاه عنكما .

وهذا الحديث قد روى من طرق أخرى ، وهو من الأحاديث المشهورة المتداولة بين أهل البر والمغازى .

سادسا من عاش بعد الموت :

(١) قيام الشاب بعد موته :

روى ابن أبى الدنيا عن أنس بن مالك قال : عدنا شابا من الأنصار ، فما كان بأسرع من أن مات فأغمضناه ومددنا عليه الثوب ، وقال بعضنا لأمه : احتسبيه • قالت : أو قد مات ؟ قلنا : نعم فمدت يديها الى السماء وقالت : اللهم انى آمنت بك ، وهاجرت الى رسولك • فاذا نزلت بى شدة دعوتك ففرجتها ، فأسألك اللهم أن لا تحمل على هذه المصيبة اليوم •

قالت : فكشف الثوب عن وجهه ، فما برحنا حتى أكلنا وأكل معنا •

(٢) قصة العلاء بن الحضرمى :

وروى البيهقى عن أنس قال : أدركت هذه الأمة ثلاث لو كانت فى بنى اسرائيل لما تقاسمها الأمم •• قلنا ماهن يا أبا حمزة ؟

قال : كنا فى الصفة عند رسول الله ﷺ ، فأتته امرأة مهاجرة ، ومعها ابن لها قد بلغ ، فأضاف المرأة الى النساء وأضاف ابنها الينا ، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة ، فمرض أياما ثم قبض ، فغمضه النبى ﷺ وأمر بجهازه ، فلما أردنا أن نغسله قال « يا أنس ائت أمه فاعلمها » فأعلمنها •• فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما • ثم قالت : اللهم انى أسلمت لك طوعا ، وخلعت الأوثان زهدا ، وهاجرت اليك رغبة ، اللهم لا تشمت بى عبدة الأوثان ، ولا تحملنى من هذه المصيبة مالا طاقة لى بحملها •

قال فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه والقى الثوب عن وجهه ، وعاش حتى قبض الله رسوله ﷺ وحتى هلكت أمه •

ثم جهز عمر بن الخطـاب جيشـا واستعمل عليهم الغلام ابن الحضرمی ٠

قال أنس : وكنت فی غزاته ، فأتينا مغازينا فوجدنا القوم قد بدروا بنا فعفوا آثار الماء ، والحر الشديد فجهدنا العطش ودوابنا وذلك يوم الجمعة ، فلمـا مالت الشـمس لغروبها صلى بنا ركعتين ثم مد يده الى السماء ، وما نرى فی السماء شيئا ٠٠ قال فوالله ما حط يده حتى بعث الله ريحا وأنشأ سحابا ، وأفرغت حتى ملأت الغدر والشعاب ، فشربنا وسقينا ركائبنا واستقينا ، ثم أتينـا عدونا وقد جاوزوا خليجا فی البحر الى جزيرة ، فوقف على الخليج قال : يا علی، يا عظيم ، يا حليم ، يا كريم ثم قال : أجيزوا باسم الله — قال : فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا ٠

فلم نلبث الا يسيرا فأصبنا العدو عليه فقتلنا وأسرنا وسبينا ، ثم أتينا الخليج ، فقال مثل مقالته فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا ٠

قال : فلم نلبث الا يسيرا حتى رئی فی جنازته قال : فحفرنا له وغسلناه ودفناه ٠ فأتى رجل بعـد فراغنـا من دفنه فقال : من هذا ؟

فقلنا : هذا خير البشر ، هذا ابن الحضرمی ٠ فقال : ان هذه الأرض تلفظ الموتى فلو نقلتموه الى ميل أو ميلين الى أرض تقبل الموتى ٠

فقلنا : ما جزاء صاحبنا أن نعرضه للسباع تأكله ٠ قال : فاجتمعنا على نبشه ، فلما وصلنا الى اللحد اذا صاحبنا ليس فيه ، واذا اللحد مد البصر نور يتلألأ ٠

قال : فأعدنا التراب الى اللحد ٠ ثم ارتحلنا ٠

(٣) قصة يزيد بن خارجة وكلامه بعد الموت :

روى البيهقي عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجة الأنصارى ، ثم من بنى الحارث بن الخـزرج ، توفى زمن عثمان بن عفان ، فسجى بثوبه ، ثم انهم سمعوا جلجلة في صدره ، ثم تكلم ثم قال : أحمد أحمد فى الكتاب الأول ..

صدق .. صدق أبو بكر الصديق ، الضعيف في نفسه، القوى في أمر الله فى الكتاب الأول .

صدق .. صدق عمر بن الخطاب ، القـوى الأمين فى الكتاب الأول .

صدق .. صدق عثمان بن عفان على منهاجهم .. مضت أربع وبقيت اثنتان ، أتت الفتن ، وأكل الشديد الضعيف ، وقامت الساعة . وسيأتيكم عن جيشكم خبر .. بئر آريس وما بئر آريس .

قال يحيى بن سعيد : ثم هلك رجل من بنى خطمـة فسجى فى ثوبه ، فسمع جلجلة فى صدره ،ثم تكلم فقـال :

ان أخا بنى الحارث بن الخزرج صدق .. صدق .

وروى ابن أبى الدنيا فى كتابه « من عاش بعد الموت » عن اسماعيل بن أبى خالد .

قال : جاء يزيد بن النعمان بن بشير الى حلقم القاسم بن عبد الرحمن بكتاب أبيه النعمان بن بشير ، يعنى الى أمه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من النعمـان بن بشـير الى أم عبد الله بنت أبى هاشم .. سلام عليك .. فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، فانك كتبت الى لأكتب اليك بشأن زيد بن خارجة .

وانه كان من شأنه أنه أخذه وجع فى حلقه ، وهـــو يومئذ من أصبح الناس ــ أو أهل المدينة فتوفى بين صـــلاة الأولى وصلاة العصر • فأضجعناه لظهره ، وغشيناه ببردين وكساء •• فأتانى آت فى مقامى ، وأنا أسبح بعد المغرب•• فقال : ان زيدا قد تكلم بعد وفاته •

فانصرفت اليه مسرعا ، وقد حضره قوم من الأنصار ، وهو يقول ، أو يقال على لسانه الأوسط أجلد الثلاثة ، الذى كان لا يبالى فى الله لومة لائم ، كان لا يأمر الناس أن يأكل قويهم ضعيفهم ، عبد الله أمير المؤمنين ، صدق •• صدق ، كان ذلك فى الكتاب الأول ثم قال : عثمان أمير المـؤمنين ، وهو يعافى الناس من ذنوب كثيرة خلت اثنتان وبقى أربع ثم اختلف النـــاس وأكل بعضـــهم بعضـــا بلا نظام وأبيحت الأحماء ثم ارعوى المؤمنون وقالوا : كتاب الله وقدره ••

أيها الناس ، أقبلوا على أميركم واســـمعوا وأطيعوا ، فمن تولى فلا يعهدن دما ، وكان أمر الله قدرا مقدورا • الله أكبر ، هذه الجنة وهذه النار ••

ويقول النبيون والصديقون : سلام عليكم •• يا عبدالله ابن رواحة ، هل أحسست لى خارجه وسعدا اللذين قتلا يوم أحد ؟

يقول الله تعالى :

كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾

(المعارج ١٥ : ١٨)

ثم خفت صوته ، فسألت الرهط عما سبقنى من كلامه، فقالوا : سمعناه يقول • أنصتوا أنصتوا • فنظر بعضنا الى بعض • فاذا الصوت من تحت الثياب •• قال • فكشفنا عن وجهه • فقال : هذا أحمد رسول الله ــ سلام عليك يا رسول الله ورحمـــة الله وبركاته •• ثم قال أبـــو بكر الصـــديق

الأمين . خليفة رسول الله ــ كان ضعيفا فى جسمه ، قويا فى أمر الله .. صدق .. صدق وكان فى الكتاب الأول .

وذكر بئر أريس . كما ذكرنا فى رواية ابن المسيب ، قال البيهقى : والأمر فيها أن النبى ﷺ اتخذ خاتما كان فى يده ، ثم كان فى يد أبى بكر من بعده ، ثم كان فى يد عمر . ثم كان فى يد عثمان حتى وقع منه فى بئر أريس . بعدما مضى من خلافته ست سنين ، فعند ذلك تغيرت عماله ، وظهرت أسباب الفتن ، كما قيل على لسان زيد بنى خارجه .

قلت : وهى المرادة من قوله : مضت اثنتان وبقى أربع . أو مضت أربع وبقى اثنتان على اختلاف الرواية ... والله أعلم .

وقال البخارى فى التاريخ : زيد بن خارجة الخزرجى الأنصارى شهد بدرا ، توفى زمن عثمان ، وهو الذى تكلم بعد الموت .

قال البيهقى : وقد روى فى التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة .. والله أعلم .

وقال البخارى فى التاريخ زيد بن خارجة الخزرجى الأنصارى شهد بدرا ، توفى زمن عثمان ، وهو الذى تكلم بعد الموت .

قال البيهقى : وقد روى فى التكلم بعد الموت عن جماعة أسانيد صحيحة .. والله أعلم .

(٤) قصة رجل من بنى سلمة :

وروى ابن أبى الدنيا عن عبد الله بن عبيد الأنصارى أن رجلا من بنى سلمة تكلم فقال :

محمد رسول الله ــ أبو بكر الصديق ، عثمان اللين الرحيم .. قال : ولا أدرى ايش قال فى عمر .

(٥) قصة رجل من الأنصار :

وروى البيهقى عن عبد الله بن عبيد الأنصــارى قال : بينما هم يثورون القتلى يوم صفين أو يوم الجمل ، اذ تكلم رجل من الأنصار من القتلى ، فقال : محمــد رســول الله ، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، عثمان الرحيم ·· ثم سكت ·

( ) قصة الربيع بن خراش :

روى هشام بن عمار فى كتاب « البعث » عن ربعى بن خراش العبسى قال : مرض أخي الربيع بن خراش فمرضته ثم مات ، فذهبنا نجهزه ، فلما جئنا رفع الثوب عن وجهه ثم قال : السلام عليكم ·

قلنا : وعليك السلام ·· قد مت ·

قال : بلى ، ولــكن لقيت بعــدكم ربى ولقينى بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، ثم كسانى ثيابا من ســندس أخضر ، وانى سألته أن يأذن لى أن أبشركم فأذن لى ، وان الأمر كما ترون فسددوا وقاربوا ، وبشروا ولا تنفروا ·· فلما قالها كانت كحصاة وقعت فى ماء ·

***

سابعا : شفاء المرضى على يديه صلى الله عليه وسلم :

(١) علاج الصبى المصروع :

روى الامام أحمد عن ابن عبــاس أن امرأة جاءت الى النبى ﷺ بابن لها · فقالت : ان ابنى هذا به جنون يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيخبث علينا ·

قال : فمسح النبى ﷺ صدره ودعا له فثع ثعــة ، يعنى سعل ، فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود ·

(٢) امرأة من أهل الجنة :

وروى الامام أحمد عن عطاء بن أبى رباح قال : قال لى ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت بلى • قال : هذه السوداء ، أتت رسول الله ﷺ فقالت : انى أصرع وأتكشف فادع الله لى •

قال : « ان شئت صبرت ولك الجنة ، وان شئت دعوت الله لك أن يعافيك •

قالت : لا ، بل أصبر •• فادع الله ألا أتكشف ولا ينكشف عنى •• قال فدعا لها • هكذا رواه البخارى ومسلم • روى البخارى عن عطاء انه رأى أم زفر ، تلك المرأة الطويلة السوداء على أستار الكعبة •

(٣) دعاؤه صلى الله عليه سلم
لأهل المدينة أن يذهب الله حماها :

روى البخارى عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال ، قالت : فدخلت عليهما فقلت : يا أبت كيف نجدك ؟ ويا بلال كيف نجدك ؟

قالت : فكان أبو بكر اذا أخذته الحمى يقول :

كل امرىء مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال اذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
بواد وحولى اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة
وهل يبدون لى شامة وطفيل

وقالت عائشة : فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : « اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، وصححها ،

وبارك لنا فى صاعها ومدها ، وانقل حماها فأجعلها بالجحفة » رواه مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة مختصرا .

وفى رواية للبخارى عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ فذكره وزاد بعد شعر بلال : ثم يقول :

اللهم العن عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية ابن خلف كما أخرجونا الى أرض الوباء فقال رسول الله ﷺ

« اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا فى صاعها وفى مدها ، وصححها لنا وأنقل حماها الى الجحفة » .

وروى الامام أحمد عن عائشة قالت : لما قدم رسول الله ﷺ اشتكى أصحابه ، واشتكى أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ، وبلال ، فاستأذنت عائشة النبى ﷺ فى عيادتهم، فأذن لها ، فقالت لأبى بكر : كيف تجدك ؟ فقال :

كل امرىء مصبح فى أهله   والموت أدنى من شراك نعله

وسألت عامرا فقال :

انى وجدت الموت قبل ذوقه   ان الجبان حتفه من فوقه

وسألت بلالا فقال :

يا ليت شعرى هل أبيتن ليلة   بواد وحولى اذخر وجليل

فأتت النبى ﷺ فأخبرته بقولهم ، فنظر الى السماء وقال « اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا فى صاعها وفى مدها، وانقل وباءها الى مهيعة، وهى الجحفة كما زعموا » .

وقد ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة ــ يعنى مكة عام عمرة القضاء ، فقال المشركون : انه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى

يثرب ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا وأن يمشوا ما بين الركنين ، ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها الا الابقـاء عليهم قلت : وعمرة القضاء كانت فى سـنة سـبع فى ذى القعدة ، فاما ان يكون تأخر دعائه ـ عليه السلام ـ بنقـل الوباء الى قريب من ذلك ، أو أنه رفع وبقى آثار منه قليل ، أو انهم بقوا فى خمارها وما كان أصابهم من ذلك الى تلك المدة ٠٠ والله أعلم ٠

(٤) دعاؤه ـ صلى الله عليه وسلم ـ للرجل الضرير :

روى الامام أحمد عن عثمان بن حيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبى ﷺ فقال : ادع الله أن يعافينى ٠

قال : « ان شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك ، وان شئت دعوت لك » ٠

قال : لا ، بل ادع الله لى ٠

قال : فأمره رسول الله ﷺ أن يتوضأ ويصلى ركعتين ، وأن يدعو بهذا الدعاء ٠

« اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيـك محمـد نبى الرحمة ، يا محمد انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه فتقضى ، وتشفعنى فيه وتشفعه فى » ٠

قال : فكان يقول هذا مرارا ، ثم قال بعد : أحسب أن فيها أن تشفعنى فيه ٠٠ قال ففعل الرجل فبرأ ٠

وفى رواية أيضا لأحمد « اللهم شفعه فى » ٠٠ ولم يقل الأخرى ، وكأنها غلط من الراوى ٠٠ والله أعلم ٠

وهكذا رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه ، وقال الترمذى : حديث صحيح غريب ٠

وروى البيهقى والحـاكم عن عثمـان بن ضيف قال : سمعت رسول الله ﷺ وجاءه رجل ضرير فشكا اليه ذهاب بصره ، فقال : يا رسول الله ، ليس لى قائد وقد شق على ٠٠

فقال رسول الله ﷺ « ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ، ثم قل : اللهم انى اسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يآ محمد انى آتوجه بك الى ربى فينجلى بصرى ، اللهم فشفعه فى وشفعنى فى نفسى » ٠

قال عثمان : فوالله ما تفرقنا ولا طال الحديث بنا حتى دخل الرجل كأن لم يكن به ضر قط ٠

(٥) رده ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعين قتادة بن النعمان يوم بدر :

روى البيهقى فى الدلائل عن قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر ، فسالت حدقته على وجنته ، فأرادوا أن يقطعوها ، فيسألوا رسول الله ﷺ فقال : « لا » فدعاه ، فغمز حدقته براحته فكان لا يدرى آى عينيه أصيبت ٠٠ وفى رواية فكانت أحسن عينيه ٠

ولهذا لما وفد ولده عاصم بن عمر بن قتادة على عمر بن عبد العزيز ، قال له : من آنت ؟ فقال له مرتجلا :

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه
ردت بكف المصطفى آيما رد
فعادت كما كانت لأول أمرها
فيا حسنها عينا ويأحسن ما خد

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند ذلك منشدا قول أمية بن أبى اصلت فى سيف بن ذى يزن ، فأنشده عمر فى موضعه حقا :

تلك المكارم لا تعبان من لبنى شيبا بماء فعادا بعد آبوالا

ثم وصله فأحسن جائزته ــ رضى الله عنه ٠

(٦) مسحه ــ صلى الله عليه وسلم ــ على رجل عبد الله بن عتيك حين انكسرت :

روى البخارى عن البراء بن عازب قال : بعث رسول الله ﷺ الى آبى رافع اليهودى رجالا من الأنصار فأمر عليهم

عبد الله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذى رسول الله ﷺ ويعين عليه ، وكان فى حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه ، وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم · قال عبد الله لأصحابه : اجلسوا مكانكم ، فانى منطلق متلطف للبواب لعلى أن أدخل ·

فأقبل حتى دنا من الباب ثم اتضع بثوبه كأنه يقضى حاجة ، وقد دخل الناس ، فهتف به البواب : يا عبد الله ان كنت تريد أن تدخل فادخل فانى أريد أن أغلق الباب ، فدخلت فكمنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم غلق الأغاليق على ، وقال :

فقمت الى الاقاليد فأخذتها ففتحت الباب ، وكان أبو رافع ليسمر عنده وكان فى علالى له ، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه ، فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت على من داخل ، فقلت : ان القوم تدبروا بى لم يخلصوا الى حتى أقتله ، فانتهيت اليه ، فاذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت ، فقلت : أبا رافع ·· قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت لأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش ، فما أغنيت شيئا ·· وصاح ، فخرجت من البيت لأمكث غير بعيد ، ثم دخلت اليه فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟

فقال : لأمك الويل ، ان رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف · قال : فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ، ثم وضعت خبيب السيف فى بطنه حتى أخذ فى ظهره ، فعرفت أنى قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب بابا بابا حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى أنى قد انتهيت ، فوقعت فى ليلة مقمرة ، فانكسرت ساقى ، فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب ، فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته ، فلما صاح الديك قام الناعى على السور فقال : أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز ·· فانطلقت الى أصحابى

فقلت : النجاة ،قد قتل الله أبا رافع .. فانتهيت الى النبى ﷺ فحدثته فقال لى « ابسط رجلك ؟ فبسطت رجلى ، فمسحها ، فكأنها لم أشتكها قط .

● براءة عين على — رضى الله عنه — بعد أن تغل فيها صلى الله عليه وسلم :

روى البيهقى عن بريدة قال : كان رسول الله ﷺ ربما اخذته الشقيقة ، فلم يخرج الى الناس وان أبا بكر اخذ راية رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع ، فأخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الأول ثم رجع .. فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : « لأعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يأخذها عنوة» وليس ثم على فتطاولت لها قريش ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك .. فأصبح وجاء على بن أبى طالب على بعير له حتى أناخ قريبا وهو أرمد قد عصب عينه بشقة ترد قطرى .. فقال رسول الله ﷺ « مالك ؟ » قال : ربدت بعدك . قال : « آدن منى » .

فتفل فى عينه فما وجعها حتى مضى لسبيله ، ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه جبة أرجوان حمراء قد أخرج خملها، فأتى مدينة خيبر .. وخرج فرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يمانى وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أنى فرحب
شاكى سلاحى بطل مجرب

اذا الليوث أقبلت تلهب
وأحجمت عن صولة المغلب

فقال علي ـ رضى الله عنه :

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة   كليث غابات شديد القسورة

آكيلكم بالصاع كيل السندرة

قال : فاختلفا ضربتين . فبدره علي بضربة فقد الحجر المغفر ورأسه ووقع فى الأضراس وأخذ المدينة .

القسم الثالث

دعواته مستجابة

أولا : الدعـوات :

(١) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة بحفظ العلم :

روى الشيخان عن أبي هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : يقولون : ان ابا هريرة قد أكثر بمعنى (أكثر الحديث عن رسول الله ﷺ) والله الموعد بمعنى (فيما سبق أن تعمـدت كذبا ، ويحاسب من ظن بى السوء) ٠٠ ويقولون : ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه ؟ وسأخبركم عن ذلك : ان اخوانى من الأنصار كان يشغلهم عمل أرضيهم، وان اخوانى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق (كناية عن التبايع ، وكانوا يصفقون بالأيدى من المتبايعين بعضها على بعض ٠) ، وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطنى فأشهد اذا غابوا ، وأحفظ اذا نسوا ، ولقـد قال رسول الله ﷺ يوما :

« أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثك هذا ، ثم يجمعه الى صدره ، فانه لم ينس شيئا سمعه ؟ » فبسطت بردة على ، حتى فرغ من حديثه ، ثم جمعتها الى صدرى ، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئا حدثنى به ٠٠ ولولا آيتان أنزلهما الله فى كتابه ما حدثت الآية أبدا :

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠)

سورة البقرة (١٥٩ ــ ١٦٠)

(٢) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ :

روى الطبرانى من طريق الشعبى قال : قيل لسعد : متى أصبت الدعوة ؟ قال يوم بدر ، قال النبى ﷺ اللهم أستجب لسعد .

وروى الترمذى وابن حبان والحاكم من طريق قيس ابن أبى حازم عن سعد أن النبى ﷺ قال :

« اللهم استجب لسعد اذا دعاك » .

وروى البخارى عن جابر بن سمرة قال : شكا أهل الكوفة سعدا الى عمر ـ رضى الله عنه ـ ، فعزله ، واستعمل عليهم عمارا فشكوا حتى ذكروا انه لا يحسن ان يصلى ، فأرسل اليه فقال : يا أبا اسحاق كنية سعد ، كنى بذلك بأكبر أولاده ، وهذا تعظيم من عمر له ، وفيه دلالة على أنه لم تقرح فيه الشكوى عنده .) ، ان هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى . فقال أبو اسحاق : أما أنا والله فانى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ وحزم عنها بمعنى (أى لا انقص منها شيئا) ، أصلى صلاة العشاء فأركد بمعنى (أطول فيهما القراءة ، فى الأولين وأخف فى الآخريين .

قال : ذاك الظن بك يا آبا اسحاق . فأرسل معه رجلا ـ أو رجالا ـ الى الكوفة ، فسأل عنه أهل الكوفة ، ولم يدع مسجدا الا سأل عنه ، وهم يثنون معروفا حتى دخل مسجدا لبنى عبس ، فقال رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة ، قال أما اذا نشدتنا فان سعدا كان لا يسير بالسرية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يعدل فى القضية .

قال سعد : أما والله لأدعون بثلاث : اللهم ان كان عبدك هذا كاذبا قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره ، وعرضه بالفتن ، وكان بعد اذا سئل يقول : شيخ كبير مفتون ، أصابتنى دعوة سعد .

قال عبد الملك : فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وقاسى وهو مريض فعوض له ودعا له أن يكون مجاب الدعوة فقال : « اللهم أجب دعوته ، وسدد ميته » وكان كذلك ، فنعم أمير الجيوش والسرايا كان ٠٠

وقد دعا على أبي سعدة ، أسامة بن قتادة ، حين شهد فيه بالزور ، بطول العمر وكثرة الفقر والتعرض للفتن ، فكان اذا سئل ذلك الرجل يقول : شيخ كبير مفتون ، أصابتني دعوة سعد ٠

(٣) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبد الله وجمله :

ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله انه كان يسير على جمل قد أعيا ، فأراد أن يسيبه ٠٠ قال : فلحقني رسول الله ﷺ فضربه ودعا لى فسار سيرا لم يسر مثله ٠

وفي رواية : فمازال بين يدى الابل قدامها حتى كنت أحبس خطامه فلا أقدر ، فقال : « كيف ترى جملك ؟ » ٠ فقلت : قد اصابته بركتك يا رسول الله ٠٠ ثم ذكر أن رسول الله ﷺ اشتراه منه ، واختلفت الرواة في مقدار ثمنه على روايات كثيرة ، وانه ماستثنى حملانه الى المدينة ، ثم لما قدم المدينة جاءه بالجمل فنقده ثمنه وزاده ، ثم أطلق له الجمل أيضا ٠٠ الحديث بطوله ٠

(٤) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لفرس أبى طلحة :

روى البيهقي اللفظ له ، وهو في صحيح البخارى : عن أنس بن مالك قال : فزع الناس فركب رسول الله ﷺ فرسا لابن طلحة بطيئا ، ثم خرج يركض وحده ، فركب الناس يركضون خلف رسول الله ﷺ فقال : « لن تراعوا انه لبحر » ٠٠ قال : فوالله ما سبق بعد ذلك اليوم ٠

(٥) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لجعيل الأشجعي وفرسه :

روى البيهقي عن جعيل الأشجعي قال : غزوت مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته وأنا على فرس لى عجفاء ضعيفة

قال : فكنت في أخريات النـــاس ، فلحقنى رســـول الله ﷺ وقال : « سر يا صاحب الفرس » .

فقلت : يا رسول الله ، عجفاء ضـعيفة . قال : فرفع رسول الله ﷺ مخفقه فمضى (ما يضرب به من ســـوط أو نحوه) معه فضربها بها وقال : « اللهم بارك له فيها » .

قال : فلقد رأيتنى أمسك برأسها أن تقدم الناس ، ولقد بعت من بطنها باثنى عشر ألفا .

ورواه النسائى من طريق محمد بن دافع .

(٦) دعاؤه صلى الله عليه وسلم للناقة وقد أعياها التعب :

روى البيهقي عن أبى هريرة قال : جاء رجل الى رسول الله ﷺ ، فقال : انى تزوجت امرأة .

فقال : « هلا نظرت اليها ؟ فان فى أعين الأنصار شيئا »

قال : قد نظرت اليها .. قال : « على كم تزوجتها ؟ » . فذكر شيئا .

قال : « كأنهم ينحتون الذهب والفضة من عرض هذه الجبال !! .. ما عندنا اليوم شىء نعطيكه ولكن سأبعثك فى وجه تصيب فيه .. ومعنى ذلك (كراهة اكثار المهر بالنسبة الى حال الزوج) .

فبعث بعثـــا الى بنى عبس وبعث الرجــل فيهم ، فأتاه فقال : يا رسول الله ما أعيتنى ناقتى أن تبعث ..

قال : فناوله رسول الله ﷺ يده كالمعتمد عليه للقيام ، فأتاها ، فضربها برجله ..

قال أبو هريرة : والذى نفسى بيده لقد رأيتها تسبق به القائد ورواه مسلم فى الصحيح عن يحيى بن معنى .

(٧) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عباس بالتفقه في الدين :

● ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : أتى رسول الله ﷺ الخلاء ، فوضعت له وضوءا ، فلما خرج قال : « من وضع هذا ؟ » .

قالوا : ابن عباس . قال : « اللهم فقهه فى الدين » .

● وروى البيهقى عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ وضع يده على كتفى ــ أو قال : منكبى ، كما شك سعيد ، ثم قال : « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » .

وقد استجاب الله لرسوله ﷺ هذه الدعوة فى ابن عمه ، فكان اماما يهتدى بهداه ويقتدى بسناه فى علوم الشريعة ، ولا سيما فى علم التأويل ، وهو علم التفسير ، فانه انتهت اليه علوم الصحابة قبله ، وما كان عقله من كلام ابن عمه رسول الله ﷺ .

وكان عبد الله بن مسعود يقول : لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عاشره أحد منا ، وكان يقول لهم : نعم ترجمان القرآن ابن عباس .

هذا وقد تأخرت وفاة ابن عباس عن وفاة عبد الله بن مسعود . ببضع وثلاثين سنة ، فما ظنك بما حصله بعده فى هذه المدة ؟!

وقد روينا عن بعض أصحابه انه قال : خطب الناس ابن عباس فى عشية عرفة ، ففسر لهم سورة البقرة ، أو قال : سورة ، ففسرها تفسيرا لو سمعه الروم والترك والديلم لأسلموا .. رضى الله عنه وأرضاه .

(٨) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لأنس بن مالك بكثرة المال والولد :

ثبت فى الصحيح انه ـ عليه السلام ـ دعا لأنس بن مالك بكثرة المال والولد ، فكان كذلك٠٠ حتى روى الترمذى عن أبى خلدة قال : قلت لابن العالية : سمع أنس من النبى ﷺ ؟

فقال : خدمه عشر سنين ودعا له ، وكان له بستان يحمل فى السنة الفاكهة مرتين وكان فيه ريحان يجىء منه ريح المسك ٠

وفى الصحيح أنه ولد له لصلبه قريب من مائة أو ما ينيف عليها ٠

وفى رواية انه قال : « اللهم أطل عمره » فعمر مائة

(٩) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لأبى طلحة الأنصارى وزوجته :

وقد دعا ﷺ لأم سليم ولأبى طلحة فى غابر ليلتهما ، فولدت له غلاما سماه رسول الله ﷺ عبد الله ، فجاء من صلبه تسعة ، كلهم قد حفظ القرآن ٠٠ ثبت ذلك فى الصحيح ٠

(١٠) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة :

ثبت فى صحيح مسلم عن أبى هريرة أنه سأل رسول الله ﷺ أن يدعو لأمه فيهديها الله ، فدعا لها٠٠ فذهب أبو هريرة فوجد أمه تغتسل خلف الباب ، فلما عرفت قالت : أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ٠٠

فجعل أبو هريرة يبكى من الفرح ، ثم ذهب فأعلم بذلك

رسول الله ﷺ وسأل منه أن يدعو لهما أن يحببهما الى عباده المؤمنين ٠٠ فدعا لهما ، فحصل ذلك ٠٠

قال أبو هريرة : فليس مؤمن ولا مؤمنة الا و هو يحبنا٠

وقد صدق أبو هريرة في ذلك ، رضي‌الله عنه و أرضاه ٠

(١١) دعاؤه صلى الله عليه وسلم للسائب بن يزيد :

ثبت في صحيح البخارى وغيره أنه ﷺ دعا للسائب بن يزيد ، ومسح بيده على رأسه ، فطال عمره ، حتى بلغ اربعاً وتسعين سنة وهو تام القامة معتدل ، ولم يشب منه موضع أصابت يد رسول الله ﷺ ، ومتع بحواسه وقواه ٠

(١٢) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لأبي زيد الأنصارى :

روى الامام أحمد عن أبى زيد الانصارى قال : قال لى رسول الله ﷺ : ؟ أذن منى « ٠٠ قال : فمسح بيده على رأسه ولحيته ٠٠ ثم قال : « اللهم جمله ، وأدم جماله » ٠ قال : فبلغ بضعا ومائة سنة ، وما فى رأسه ولحيته بياض الا نبذ قال السهيلى : اسناده صحيح موصول ٠٠ ولقد أورد البيهقى لهذا نظائر كثيرة فى هذا المعنى ، تشفى القلوب ، وتحصل المطلوب ٠

(١٣) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف :

ثبت فى الصحيحين انه ــ عليه السلام ــ دعا لعبدالرحمن ابن عوف بالبركة حين رأى عليه ذلك الدرع من الزعفران لأجل العرس ، فاستجاب الله لرسوله ﷺ ففتح له فى المتجر والمغانم حتى حصل له مال جزيل ، بحيث انه لما مات صولحت امرأة من نسائه الأربع عن ربع الثمن على ثمانين الفا ٠

(١٤) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعروة بن أبى الجعد المازنى :

ثبت في الحديث عن طريق شبيب بن غرقد أنه سمع الحي يخبرون عن عروة بن أبى الجعد المازنى أن رسول الله ﷺ أعطاه دينارا ليشترى له به شاه ، فآشترى به شاتين وباع احداهما بدينار ، وأتاه بشاه ودينار ، فقاله له : « بارك الله فى صفقة يمينك » وفى رواية : فدعا له بالبركة فى البيع ، فكان لو اشترى التراب لربح فيه ٠

(١٥) دعاؤه صلى الله عليه وسلم لحذيفة يوم الخندق :

روى الحاكم والبيهقى فى الدلائل عن عبد العزيز بن أخي حذيفة قال : ذكر حذيفة مشاهدهم مع رسول الله ﷺ فقال جلساؤه : أما والله لو كنا شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا ٠٠ فقال حذيفة : لا تمنوا ذلك ، لقد رأيتنا ليلة الآحزاب ونحن صافون قعود وأبو سفيان ومن معه فوقنا ، وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا ليلة قط آشد ظلمة ولا أشد ريحا منها ، فى أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهى ظلمة ما يرى أحدنا اصبعه ، فجعل المنافقون يستأذنون النبى ﷺ ويقولون : ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ، فما يستأذنه أحد منهم الا أذن له ، ويأذن لهم ويتسللون ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك اذا استخبلنا رسول الله ﷺ رجلا ٠٠ رجلا حتى أتى على ، وما على جنة من العدو ولا من البرد الا مرط (كساء من حرير أو صوف أو كتان يؤتزر به وتتلفع به المرآة) لامرأتى ما يجاوز ركبتى ٠٠ قال : فأتانى وأنا جاث على ركبتى ٠٠ فقال : « من هذا ؟ » فقلت : حذيفة ٠٠ فقال : « حذيفة ؟! » ٠ فتقاصرت للأرض ، فقلت : بلى يا رسول الله كراهية أن أقوم ، فقمت

فقال : « انه كائن فى القوم خبر فأتنى بخبر القوم » ٠٠ قال : وأنا من أشد النــاس فزعا وأشــدهم قرا (البرد) فخرجت فقال رسول الله : « اللهم احفظه من بين يديه ، ومن خلفه وعن يمينه ، وعن شماله ، ومن فوقه ، ومن تحته »٠٠ قال : فوالله ما خلق الله فزعا ولا قسرا فى جوفى الا خرج من جــوفى ٠ فلما وليت ٠٠ قال : فخــرجت حتى اذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضــوء نار لهم توقد ، واذا رجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول الرحيل ٠٠ الرحيل ٠٠

ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ، فانتزعت سهما من كنانتى أبيض الريش فأضعه فى كبد قوسى لأرميــه به ضوء النار ، فذكرت قول رسول الله ﷺ : « لا تحدثن فيهم شيئا حتى تأتينى » ٠٠ فأمسكت ورددت سهمى الى كنانتى ، ثم انى شجعت نفسى حتى دخلت العسكر فاذا أدنى النــاس منى بنو عامر يقولون يا آل عامر الرحيــل ٠٠ الرحيل لكم لا مقام ٠٠ واذا الريح فى عســكرهم ما تجــاوز عســكرهم شــبرا ، فوالله انى لأســمع صــوت الحجــارة فى رحالهــم وفى سهم الريح تضرب بهــا ، ثم انى خرجت نحو رســول الله ﷺ ، فلمــا انتصــف بى الطــريق أو نحــو من ذلك ، اذ أنا بنحـــو عشرين فارســـا أو نحـــو ذلك معتمين ، فقالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاه ٠٠ قال : فرجعت الى رسول الله ﷺ وهو مشتمل فى شملة يصلى ، فوالله ما عدا أن رجعت راجعنى القر وجعلت أقرقف (ارتعد من البرد) ، فأومأ الى رسول الله ﷺ بيده وهــو يصلى ، فدنوت منــه ، فأسبل على شملته ، وكان رسول الله ﷺ اذا حزبه (اشــتد عليه) أمر صلى ، فأخبرته خبر القوم ، أخبرته أنى تركتهم يرحلون قال : وأنزل الله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم
مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ
ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ
يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ
يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾
وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا
تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ
ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم
مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم
مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ * قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ
لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ

فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

الآيات [٩ ـ ٢٥] من سورة الأحزاب

(١٦) دعاؤه صلى الله عليه وسلم للزوجين المتباغضين بالألفة :

روى البيهقى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خرج وعمر بن الخطاب معه ، فعرضت له امرأة فقالت : يا رسول الله ، انى امرأة محرمة ، ومعى زوج لى فى بيتى مثل المرأة ‥ فقال لها رسول الله ﷺ : « ادعى لى زوجك » فدعته وكان خرازا (الذى يخرز النعال ونحوها) ‥ فقال له : « ما تقول فى امرأتك يا عبد الله ؟ » فقال الرجل : والذى أكرمك ما جف رأسى منها ‥ فقالت امرأته : جاء مرة

واحدة فى الشهر ·· فقال لها رسول الله ﷺ : « أتبغضيه ؟ » قالت : نعم فقال رسول الله ﷺ : « أدنيا راسيكما » فوضع جبهتها على جبهة زوجها ثم قال : « اللهم ألف بينهما وحبب أحدهما الى صاحبه » ·

ثم مر رسول الله ﷺ بسوق النمط ومعه عمر بن الخطاب ، فطلعت المرأة تحمل أدما على رأسها ، فلما رآت رسول الله ﷺ طرحته وأقبلت فقبلت رجليه ، فقال : « كيف أنت وزوجك ؟ » فقالت : والذى أكرمك ما طارق (الحديث المستفاد من المال ونحوه ، وهو خلاف التالد) ولا تالد أحب الى منه ·· فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أنى رسول الله » فقال عمر : وأنا أشهد أنك رسول الله ·· قال أبو عبد الله : تفرد به على بن على اللهبى ، وهو كثير الرواية للمناكير ·

(١٧) دعاؤه صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدى :

روى البيهقى عن النابغة الجعدى قال : أنشدت رسول الله ﷺ هذا الشعر ، فأعجبه :

يلغنا السماء مجدنا وتراثنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال : « أين المظهر يا أبا ليلى ؟ » · قلت الجنة · قال : « كذلك ان شاء الله » ·· ثم أنشد :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له
بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له
حليم اذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبى ﷺ : « أجدت لا يفضض الله فاك » قال يعلى : فلقد رأيته ولقد أتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب له سن ·

(١٨) دعاؤه صلى الله عليه وسلم على من تكبر أن يأكل بيمينه :

روى مسلم عن سلمه بن الأكوع أن رجلا أكل عند النبى ﷺ بشماله ، فقال له :-«كل بيمينك» ·· قال : لا أستطيع · قال : لا استطعت ، ما يمنعه الا الكبر » قال : فما رفعها الى فيه ·

(١٩) دعاؤه صلى الله عليه وسلم على معاوية :

ثبت في صحيح مسلم عن ابن عباس قال : كنت ألعب مع الغلمان ، فجاء رسول الله ﷺ فاختبأت منه ، فجاءنى فحظانى حظوة (سهم صغير قدر ذراع يلعب به الصبيان لتعلم الرمى) أو حظوتين وأرسلنى الى معاوية فى حاجة ، فأتيته وهو يأكل ، فقلت : أتيته وهو يأكل ، فأرسلنى الثانية فأتيته وهو يأكل ·· فقلت : أتيته وهو يأكل ·· فقال : » لا أشبع الله بطنه » ·

● وروى البيهقى عن ابن عباس قال : كنت ألعب مع الغلمان ، فاذا رسول الله ﷺ قد جاء ، فقلت : ما جاء الا الى ·· فذهبت فاختبأت على باب ·· فجاء فحظانى حظوة وقال « اذهب فادع لى معاوية » وكان يكتب الوحى ·· قال فذهبت فدعوته له فقيل انه يأكل ·· فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : انه يأكل فقال : « اذهب فادعه لى » ·· فأتيته الثانية ، فقيل انه يأكل فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته ·· فقال فى الثانية : « لا أشبع الله بطنه » قال : فما شبع بعدها قلت : وقد كان معاوية ــ رضى الله عنه ــ لا يشبع بعدها ، ووافقته هذه الدعوة فى أيام امارته ، فيقال : انه كان يأكل فى اليوم سبع مرات طعاما بلحم ·· وكان يقول : والله لا أشبع وانما أعيا (أو مرض) ·

(٢٠) دعاؤه صلى الله عليه وسلم على أولئك النفر السبعة من المشركء :

روى الشيخان عن ابن مسعود أن النبى ﷺ كان يصلى عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، واذ قال بعضهم

لبعض : أيكم يجيء بسلى جزور (الجلدة التى يكون فيها ولد البهائم ، كالمشيمة للآدميات ·· والجزور يطلق على الذكر والأنثى ، وجمعه جزر ، وهو بمعنى المجزور من الابل ، أى المنحور) بنى فلان فيضعه على ظهر محمد اذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به ، فنظر حتى سجد النبى ﷺ ووضعه على ظهره بين كتفيه ، وأنا أنظر لا اغير شيئا ، لو كان لى منعه !! (أى لو كانت لى قوة) ·

قال : فجعلوا يضحكون واقبل بعضهم على بعض ·· ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه ، حتى جاءته فاطمة ، فطرحته عن ظهره ، فرفع راسه ثم قال : « اللهم عليك بقريش » ·· ثلاث مرات · فشق عليهم اذ دعا عليهم ·· وكانوا يرون أن الدعوة فى ذلك البلد مستجابة ثم سمى : « اللهم عليك بأبى جهل ، وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة » والوليد بن عتبة وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبى معيط » وعد السابع فلم يحفظه ·· قال : فوالذى نفسى بيده ، لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى فى القليب (البئر قبل أن يطوى) ، قليب بدر ·

(١) أخباره صلى الله عليه وسلم بأن الأرض لا تقبل ذلك المرتد اذا مات :

روى الامام أحمد عن أنس بن مالك قال : كان منا رجل من بنى النجار قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ فانطلق هاربا حتى لحق بأهل الكتاب ·· قال : فرفعوه ، وقالوا : هذا كان يكتب لمحمد ، وأعجبوا به ، فما لبث أن الله حتفه فيهم فحفروا له فواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه ثم عادوا فحفروا له وواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، فتركوه منبوذا · ورواه مسلم من حديث محمد بن رافع ·

● وروى الامام أحمد أيضا عن أنس أن رجلا كان يكتب للنبى ﷺ وكان قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان

الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران عزفينا ، يعنى عظمـا ، وكان رسول الله ﷺ يملى عليه « غفورا رحيما » فيكتب : عليما حكيما فيقول له النبى ﷺ : اكتب كذا وكذا « اكتب كيف شئت » وعلى عليه (عليما حكيمـا) فيقـول : أكتب سميعا بصيرا فيقـول أكتب كيف شـئت قال : فارتد ذلك الرجل عن الاسلام فلحق بالمشركين وقال : أنا أعلمكم وانى كنت لا أكتب الا ما شئت ٠٠ فمات ذلك الرجل ، فقال النبى ﷺ « ان الأرض لا تقبله » ٠

قال أنس : فحدثنى أبو طلحة أنه أتى الأرض التى مات فيها ذلك الرجل فوجده منبوذا ٠٠ فقال أبو طلحة : ما شأن هذا الرجل ؟

قالوا : قد دفناه مرارا فلم تقبله الأرض ٠

● وروى البخارى عن أنس قال : كان رجل نصرانيا فأسلم ، وقرأ البقرة وآل عمران ، فكان يكتب للنبى ﷺ فعاد نصرانيا ٠ ٠ فكان يقول : لا يدرى محمد الا ما كتبت له ٠

فأماته الله فدفنـوه ، فأصـبح وقد لفظتـه الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه ، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه ، فحفروا له فأعمقوا ، فأصبح وقد لفظـته الأرض ، فقالوا : هذا فعل محمد وأصـحابه نبشـوا عن صـاحبنا لما هرب منهـم فألقـوه خارج القبر ٠ فحفروا له وأعمقوا فى الأرض ما اسـتطاعوا ، فأصـبح قد لفظتـه الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقوه ٠

ثانيا : المسائل التى سئل عنهـا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاب عنها :

بما يطابق الحق الموافق لما تشـهد به الـكتب المتقدمة الموروثة عن الأنبياء قبله « بشارتهم به ﷺ » أخباره ﷺ عن : الروح ، وذى القرنين ، وأصحاب الكهف :

روى محمد بن اسحاق عن ابن عباس قال : بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة ابن أبى معيط ، الى أخبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهما : سلاهم عن محمد صفا لهم صفته ، واخبراهم بقوله ، فانهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء • فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ، ووصفا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله وقال لهم : انكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ••

فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث يأمركم بهن ، فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وان لم يفعل فهو رجل متقول أقروا فيه رأيكم :

● سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ، وما كان من أمرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجيب •

● وسلوه عن رجل طواف طاف مشارق الأرض ومغاربها وما كان نبؤه ؟

● وسلوه عن الروح ما هى ؟

فان أخبركم بذلك فهو نبى فاتبعوه ، وان لم يخبركم فانه رجل متقول ، فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم •

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا : يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها فأخبراهم بها •• فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد أخبرنا •• فسألوه عما أمروهم به •• فقال لهم رسول الله ﷺ « أخبركم غدا بما سألتم عنه » •• ولم يستثن (أى لم يقل ان شاء الله فانصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث له فى ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبريل، حتى أرجف أهل مكة ، وقالوا : وعدنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشىء مما سألناه عنه ••

حتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحى عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة .. ثم جاءه جبريل ـ عليه السلام ـ من الله ـ عز وجل ـ بسورة الكهف فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقال تعالى :

(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

(الاسراء ٨٥)

ونزل قوله تعالى :

(أم حسبتم أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا)

(الكهف ٩)

ثم شرع فى تفصيل أمرهم واعترض فى الوسط بتعليمه الاستثناء تحقيقا لا تعليقا فى قوله تعالى :

(ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت)

(الكهف ٢٣ ، ٢٤)

ثم ذكر قصة موسى لتعلقها بقصة الخضر .. ثم ذى القرنين ، ثم قال تعالى :

(ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا)

(الكهف)

وقال فى سورة الاسراء :

(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى)

(الاسراء ٨٥)

أى خلق عجيب من خلقه ، وأمر من أمره ، فقال لها كونى ، فكانت .. وليس لكم الاطلاع على كل ما خلقه ، وتصوير حقيقته فى نفس الأمر يصعب عليكم بالنسبة الى قدرة الله تعالى وحكمته .. ولهذا قال تعالى :

(وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

(الاسراء ٨٥)

وقد ثبت فى الصحيحين أن اليهود سألوا عن ذلك رسول الله ﷺ بالمدينة فتلا عليهم هذه الآية .. فاما انها نزلت مرة ثانية أو ذكرها جوابا وان كان نزولها متقدما ، ومن قال انها نزلت بالمدينة واستثناها من سورة الاسراء ففى قوله نظر .. والله أعلم ..

وهذا الاخبار ـ بما سأله عنه قريش ـ هو الواقع فى الواقع ، وانما يوافقه من الكتب التى بأيدى أهل الكتاب ما كان منها حقا ، وأما ما كان محرفا مبدلا فذاك مردود ، فان الله سبحانه بعث محمدا بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ليبين للناس ما اختلفوا فيه من الأخبار والأحكام .. قال الله تعالى بعد ذكر التوراة والانجيل :

وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ

المائدة : ٤٨

اجاباته ﷺ عن أسئلة أحبار اليهود التى تتعلق بالآخرة :

روى البخارى عن أنس قال : بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبى ﷺ المدينة ، فأتاه فقال : انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى .. قال :

ــ ما أول أشراط الساعة ؟

ــ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟

ــ ومن أى شىء ينزع الولد الى أبيـــه ؟ ومن أى شىء ينزع الى أخواله ؟

فقال رســـول الله ﷺ : « خبرنى بهن آنفا جبريل » . فقال عبد الله : ذاك عدو اليهود من الملائكة .

فقال رسول الله ﷺ : (أما أول أشراط الساعة فنار حتى تحشر الناس من المشرق الى المغرب . وأما أول طعــام يأكله أهل الجنة فزيادة كبــد حــوت .. وأما الشــبه فى الولد ، فإن الرجل اذا غشى المرأة (١) فسبقها ماؤه كان الشبه له ، واذا سبق ماؤها كان الشبه لها) ..

قال : أشهد أنك رسول الله .. ثم قال : يا رسول الله ، ان اليهود قوم بهت ، ان علموا باســلامى قبــل أن تسـألهم بهتونى عندك ..

فجاءت اليهود ، ودخل عبد الله البيت ، فقال رسول الله ﷺ :« أى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ »

قالوا : أعلمنا وابن أعلمنا ، وأخبرنا وابن أخبرنا .

قال رسول الله ﷺ : « أفرأيتم ان أسلم عبد الله ؟! » قالوا : أعاذه الله من ذلك .. فخرج عبدالله اليهم فقام عبدالله اليهم فقال : أشهد أن لا اله الا الله ، وأشــهد أن محمــدا رسول الله .

فقالوا : شرنا وابن شرنا ، ووقعوا فيه .

● وروى مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنت نائما عند رسول الله ﷺ فجاء جبريل ليعالم ، فى أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد .. فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال :

---

(١) غشى الرجل المرأة وتغشى بمعنى جامع امرأته لقوله تعـالى : « فلما تغاشاها حملت حملاً خفيفا » .

لم تدفعنى ؟ فقلت ، ألا تقول : يا رسول الله ؟

فقال اليهودى : انما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله .. فقال رسول الله ﷺ :

« ان اسمى محمــد الذى ســمانى به أهلى » .. فقال اليهودى : جئت أسألك ..

فقال رسول الله : « أينفعك شىء ان حدثتك ؟ » قال : أسمع بأذنى ..

فنكت يعنى [خط خطا في الأرض بعود ، وهذا يفعله من يفكر فى أمر] رسول الله ﷺ بعود معه ، فقال « سل »

فقال اليهودى : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟

فقال ﷺ : « هــم فى الظلمـــة دون الجسر » بمعنى الصراط ، . فقــال : فمن أول النـــاس أجـازة ؟ بمعنى (الجواز والعبور) .

قال : « فقراء المهاجرين » . قال اليهودى : فما تخصهم بمعنى (ما يهدى الرجل ويخص به ويلاطف) حين يدخلون الجنة ؟

قال : « زيادة كبد النون » بمعنى الحوت .

قال : فما غذاؤهم على اثرها ؟ قال : « ينحر لهم ثــور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها » قال فما شرابهم ؟

قال : « من عين فيها تسمى سلسبيلا » . قال : صدقت، قال : جئت أسألك عن شىء لا يعلمه أحد من أهــل الأرض الا نبى أو رجل أو رجلان ..

قال : « ينفعك ان حدثتك ؟ » قال : أسمع بأذنى .. قال : جئت أسألك عن الولد ..

قال : « ماء الرجــل أبيض وماء المرأة أصــفر » فاذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة .. أذكرا بمعنى (أى

كان الولد ذكرا) باذن الله ، واذا علا منى المرأة منى الرجل أنثى باذن الله » ٠

قال اليهودى : لقد صدقت ، وانه لنبى ، ثم انصرف فذهب ٠ فقال رسول الله ﷺ : « لقد سألنى هذا عن الذى سألنى عنه ، ومالى علم بشىء منه ، حتى أتانى الله به » ٠

● وروى الامام أحمد عن أبى عباس قال : حضرت عصابة من اليهود نبى الله ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن الا نبى ٠

قال : سلونى عما شئتم ، ولكن اجعلوا لى ذمة الله وما أخذ يعقوب ــ عليه السلام ــ على بينة ما لئن حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعنى على الاسلام ٠٠ قالوا : فذلك لك ٠٠

قال :« فسلونى عما شئتم » ٠٠ قالوا : أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن :

ــ أخبرنا أى الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟

ــ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل ، كيف يكون الذكر منه ؟

ــ وأخبرنا كيف هذا النبى فى النوم ؟ ومن وليه من الملائكة ؟

قال : « فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم لتتابعنى » ٠

قال : فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق ٠٠

قال : « فأنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب ــ عليه السلام ــ مرض مرضا شديدا وطال سقمه ، فنذر لله نذرا لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب اليه وأحب الطعام اليه ، وكان أحب الطعام اليه لحم الابل، وأحب الشراب اليه ألبانها ؟٠

قالوا : اللهم نعم .

قال : « اللهم اشهد عليهم ، فأنشدكم بالذى لا اله الا هو الذى أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وأن ماء المرأة أصفر رقيق ، فأيهما علا كان له الولد والشبه باذن الله ، ان علا ماء الرجل على ماء المرأة كان ذكرا باذن الله ، وان علا ماء المرأة على ماء الرجل كان أنثى باذن الله » قالوا :

اللهم نعم . .

قال : « اللهم اشهد عليهم ، فأنشدكم بالذى أنزل التوراة هل تعلمون أن هذا النبى الأمى تنام عيناه ولا ينام قلبه ؟ » .

قالوا : اللهم نعم . . قال : « اللهم اشهد » .

قالوا : وأنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة ؟ فعندها نجامعك أو نفارقك . .

قال : « فان وليى جبريل ــ عليه السلام ــ ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه » .

قالوا : فعندها نفارقك ، لو كان وليك سواه من الملائكة لتبعناك وصدقناك .

قال : « فما يمنعكم من أن تصدقوه ؟ » قالوا : انه عدونا

قال : فعند ذلك قال الله ــ عز وجل :

(فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين)

البقرة ٩٠

(قل من كان عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله)

البقرة ٩٧

سؤاله صلى الله عليه وسلم عن آيات موسى التسع :

روى الامام أحمد عن صفوان بن عسال المرادى قال : قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا الى هذا النبى حتي نسأله عن هذه الآية :

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾

الاسراء (١٠١)

فقال : لا تقل له نبى ، فانه لو سمعك لصارت له أربع أعين ..

فسألاه ، فقال النبى ﷺ : « لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تمشوا ببرىء الى ذى سلطان ليقتله ، ولا تقذفوا محصنة .. أو قال : لا تفروا من الزحف ـ وأنتم يا يهود عليكم خاصة أن لا تعتدوا » قال يزيد : تعدوا فى السبت .

قال : فقبلا يده ورجله ، وقالا : نشهد أنك نبى .

قال : « فما يمنعكما أن تتبعانى ؟ »

قالا : ان داود ـ عليه السلام ـ دعا أن لا يزال من ذريته نبى ، وانا نخشى ان أسلمنا أن تقتلنا يهود .

وقد رواه الترمذى والنسائى والحاكم .. وقال الترمذى : حسن صحيح .

قلت : وفى رجاله من تكلم فيه .. وكأنه اشتبه على الراوى التسع الآيات بالعشر الكلمات وذلك أن الوصايا التى أوحاها الله الى موسى ، وكلمه بها ليلة الطور بعدما خرجوا من ديار مصر ، وشعب بنى اسرائيل حول الطور حضور ،

وهارون ومن معه من العلماء وقوف على الطـور حضـور ، حينئذ كلم الله موسى تكليما آمرا له بهذه العشر كلمات ، وقد فسرت في هذا الحديث ٠٠ أما التسـع الآيات فتلك دلائل وخوارق وعادات أيد بها موسى ــ عليه السلام ــ وأظهرها الله على يديه بديار مصر ، وهي : العصا ، واليد، والطوفان، والجراد ، والقمـل ، والضفادع والدم والجرب ، ونقص الثمرات ٠

وقد بسطت القول على ذلك في التفسير بما فيه الكفاية، والله أعلم ٠

● اعتراف اليهود برسالته صـلى الله عليه وسـلم وتحريف التوراة :

روى أبو داود عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : زنى رجل من اليهود وامرأة ، فقال بعضهم لبعض : اذهبوا بنا الى هـذا النبي ، فانه نبي بعث بالتخفيف ، فان أفتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتجبنا بهـا عنـد الله وقلنا : فتيا نبي من أنبيائك ٠٠

قال : فأتوا النبي ﷺ وهـو جالس في المسجد في أصحابه ، فقالوا : يا أبا القاسم ، ما ترى في رجل وامرأة زنيا ؟ فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم ، فقام على الباب فقال :

« أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، ما تجدون في التوراة من زنى اذا أحصن ؟ »

قالوا : يحمم بمعنى يسود وجهه بالفحم ويجبه ويجلد ، والتجبية أن يحمـل الزانيان عـلى حمار وتقابل أقفيتهما ويطاف بهما ٠٠ قال : وسكت شاب منهم ٠ فلما رآه النبي ﷺ سـكت ألظ بمعنى أي ألح في سـؤاله وألزمه اياه به النشداة ، فقال : اللهم اذ نشـدتنا فاننـا نجـد في التوراة الرجم ٠ قال النبي ﷺ فما أول ما ارتخصتم أمر الله ٠

قال : زنى ذو قرابة مع ملك من ملوكنا فأخر عند الرجم ، ثم زنى رجل فى أسرة من الناس فأراد رجمه فحال قومه دونه ، وقالوا : لا يرجم صاحبنا حتى تجىء بصاحبك فترجمه ، فاصطلحوا على هذه العقوبة بينهم ، فقال النبى ﷺ : « فانى أحكم بما فى التوراة » فأمر بهما فرجما .. قال الزهرى : فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم :

إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾

المائدة ٤٤

كان النبى ﷺ منهم .

وروى حماد بن سلمة عن أنس أن غلاما يهوديا كان يخدم النبى ﷺ فمرض فأتاه رسول الله ﷺ يعوده ، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة ، فقال له رسول الله ﷺ : « يا يهودى ، أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تجدون فى التوراة نعتى وصفتى ومخرجى ؟ » .

قال : لا ..

فقال الفتى : بلى ، والله يا رسول الله ، انا نجد فى التوراة نعتك وصفتك ومخرجك ، وأنى أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله .

فقال النبى ﷺ لأصحابه : « أقيموا هذا من عند رأسه، ولوا أخاكم » ..

ورواه البيهقى من هذا الوجه بهذا اللفظ .

وروى أنه ﷺ وقف على مدراس وهو الموضع الذى يدرس فيه كتاب الله وفن مدارس اليهود فقال . « يا معشر اليهود أسلموا ، فوالذى لا اله الا هو انكم لتعلمون أنى رسول الله اليكم » .

فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم . فقال « ذلك أريد » .

★ بشارات الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم ★

فالذى يقطع به من كتاب الله وسنة رسوله ، ومن حيث المعنى أن رسول الله ﷺ قد بشرت به الأنبياء قبله ، وأتباع الأنبياء يعلمون ذلك ، ولكن أكثرهم يكتمون ذلك ويخفونه .. قال الله تعالى :

ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

الأعراف (١٥٧)

وقال تعالى :

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾

الأنعام ١١٤

وقال تعالى :

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾

البقرة ١٤٦

وقال تعالى :

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠﴾

آل عمران ٢٠

وقال تعالى :

﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾

ابراهيم ٥٢

وقال تعالى :

﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ١٩﴾

الأنعام (١٩)

وقال تعـــالى :

وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

هـــود (١٧)

وقال تعـــالى :

لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

يس (٧٠)

فكل من بلغه القرآن فهو نذير له ، قال ــ عليه الصلاة والسلام ــ « والذى نفسى بيده لا يســمع بى أحد من هــذه الأمة ، يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار » رواه مسلم .

وفى الصحيحين : « أعطيت خمســا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لى الغنائم ولم تحــل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض مســجدا وترابهــا طهورا وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة » .

وفيهما : « بعثت الى الأسود والأحمر » .

قيل : الى العرب والعجم ، وقيل الى الانس والجن .. والصحيح أعم من ذلك .

والمقصود أن البشارات به ﷺ موجودة فى الكتب الموروثة عن الأنبياء قبله ، حتى تناهت النبوة الى آخر أنبياء بنى اسرائيل ، وهو عيسى ابن مريم ، وقد قام بهذه البشارة فى بنى اسرائيل ، وقص الله خبره فى ذلك فقال تعالى :

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾

سورة الصف آية ٦

فاخبار محمد صلوات الله وسلامه عليه بأن ذكره موجود فى الكتب المتقدمة ، فيما جاء به من القرآن ، وفيما ورد عنه من الأحاديث الصحيحة كما تقدم ، وهو مع ذلك من أعقل الخلق باتفاق الموافق والمفارق ، يدل على صدقه فى ذلك قطعا ، لأنه لو لم يكن واثقا بما أخبر به من ذلك (من أشد) لكان ذلك من أشد المنفرات عنه، ولا يقدم على ذلك عاقل ٠٠ والغرض أنه من أعقل الخلق حتى عند من يخالفه ، بل هو أعقلهم فى نفس الأمر ٠

ثم انه قد انتشرت دعوته فى المشارق والمغارب ، وعمت دولة أمته فى أقطار الآفاق عموما لم يحصل لأمة من الأمم قبلها ٠٠ فلو لم يكن محمد ﷺ نبيا ، لكان ضرره أعظم من كل أحد ، ولو كان كذلك لحذر عنه الأنبياء أشد التحذير ، ولنفروا أممهم منه أشد التنفير ، فانهم جميعهم قد حذروا من دعاة الضلالة فى كتبهم ، ونهوا أممهم عن اتباعهم

والاقتدار بهم ، نصوا على المسيح الدجال ، الأعور الكذاب ، حتى أتى نوح ـ أول الرسل ـ قومه ٠

ومعلوم انه لم ينص نبى من الأنبياء على التحذير من محمد ﷺ ولا التنفير منه ، ولا الاخبار عنه بشيء خلاف مدحه ، والثناء عليه ، والبشارة بوجوده ، والأمر بأتباعه والنهى عن مخالفته ، والخروج من طاعته ٠٠

قال الله تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

آل عمران : ٨١ ، ٨٢

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : ما بعث الله نبيا الا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق ، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتبعنه ٠ رواه البخارى ٠

● **البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الكتب المتقدمة :**

وقد وجدت البشارات به ﷺ فى الكتب المتقدمة وهى أشهر من أن تذكر ، وأكثر من أن تحصر ٠٠ ونحن نورد ها هنا شيئا مما وجد فى كتبهم التى يعترفون بصحتها ويتدينون بتلاوتها ، مما جمعه العلماء قديما وحديثا ، ممن آمن منهم واطلع على ذلك من كتبهم التى بأيديهم ٠

★ ففى السفر الأول من التوراة بأيديهم فى قصـــة ابراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ما مضمونه وتعريبه :

« ان الله أوحى الى ابراهيم ـ عليه السلام ـ ، بعدما سلمه من نار النمرود أن قم فاسلك الأرض مشارقها ومغاربها لولدك ، فلما قص ذلك عـلى سـارة طمعت أن يكـون ذلك لولدها منه ، وحرصت على ابعاد هاجر وولدها ، حتى ذهب بهما الخليل الى برية الحجاز وجبال فاران ، وظن ابراهيم ـ عليه السلام ـ أن هذه البشارة تكون لولده اسحاق ، حتى أوحى الله اليـــه ما مضـمونه : أما ولدك اسـحاق فانه يرزق ذرية عظيمة ، وأما ولدك اسـماعيل فانى باركتـــه وعظمته ، وكثرت ذريته ، وجعلت من ذريته ماذا (الحسن الخلق) ، يعنى محمـد ﷺ ، وجعلت فى ذريتـه اثنى عشر اماما ، وتكون له أمة عظيمة » ٠

وكذلك بشرت هاجر حين وضعها الخليل عند البيت ، فعطشــت وحزنت عـلى ولدها ، وجاء الملك فأنبع زمزم ، وأمرها بالاحتفاظ بهذا الولد ، فانه سيولد له منه عظيم ، له ذرية عدد نجوم السـماء ، ومعلـوم انه لم يولد من ذرية اسماعيل ، بل من ذرية آدم أعظـم قدرا ولا أوسـع جاها ، ولا أعلى منزلة ، ولا أجل منصبا ، من محمـد ﷺ ، وهـو الذى استولت دولة أمتـه عـلى المشارق والمغارب ، وحكموا على سائر الأمم ٠

★ وهكذا فى قصة اسماعيل من السفر الأول : ان ولد اسماعيل تكون يده عـلى كل الأمم ، وكل الأمم تحت يده ، وبجميع مساكن اخوته يسكن ، وهذا لم يكن لأحد يصـدق على الطائفة الا لمحمد ﷺ ٠

★ وأيضا فى السـفر الرابع فى قصـة موسى ، أن الله أوحى الى موسى ـ عليه السلام ـ : أن قل لبنى اسرائيـل :

سأقيم لهم نبيا من آقاربهم مثلك يا موسى وأجعل وحيى بفيه واياه تسمعون ·

★ وفي السفر الخامس ، وهو سفر الميعاد ان موسى ــ عليه السلام ــ خطب بنى اسرائيل فى آخر عمره ، وذلك في السنة التاسعة والثلاثين من سنى التيه ، وذكرهم بايام الله وأياديه عليهم ، واحسانه اليهم ، وقال لهم فيما قال : واعلموا أن الله سيبعث لكم نبيا من أقاربكم مثل ما أرسلنى اليكم ، يأمركم بالمعروف ، وينهاكم عن المنكر ، ويحل لكم الطيبات ، ويحرم عليكم الخبائث ، فمن عصاه فله الخزى فى الدنيا ، والعذاب فى الآخرة ·

★ وأيضا في آخر السفر الخامس ، وهو آخر التوراة التى بأيديهم : جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ، وظهر من ربوات قدسه عن يمينه نور وعن شماله نار ، عليه تجتمع الشعوب ·

أى جاء أمر الله وشرعه من طور سيناء ، وهو الجبل الذى كلم الله موسى ــ عليه السلام ــ عنده ، وآشرق من ساعير ، وهى جبال بيت المقدس ، المحلة التى كان بها عيسى ابن مريم ــ عليه السلام ــ واستعلن أى ظهر وعلا أمره ، من جبال فاران ، وهى جبال الحجاز بلا خوف ، ولم يكن ذلك الا على لسان محمد ﷺ ·· فذكر الله تعالى هذه الأماكن الثلاثة على الترتيب الوقوعى : ذكر محله موسى ، ثم عيسى، ثم بلد محمد ﷺ ·

ولما أقسم تعالى بهذه الأماكن الثلاثة ذكر الفاضل أولا، ثم الأفضل منه ، ثم الأفضل منه على قاعدة القسم ·· قال تعالى : (والتين والزيتون) والمراد بها محله بيت المقدس ، حيث كان عيسى ــ عليه السلام ــ ، (وطور سنين) وهو الجبل الذى كلم الله ــ عليه موسى (وهذا البلد الأمين) وهو البلد الذى ابتعث منه محمد ﷺ ·· قاله غير واحد من المفسرين فى تفسير هذه الآيات الكريمات ·

★ وفى زبور داود ـ عليه السلام ـ صفة هذه الأمة بالجهاد والعبادة ، وفيه مثل ضربه لمحمد ﷺ بأنه ختام القبة المبنية ، كما ورد به الحديث فى الصحيحين ٠

« انما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى دارا فأكملها الا موضع لبنة ، فجعل الناس يطيفون بها ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ » ومصداق ذلك أيضا فى قوله تعالى :

(ولكن رسول الله وخاتم النبيين)
الأحزاب : ٤٠

★ وفى الزبور صفة محمد ﷺ بأنه ستنبسط نبوته ودعوته ، وتنفذ كلمته من البر الى البحر وتأتيه الملوك من سائر الأقطار طائعين بالقرابين والهدايا ، وأنه يخلص المضطر ، ويكشف الضر عن الأمم ، وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ، ويصلى عليه فى كل وقت ، ويبارك الله عليه فى كل يوم ، ويدوم ذكره الى الأبد ، وهذا انما ينطبق على محمد ﷺ ٠

★ وفى صحف شعيا فى كلام طويل فيه معاتبة لبنى اسرائيل ، وفيه : فانى أبعث اليكم والى الأمم أميا ، ليس بفظ ولا غليظ القلب ، ولا صخاب فى الأسواق ، أسدده لكل جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، ثم اجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى فى ضميره ، والحكمة معقوله ، والوفاء طبيعته ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى ملته ، والاسلام دينه ، والقرآن كتابه ٠٠ أحمد اسمه ، أهدى به من الضلالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وهو المؤلف به بين القلوب المختلفة ، واجعل

أمته خير أمة أخرجت للناس ، قرابينهم ودماؤهم ، أناجيلهم فى صدورهم ، وهيأنا بالليل ، ليوثا بالنهار :

« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

الجمعة ٤

★ وفى الفصل الخامس — أو العاشر — من كلام شعيا : يدوس الأمم كدوس البيادر ، وينزل البلاء بمشركى العرب، وينهزمون قدامه .

★ وفى الفصل السادس والعشرين منه : ليفرح أرض البادية العطشى ، ويعطى أحمد محاسن لبنان ، ويرون جلال الله بمهجته .

● وفى صحف الياس — عليه السلام — :

انه خرج مع جماعة من اصحابه سائحا ، فلما رأى العرب بأرض الحجاز قال لمن معه : انظروا الى هؤلاء ، فانهم هم الذين يملكون حصونكم العظيمة ، فقالوا : يا نبى الله ، فما الذى يكون معبودهم ، فقال يعظمون رب العزة فوق كل رابية عالية .

● ومن صحف حزقيل :

ان عبدى خيرتى ، أنزل عليه وحيى ، يظهر فى الأمم عدلى ، اخترته واصطفيته لنفسى ، وأرسلته الى الأمم بأحكام صادقة .

● ومن كتاب النبوات :

ان نبيا من الأنبياء نزل بالمدينة ، فاستضافه بنو قريظة والنضير ، فلما رآهم بكى ، فقالوا له : ما الذى يبكيك يا نبى الله ؟ قال : نبى يبعثه الله من الحرم يخرب دياركم ، ويسبى حريمكم . قال : فأراد اليهود قتله ، فهرب منهم .

● ومن كلام حزقيل ـ عليه السلام ـ :

يقول الله : من قبل أن صورتك في الاحشاء ، قدستك ، وجعلتك نبيا ، وأرسلتك الى سائر الأمم ٠

● وفى صحف شعيا أيضا :

مثل مضروب لمكة شرفها الله : افرحي يا عاقر بهذا الولد الذى يهبه لك ربك ، فان ببركته تتسع لك الأماكن ، وتثبت أوتادك فى الأرض ، وتعلو أبواب مساكنك ، ويأتيك ملوك الأرض عن يمينك وشمالك بالهدايا والتقادم ٠٠ وولدك هذا يرث جميع الأمم ، ويملك سائر المدن والأقاليم ، ولا تخافى ولا تحزنى ، فما بقى يلحقكم ضيم من عدو أبدا ، وجميع أيام ترملك تنسيها ٠٠ وهذا كله انما حصل على يدى محمد ﷺ وانما المراد بهذه العاقر : مكة ، ثم صارت كما ذكر فى هذا الكلام لا محالة ، ومن أراد من أهل الكتاب أن يصرف هذا ويتأوله على بيت المقدس ، فهذا لا يناسبه من كل وجه ، والله أعلم ٠٠

● وفى صحف أرميا :

كوكب ظهر من الجنوب ، أشعته صواعق ، سهامه خوارق ، دكت له الجبال ٠ وهذا المراد به محمد ﷺ ٠

● وفى الانجيل :

يقول عيسى ـ عليه السلام : « انى مرتق الى جنات العلا ، ومرسل اليكم الفارقليط روح الحق يعلمكم كل شىء ، ولم يقل شيئا من تلقاء نفسه » ٠ والمراد بالفارقليط: محمد ﷺ وقد قال عيسى ـ عليه السلام ـ ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) وهذا باب متسع ، ولو تقصينا جميع ما ذكره الناس لطال هذا الفصل جدا ، وقد أشرنا الى نبذ من ذلك يهتدى بها من نور الله بصيرته وهداه الى صراطه

المستقيم .. وأكثر هذه النصوص يعلمها كثير من علمائهم وأحبارهم ، وهم مع ذلك يتكاتمونها ويخفونها .

● روى البيهقى عن العليان بن عاصم قال : كنا جلوسا عند النبى ﷺ اذ شخص ببصره الى رجل فدعاه ، فاقبل رجل من اليهود مجتمع (بلغ أشده) ؟ عليه قميص وسراويل ونعلان ، فجعل يقول : يا رسول الله .. فجعل رسول الله ﷺ يقول : « أتشهد أنى رسول الله » .

فجعل لا يقول شيئا الا قال : يا رسول الله . فيقول : « أتشهد أنى رسول الله ؟ » فيأبى .. فقال رسول الله ﷺ : « أتقرأ التوراة » .

قال : نعم .. قال : « والانجيل ؟ » قال : نعم ، والفرقان ورب محمد لو شئت لقرأته . قال : « فأنشدك بالذى أنزل التوراة والانجيل ، وأشياء حلفه بها أتجدنى فيهما ؟ » .

قال : نجد مثل نعتك ، يخرج من مخرجك ، كنا نرجو أن يكون فينا ، فلما خرجت رأينا أنك هو ، فلما نظرنا اذا أنت لست به .

قال : « من أين ؟ » قال : نجد من أمتك سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، وانما أنتم قليل :

قال : فهلل رسول الله ﷺ وكبر ، وهلل وكبر ثم قال :

« والذى نفس محمد بيده ، اننى لأنا هو، وان من أمتى لأكثر من سبعين ألفا وسبعين وسبعين » .

● جوابه صلى الله عليه وسلم عما فى نفسى سائله من أسئلة قبل أن يتكلم بها :

روى الامام أحمد عن وابصة الأسدى قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئا من البر والاثم الا سألته عنه ، وحوله عصابة (الجماعة من الناس ، وأيضا من الخيل

أو الطير) من المسلمين يستفتونه ، فجعلت أتخطاهم ، فقالوا : اليك يا وابصة عن رسول الله ٠٠ فقلت : دعونى فأدنوا منه ، فانه أحب الناس الى أن أدنو منه ٠٠ قال : « دعوا وابصة ، ادن يا وابصة » مرتين أو ثلاثا قال : فدنوت منه حتى قعدت بين يديه ٠٠ فقال : « يا وابصة ، أخبرك أم تسألنى ؟ » فقلت : لا ، بل أخبرنى ٠٠ فقال : « جئت تسأل عن البر والاثم » ٠ فقلت : نعم ٠٠ فجمع أنامله فجعل ينكت بهن فى صدرى ، ويقول : « يا وابصة ، استفت قلبك واستفت نفسك ـ ثلاث مرات ـ البر ما اطمأنت اليه النفس ، والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر وان أفتاك الناس وأفتوك » ٠

ثالثا : اخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما يقع فى المستقبل ووقوع ذلك كما أخبره :

وهذا باب عظيم لا يمكن استقصاء جميع ما فيه لكثرتها ولكن نحن نشير الى طرق منها وبالله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بالله المستعان ، وعليه منتزع من القرآن ومن الأحاديث :

١ ـ ما جاء فى القرآن الكريم :

فقال تعالى فى سورة المزمل ، وهى من أوائل ما نزل بمكة :

عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

المزمل آية : ٢٠

ومعلوم أن الجهاد لم يشرع الا بالمدينة بعد الهجرة •
ـ وقال تعالى فى سورة القمر وهى مكية :

سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾

القمر ٤٥ ، ٤٦

ووقع هـذا يـوم بدر ، وقد تلاها رسـول الله ﷺ وهـو خارج من العريش ، ورماهم بقبضة من الحصـباء ، فكان النصر والظفر ، وهذا مصداق ذاك •

ـ وقال تعالى :

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

سورة المسد ١ ـ ٥

فأخبر أن عمه عبد العزى بن عبد المطلب ، الملقب بأبى لهب ـ سيدخل النار هو وامرأته ، فقدر الله ـ عز وجل ـ أنهما ماتا على شركهما ولم يسلما ، حتى ولو ظاهرا •• وهذا من دلائل النبوة الباهرة •

ـ وقال تعالى :

قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

سورة الاسراء آية (٨٨)

وقال فى سورة البقرة :

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

سورة البقرة الآية ٢٣ ، ٢٤

فأخبر أن جميع الخليقة لو اجتمعوا وتعاضدوا وتناصروا وتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى فصاحته وبلاغته ، وحلاوته واحكام احكامه ، وبيان حلاله وحرامه، وغير ذلك من وجوه الاعجاز ، لما استطاعوا ذلك ، ولما قدروا عليه ، ولا على عشر سور منه ، بل ولا سورة .. وأخبر أنهم لن يفعلوا ذلك أبدا .. ولن تنفى التأبيد فى المستقبل ، ومثل هذا التحدى وهذا القطع ، وهذا الاخبار الجازم ، لا يصدر الا عن واثق بما يخبر به ، عالم بما يقوله ، قاطع أن أحدا لا يمكنه أن يعارض ولا يأتى بمثل ما جاء به عن ربه عز وجل .

ـ وقال تعالى:

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

سورة النور الآية ٥٥

وهكذا وقع سواء بسواء ، مكن الله هذا الدين وأظهره ، وأعلاه ونشره فى سائر الآفاق وأنفذه وأمضاه .

وقد فسر كثير من السلف هذه الآية بخلافة الصديق ، ولا شك في دخوله فيها ، ولكن لا تختص به ، بل تهمه كما تهم غيره ، كما ثبت فى الصحيح :

« اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، واذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذى نفسى بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » وقد كان ذلك فى زمن الخلفاء الثلاثة : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ـ رضى الله عنهم ـ وأرضاهم .

ـ وقال تعالى :

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

سورة الصف آية ٩

وهكذا وقع وعم هذا الدين ، وغلب وعلا على سائر الأديان فى مشارق الأرض ومغاربها ، وعلت كلمته فى زمن الصحابة ومن بعدهم ، وذلت لهم سائر البلاد ، ودان لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم ، وصار الناس : اما مؤمن داخل فى الدين ، واما مهادن باذل الطاعة والمال ، واما محارب خائف وجل من سطوة الاسلام وأهله .

وقد ثبت فى الحديث : « ان الله زوى لى مشارق الأرض ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها » .

ـ وقال تعالى :

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾

سورة الفتح آية ١٦

وسواء كان هؤلاء هوازن ، أو أصحاب مسيلمة ، أو الروم ، فقد وقع ذلك ٠

ـ وقال تعالى :

وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾

سورة الفتح ٢٠ ـ ٢١

وسواء كانت هذه الأخرى خيبر أو مكة فقد فتحت وأخذت كما وقع به الوعد سواء بسواء ٠

ـ وقال تعالى :

لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾

سورة الفتح : (٢٧)

فكان هذا الوعد فى سنة الحديبية سنة ست .. ووقع انجازه فى سنة سبع عام عمره القضاء ... وكان عمر ـ رضى الله عنه ـ قد سأل الرسول ﷺ يا رسول الله ألم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال : لا .. « فانك تأتيه وتطوف به » .

.. وقال تعالى :

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾

سورة الأنفال : ٧

وهذا الوعد كان فى وقعة بدر لما خرج رسول الله ﷺ من المدينة لياخذ عير قريش ، فبلغ قريشا خروجه الى غيرهم فنفروا فى قريب من ألفا مقاتل ، فلما تحقق اما العير أو النفير فود كثير من الصحابة ، ممن كان معه أن يكون الوعد للغير ، لما فيه من الأموال وقلة الرجال ، وكرهوا لقاء النفير لما فيه من العدد والعدد ، فأجاب الله لهم وأنجز لهم وعدد فى النفير ، فافرغ بهم بأسه الذى لا يرد فقتل من سراتهم سبعون وأسر سبعون ، وفادوا أنفسهم بأموال جزيلة ، فجمع لهم بين خيرى الدنيا والآخرة ، ولهذا قال تعالى :

﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ⑦

الأنفال : ٧

ـ وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

الأنفال : ٧٠

وهكذا وقع ، فان الله عوض من أسلم منهم بخيرى الدنيا والآخرة ، ومن ذلك ما رواه البخارى أن العباس جاء الى رسول الله ﷺ فقال :

يا رسول الله ، أعطنى ، فانى فاديت نفسى ، وفاديت عقيلا ٠٠ فقال له : « خذ » ٠٠ فأخذ فى ثوب مقدارا لم يمكنه أن ينقله ، ثم وضع منه مرة بعد مرة حتى أمكنه أن يحمله على كاهله ، وانطلق به ، وهذا من تصديق الآية الكريمة ٠

ـ وقال تعالى :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

التوبة : ٢٨

وهكذا وقع ٠٠ عوضهم الله عما كان يغدو اليهم مع حجاج المشركين بما شرعه لهم من قتال أهل الكتاب ، وضرب الجزية عليهم ، وسلب أموال من قتل منهم على كفره ، كما وقع بكفار أهل الشام والروم ، ومجوس الفرس بالعراق وغيرها من البلدان التى انتشر الاسلام على أرجائها ، وحكم على مدائنها وقبابها ٠ ٠ قال الله تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾

الصف : ٩

ـ وقال تعالى :

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾

التوبة : ٩٥

وهكذا وقع لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبـوك ، كان قد تخلف عنه طائفة من المنافقين ، فجعلوا يحلفون بالله لقد كانوا معذورين فى تخلفهم .. وهم فى ذلك كاذبون ، فأمر رسول الله ﷺ أن يجرى أحوالهم على ظاهرها ولا يفضحهم عند الناس وقد أطلعه الله على أعيان جماعة منهم أربعة عشر رجلا .. فكان حذيفة بن اليمان من يعرفهم بتعريفه اياه ﷺ

ـ وقال تعالى :

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝٥٢ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾

فصلت : ٥٢ ، ٥٣

وكذلك وقع ، أظهر الله من آياته ودلائله فى أنفس البشر ، وفى الآفاق بما أوقعه من النـاس بأعـداء النبوة ،

ومخالفى الشرع ، ممن كذب به من أهل الكتابين ، والمجوس والمشركين ، حاول ذوو البصائر والنهى على أن محمدا رسول الله حقا ، وأن ما جاء به من الوحى عن الله صدق ٠٠ وقد أوقع له فى صدور اعدائه وقلوبهم رعبا ومهابة وخوفا ، كما ثبت فى الصحيحين أنه قال :

« نصرت بالرعب مسيرة بعهد »

وقيل : كان اذا أعزم على غزو قوم أرعبوا قبل مجيئه اليهم وورود عليهم يشهد ٠٠ صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين ٠

٢ ـ ما جاء فى الأحاديث الشريفة بما يقع فى المستقبل فوقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم :

وأما الأحاديث الدالة على اخباره بما وقع كما أخبر ٠٠ فمنها :

(١) قصة الصحيفة :

وفيها تعاقدت بطون قريش تمالئوا على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا يؤدوهم ، ولا يناكحوهم ، ولا يبايعوهم ، حتى يسلموا اليهم رسول الله ﷺ ، فدخلت بنو هاشم وبنو المطلب ما بمسلمهم وكافرهم ، شعب أبى طالب أنفى لذلك ، ممتنعين منه أبدا ، ما بقوا دائما ، ما تناسلوا وتعاقبوا ٠٠ وفى ذلك عمل أبو طالب قصيدته اللاحية التى يقول فيها :

كذبتم دبيب الله نبزى محمدا
ولما نقاتل دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وما تدك قوم لا أبالك سيدا
يحوط الذمار غير ذرب مواكل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده فى نعمة وفواضل

وكانت قريش قد علقت صحيفة الزعامة فى سقف الكعبة ، فسلط الله عليها الأرضة بمعنى (دوبيه بيضاء تشبه النملة تظهر فى أيام الربيع .) فأكلت ما فيها أسماء الله لئلا يجتمع بما فيها من الظلم والفجور . وقيل : انها أكلت ما فيها الا أسماء الله - عز وجل .. فأخبر بذلك رسول الله ﷺ عمه أبا طالب ، فجاء أبو طالب الى قريش فقال : ان ابن أخى قد أخبرنى بخبر عن صحيفتكم ، فان الله قد سلط عليها الأرضة فأكلتها الا ما فيها من أسماء الله .. أو كما قال : فأحضروها ، فان كان كما قال ، الا أسلمته

اليكم .. فأنزلوها ففتحوها ، فاذا الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ فعند ذلك نقضوا حكمها ، ودخلت بنو هاشم وبنو المطلب مكة ، ورجعوا الى ما كانوا عليه قبل ذلك .. ولله الحمد .

٢ - اتمام الدين وتمكين المسلمين فى الأرض :

روى البخارى عن خباب بن الارت - رضى الله عنه - قال : شكونا الى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا :

ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟

فقال : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر

حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » ..

● رؤيا الهجرة واحد والفتح :

روى الشيخان عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال :

« رايت فى المنام انى اهاجر من مكة الى أرض بها نخل ، فذهب وهلى بمعنى (وهمى واعتقادى ، الى أنها اليمامة او هجر (مدينة بالبحرين) فاذا هى يثرب .. ورأيت فى رؤياى هذه انى هززت سيفا فانقطع صدره ، فاذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان ، فاذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها أيضا بقرا ، والله خير ، فاذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد واذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد ، وثواب الصدق الذى أتانا بعد يوم بدر » .

● اخباره صلى الله عليه وسلم بمقتل أمية بن خلف :

روى البخارى عن عبد الله بن مسعود قال : انطلق سعد بن معاذ معتمرا فنزل على أمية بن خلف بن أبى صفوان ، وكان أمية اذا انطلق الى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد فقال أمية لسعد .

ألا أنتظر حتى اذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت ..

فبينما سعد يطوف اذا أبو جهل ، فقال : من هذا الذى يطوف بالكعبة ؟ فقال سعد : أنا سعد :

فقال أبو جهل : تطوف بالكعبة أمامنا وقد أويتم محمدا وأصحابه ؟

فقال : نعم .. فتلاحيا فيها بينهما فقال أمية لسعد : لا ترفع صوتك على أبى الحكم ، فانه سيد أهل الوادى ..

ثم قال سعد : والله لئن منعتنى أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام •• قال :

فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك ، وجعل يمسكه •• فغضب سعد فقال : دعنا عنك ، فانى سمعت محمدا ﷺ يزعم انه قاتلك •

قال : اياى ؟ قال : نعم •• قال : والله ما يكذب محمد اذا حدث •• فرجع الى امرآته فقال : أما تعلمين ما قال لى آخى اليثربى ؟

قالت : وما قال ؟ •• قال : زعم آنه سمع محمدا يزعم آنه قاتلى •

قالت : فوالله ما يكذب محمد •• قال : فلما خرجوا الى بدر وجاء الصريخ ، قالت له امرآته : أما ذكرت ما قال لك آخوك اليثربى ؟

قال : فأراد أن لا يخرج •• فقال له أبو جهل : انك من أشراف الوادى ، فسر يوما أو يومين • فسار معهم فقتله الله •

● اخباره صلى الله عليه وسلم بمقتل أبى بن خلف :

عن عروة بن الزبير قال : كان أبى بن خلف آخو بنى جمع قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ ، فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال : « بل أنا أقتله ان شاء الله » •

فلما كان يوم أحد أقبل أبى فى الحديد مقنعا وهو يقول : لا نجوت ان نجا محمد •• فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار يقى رسول الله ﷺ بنفسه ، فقتل مصعب بن عمير ، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوه أبى بن خلف من فرجة بين سابقة الدرع والبيضة ، فطعنه فيها بالحربة ، فوقع الى الأرض عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور •• فقالوا له : ما أجزعك ، انما هو خدش ؟!

فذكر لهم قول رسول الله ﷺ : « أنا أقتل أبيا » ..

ثم قال : والذى نفسى بيده لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز لماتوا أجمعون ..

فمات الى النار ، فسحقا لأصحاب السعير .

قال الواقدى : وكان ابن عمر يقول :

مات أبى بن خلف ببطن رابغ ، فانى لأسير ببطن رابغ بعد هوى من الليل ، اذا أنا بنار تأججت ، فهبتها ، واذا برجل يخرج منها بسلسلة يجذبها يهيجه العطش ، فاذا رجل يقول: لا تسقه ، فانه قتيل رسول الله ﷺ هذا أبى بن خلف .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله فى سبيل الله » .

● اخباره صلى الله عليه وسلم عن مصارع القتلى يوم بدر :

روى مسلم من حديث أنس بن مالك ، عن عمر بن الخطاب قال : ان رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول : « هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله » ..

قال : فقال عمر : فوالذى بعثه بالحق، ما أخطأوا الحدود التى حدها رسول ﷺ ..

قال : فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض .. فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى اليهم ، فقال : « يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان ، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا ؟ فانى وجدت ما وعدنى الله حقا » ..

قال عمر : يا رسول الله ، كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها ؟

قال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئا » .

● اخباره صلى الله عليه وسلم عن رجل فى صفوف المسلمين بأنه من أهل النار :

روى الشيخان عن سهل بن سعد الساعدى أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال رسول الله ﷺ الى عسكره ، ومال الآخرون الى عسكرهم ، وفى اصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة بمعنى انه لا يدع أحدا على الطريق . الا اتبعها يضربها بسيفه . فقالوا : ما أجزأ منا اليوم أحدكما أجزأ فلان بمعنى ما أغنى وكفى أحد غناءه وكفايته .

فقال رسول الله ﷺ : « أما أنه من أهل النار » .

فقال رجل من القوم : أنا صاحبه بمعنى أصحبه فى الخفاء وألازمه لأنظر السبب الذى به يصير الى النار .

قال : فخرج معه، كلما وقف وقف معه، واذا أسرع أسرع معه ، قال : فجرح الرجل جرحا شديدا ، فأستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بمعنى طرفه الأسفل ، أما طرفه الأعلى فبمقبضه بين ثدييه ، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه .. فخرج الرجل الى رسول الله ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله .

قال : « وما ذاك ؟ »

قال : الرجل الذى ذكرت آنفا أنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، فقلت : أنا لكم به ، فخرجت فى طلبه حتى جرح جرحا شديدا ، فاستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه .

فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : « ان الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وان الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة» .

● اخباره صلى الله عليه وسلم عن قبر أبى رغال :

روى أبو داود عن عبد الله بن عمر وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه الى الطائف ، فمررنا بقبر فقال :

« ان هذا قبر أبى رغال ، وهو أبو ثقيف ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج منه أصابته النقمة ، التى أصابت قومه بهذا المكان ، فدفن فيه ، وآية ذلك انه دفن معه غصن من ذهب ، ان أنتم نبشتم عنه وجدتموه معه » فابتدره الناس فاستخرجوا منه النار ٠

● اخباره صلى الله عليه وسلم بفناء ملك كسرى وقيصر :

روى الشيخان عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذى نفسى بيده ، لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله » ٠

وقد وقع مصداق ذلك بعده فى أيام الخلفاء الثلاثة : أبى بكر — عمر ، وعثمان ٠٠ استوثقت هذه الممالك فتحا على أيدى المسلمين ، وأنفقت أموال قيصر ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، فى سبيل الله ٠

وفى هذا الحديث بشارة عظيمة للمسلمين ، وهى أن ملك فرس قد انقطع فعلا فلا عودة له ، وملك الروم للشام قد زال عنها ، فلا يملكوها بعد ذلك ، ولله الحمد المنة ٠٠ وفيه دلالة على صحة خلافة أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ٠ والشهادة لهم بالعدل ، حيث انفقت الأموال المغنومة فى زمانهم فى سبيل الله على الوجه المرضى الممدوح ٠

● **اخباره صلى الله عليه وسلم بعموم الأمن ربوع البلاد :**

روى البخارى عن عدى بن حاتم قال : بينما أنا عند النبى ﷺ اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل .. فقال : « يا عدى ، هل رأيت الحيرة ؟ »

قلت : لم أرها ، وقد أنبئت عنها ..

قال : « فان طالت بك حياة لترين الظعينة بمعنى المرأة فى الهودج ترتحل من الحيرة بكسر الحاء بلد من ملوك العرب حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا الا الله » .

قلت فيما بينى وبين نفسى : فأين دعار طيىء وهو الشاطر الخبيث المفسد قد شعروا البلاد بمعنى أوقدوا فيها نار الفتنة ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى » .

قلت : كسرى بن هرمز ؟

قال : « كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وذلك لعدم وجود الفقراء فى ذلك الزمان . وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له ، فيقولن : ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول : بلى .. فيقول : ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ .. فيقول : بلى ..

فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى الا جهنم » ..

قال عدى : سمعت النبى ﷺ يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة » .

قال عدى : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز

كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبى أبو القاسم ﷺ « يخرج ملء كفه » وروى الامام أحمد عن خباب قال : أتينا رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة متوسدا بردة له فقلنا يا رسول الله ، ادع الله لنا واستنصره ، قال : فاحمر لونه أو تغير ، فقال :

« لقد كان من قبلكم تحفر له حفرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيشق ، ما يصرفه عن دينه ، ويمشط عن دينه ، الحديد ما دون عظم من لحم أو عصب ، ما يصرفه عن دينه ، وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء الى حضرموت ما يخشى الا الله ـ تبارك وتعالى ـ والذئب على غنمه ، ولكنكم تعجلون » وهكذا رواه البخارى .

اخباره صلى الله عليه وسلم بفتح البلاد وانتشار الاسلام :

روى البخارى فى كتاب « علامات النبوة » عن عتبة عن النبى ﷺ أنه خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ، ثم انصرف الى المنبر فقال :

« انى فرطكم أى متقدم عليكم وأنا شهيد عليكم ، انى والله لأنظر الى حوضى الآن ، انى قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، وانى والله ما أخاف بعدى أن تشركوا ، ولكنى أخاف أن تنافسوا فيها » .

ففى هذا الحديث فيما نحن بصدده أشياء منها :

ـ انه أخبر الحاضرين أنه فرطهم ، أى المتقدم عليهم فى الموت ، وهكذا وقع ، فان هذا كان فى مرض موته عليه السلام .

ـ ثم أخبر أنه شهيد عليهم وان تقدم وفاته عليهم .

ـ وأخبر أنه أعطى مفاتيح خزائن الأرض ، أى فتحت له البلاد كما جاء فى حديث أبى هريرة ..

قال أبو هريرة : فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تفتحونها كفرا كفرا ، أى بلدا بلدا .

ـ وأخبر أن أصحابه لا يشركون بعده ، وهكذا وقع ولله الخير والمنة ، ولكن خاف عليهم أن ينافسوا فى الدنيا ، وقد وقع هذا فى زمان على معاوية ـ رضى الله عنها ـ ثم من بعدهما .. وهلم جرا الى وقتنا هذا .

● بشارته صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بأنه من أهل الجنة .

روى البخارى عن أنس أن النبى ﷺ افتقد ثابت بن قيس ، فقال رجل : يا رسول الله ، أنا أعلم لك علمه .. فأتاه فوجده جالسا فى بنيه ، منكسا رأسه ، فقال له : ما شأنك ؟

فقال : شر ، كان يرفع صوته أى كنت أرفع صوتى فوق صوت النبى ﷺ فقد حبط عمله ، وهو من أهل النار .

فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا ..

فقال موسى : فرجع اليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة ، فقال : « اذهب اليه فقل له : انك لست من أهل النار ، ولكن من أهل الجنة » .

وقد قتل ثابت بن قيس بن شماس شهيدا يوم القيامة حيث حفر لقدميه في الأرض الا أنصاف ساقيه ، وهو حامل لواء الأنصار بعدما تحنط وتكفن ، فلم يزل ثابتا حتى قتل هناك .

● بشارته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن سلام بأنه من أهل الجنة

ثبت فى الحديث الصحيح البشارة لعبد الله بن سلام أنه يموت على الاسلام ، ويكون من أهل الجنة وقد مات

ـ رضى الله عنه ـ على أكمل أحواله وأجملها ، وكان الناس يشهدون له بالجنة فى حياته لاخبار الصادق عنه بأنه يموت على الاسلام ، وكذلك وقع ٠

● **بشارته صلى الله عليه وسلم للعشرة أصحاب الشجرة بأنهم من أهل الجنة :**

ثبت فى الصحيح الاخبار عن العشرة بأنهم من أهل الجنة ٠٠ بل ثبت أيضا الاخبار عنه صلوات الله وسلامه عليه ، بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة ، وقيل : وخمسمائة ٠٠

ولم ينقل أن أحدا من هؤلاء ـ رضى الله عنه ـ عاش الا حميدا ، ومات على السداد والاستقامة والتوقيت ، ولله الحمد والمنة ٠٠ هذا من أعلام النبوات ودلالات الرسالة ٠

● **اخباره صلى الله عليه وسلم بما كان يدور بينهم دون أن يطلعوه عليه :**

روى الامام أحمد عن قيس بن أبى شهم قال : مرت بى جارية بالمدينة ، فأخذت بكشحها ما بين الخاصرة والضلوع قال : وأصبح الرسول ﷺ يبايع الناس ، فأتيته فلم يبايعنى، فقال : « وصاحب الحبيزة الآن بمعنى الجذب ؟ »

قال : قلت : والله لا أعود ٠٠ قال : فبايعنى ٠

وروى البخارى عن عبد الله بن عمر قال : كنا نتقى الكلام والانبساط الى نسائنا على عهد النبى ﷺ هيبة أن ينزل فينا شىء ، فلما توفى النبى ﷺ تكلمنا وانبسطنا ٠

وروى أبو داود عن رجل من الأنصار قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة فرأيت رسول الله ﷺ وهو على القبر يوصى الحافر : « أوسع من قبل رجليه ، أوسع من قبل رأسه » ٠

.. فلما رجع استقبله داعى امرأة ، فجاء وجىء بالطعام ، فوضع يده ثم وضع للقوم فأكلوا فنظر ، آباؤنا رسول الله ﷺ يلوك لقمة فى فمه ، ثم قال : « أجد لحم شـاة أخـذت بغير اذن أهلها » ..

.. فأرسلت المرأة فقالت : يا رسول الله ، انى أرسلت الى البقيع يشترى لى شاة ، فلم أجـد ، فأرسلت الى جار لى قد اشترى شاة أن أرسل الى بها بثمنها فلم يوجد ، فأرسلت الى امرأته فأرسلت الى بها .. فقال رسول الله ﷺ « أطعميـه الاسارى » .

ثالثا : « الاخبار بالغيوب المستقبلة » :

ثبت فى صحيحى البخارى ومسلم عن حذيفة بن اليمان قال : قام رسول الله ﷺ فينا مقاما ما ترك فيه شيئا الى قيام الساعة الا ذكره ، علمه من علمه وجهله من جهله ، وقد كنت أرى الشىء قد كنت نسيته فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل اذا غاب عنه فرآه فعرفه .

وفى صحيح مسلم عن أبى يزيد عمرو بن أخطب قال : أخبرنا رسول الله ﷺ بما كان ، وبما هو كائن الى يوم القيامة وفى الحديث الآخر .

حتى دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار .

● اخباره صلى الله عليه وسلم بشأن عمر بن الخطاب :

ثبت فى الصحيحين عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ قالت : قال رسـول الله ﷺ : « انه قد كان فى الأمم محـدثون أى ملهمون فان يكن فى أمتى فعمر بن الخطاب .

وروى البيهقى عن طارق بن شهاب قال : كنا نتحدث أن عمر بن الخطاب ينطق على لسان ملك . وفى سـيرة عمـر ــ رضى الله عنه ــ الكثير من المغيبات والمكاشفات التى تثبت هـذا ..

ومن ذلك قصة سارية بن زنيم : ذكر الواقدى عن نافع مولى ابن عمر أن عمر قال على المنبر : يا سارية بن زنيم الجبل ، فلم يدر الناس ما يقول ، حتى قدم سارية بن زنيم المدينة على عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين . كنا محاصرى العدو ، فكنا نقيم الأيام لا يخرج علينا منهم أحد ، نحن فى خفض من الأرض وهم فى حصن عال ، فسمعت صائحا ينادى بكذا وكذا : يا سارية بن زنيم الجبل فعلوت بأصحابى الجبل ، فما كان الا ساعة حتى فتح الله علينا .

● اخباره صلى الله عليه وسلم بأويس القرنى :

روى مسلم عن أسيد بن جابر قال : كان عمر بن الخطاب اذا أتى عليه أمداد بمعنى جماعة أهل اليمن ، سألهم : أفيكم أويس بن عامر ؟ .. حتى أتى على أويس ، فقال : أنت أويس بن عامر ؟

قال : نعم . قال : من مراد ثم من قرن ؟ قال : نعم .

قال : فكان بك برص فبرأت منه الا موضع درهم ؟ قال : نعم . قال : ألك والدة ؟

قال : نعم .

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتى عليكم أويس ابن عامر مع امداد أهل اليمن من مراد ، ثم من قرن ، كان به برص فبرأ منه الاموضع درهم ، له والدة هو بها بر ، لو أقسم على الله لأبره ، فان استطعت أن يستغفر لك فافعل » فاستغفر لى .. فاستغفر له .

فقال له عمر : أين تريد ؟ قال : الكوفة .. قال : الا أكتب لك الى عاملها ؟ قال : أكون فى غبراء الناس بمعنى ضعافهم وأخلاطهم الذين لا يؤبه بهم ، أحب الى .

فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم ، فوافق عمر ، فسـألـه عن أويس ، قال : تركته رث البيت قليـــل المتاع ٠

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتى عليكم أويس ابن عامر مع امداد أهل اليمن ، من مراد ثم من قرن ، كان به برص فبرأ منه ، الا موضع درهم ، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره ، فان استطعت أن يستغفر لك فافعل» ٠

فأتى أويسا فقال استغفر لى قال : أنت أحـدث عهـدا بسفر صالح فاستغفر لى ٠ قال استغفر لى : قال : انت أحدث عهدا بسفر صالح فاستغفر لى ٠ قال : لقيت عمر ؟

قال : نعم ، فاستغفر له ٠ ففطن له الناس ، فانطلق هائما على وجهه ٠

قال أسيد : وكسوته بردة ، فكان كلما رآه انسان قال : من أين لأويس هذه البردة ؟!

● أخباره صلى الله عليه وسلم بشهادة أم ورقة بنت نوفل :

روى أبو داود عن أم ورقة بنت نـوفل أن النبى ﷺ لما غزا بدرا قالت : قلت له : يا رســـول الله ، ائذن لى فى الغزو معك ، أمرض مرضاكم ، لعل الله أن يرزقنى شهادة ٠ قال : « قرى فى بيتك ، فان الله تعالى يرزقك الشهادة » ٠

فكانت تسمى الشـهيدة ، وكانت قد قرأت القـرآن ، فاستأذنت النبى ﷺ أن تتخذ فى دارها مؤذنا فأذن لها ٠٠ وكانت دبرت غلاما لها وجارية ، فقاما اليها بالليل فغماها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا ٠٠ فأصبح عمر ـ رضى الله عنه ـ فقام فى الناس فقال : من كان عنده من هذين علم ، أو من رآهما فيلجىء بهما ٠٠ فأمر بهما فصلبا ، فكانا أول مصلوب بالمدينة ٠

وقد رواه البيهقى ، وفيه : وكان رسول‌الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة ، فذكر الحديث ، وفى آخره ، فقال عمر : صدق رسول الله ﷺ ، كان يقول :

« انطلقوا بنا نزور الشهيدة » .

● اخباره صلى الله عليه وسلم بآيات ست بين يدى الساعة :

روى البخارى عن عوف بن مالك قال : أتيت رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ، وهو فى قبة من أدم ، فقال : « أعدد ستا بين يدى الساعة » : موتى ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم فوثائه (هو الموت الكثير الوقوع) ياخذ فيكم كقعاص (داء ياخذ الدواب) الغنم ، ثم استفاضة المال (كثرته) حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب الا دخلته ثم هدنه تكون بينكم و بين بنى الأصفر (هم الروم) فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر آلفا .

وقد حدث الموتان فى أيام عمر ، وهو طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة ، ومات بسببه جماعات من سادات الصحابة ، منهم معاذ بن جبل ، وأبو عبيدة ، ويزيد بن أبى سفيان ، وشرحبيل بن حسنه ، وأبو جندل ، وسهل بن عمر وأبوه ، والفضل بن العباس عبد المطلب ، رضى الله عنهم أجمعين .

● عمر بن الخطاب سد منيع أمام الفتن :

ثبت فى الصحيحين عن حذيفة قال : كنا جلوسا عند عمر فقال : أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ فى الفتنة ؟ قلت : أنا . قال : هات ، انك لجرىء . فقلت : ذكر فتنة الرجل فى أهله ، وماله ، ونفسه ، وولده ، وجاره ، تكفرها الصيام والصلاة والصدقة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر .

فقال عمر : ليس هذا أعنى ، انما أعنى التى تموج موج البحر •

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ان بينك وبينها بابا مغلقا • قال : ويحك ، أيفتح الباب أم يكسر ؟ قلت : بل يكسر • قال : اذن لا يغلق أبدا •

قلت : أجل • فقلنا لحذيفة : أفكان عمر يعلم من الباب ؟ قال : نعم ، وانى حدثته حديثا ليس بالأغاليط • قال فهبنا أن نسأل حذيفة : من الباب ؟ فقلنا لمسروق فسأله ، فقال : من الباب ؟ قال : عمر وهكذا وقع من بعد مقتل عمر ، وقعت الفتن فى الناس ، وتأكد ظهورها بمقتل عثمان ــ رضى الله عنهما ــ •

وعن عروة بن قيس قال : خطبنا خالد بن الوليد فقال : ان أمير المؤمنين عمر بعثنى الى الشام ، فحين ألقى بوانيه (أى خيره وما فيه من السعة والنعمة) وصار بثنيه وعسلا أراد أن يؤثر بها غيرى ويبعثنى الى الهند !!

فقال الرجل من تحته : اصبر أيها الأمير ، فان الفتن قد ظهرت • فقال خالد : أما وابن الخطاب حى فلا ، وانما ذاك بعده •

● بشارته صلى الله عليه وسلم لعمر بالشهادة :

روى الامام أحمد أن رسول الله ﷺ أبصر على عمر ثوبا أبيض فقال : « أجديد ثوبك أم غسيل » قال : لا أدرى ما رد عليه •

فقال : « البس جديدا ، وعش حميدا ، ومت شهيدا » •

وأظنه قال : « ويرزقك الله قرة عين فى الدنيا والآخرة » • وهكذا رواه النسائي وابن ماجه •

وقد وقع ما أخبر به ﷺ فقد قتل عمر ــ رضي الله عنه ــ شهيدا وهو قائم يصلي الفجر في محرابه من المسجد النبوي ، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ٠

● اشارته صلى الله عليه وسلم الى ما سيصيب عثمان ــ رضي الله عنه :

ثبت في الصحيحين عن أبي موسى قال : توضأت في بيتي ، ثم خرجت فقلت : لأكونن اليوم مع رسول الله ﷺ فجئت المسجد ، فسألت عنه فقالوا : خرج وتوجه ههنا ، فخرجت في أثره حتى جئت بئر اريس ، وبابها من جريد ، فجلست عند الباب ، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ ، فقمت اليه ، فاذا هو قد جلس على بئر اريس ، وتوسط قفها (حافة البئر) وكشف عن ساقيه ، ودلاهما في البئر ، قال فسلمت عليه ، ثم انصرفت فجلست عند الباب ، فقلت يا رسول الله ، هذا أبو بكر يستأذن ٠ فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » ٠

قال : فأقبلت حتى قلت لأبي بكر : ادخل ، ورسول الله يبشرك بالجنة ، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ، ودلى رجليه في البئر ، كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت فجلست ، وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني ، فقلت : ان يرد الله بفلان ــ يريد أخاه ــ خيرا يأت فيه ٠٠ فاذا انسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟

فقال : عمر بن الخطاب ٠ فقلت : على رسلك ؟ ثم جئت الى رسول الله ﷺ فسلمت عليه ، وقلت : هذا عمر يستأذن ٠

فقال : « ائذن له وبشره بالجنة » فجئت عمر فقلت : أدخل ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة ٠

قال : فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ فى القف عن يساره ، ودلى رجليه فى البئر ٠٠ ثم رجعت فجلست فقلت : أن يرد الله بفلان خيرا — يعنى أخاه — يأت به فجاء انسان فحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان ٠

فقلت : على رسلك ، وجئت النبى ﷺ فأخبرته فقال : « ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه » قال : فجئت فقلت : ادخل ، ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبك ٠٠ قال : فدخل فوجد القف قد ملئ ، فجلس وجاههم من الشق الآخر ٠ قال سعيد بن المسيب (راوى الحديث عن أبى موسى) فأولتها قبورهم ٠ وهذا البلاء الذى أصابه هو ما اتفق وقوعه على يدى من انكر عليه من رعاع أهل الأمصار بلا علم ، فحاصروه فى داره حتى ال الحال بعد ذلك كله الى اضطهاده وقتله — رضى الله عنه — وجعل جنات الفردوس منقلبه ومثواه ٠

— وروى الامام أحمد عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « ادعو الى بعض أصحابى » قلت : أبو بكر ؟ قال : « لا » ٠٠ قلت : عمر ؟ قال : لا ٠ قلت : ابن عمك على ؟ قال : « لا » قلت : عثمان ؟ قال : « نعم » ٠

فلما جاء عثمان قال : « تنحى » ، فجعل يساره ولون عثمان يتغير ٠ قال أبو سهله (راوى الحديث عن عائشة) : فلما كان يوم الدار وحضر فيها ، قلت : يا أمير المؤمنين ، ألا تقاتل ؟ قال : لا ، ان رسول الله ﷺ عهد الى عهدا وانى صابر نفسى عليه ٠

— وروى البيهقى عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« سيكون فيكم اثنا عشر خليفة ، أبو بكر الصديق لا يلبث خلفى الا قليلا وصاحب رحى العرب ، يعيش حميدا

ويموت شهيدا » . فقال رجل : ومن هو يا رسول‌الله : قال : « عمر بن الخطاب » .

ثم التفت الى عثمان فقال : « وأنت يسألك الناس أن تخلع قميصا كساكه الله والذى بعثنى بالحق لئن خلعته لا تدخل الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط » .

● أخباره صلى الله عليه وسلم بالكيفية التى يموت عليها أبو ذر الغفارى ـ رضى‌الله عنه ـ :

روى الامام أحمد عن أم ذر قالت : لما حضرت ابا ذر الوفاة بكيت فقال : ما يبكيك ؟ فقلت : ومالى لا أبكى وأنت تموت بفلاة من الأرض ، ولابد لى بدفنك ، وليس عندى ثوب يسعك فأكفنك فيه : قال : فلا تبكى ، وأبشرى ، فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين » وليس من أولئك النفر أحد الا وقد مات فى قرية أو جماعة ، وانى أنا الذى أموت بفلاة ، والله ما كذب ولا كذبت . والحديث مشهود فى موته ـ رضى الله عنه ـ بالربذة سنة اثنتين وثلاثين فى خلافة عثمان بن عفان .. وكان فى النفر الذين قدموا عليه عبد الله بن مسعود ، وهو الذى صلى عليه ، ثم قدم المدينة فأقام بها عشر ليال ومات ـ رضى الله عنه ـ .

● أخباره صلى الله عليه وسلم بموت أبى الدرداء على الايمان :

روى البيهقى عن أبى الدرداء قال : قلت : يا رسول الله ، بلغنى أنك تقول : « ليرتدن أقوام بعد ايمانهم » قال : أجل ، ولست منهم . قال : فتوفى أبو الدرداء قبل أن يقتل عثمان .

وفى رواية عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « أنى فرطكم على الحوض ، أنتظر من يرد على منكم ، فلا ألفين أنازع أحدكم فأقول : انه من أمتى ، فيقال : هل تدرى ما أحدثوا بعدك ؟ » .

قال أبو الدرداء : فتخوفت أن أكون منهم ، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له ، فقال : « انك لست منهم » .

وتوفى أبو الدرداء قبل أن يقتل عثمان ، وقبل ان تقع الفتن .

● أخباره صلى الله عليه وسلم عن الفتن الواقعة فى أخر يام عثمان وفى خلافة على ــ رضى الله عنهما ــ :

★ ثبت فى الصحيحين عن أسامة بن زيد ان النبى ﷺ أشرف على اطم (القصر أو الحصن) من أطام المدينة ثم قال : « هل ترون ما ارى ؟ انى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر » .

★ وروى أحمد ومسلم عن حذيفة بن اليمان قال : والله ، انى لأعلم الناس بكل فتنة هى كائنة فيما بينى وبين الساعة ، وما بى الا أن يكون رسول الله ﷺ أسر الى فى ذلك شيئا ، لم يحدثه غيرى .. ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلسا أنا فيه عن الفتن فقال رسول الله ﷺ وهو يعد الفتن : « منهن ثلاث لم يكدن يذرن شيئا .. ومنهن فتنة كرياح الصيف ، منها صغار ومنها كبار » .

قال حذيفة : فذهب أولئك الرهط كلهم غيرى .

قال البيهقى :مات حذيفة بعد الفتنة الأولى بقتل عثمان ، وقبل الفتنتين الأخريين فى أيام على .

قلت : وقال العجلى وغير واحد من علماء التاريخ : كانت وفاة حذيفة بعد مقتل عثمان بأربعين يوما ، وهو الذى

قال : لو كان قتل عثمان هديا لاحتلبت به الأمة لبنا ، ولكنه ضلالة فاحتلبت به الأمة دما .

وقال : لو أن أحـدا ارتقص لما صنعتم بعثمان لـكان جديرا أن يرقص .

★ وعن زينب بنت جحش أن النبى ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول :

« لا اله الا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب . فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه .. وعقـد سـفيان (أحد الرواه) بيده عشرة » .

قلت يا رسول الله ، أنهلك وفينـا الصالحون ؟ قال : « نعم ، اذا كثر الخبث » .

★ وروى البخارى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنـه ــ قال : قال رسول الله ﷺ :

« ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقـائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خـير من السـاعى ، ومن يشرف لها تستشرفه ، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به » .

★ روى الامام أحمد عن مسلم بن أبى بكرة عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال :

« انها ستكون فتن ، ثم تكون فتن ، ألا فالماشى فيها خير من الساعى اليها ، والقاعد فيهـا خـير من القائم فيهـا ، ألا والمضطجع فيها خير من القاعد ، الا فان نزلت فمن كان له غنـم فليلحق بغنمـه ، ألا ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه ، ألا ومن كانت له ابل فليلحق بابله » .

فقال رجل من القـوم : يا نبى الله جعلنى الله فداك ، أرأيت من ليست له غنم ولا أرض ولا ابل ، كيف يصنع ؟

قال : « ليأخذ سيفه ثم يعمد به الى صخرة ، ثم ليدق على حده بحجر ، ثم لينج ان اسـتطاع النجاة ، اللهم هل بلغت ــ قالها ثلاثا ــ » •

اذ قال رجل : « يا رسول الله ، جعلنى الله فداك ، أرأيت ان آخذ بيدى مكرها ، حتى ينطلق بى الى أحـد الصفين أو الفئتين ، فيحذفنى رجل بسيفه فيقتلنى ، ماذا يكـون من شأنى ؟ قال : « يبوء باثمك واثمـه ويكـون من أصـحاب النار » •

وهذا اخبار عن اقبال الفتن ، وقد وردت أحاديث كثيرة فى معنى هذا •

● أخباره صلى الله عليه وسلم بخروج عائشة على على ــ رضى الله عنهما ــ :

★ وروى الامام أحمد عن عائشة ــ رضى الله عنهـا ــ أنها لما أقبلت ، يعنى من مسيرها الى وقعة الجمل ، وبلغت مياه بنى عامر ليلا ، نبحت الكلاب ، فقالت : أى ماء هذا ؟ قالوا : ماء الحوأب •

فقالت : ما أظننى الا راجعة •

فقال بعض من كان معها : بل تقدمين ، فيراك المسلمون فيصلح الله ــ عز وجل ــ ذات بينهم • قالت : ان رسول الله ﷺ قال لنـا ذات يـوم : « كيف باحـداكن تنبح عليهـا كلاب الحوأب !! ؟ » •

وفى رواية أخرى عن أحمد أيضا أن عائشة لما أتت على الحوأب فسمعت نباح الكلاب قالت : ما أظننى الا راجعة ،

ان رسول‌الله ﷺ قال لنا : «أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب؟» فقال لها : ترجعين ؟! عسى الله ــ عز وجل ــ أن يصلح بك بين الناس .

● أخباره صلى الله عليه وسلم بقتال طلحة والزبير لعلى ــ رضى الله عنهم ــ أجمعين :

★ وروى الطبرانى عن ابن عباس قال : لما بلغ أصحاب على ، حين ساروا الى البصرة ، ان أهل البصرة قد اجتمعوا لطلحة والزبير ، شق عليهم ووقع فى قلوبهم ، فقال على : والذى لا اله غيره ، ليظهرنه على اهل البصره ، وليقتلن طلحه والزبير وليخرجن اليكم من الكوفه سته الاف وخمسمائة وخمسون رجلا ، او خمسه الاف خمسمائه وخمسون رجلا .

قال ابن عباس : فوقع ذلك فى نفسى ، فلما أتى الكوفة ، خرجت فقلت : لانظرن ، فان كان كما يقول ، فهو أمر سمعه ، والا فهو خديعة الحرب .. فلقيت رجلا من الجيش ، فسألته ، فوالله ما عتم (ابطأ وتأخر) ان قال ما قال على ، قال ابن عباس : وهو ما كان رسول الله ﷺ يخبره .

★ وروى أحمد عن أبى وائل قال : لما بعث على عمارا والحسن الى الكوفة ليستنفراهم ، خطب عمار فقال : انى لا أعلم أنها زوجته فى الدنيا والآخرة ، ولكن الله ــ عز وجل ــ ابتلاكم لتتبعوه أو اياها .

وهذا كله وقع فى أيام الجمل ، وقد ندمت عائشة ــ رضى الله عنها ــ على ما كان من خروجها ، وكذلك الزبير ابن العوام أيضا تذكر وهو واقف فى المعركة أن قتاله فى هذا الموطن ليس بصواب ، فرجع عن ذلك : روى عن عبد الرزاق عن قتادة قال : لما ولى الزبير يوم الجمل بلغ عليا ، فقال : لو كان ابن صفية يعلم أنه على حق ما ولى ،

وذلك أن النبى ﷺ لقيهما فى سقيفه بنى ساعده فقال « آتحبه يا زبير » فقال : وما يمنعنى ؟ قال : « فكيف بك اذا قاتلته وآنت ظالم له ؟ » قال : فيرون انما ولى لذلك ٠

وهذا مرسل من هذا الوجه ٠٠ وقد أسنده البيهقى من وجه آخر ، فروى آنه لما دنا على وأصحابه من طلحة الزبير ، ودنت الصفوف بعضها من بعضها ، خرج على وهو على بغلة رسول الله ﷺ فنادى : ادعوا لى الزبير بن العوام ٠٠ فآتى على ، فدعى له الزبير ، فآقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما ، فقال على : يا زبير ، ناشدتك بالله ، أتذكر يوم مر بك رسول الله ﷺ فكان كذا وكذا فقال : « يا زبير ، أتحب عليا ؟ » فقلت : ألا آحب ابن خالى ابن عمى وعلى دينى ؟! فقال : « يا على ، آتحبه ؟ » ٠

فقلت : يا رسول الله ، ألا أحب ابن عمتى وعلى دينى ؟ فقال : « يا زبير ، آما والله لتقاتلنه وآنت ظالم له » ٠

فقال الزبير : بلى ، والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله ﷺ ثم ذكرته الآن ، والله لا أقاتلك ٠

فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف ،فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير فقال : مالك ؟ فقال : ذكرنى على حديث سمعته من رسول الله ﷺ سمعته وهو يقول : « لتقاتلنه وآنت ظالم له » ٠٠ فلا آقاتله ٠

فقال : وللقتال جئت ؟! انما جئت تصلح بين الناس ويصلح الله هذا الأمر ٠ قال : قد حلفت أن لا أقاتله قال : فأعتق غلامك خير ، وقف حتى تصلح بين الناس ٠

فأطلق غلامه ووقف ، فلما اختلف آمر الناس ذهب على فرسه ٠

★ وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان وتكون بينهما مقتله عظيمة دعواهما واحدة » .

وهاتان الفئتان هما : أصحاب الجمل ، أصحاب صفين، فانهما جميعا يدعون الى الاسلام ، وانما يتنازعون فى شيء من أمور الملك ، ومراعاة المصالح العائد نفعها على الأمة والرعايا وكان ترك القتال أولى من فعله ، كما هو مذهب جمهور الصحابة رضوان الله عليهم .

● **اخباره صلى الله عليه وسلم بمقتل عمار :**

قال صفوان بن عمرو : كان أهل الشام ستين ألفا ، فقتل منهم عشرون ألفا وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفا ، فقتل منهم أربعون ألفا ، وكان على وأصحابه أدنى الطائفتين الى الحق من أصحاب معاوية ، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم .. كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى قتادة أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » .

وفى رواية من حديث أم سلمه : « يقتل عمارا الفئة الباغية » وفى رواية :

« **وقاتله فى النار** » .

وروى الامام أحمد عن أبى البحترى قال : قال عمار يوم صفين : ائتونى بشربة لبن ، فان رسول الله ﷺ قال : « آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن » فأتى بشربة لبن . فشربها ثم تقدم فقتل .

وروى البيهقى عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اذا اختلف الناس كان ابن سميه مع الحق » .

ومعلوم أن عمارا كان فى جيش على يوم صفين ، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام ، وكان الذى تولى قتله رجل يقال له أبو الفادية ، رجل من أفناد (أى من أضخمهم وأكفرهم بالنعمة) الناس ، وقيل انه صحابى ، وقد ذكره أبو عمر بن عبد البر وغيره فى أسماء الصحابة ، وهو أبو الفادية مسلم ٠٠ وقد أخطأ من قال : كان قاتل عمار بدريا ٠

● أخباره صلى الله عليه وسلم بالخوارج وبيان أوصافهم وما سيكون من أمرهم :

روى البخارى عن أبي سعيد الخدرى قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بنى تميم فقال : يا رسول الله اعدل ٠

فقال ﷺ « ويلك ! ومن يعدل اذا لم أعدل ؟ قد خبت وخسرت ان لم أكن أعدل » ٠

فقال عمر : يا رسول الله ، ائذن لى فيه ، فأضرب عنقه ٠

فقال : « دعه فان له أصحابا يحضر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يقرؤن القرآن ، لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر نصله « حديده السهم » فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر الى رصافه « مدخل النصل من السهم » فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر الى نضيه وقدحه فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر الى الفرث « ريش السهم فلا يوجد فيه شىء قد سق الفرث والدم آيتهم رجل أسود احدى عضويه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة » القطعة من اللحم » تدردر « أى تضطرب وتذهب وتجىء ويخرجون على حين فرقه من الناس » ٠

قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ أشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت اليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته .

وروى مسلم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « تمرق مارقة عند فرقة المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق » .

وروى مسلم أيضا عن بشير بن عمرو قال : سألت سهل ابن حنيف : هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر هؤلاء الخوارج؟

فقال سمعته يقول : وأشار بيده نحو المشرق وفي رواية نحو العراق : « يخرج قوم يقرءون القرآن بألسنتهم لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية محلقة رءوسهم » .

★ وفي الصحيحين عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يأتي في آخر الزمان قوم ، حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام » أي صغار الأسنان ، ضعاف العقول » يقولون من خير قول البرية « أي هو القرآن ، كقولهم : « لا حكم الا لله » يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز ايمانهم حناجرهم « أي أنهم مؤمنون باللسان لا بالقلب » فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ولكم أجر من قتلهم يوم القيامة .

★ وروى مسلم عن زيد بن وهب الجهني انه كان في الجيش الذين كانوا مع علي ـ رضي الله عنه ـ الذين ساروا الى الخوارج ، فقال علي ـ رضي الله عنه ـ أيها الناس اني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن ، ليس قراءتكم الى قراءتهم بشيء ، ولا صلاتكم الى صلاتهم بشيء ،

ولا صيامكم الى صيامهم بشيء يقرءون القرآن ، يحسبون انه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية .

لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لا تكلوا عن العمل ، وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضو ، وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض فتذهبون الى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذراريكم فأموالكم ، والله ، انى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فانهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا فى سرح « أى الماشية السائمة» الناس ، فسيروا على اسم الله .

قال سلمة بن كهيل : فأنزلى زيد بن وهب منزلا حتى قال : مررنا على فنظره فلما التقينا ، وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبى ، فقال لهم : القوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها « أى أخرجوها من غمادها » فانى أخاف أن يناشدوكم « أى سألتك بالله وأقسمت عليك » كما ناشدوكم يوم حروراء ، فرجعوا فوحشوا برماحهم « أى رموا بها عن بعد منهم » وسلوا السيوف .

قال : وقتل بعضهم على بعضا ، وما أصيب من الناس يومئذ الا رجلان ، فقال على — رضى الله عنه — التمسوا فيهم المحدج « أى ناقص اليد » فالتمسوه فلم يجدوه .. فقام على — رضى الله عنه — بنفسه حتى أتي ناسا قد قتل بعضهم على بعض .. قال : أخروهم فوجدوه مما يلى الأرض فكبر ثم قال : صدق الله ، وبلغ رسوله قال : فقام اليه عبيدة السلمانى فقال : يا أمير المؤمنين ، الله الذى لا اله الا هو ، لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ ؟

فقال : اى ، والذى لا اله الا هو .. حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلف .

وفى رواية المسلم أيضا عن عبيدة أن عليا ذكر الخوارج ، فقال فيهم رجل مخرج مودن أو مثيرون اليد

« أى صـغير اليـد مجتمعيـا » لولا أن تبطروا « أى التجبر والشـدة » لحـدثتكم بما وعـد الله الذين يقتلونهم عـلى لسان محمد ﷺ قال : قلت : أنت سمعته من محمـد ﷺ ؟ قال : أى ، ورب الكعبة ، اى ورب الكعبة .

★ وروى البيهقى عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » فقال أبو بكر : أنا هو يارسول الله .

قال : « لا » ، فقال عمر : أنا هو يا رسول الله ؟ قال : « لا ولكن خاصف النعل » يعنى عليا .

الخلاصة :

الاخبار بقتال الخـوارج متواترة عن رسـول الله ﷺ لأن ذلك من طرق تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن ووقوع ذلك فى زمان على معلوم بالضرورة لأهل العلم قاطبة .

● أخباره صلى الله عليه وسلم بمقتـل على ـ رضى الله عنه وكيفية حدوث ذلك :

★ روى الامام أحمد بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ لعلى ، حين ولى غزوة العشيرة : « يا أبا تراب (لما يرى عليه من التراب) ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين ؟ » قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : « احيمر ثمود الذى عقر الناقة والذى يضربك يا على على هذه (يعنى قرنه) حتى يبل هذه (يعنى لحيته) » .

★ وروى أحمد عن فضالة بن أبى فضالة الأنصارى ، وكان أبوه من أهـل بدر قال : خـرجت مع أبى طالب من مرض أصابه ثقل منه قال : فقال له أبى : ما يقيمك بمنزلك هذا ؟ لو أصابك أجلك لم يلك الا أعراب جهينه ، تحمل الى المدينة فان أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك فقال

على ان رسول الله ﷺ عهد الى أن لا أموت حتى أومر ثم تخضب هذه (يعنى لحيته) من دم هذه (يعنى هامته) ٠

قال : فقتل وقتل أبو فضالة مع على يوم صفين ٠

وقد طعن على ــ رضى الله عنه ــ على يد عبد الرحمن بن ملجم الخارجى ، وهو خارج لصلاة الصبح عند السدة (أى باب الدار) وبقى على يومين من طعنته ، وحبس ابن ملجم فلما مات على قتل ابن ملجم قودا ، وقيل : حدا والله أعلم ٠

● أخباره ــ صلى الله عليه وسلم ــ بما سيكون من أمر الحسن بعد مقتل والده :

روى البخارى عن أبى بكر ــ رضى الله عنه ــ قال : أخرج النبى ﷺ ذات يوم الحسن فصعد به المنبر فقال : «ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبى ﷺ سواء فان الحسن بن على لما صار اليه الأمر بعد أبيه وركب فى جيوش أهل العراق وسار اليه معاوية فتصافا بصفين على ما ذكره الحسن البصرى فمال الحسن بن على الى الصلح وخطب الناس وخلع نفسه من الأمر وسلمه الى معاوية ، وذلك سنة أربعين ، فبايعه الأمراء من الجيشين واستقل بأعباء الأمة فسمى ذلك عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد وقد شهد الصادق المصدوق للفرقتين بالاسلام فمن كفرهم أو واحدا منهم لمجرد ما وقع، فقد أخطأ وخالف النص النبوى المحمدى الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ٠

● اخباره ــ صلى الله عليه وسلم ــ بخلافة معاوية :

● روى نعيم بن حماد « الفتن والملاحم » عن على بن أبى طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تذهب الأيام والليالى حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع الغرم ، ضخم البلغم ، يأكل ولا يشبع وهو عرى » ٠

وفى رواية : « لا تذهب الأيام والليالى حتى تجتمع هذه الأمة على معاوية » .

● وروى البيهقى عن معاوية قال : والله ما حملنى على الخلافة الا قول رسول الله ﷺ لى : « معاوية ، ان ملكت يا معاوية فأحسن » .

وفى رواية أيضا للبيهقى : أن معاوية أخذ الادارة فتبع رسول الله ﷺ فنظر اليه فقال : « يا معاوية ، ان وليت أمرا فاتق الله واعدل » .

قال معاوية : فمازلت أظن انى مبتلى بعمل لقول رسول الله ﷺ .

★ وروى أبو داود عن معاوية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم » ثم يقول أبو الدرداء : كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ فنفعه الله بها .

★ اخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بغزو البحر الى قبرص أو قتال الروم .

● روى الشيخان عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان (هى أخت أم سليم وخالة أنس بن مالك) فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت « أى زوجا له » فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تفلى رأسه « أى تفتش شعر رأسه لتستخرج هوامه فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك .. قالت : فقلت وما يضحك يا رسول الله ؟

قال : « ناس من أمتى عرضوا على غزاة فى سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا (رأى مثل الملوك) على الأسرة» .
قالت : فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فدعا لها رسول الله ﷺ ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك فقلت : وما يضحك يا رسول الله ؟

قال : « ناس من أمتي عرضوا على غزاة فى سبيل الله كما قال فى الأول » ..

قالت : فقلت : يا رسول الله أدع لى الله أن يجعلنى منهم قال : « انت من الأولين » فركبت البحر من زمان معاوية بن أبى سفيان فصرعت على دابتها حين خرجت من البحر فهلكت .

● وروى البخارى عن أم حرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أول جيش من أمتى يغزون البحر قد أوجبوا (أى فعلوا فعلا وجبت لهم به الجنة) .

قالت : يا رسول الله أنا فيهم ؟

قال : « أنت فيهم » .. ثم قال النبى ﷺ : « أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر مغفور لهم » .

فقلت : أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال : « لا » .. تفرد به البخارى دون أصحاب الكتب الستة .

وفيه من دلائل النبوة ثلاث :

احداها : الاخبار عن الغزوة الأولى فى البحر وقد كانت فى سنة سبع وعشرين مع معاوية بن أبى سفيان حين غزا قبرص وهو نائب الشام عن عثمان بن عفان وكانت معهم أم حرام بنت ملحان هذه فى صحبة زوجها عبادة بن الصامت، أحد النقباء ليلة العقبة فتوفيت فأرجعهم من الغزو بالشام وقال ابن زيد : توفيت بقبرص سنة سبع وعشرين .

والغزوة الثانية : غزوة قسطنطينية مع أول جيش غزاها وكان أميرها يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وذلك فى سنة ثنتين وخمسين كان معهم أبو أيوب ، خالد بن

زيد الأنصارى فمات هناك ــ رضى الله عنه وأرضــاه ــ ولم تكن هذه المرأة معهم ، لأنها كانت قد توفيت قبــل ذلك فى الغزوة الأولى فهذا الحديث فيه ثلاث آيات عن دلائل النبوة : الأخبار عن الغزوتين والاخبار عن المرأة بأنها من الأولين وليست من الآخرين وكذلك وضح صلوات الله وسلامه عليه ·

★ اخباره ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن غزو الهند :

روى الامام أحمد عن أبى هــريرة قال : حدثنى خليلى الصادق المصدوق : رسول الله ﷺ أنه قال :

« يكون فى هذه الأمة بعث الى السند والهند » فان أنا أدركته فاستشهدت فذلك · وان أنا فذكر كلمة ــ رجعت ــ فأنا (أبو هريرة المحدث) قد أعتقت من النار ، وقد غزا المسلمون الهند فى أيام معاوية سنة أربع وأربعين ·· وقد غزا الملك محمود وقد صاحب غزوته فى حدود أربعمائة ، بلاد الهند قد دخل فيها وقتــل وأسر وسبى وغنم ، ودخــل السومينات وكسر النــد الأعظم الذى يعبــدونه واســتلب سيوفه وقلائده ثم رجع سالما مؤيدا منصورا ·

★ اخباره ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقتال الترك :

روى البخــارى عن أبى هــريرة ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ قال :

« لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك ، صغار الأعين حمر الوجوه · دلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة وتجدون من خير الناس أشرهم كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه والناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام وليأتين على أحدكم زمان لأن يرانى أحب اليه من أن يكون له مثل أهله وما له » ·

★ وروى البخارى أيضا عن أبى هــريرة ــ رضى الله عنه ما عن النبى ﷺ قال :

« لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه ، فطس الأنوف صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر » — تابعه غيره عن عبد الرازق ، وقد ذكر عن الامام أنه قال : أخطأ عبد الرازق فى قوله : (خوزا) بالخاء وانما هى بالجيم (جوز وكرمان) وهما بلدان معروفان بالشرق ، والله أعلم .

★ وروى البخارى أيضا عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : صحبت رسول الله ﷺ ثلاث سنين لم اكن فى سنى أحرص على أن أعى الحديث منى فيهن سمعته يقول : وقال هكذا بيده !

« بين يدى الساعة تقاتلون قوما نعالهم الشعر وهو هذا البارز » قال سفيان مرة : وهم أهل البارز .

ورواه مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تقاتلون بين يدى الساعة قوما نعالهم الشعر كأن وجوههم المجان المطرقة حمر الوجوه صغار الأعين » .

قلت : وأما قول سفيان بن عيينة : انهم هم أهل البارز فالمشهور فى الرواية تقديم الراء على الزين ولعله تصحيف اشتبه على القائل البارز وهو السوق بلغتهم والله أعلم .

★ وروى الامام أحمد عن عمرو بن ثعلب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ان من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوما نعالهم الشعر أو ينتعلون الشعر وان من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوما عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة والمقصود أن قتال الترك وقع فى آخر أيام الصحابة قاتلوا القان الأعظم فكسروه كسرة عظيمة .

★ بشارته ـ صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن سلام بموته على الاسلام :

روى مسلم عن خرشه بن الحرمال : كنت جالسا فى حلقة فى مسجد المدينة وفيها شيخ حسن الهيئة ، وهو عبد الله بن سلام ٠٠ فجعل يحدثهم حديثا حسنا ، فلما قام قال القوم :

من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هـذا ٠

قال : فقلت : والله لأتبعته فلأعلمن مكان بيته ٠٠ فتبعته فانطلق حتى كاد أن يخرج من المدينة ثم دخل منزله فاستأذنت عليه فأذن ، فقال : ما حاجتك يا ابن أخى ؟

فقلت له : سمعت القوم لك لما قمت : من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا ٠٠ فأعجبنى أن اكون معك قال : الله أعلم بأهل الجنة وسأحدثك لم هم قالوا ذاك؟٠ انى بينما أنا نائم اذ أتانى رجل فقال لى : قم ، فأخذ بيدى فانطلقت معه فاذا أنا بجواد « أى الطريقة البينة المسلوكة » عن شمالى فأخذت لأخذ فيها ، فقال لى : لا تأخذ فيها فانها طرق أصحاب الشمال ٠٠ قال فاذا جواد منهج (أى الطريق المستقيم) على يمينى ، فقال لى : خذ ههنا ٠٠ فأتى بى جبلا فقال لى : اصعد ٠٠ قال : فجعلت اذا أردت أن أصعد خررت على استى حتى فعلت ذلك مرارا ٠

قال ثم انطلق بى حتى أتى بى عمودا ، رأسه فى السماء وأسفله فى الأرض فى أعلاه حلقة فقال لى : اصعد فوق هذا ٠

فقلت : كيف أصعد هذا ورأسه فى السماء ؟!

قال : فأخذ بيدى فزجل بى (أى رمى بى) ، فاذا أنا متعلق بالحلقة ، ثم ضرب العمود فخر وبقيت متعلقا بالحلقة حتى أصبحت فأتيت النبى ﷺ فقصصتها عليه فقال : « اما

الطرق التى رأيت عن يسارك فهى طرق أصحاب الشمال ، وأما الطرق التى رأيت عن يمينك فهى طرق أصحاب اليمين، وأما الجبل فهو منزل الشهداء ولن تناله ، وأما العمود فهو عمود الاسلام وأما العروة فهى عروة الاسلام ولن تزال متمسكا بها حتى تموت » ٠

قال البيهقى : وهذه معجزة ثانية ، حيث أخبر انه لا ينال الشهادة وهكذا وقع فانه مات سنة ثلاث واربعين فيما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره ٠

★ اخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن موت ميمونة بنت الحارث بسرف :

روى البخارى فى التاريخ عن يزيد بن الأصم قال : نقلت ميمونة بمكة ، وليس عندها من بنى أختها احد ٠٠ فقالت : من مكة فانى لا أموت بها ان رسول الله ﷺ أخبرنى أنى لا أموت بمكة ٠

فحملوها حتى أتوا بها الى سرف ، الشجرة التى بها رسول الله ﷺ تحتها فى موضع القبة ٠ فماتت رضى الله عنها٠

قلت : وكان موتها سنة احدى وخمسين على الصحيح ٠

★ اخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمقتل حجر بن عدى وأصحابه :

روى يعقوب بن سفيان فى تاريخه عن عبد الله بن رزين الغافقى قال : سمعت على بن أبى طالب يقول يا أهل العراق سيقتل منكم سبعة نفر بعذراء « موضع على بعد اثنى عشر ميلا فى دمشق » مثلهم كمثل أصحاب الأخدود ٠٠٠ فقتل حجر ابن عدى وأصحابه ٠

.. وروى أبو نعيم أن زياد بن سمية ذكر على بن أبى طالب على المنبر فقبض حجر على الحصباء ، ثم أرسلها وحصبت من حوله زيادا .. فكتب الى معاوية يقول : ان حجر حصبنى وأنا على المنبر .. فكتب اليه معاوية أن يحمل حجرا فلما قرب دمشق بعث من يتلقاهم فالتقى معهم بعذراء فقتلهم .

قال البيهقى : لا يقول على مثل هذا الا أن يكون سمعه من رسول الله ﷺ وروى أن معاوية دخل على عائشة فقالت ما حملك على قتل أهل العذراء حجرا وأصحابه ؟

فقال : يا أم المؤمنين ، انى رأيت قتلهم اصلاحا للأمة وان بقاءهم فساد .

فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيقتل بعذراء ناس ، يغضب الله لهم وأهل السماء » .

وروى يعقوب بن سفيان عن تاريخه أيضا عن عائشة رضى الله عنها ــ قالت : يا معاوية ، قتلت حجرا وأصحابه وفعلت الذى فعلت أما خشيت أن أخبأ لك رجلا فيقتلك ؟

قال : لا ، انى فى بيت أمان ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الايمان قيد الفتك » (أى يأتى الرجل صاحبه وهو غافل فيقتله أو يجرحه) لا يفتك مؤمن يا أم المؤمنين كيف أنا فيما سوى ذلك من حاجاتك ؟

قالت : صالح ، قال فدعينى وحجرا حتى نلتقى عند ربنا ــ عز وجل ــ .

★ اخباره ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن موت سمرة بن جندب:

روى يعقوب بن سفيان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال لعشرة من أصحابه « آخركم موتا فى النار » .. فيهم سمره بن جندب .

قال أبو نضرة : فكان سمرة آخرهم موتا وروى من طريق آخر عن أنس بن حكيم قال : كنت أمر بالمدينة فألقى أبا هريرة فلا يبدأ بشيء حتى يسألنى عن سمرة فلو أخبرته بحياته وصحته فرح وقال :

انا كنا عشرة فى بيت وان رسول الله ﷺ قام علينا ونظر فى وجوهنا وأخذ بيضاونى الباب وقال « آخركم موتا فى النار » ٠

قلت : وذكر غيره أن سمرة بن جندب ـ رضى الله عنه ـ » أصابه كرار (أى بحة وصوت فى الصدر) شديد وكان يوقد له على قدر مملوءة ماء حارا فيجلس فوقها ليتدفأ ببخارها فسقط يوما فيها فمات ـ رضى الله عنه ـ وكان موته سنة تسع وخمسين بعد أبى هريرة بسنة وقد كان شديدا على الخوارج مكثرا للقتل فيهم ويقول : هم شر قتلى تحت أديم السماء ٠٠ وكان الحسن البصرى ومحمد بن سيرين وغيرهما من علماء البصرة يثنون عليه رضى الله عنهم ٠

★ **ستكون بعدى أثرة :**

● روى البخارى عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال : « ستكون بعدى أثرة » (أى الأنانية وحب الذات) قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا ؟

قال : «تؤدون الحق الذى عليكم وتسألون الله الذى لكم»

● وروى البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يهلك الناس هذا الحى من قريش » قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : « لو أن الناس اعتزلوهم » ٠

● وروى البخارى أيضـا عن أبى هريرة قال سـمعت الصادق المصدوق يقول « هلاك أمتى عـلى يدى غلمـة من قريش » .

فقال مروان : غلمة !؟ قال أبو هريرة : ان شـئت أن أسميتهم : بنى فلان وبنى فلان : تفرد به البخارى .

وروى الامام احمد عن أبى هريرة قال : سـمعت رسول الله ﷺ يقول : « هلاك أمتى على يدى غلمة من قريش » .

قال مروان (وهو معنا فى الحلقة قل ان يلى شيئا) : فلعنة الله عليهم غلمة .

قال : أما والله لو أشاء أن أقول بنو فلان وبنـو فلان لقلت .

قال : فكنت أخرج مع أبى وجدى الى بنى مروان بعدما ملكوا فاذا هم يبايعون الصبيان ، ومنهم من يبايع له وهـو فى خرقة .

قال لنا عيسى : أصحابكم هؤلاء ان يكونوا الذى سمعت أبا هريرة يذكر ان هذه الملوك يشبه بعضها بعضا .

● وروى يعقوب بن سفيان عن أبى عبيدة بن الجراح قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا يزال هذا الأمر معتدلا قائما بالقسط حتى يتسلمه رجل من بنى أمية » .

● وروى البيقهى عن أبى ذر قال : سمعت رسـول الله ﷺ يقول : « ان أول من يبدل سنتى رجـل من بنى أميـة » وهذا متقطع بين أبى العالية وأبى ذر وقد رجحه البيهقى

بحديث أبى عبيدة المتقدم وقال : ويشبه أن يكـون هـذا الرجل هو : يزيد بن معاوية والله أعلم قلت : النـاس فى يزيد بن معاوية أقسام :

ـ فمنهم من يحبه ويتولاه وهم طائفة من أهل الشام من النواصب .

ـ وأما الروافض فيشنعون عليه ويفترون عليه أشياء كثيرة ليست فيـه ويتهمـه كثير منهـم بالزندقة ، ولم يكن كذلك .

ـ وطائفة أخرى لا يحبونه ولا يسبونه ، لما يعلمون من انه لم يكن زنديقا كما تقوله الرافضة ، ولما وقع فى زمانه من الحوادث الفظيعة ، والأمور المستنكرة البشعة الشنيعة .. فمن أنكرها : قتل الحسين بن على بكربلاء ولكن لم يكن ذلك من علم منه ولعله لم يرضى به ولم يسوؤه وذلك من الأمور المنكرة جدا ووقعة الحرة كانت من الأمور القبيحة بالمدينة النبوية .

★ اخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ
بمقتل الحسين بن على ـ رضى الله عنهما :

روى الامام أحمد عن أنس قال : استأذن ملك المطر ان يأتى النبى ﷺ فأذن له ، فقال لأم سلمة : « احفظى علينـا الباب ولا يدخل علينا أحد » .

فجاء الحسين بن على فوثب حتى دخل فجعل يصعد عـلى منكب النبى ﷺ فقال له الملك أتحبه ؟ فقال النبى ﷺ : نعم؟

قال : فان أمتك تقتله وان شئت أريتك المـكان الذى يقتل فيه .. قال : فضرب بيده فأراه ترابا أحمر .. فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصرته فى طرف ثوبها قال : فكنا نسمع يقتل بكربلاء .

وفيه عماره بن زاذان هو الصيدلانى أبو سلمه البصرى وقد اختلفوا فيه ·

قال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به ليس بالمتين وضعفه أحمد مرة ووثقه أخرى ·

ــ وروى البيهقى عن أم سلمه أن رسول الله ﷺ اضطجع ذات يوم فاستيقظ وهو حائر ثم اضطجع فرقد ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت منه فى المرة الأولى ثم اضطجع واستيقظ وفى يده تربة حمراء وهو يقلبها فقلت : ما هذه التربة يا رسول الله ؟

فقال : « أخبرنى جبريل أن هذا يقتل بأرض العراق ــ الحسين ــ فقلت : يا جبريل أرنى تربة الأرض التى يقتل بها فهذه تربتها » ·

★ اخباره ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن وقعة الحرة التى كانت فى زمن يزيد :

روى يعقوب بن سفيان فى تاريخه عن أيوب بن بشير المعافرى أن رسول الله ﷺ خرج فى سفر من أسفاره ، فلما مر بحرة زهرة وقف فاسترجع ، فساد ذلك من معه وظنوا أن ذلك من أمر سفرهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، ما الذى رأيت ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أما ان ذلك ليس من أمر سفركم هذا » قالوا : فما هو يا رسول الله ؟

قال « يقتل بهذه الحرة خيار أمتى بعد اصحابى » ··· وهذا مرسل ·

وروى يعقوب بن سفيان عن عكرمه عن ابن عباس قال : جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة :

« ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا »

الاحزاب : ١٤

قال : اعطوها يعنى ادخال بنى حارثة أهل الشام على أهل المدينة .

وهذا اسناده صحيح الى ابن عباس وتفسير الصحابى فى حكم المرفوع عند كثير من العلماء .

سبب هذه الوقعة :

وكان سبب وقعة الحرة أن وفدا من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق فأكرمهم وأحسن جائزتهم وأطلق لأميرهم وهو عبد الله بن حنظلة بن عامر ، قريبا من مائة ألف درهم فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح فى شربة الخمر وما يتبع ذلك من الفواحش الذى كان من أكبرهم ترك الصلاة عن وقتها بسبب السكر فاجتمعوا على خلعه فخلعوه عن المنبر النبوى فلما بلغه ذلك بعث اليهم سرية يقدمها رجل يقال له : مسلم بن عقبة — وانما يسميه السلف : مسرف بن عقبة فلما ورد المدينة استباحها ثلاث أيام فقتل فى غضون هذه الأيام بشرا كثيرا حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها .

وزعم بعض علماء السلف انه قتل فى غضون ذلك ألف بكر « أى عذراء » والله أعلم .. وذكر عبد الله بن وهب عن الامام مالك : قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن .. حسبت انه قال : وكان فيهم ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ وذلك فى خلافة يزيد . وذكر يعقوب بن سفيان أنه قتل يوم الحرة عبد الله بن يزيد المازنى ومعقل ابن سليمان الاشجعى ومعاذ بن الحارث القارى وقتل عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر .

وقال يعقوب : كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين ، ثم انبعث مسرف بن عقبة الى مكة قاصدا عبد الله بن الزبير ليقتله بها لأنه فر من بيعة يزيد فمات يزيد بن معاوية في غضون ذلك واستفحل

أمر عبد الله بن الزبير فى الخلافة بالحجاز ثم أخذ العراق ومصر .

وبويع بعد يزيد لابنه معاوية بن يزيد وكان رجلا صالحا ، فلم تطل مدته ، مكث أربعين يوما وقيل عشرين يوما ، ثم مات رحمه الله فوثب مروان بن الحكم على الشام فأخذها فبقى تسعة أشهر ثم مات .

وقام بعده ابنه عبد الملك ، فنازعه فيها عمرو بن سعيد ابن الأشدق ، وكان نائبا على المدينة من زمن معاوية وأيام يزيد ومروان .. فلما هلك مروان زعم انه أوصى له بالأمر من بعد ابنه عبد الملك فضاق به ذرعا ، ولم يزل به حتى أخذه بعدما استفحل أمره بدمشق ، فقتله فى سنة تسع وستين ويقال : فى سنة سبعين ، واستمرت أيام عبد الملك ابن مروان حتى ظفر بابن الزبير سنة ثلاث وسبعين ، قتله الحجاج بن يوسف الثقفى عن أمره بمكة بعد محاصرة طويلة اقتضت أن نصب المنجنيق على الكعبة من أجل أن ابن الزبير لجأ الى الحرم فلم يزل به حتى قتله ثم عهد فى الأمر الى بنيه الأربعة بعده الوليد ، ثم سليمان ، ثم يزيد ثم هشام ابن عبد الملك .

وقد روى الامام أحمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تعوذوا بالله من رأس السبعين ومن امارة الصبيان» .. وقال : « لا تذهب الدنيا حتى يظهر اللكع ابن اللكع » .

قال الاسود : يعنى : اللئيم ابن اللئيم .

وقد روى الترمذى عن أبى هريرة قال : « قال رسول الله ﷺ : « عمر أمتى من ستين سنة الى سبعين سنة » .. ثم قال : حسن غريب .

★ اخباره – صلى الله عليه وسلم – بما سيكون من أمر قيس بن حرسه :

وروى البيهقى عن محمد بن يزيد بن أبى زياد الثقفى قال : اصطحب قيس بن خرشة وكعب حتى اذا بلغا صفين (موضع بشاطىء الفرات) وقف كعب ثم نظر ساعة ثم قال : ليهراق بهذه البقعة من دماء المسلمين شىء لا يهراق ببقعة من الأرض مثله ٠٠ فغضب قيس ، وقال : وما يدريك يا أبا اسحاق ما هذا ؟ فان هذا من الغيب الذى استأثر الله به ! فقال كعب : ما من الأرض شبر الا مكتوب فى التوراة الذى أنزل الله على موسى ويكون عليه ما يخرج منه الى يوم القيامة ٠

فقيل لمحمد بن يزيد : ومن قيس بن خرشة ؟

قال : ان قيس بن خرشة قدم على النبى ﷺ فقال : أبايعك على ما جاء من الله وعلى أن أقول الحق ٠

فقال النبى ﷺ : « يا قيس ، عسى أن يمد بك الدهر أن يليك بعدى من لا تستطيع أن تقول بالحق معهم » ٠

قال قيس : والله لا أبايعك على شىء الا وفيت لك به فقال رسول الله ﷺ « اذا لا يضرك بشر » ٠

فبلغ قيس الى أيام عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان وكان قيس يعيب زياد وابنه عبيد الله بن زياد فبلغ ذلك عبيد الله ، فأرسل اليه : انت الذى تفترى على الله وعلى رسوله ؟

قال : لا ولكن ان شئت أخبرتك بمن يفترى على الله وعلى رسوله من ترك العمل بكتاب الله وسنة رسوله ؟

قال : ومن ذاك ؟ قال : أنت ، وأبوك والذى أمركما ٠ قال قيس : وما الذى افتريت علي رسول الله ﷺ ؟ قال : نزعم

انه لن يضرك بشر !! قال : نعم ، قال : لتعلمن اليوم انك قد كذبت ، ائتونى بصاحب العذاب وبالعذاب · قال محمد بن يزيد : فمال قيس عند ذلك فمات ·

★ اخباره ــ صلى الله عليه وسلم ــ بذهاب بصر عبد الله بن عباس فى آخر عمره :

روى البيهقى عن العباس بن عبد المطلب أنه بعث ابنه عبد الله الى رسول الله ﷺ فى حاجة فوجد عنده رجلا فرجع ولم يكلمه الرجل الذى معه ، فلقى رسول الله ﷺ العباس بعد ذلك فقال العباس : أرسلت اليك ابنى فوجد عندك رجلا فلم يستطع أن يكلمك ، فرجع ·

فقال رسول الله ﷺ : ورآه ؟ قال : نعم ··

قال : « أتدرى من ذلك الرجل ؟ ·· ذاك الرجل جبريل ــ عليه السلام ــ ولن يموت حتى يذهب بصره ويؤتى علما» ·

وقد مات ابن عباس سنة ثمان وستين بعد ما عمى ــ رضى الله عنه ــ ·

★ اخباره ــ صلى الله عليه وسلم ــ بكذاب ثقيف ومبيرها :

● ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة ، وعن مسلم عن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ قال : « ان بين يدى الساعة ثلاثين كذابا دجالا كلهم يزعم أنه نبى » ·

● وروى البيهقى عن عبدالله بن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا منهم : مسيلمة والعنس والمختار وشر قبائل العرب : بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف » ·

وفيه محمد بن الحسن الأسدى له افرادات وحدث عنبه

الثقات من الناس •• وقال البيهقى : لحديثه فى المختار شواهد صحيحة ••

ثم روى عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت للحجاج بن يوسف الثقفى : أم ان رسول الله ﷺ حدثنا أن فى ثقيف كذابا ومبيرا .(أى مهلكا) فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فلا أخالك (أى ما أظنك) الا اياه •

● وروى البيهقى عن أبى المحيا عن أمه قالت : لما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير دخل الحجاج على أسماء بنت أبى بكر فقال : يا أمى أن أمير المؤمنين أوصانى بك ، فهل لك من حاجة ؟

فقالت : لست لك بأم ولكنى أم المصلوب على رأس الثنية ومالى من حاجة ، ولكن انتظر حتى أحدثك بما سمعت من رسول الله ﷺ سمعته يقول : « يخرج من ثقيف كذاب ومبير » •• فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فأنت • فقال الحجاج مبير المنافقين !! وقد تواتر خبر المختار بن أبى عبيد الكذاب الذى كان نائبا على العراق وكان يزعم أنه نبى وان جبريل كان يأتيه بالوحى وقد خيل لابن عمر وقد كان زوج أخت المختار وصفيه • ان المختار يزعم أن الوحى يأتيه قال صدق.•• قال الله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾
الأنعام ٢١

● وروى أبو داود الطيالسى عن رفاعة بن شداد قال : كنت الصق شىء بالمختار الكذاب ، فدخلت عليه ذات يوم فقال : دخلت وقد قام جبريل قبل من هذا الكرسى ••

قال فأهويت الى قائم السيف لأضربه حتى ذكرت حديثا حدثنيه عمرو بن الحمق الخزاعى أن رسول الله ﷺ قال :

« اذا آمن الرجل الرجل على دمه ثم قتله رفع له لواء الغـدر يوم القيامة » .. فكففت عنه .

ـ وروى البيهقى عن أبى عذبة قال : جاء رجل الى عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فأخبره ان أهل العراق قد حصبوا (أى رموه وأبعدوه وخرجوا عليه) أميرهم غضبان فصلى لنا الصلاة فسها فيها ، حتى جعـل النـاس يقولون : سبحان الله ، سبحان الله فلما سلم أقبل على الناس فقال : من ههنا من أهل الشام ؟

فقام رجل ثم قام آخر ثم قمت أنا ثالثا أو رابعـا .. فقال يا أهل الشام استعدوا لأهل العراق فان الشيطان قد آلبس عليهم بالعلـوم الثقفى يحـكم فيهم بحـكم الجاهلية لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم وزاد الدارمى فى روايته وما ألد الحجـاج يومئـذ . فى رواية للدرامى أيضا قال أبو اليمان : علم عمر ـ رضى الله عنه ـ ان الحجاج خارج لا محالة فلما أغضبوه استعجل لهم العقوبة التى لابد.

قلت : فان كان هذا نقله عمر عن رسول الله ﷺ فلقـد تقدم له شاهد عن غيره ، وان كان تحديث ، فكرامة الولى معجزة لنبيه .

وروى البيهقى عن عمر بن عبد العزيز قال : لو جاءت كل آمة بخبيثها ، وجئناهم بالحجاج لغلبناهم وعن عاصم بن آبى النجود قال : ما بقيت لله حرمة الا وقد ارتكبها الحجاج بمعنى غير صاف ولا خالص وعن ابن طاوس أن أباه لما تحقق موت الحجاج تلا قوله تعالى : « فقطـع دابر القـوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » قلت : وقد توفى الحجاج سنة خمس وتسعين .

« اشارته صلى الله عليه وسلم عن أمته يأتون من بعده يهتدى الناس بهديهم » •

★ اشارته صلى الله عليه وسلم بخلافة عمر بن عبدالعزيز :

ثبت فى الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى •• فقلت : يا رسول الله ، انا كنا فى جاهلية وشر ، فجاء الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير شر ؟

قال : « نعم » فقلت : هل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : «نعم ، وفيه دخن» (أى كدر) قلت : وما دخنه ؟ قال : « قوم يستنون بغير سنتى ، ويهدون بغير هدى ، تعرف منهم وتنكر »

فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : « نعم ، دعاة على أبواب جهنم (أى يدعون الناس الى الضلالة ويصدونهم عن الهدى بأنواع من التلبيس) من أجابهم اليها قذفوه فيها » فقلت يا رسول الله : صفهم لنا •

قال : نعم ، قوم من جلدتنا (أى من أنفسنا وعشيرتنا) ويتكلمون بألسنتنا (أى بلسان عربى) •

قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على « تلزم جماعة المسلمين وامامهم » •

فقلت : فان لم تكن لهم جماعة ولا امام ؟

قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تقضى على أصل شجرة (كناية عن مكابدة المشقة ، لاستمرار اللزوم ، كقوله فى الحديث الآخر : « عضوا عليها بالنواجذ » حتى يدركك الموت وأنت على ذلك ، حمل البيهقي وغيره هذا الخبر الثانى على أيام عمر بن عبد العزيز •

وروى البيهقى عن العباس بن الوليد بن مرثد عن أبيه قال : سئل الأوزاعى عن تفسير حديث حذيفة حين سأل رسول الله ﷺ عن الشر الذى يكون بعد ذلك الخير ، فقال الأوزاعى: هى الردة التى كانت بعد وفاة رسول الله ﷺ .

وفى مسألة حذيفة : فهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : « نعم ، وفيه ، دخن » .

قال الأوزاعى : فالخير : الجماعة ، وفى ولاتهم من تعرف سيرته ، وفيهم من تنكر سيرته .

قال : فلم يأذن رسول الله ﷺ فى قتالهم ما صلوا الصلاة

وروى البيهقى أيضا من طريق أبى داود الطيالسى عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ :

« انكم فى النبوة ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعها لكم اذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة » .

قال : فقدم عمر بن عبد العزيز ومعه يزيد بن النعمان، فكتبت اليه أذكره الحديث وكتبت اليه : انى أرجو أن تكون أمير المؤمنين بعد الخيرية .. قال : فأخذ يزيد الكتاب فأدخله على عمر ، فسر به وأعجبه وروى نعيم بن حماد عن عمر بن عبد العزيز قال : رأيت رسول الله ﷺ وعنده عمر وعثمان وعلى ، فقال لى : « اذن » .

فدنوت حتى قمت بين يديه ، فرفع بصره الى وقال : « أما انك ستلى أمر هذه الأمة وستعدل عليهم » وقد جاء فى الحديث : « ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » .. وقد قال كثير من الأئمة . انه عمر ابن عبد العزيز ، فانه تولى سنة احدى ومائة .

★ وروى البيهقى عن ابن عمر قال : بلغنا أن عمر بن الخطاب قال : ان من ولدى رجلا بوجهة شين العيب يلى ، فيملأ الآرض عدلا • قال نافع : ولا أحسبه الا عمر بن عبد العزيز •

★ وروى البيهقى أيضا عن ابن عمرانه كان يقول : ليت شعرى ، من هذا الذى من ولد عمر بن الخطاب فى وجهه علامة يملأ الأرض عدلا ؟

وقد كان هذا الأمر مشهورا قبل ولايته وميلاده بالكلية أنه يلى رجل من بنى أمية يقال له : أشبح بنى مروان •

وكانت أمه آزرى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وكان آبوه عبد العزيز بن مروان نائبا لأخيه عبد الملك على مصر ، وكان يكرم عبد الله بن عمر ، ويبعث اليه بالتحف والهدايا والجوائز فيقبلها •

وقد دخل عمر بن عبد العزيز يوما الى اصطبل أبيه وهو صغير ، فرمحه فرس فشجه فى جبينه ، فجعل أبوه يسلت عنه الدم ويقول : اما لئن كنت أشبح بنى مروان ، انك اذا لسعيد • وكان الناس يقولون : الاشبح والناقص أعدلا بنى أمية •• فالأشبح هو عمر بن عبد العزيز ، والناقص هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، الذى يقول فيه الشاعر :

رأيت اليزيد بن الوليد مباركا شديدا بأعباء الخلافة كاهله

قلت : وقد ولى عمر بن عبد العزيز بعد سليمان بن عبد الملك سنتين ونصفا ، فملأ الأرض عدلا ، وفاض المال حتى كان الرجل يهمه (أى يحزنه) لمن يعطى صدقته •

وروى البيهقى عن عمر بن عبد العزيز ، أنه بينما كان يمشى الى مكة بفلاة من الأرض ، اذ رأى حية ميتة ، فقال : على بمحفار ، فقالوا : نكفيك أصلحك الله •• قال : لا ••

ثم أخذه ثم لفه في خرقه ودفنه ، فاذا هاتف يهتف : رحمة الله عليك يا سرق .

فقال له عمر بن عبد العزيز : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا رجل من الجن ، وهذا يا سرق ولم يبت ممن بايع رسول الله ﷺ غيرى وغيره ، وأشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « تموت يا سرق بفلاة من الأرض ويدفنك خير أمتى » .

وقد رواه هذا من وجه آخر ، وفيه أنهم كانوا تسعة بايعوا رسول الله ﷺ وفيه أنه عمر بن عبد العزيز حلفه ، فلما حلف بكى عمر بن عبد العزيز ، وقد رجحه البيهقى وحسنه .. فالله أعلم ..

★ اشارته ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى محمد بن كعب القرظى . (وعلمه بتفسير القرآن وحفظه) :

روى البيهقى عن أبى بردة الظفرى عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج فى أحد الكاهنين رجل قد درس القرآن دراسة لا يدرسها أحد يكون من بعده »

وفى رواية له أيضا عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون فى أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد غيره » قال : وكانوا يرون أنه محمد بن كعب القرظى .

قال أبو ثابت : الكاهنان : قريظة والنضير . وقد قال عون بن عبد الله : ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من محمد بن كعب .

★ اخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بانتهاء قرنه بعد مائة سنة من ليلة اخباره :

ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة صلاة العشاء فى آخر حياته ، فلما سلم قام

فقال : « أرأيتكم ليلتكم هذه ؟ فان على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد » ٠

قال ابن عمر : فوهل الناس أى غلطوا فى مقالة رسول الله ﷺ تلك ، فيما يتحدثون من هذه الاحاديث ، عن مائة سنة ، وانما قال رسول الله ﷺ « لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد » ٠٠ يريد بذلك أن ينحزم أى ينقضى وينقطع ذلك القرن ٠

وروى مسلم عن جابر عن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل ان يموت بشهر : « تسألون عن الساعة ؟ وانما علمها عند الله ، وأقسم بالله ما على من نفس منفوسة يأتى عليها مائة سنة » ٠

وفى رواية : « ما من نفس منفوسة اليوم تأتى عليها مائة سنة ، وهى حية يومئذ » وهذا الحديث وامثاله مما يحتج به من ذهب من الأئمة الى أن الخضر ليس بموجود الآن ٠٠ وهو نص على أن جميع الأحياء فى الأرض يموتون الى تمام مائة سنة من اخباره ـ عليه السلام ـ وكذا وقع ، فما نعلم تأخر أحد من الصحابة الى ما يجاوز هذه المدة ، وكذا جميع الناس ، ثم قد طرد بعض العلماء هذا الحكم فى كل مائة سنة ، وليس فى الحديث تعرض لهذا ، والله أعلم ٠

★ اخباره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعمر عبد الله بن بسر :

روى البيهقى عن ابراهيم بن محمد بن زياد عن أبيه عن عبد الله بن بسر قال : وضع رسول الله ﷺ يده على رأسى فقال : « هذا الغلام يعيش قرنا » ٠ قال فعاش مائة سنة ٠

وفى رواية : وكان فى وجهه ثؤلول ، فقال : « لا يموت هذا حتى يذهب الثؤلول من وجهه » ٠٠ فلم يمت حتى ذهب الثؤلول من وجهه ٠

قاله الواقدى وغير واحد : توفى عبد الله بن بسر بجمعى سنة ثمان وثمانين عن أربع وتسعين ، وهو آخر من بقى من الصحابة بالشأم ٠

★ اخبـاره ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الأئمة الاثنى عشر الذين كلهم من قريش :

وليسوا بالاثنى عشرة الذين يدعون امامتهم الرافضة ، فان هؤلاء الذين يزعمون لم يل امور الناس منهم الا على ابن أبى طالب وابنه الحسن ، واخرهم ـ فى زعمهم ـ المهدى المنتظر فى زعمهم بسرداب سامراء ، وليس له وجود ولا عين ولا أثر ٠

بل هـؤلاء من الائمة الاثنى عشر المخبر عنهم فى الحديث ٠ الائمة الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، رضى الله عنهم ٠٠ ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا خلاف بين الأئمة ، على كلا القولين لأهل السنة فى تفسير الاثنى عشر ، كما سنذكره بعد ايراد الحديث ٠

ثبت فى صحيح البخارى من حديث شعبة ، ومسلم من حديث سفيان بن عيينة ، كلاهما عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يكون واثنا عشر خليفة » ثم قال كلمة لم أسمعها ، فقلت لأن : ما قال : قال : « كلهم من قريش » ٠

وروى أبو نعيم بن حماد فى كتاب « الفتن والملاحم » عن عبد الله بن مسعود فقال : قال رسول الله ﷺ : « يكون بعدى من الخلفاء عدة أصحاب موسى » ٠

وقد روى مثل هذا عن عبد الله بن عمر ، وحذيفة ، وابن عباس ، وكعب الأحبار ، وغيرهم ٠

وروى أبو داود عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يزال هذا الأمر قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة ، كلهم تجتمع عليهم الأمة » . سمعت كلاما من النبى ﷺ لم أفهمه ، فقلت لأبى : ما يقول ؟

قال : يقول : « كلهم من قريش » .

وروى أبو داود عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال هذه الأمة مستقيما أمرها ، ظاهرة على عدوها ، حتى يمضى اثنا عشر خليفة كلهم من قريش » .

قال : فلما رجع الى منزله أتته قريش ، فقالوا : ثم يكون ماذا ؟ قال : « ثم يكون الهرج » قال البيهقى : ففى الرواية الأولى بيان العدد ، وفى الرواية الثانية بيان المراد بالعدد ، وفى الثالثة بيان وقوع الهرج، وهو القتل بعدهم : وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة الى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثم وقع الهرج والفتنة العظيمة كما أخبر فى هذه الرواية ، ثم ظهر ملك العباسية ، وانما يزيدون على العدد المذكور فى الخبر اذا تركت الصفة المذكورة فيه، أوعد منهم من كان بعد الهرج المذكور فيه ، وقد قال النبى ﷺ « لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى من الناس اثنان»

وفى صحيح البخارى عن معاوية بن أبى سفيان قال : قال رسول الله ﷺ : «ان هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين » .

قال البيهقى : أى أقاموا معالمه وان قصروا فى أعمالهم .. ثم ساق أحاديث بقية ما ذكره فى هذا والله أعلم .

فهذا الذى سلكه البيهقى ، وقد وافقه عليه الجماعة ، من أن المراد بالخلفاء الاثنى عشر المذكورين فى هذا الحديث ، هم المتتابعون الى زمن الوليد بن يزيد بن عبدالملك،

الفاسق ، وقد ورد فيه حديث بالذم والوعيد ، وهو حديث مشكوك وفيه نظر .

وبيان ذلك : أن الخلفاء الى زمن الوليد بن اليزيد هذا أكثر من اثنى عشر على كل تقدير نفرضه ، وبرهانه ان الخلفاء الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، خلافتهم محققة بنص حديث سفينة الخلافة ثلاثون عاما .

ثم يعدهم الحسن بن على كما وقع ، لأن عليا أوصى اليه ، بايعه اهل العراق ، وركب وركبوا معه لقتال أهل الشام حتى اصطلح هو ومعاوية ، كما دل عليه حديث أبى بكر ، فى صحيح البخارى ، ثم معاوية ثم ابنه يزيد بن معاوية .. ثم ابنه معاوية بن يزيد ، ثم مروان بن الحكم ، ثم ابنه ... ثم ابنه الوليد بن عبد الملك ثم سليمان بن هشام بن عبد الملك .. فهؤلاء خمسة عشر .. ثم الوليد بن عبدالملك ثم عمر بن عبدالعزيز .. ثم يزيد بن عبدالملك .. ابن يزيد بن عبد الملك .
.. ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

فاذا اعتبرنا ولاية ابن الزبير قبل عبد الملك ، صاروا ستة عشر ، وعلى أغلب تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر بن عبد العزيز .. فهذا الذى سلكه على هذا التقدير يدخل فى الاثنى عشر يزيد بن عبد الملك ويزخ منهم عمر بن عبد العزيز الذى أطبق الأئمة على شكره وعلى مدحه .. وعدوه من الخلفاء الراشدين ، وأجمع الناس قاطبة على عدله ، وان أيامه كانت من أعدل الايام ، حتى الرافضة يعترفون بذلك . فان قال : أنا لا أعتبر فى هذا الا من اجتمعت الأمة عليه ، لزمه على هذا القول أن أهل الشام بكمالهم لم يبايعها .

وعد حينئذ معاوية وابنه يزيد وأبن ابنه معاوية بن يزيد ، ولم يعتد بأيام مروان ولا ابن الزبير ، لأن الأمة لم تجتمع على واحد منها .

فعلى هذا القول فى مسلكه هذا عاد للخلفاء : أبو بكر، وعمر ، وعثمان ، ثم معاوية ، ثم عبد الملك ، ثم الوليد ، ثم سليمان ، ثم عمر بن عبد العزيز ، ثم يزيد ، ثم هشام ٠٠ فهؤلاء عشرة ٠٠ ثم من بعدهم : الوليد بن يزيد بن عبدالملك الفاسق ٠٠

ولكن هذا لا يمكن أن يسلك ، لأنه يلزم منه اخراج علي وابنه الحسن من هؤلاء الاثنى عشر ، وهو خلاف ما نص عليه أئمة السنة ، بل والشيعة ، ثم هو خلاف ما دل عليه نصا حديث شعبة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا عضوضا » ٠

وقد ذكر شعبة تفصيل هذه الثلاثين سنة ، مخرجها من خلافة الأربعة ، وقد بينا دخول خلافة الحسن ، وكانت نحوا من ستة أشهر فيها أيضا ٠٠ ثم صار الملك الى معاوية لما سلم الأمر اليه الحسن بن على ٠٠ وهذا الحديث فيه المنع من تسمية معاوية خليفة ، وبيان أن الخلافة قد انقطعت بعد الثلاثين سنة ، لا مطلقا ، بل انقطع تتابعها ، ولا يخفى وجود خلفاء راشدين بعد ذلك كما دل عليه حديث جابر بن سمرة ٠

ـ وروى نعيم بن حماد عن حذيفة بن اليمان قال : يكون بعد عثمان اثنا عشر ملكا من بنى أمية ، قيل له خلفاء ؟ ٠٠ قال : لا ، بل ملوك ٠

ـ وروى البيهقى عن أبى عمر قال : كان أبو الجلد جارا لى ، فسمعته يقول : يحلف عليه : ان هذه الأمة لن تهلك حتى يكون فيها اثنا عشر خليفة ، كلهم يعمل بالهدى ودين الحق ، منهم رجلان من أهل البيت : أحدهما يعيش أربعين سنة ، والآخر ثلاثين سنة ٠

ثم شرع البيهقى فى رد ما قاله أبو الجلد بما لا يحصل به الرد ، وهذا عجيب منه ، وقد وافق أبا الجلد طائفة من

العلماء ، ولعـل قوله أرجح كما ذكرنا ، وقد كان ينظر فى الكتب المتقدمة ·· وفى التوراة التى بيـد أهـل الكتـاب ما معناه : ان الله تعالى بشر ابراهيم باسماعيل ، وانه ينميه ويكثره ويجعل من ذريته اثنى عشر عظيما ·· قال شـيخنا العلامة أبو العباس ابن تيمية : وهؤلاء المبشر بهم فى حديث جابر بن سمرة ·· وقرر أنهم يكونون مفرقين فى الأمة ، ولا تقوم الساعة حتى يوجدوا ·

وغلط كثير ممن تشرف بالاسلام من اليهود فظنوا أنهم الذين تدعو اليهم فرقة الرافضة فاتبعوهم ·

وقد روى نعيم بن حمـاد عن كعب قال : ان الله وهب لاسماعيل من صلبه اثنى عشر قيما ، أفضـلهم : أبـو بكر وعمر وعثمان ·

وروى أيضا عن يحيى بن عمرو الشيبانى قال : ليس من الخلفاء من لم يملك المسجدين : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ·

« اشارته صلى الله عليه وسـلم » الى مالك بن أنس إمام دار الهجرة » :

روى الترمذى من حديث ابن عيينة عن أبى هريرة : « يوشك أن يضرب الناس أكباد الابل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة » ·

قال الترمذى : هذا حديث حسن ·

وقد روى عنه انه قال : هـو مالك بن أنس ·· وكذا قال ابن عبد الرزاق · قلت : وقد توفى مالك ـ رحمه الله ـ سنة تسع وسبعين ومائة ·

اشارته صلى الله عليه وسلم الى محمد بن ادريس الشافعي :

روى أبو داود الطيالسي عن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا قريشا ، فان عالمها يملأ الأرض علما » .. اللهم انك أذقت أولها وبالا ، فأذق آخرها نوالا » .

وقد رواه الحاكم من طريق أبي هريرة .. وقال الحافظ أبو نعيم الاصبهاني . هو الشافعي قلت : وقد توفى الشافعي ــ رحمه الله ــ في سنة أربع ومائتين .

★ اخباره ــ صلى الله عليه وسلم ــ بظهور النار التي كانت بأرض الحجاز :

وقد ظهرت هذه النار التي كانت بأرض الحجاز حتى أضاءت لها أعناق الابل ببصرى وقد وقع هذا في سنة أربع وخمسين وستمائة .

ــ روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الابل ببصرى » .

وقد ذكر أهل التاريخ وغيرهم من الناس ، وتواتر وقوع هذا في سنة أربع وخمسين وستمائة .

قال الشيخ الامام الحافظ ، شيخ الحديث وامام المؤرخين في زمانه ، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل ، الملقب بأبي شامة ، في تاريخه : انها ظهرت يوم الجمعة في خامس جمادى الآخر ، سنة أربع وخمسين وستمائة ، وانها استمرت شهرا لا أزيد عنه .

وذكر كتبا متواترة عن أهل المدينة في كيفية ظهورها شرق المدينة من ناحية وادى الشظى ، تلقاء أحد ، وأنها ملأت تلك الأودية ، وأنه يخرج منها شرر يأكل الحجاز :

وذكر أن المدينة زلزلت بسببها ، وأنهم سمعوا أصواتا مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام وكان ذلك مستهل الشهر يوم الاثنين ، فلم تزل ليلا ونهارا حتى ظهرت يوم الجمعة ، فانبجست «انفجرت» تلك الأرض عند وادى الشظى عن نار عظيمة جدا ، صارت طوله أربعة فراسخ بمعنى مقياس قديم من مقاييس الطول ، وعمقه قامة ونصف ، يسيل الصخر حتى يبقى مثل الآنك « الرصاص الأسود » ثم يصير كالفحم الأسود .. وذكر أن ضوءها يمتد الى تيماء بحيث كتب الناس على ضوئها فى الليل ، وكأن فى بيت كل منهم مصباحا ، ورأى الناس سناها من مكة شرفها الله . قلت : وأما بصرى ، فأخبرنى قاضى القضاة صدر الدين على ابن أبى قاسم التيمى الحنفى قال :

أخبرني والدى . وهو الشيخ صفى الدين، أحد مدرسى بصرى — أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة تلك الليلة ، من كان بحاضرة بلد بصرى ، انهم رأوا صفحات أعناق ابلهم فى ضوء تلك النار التى ظهرت من أرض الحجاز .

وقد ذكر الشيخ شهاب الدين ، أن أهل المدينة لجئوا فى هذه الأيام الى المسجد النبوى وتابوا الى الله من ذنوب كانوا عليها ، واستغفروا مما سلف منهم ، واعتقوا الغلمان وتصدقوا على فقرائهم ومجاريحهم، وقد قال قائلهم فى ذلك :

يا كاشف الضر صفحا عن جرائمنا
فقد أحاطت بنا يا رب بأساء

نشكو اليك خطوبا لا نطيق لها
حملا ونحن بها حقا أحقاء

زلازل تخشع الصم الصلاد لها
وكيف تقوى على الزلزال صماء

آقام سبعا يرجع الأرض فانصرعت
عن منظر منه عين الشمس عسراء

بحر من النار تجرى فوقه سفن
من الهضاب لها فى الأرض ارساء

يرى لها شرر كالقصر طائشة
كأنها ديمة تنصت هطلاء

تنشق منها قلوب الصخر ان زفرت
رعبا وترعد مثل الشهب أضواء

منها تكاشف فى الجو الدخان الى
آن عادت الشمس منه وهى دهماء

قد أثرت سعفة في البدر لفحتها
قليلة التم بعد النور ليلاء

فيالها آية من معجزات رسول
الله يعقلها القوم الألباء

ومما قيل فى هذه النار، مع غرق بغداد فى هذهالسنة :

سبحان من أصبحت مشيئته
جارية فى الورى بمقدار

أغرق بغداد بالمياه كما
أحرق أرض الحجاز بالنار

★ اخباره ــ صلى الله عليه وسلم ــ بما سيكون من نساء كاسيات عاريات :

روى الامام أحمد عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان طالت بك مدة أوشكت أن ترى قوما يغدون فى سخط الله ويروحون في لعنته ، في أيديهم مثل أذناب البقر » •

ورواه مسلم من طريق زهير بن حرب ·

وروى مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « صنفان من اهل النار لم ارهم : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت بمعنى ارتفاع الغدائر فوق رؤوسهن وجمع عقائصها هناك وتكثرها بما يضفرنه حتى تميل اليه ناحية من جوانب الرأس كما يميل السنام المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » ·

وهذان الصنفان وهما : الجلادون الذين يسمون بالرجالة وهو خلاف الفارس والجاندارية ، كثيرون فى زماننا هذا ومن قبله وقبل قبله بدهر ·

والكاسيات العاريات، أى عليهن لبس لا يوارى سوآتهن، بل هو زيادة فى العورة ، وابراء للزينة ، مائلات فى مشيتهن، مميلات غيرهن اليهن ·· وقد عم البلاء بهن فى زماننا هذا ومن قبله أيضا ·· وهذا من أكبر دلالات النبوة اذ وقع الأمر طبق ما أخبر به ﷺ ··

أخباره صلى الله عليه وسلم بما سيكون من قتال المسلمين بعضهم بعضا :

روى الامام أحمد عن طلحة بن عمرو البصرى ، أنه قدم المدينة على رسول الله ﷺ فبينما هو يصلى اذا آتاه رجل فقال : يا رسول الله ، أحرق بطوننا التمر ، وتخرقت عنا الخنف بمعنى (جمع خنيف) وهو نوع غليظ من أردأ الكتان، أردأ ثيابا تعمل منه كانوا يلبسونها ·

قال : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« لقد رأيتنى وصاحبى وما لنا طعم غير البرير بمعنى (التمر الأراك) حتى أتينا اخواننا من الأنصار فأسرنا من

طعامهم ، وكان طعامهم التمر ، والذى لا اله الا هو لو قدرت لكم على الخبز والتمر لاطعمتكموه ، وسيأتى عليكم زمان ، أو من أدركه منكم ، يلبسون مثل أستار الكعبة ، ويغدى ويراح عليكم بالجفان (جمع جفنة ، وهى القصعة) .

قالوا يا رسول الله ، أنحن يومئذ خير أم اليوم ؟

قال : « بل أنتم اليوم خير ، أنتم اليوم اخوان ، وأنتم يومئذ يضرب بعضكم رقاب بعض » .

وروى سفيان الثورى أن رسول الله ﷺ قال : « اذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم ما سلط الله بعضهم على بعض » وقد أسنده البيهقى من طريق موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر عن النبى ﷺ المطيطاء : المشى فى تبختر وعجب .

رابعا : فى معجزات الأنبياء :

★ موازنة الأنبياء فى فضائلهم بفضائل محمد ﷺ ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتى محمد ﷺ .

● لماذا هذه المقارنة ؟

ذكر غير واحد من العلماء أن كل معجزة لنبى من الأنبياء فهى معجزة لخاتمهم محمد ﷺ ، وذلك أن كلا منهم بشر بمبعثه ، أمر بمتابعته ، كما قال تعالى :

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾

آل عمران : ٨٢

وقد ذكر البخارى وغيره عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ أنه قال : ما بعث الله نبيا من الأنبياء الا آخذ عليه العهد والميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به وليتبعنه ولينصرنه .

وذكر غير واحد من العلماء أن كرامات الأولياء معجزات للأنبياء ، لأن الولى انما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه ، وثواب ايمانه .

وقد روى البيهقى فى (دلائل النبوة) ، عن عمر بن سواد قال : قال الشافعى : مثل ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا ﷺ .. فقلت : أعطى عيسى احياء الموتى ..

قال : أعطى محمدا ﷺ الجذع الذى كان يخطب الى جنبه حين بنى المنبر ، حن الجذع حتى سمع صوته .. فهذا أكبر من ذلك .. هذا لفظة ــ رضى الله عنه ــ والمراد من ما نذكره فى هذا الكلام البينة على ما أعطى الله أنبياءه ــ عليهم السلام ــ من الآيات البينات والخوارق القاطعات، والحجج الواضحات ، وأن الله جمع لعبده ورسوله سيد الأنبياء وخاتمهم ، من جميع أنواع المحاسن والآيات ، مع ما خصه الله به بما لم يؤت أحدا قبله .. وقد وقفت على فصل مليح فى هذا المعنى ، فى كتاب «دلائل النبوة» للحافظ ابن نعيم ، عقد فيه فصلا فى هذا المعنى .. وكذا ذكر ذلك الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فى كتابه « دلائل النبوة » وهو كتاب جليل حافل ، اشتمل على فرائد نفيسة .. وكذا الصرصرى الشاعر يورد فى بعض قصائده أشياء من ذلك كما سيأتى .. وها أنا أذكر بعون الله مجامع ما ذكرنا من هذه الأماكن المتفرقة بأوجز عبارة وأقصر اشارة وبالله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم .

فى معجزات نوح ــ عليه السلام ــ :

قال تعالى :

فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ

من سورة القمر ١٠ ــ ١٥

قال شيخنا العلامة أبو المعالى محمد بن علي الأنصار الزملكانى ، ومن حظه فقلت : وبيان أن كل معجزة لنبى فلنبينا أمثالها اذا تم يستدعى كلاما طويلا ، وتفصيلا لا يسعه سجيلات عديدة ولكن ننبه البعض على البعض ، فلتذكر جلائل معجزات الأنبياء ــ عليهم السلام ــ :

فمنها نجاة نوح فى السفينة بالمؤمنين ، ولا شك أن حمل الماء الناس من غير سفينة أعظم من السلوك عليه فى السفينة ، وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء ، وفى قصة العلاء بن زيادة صاحب رسول الله ﷺ ما يدل على ذلك ٠

قصة العلاء بن الحضرمى :

روى البيهقى عن آنس بن مالك : قال : أدركت فى هذه الأمة ثلاثا ، لو كانت فى بنى اسرائيل لما تقاسمها الأمم ٠٠ وفيه : ثم جهز عمر بن الخطاب جيشا واستعمل عليهم العلاء ابن الحضرمى ، قال أنس : وكنت فى غزاته ، فأتينا مغازينا ، فوجدنا القوم قد بدروا بنا فعضوا بمعنى (أى زالوا وأمحوا) أثار الماء والحر شديد ، فجهدنا العطش ودوابنا ، وذلك اليوم الجمعة ، فلما مالت الشمس لغربها صلى بنا ركعتين ، ثم مد يده الى السماء وما نرى شيئا قال :

فوالله ما حط يده حتى بعث الله ريحا وأنشأ سحابا ، وأفرغت حتى ملأت الغدران والشعاب ، فشربنا وسقينا ركابنا وأسقينا .

قال : ثم أتينا عدونا وقد جاوز خليجا في البحر الى الجزيرة ، فوقف على الخليج .

وقال : يا علي يا عظيم ، يا حليم يا كريم .. ثم قال : أجيزوا باسم الله ..

قال : فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا ، فلم نلبث الا يسيرا ، فأصبحنا والعدو عليه ، فقتلنا وأسرنا وسبينا ثم أتينا الخليج فقال مثل مقالته ، فأجزنا الماء ما يبل الماء حوافر دوابنا .

ثم ذكر موت العلاء ودفنهم اياه في أرض لا تقبل الموتى ، ثم انهم حضروا عليه لينقلوه منها الى غيرها ، فلم يجدوه ، واذا اللحد يتلألأ نورا ، فأعادوا عليه التراب ثم ارتحلوا .

● **قصة أبي مسلم الخولاني :**

روى البيهقي عن سليمان بن المغيرة أن أبا مسلم الخولاني جاء الى دجلة ، وهي ترمي الخشب من مدها ، فمشى على الماء والتفت الى أصحابه وقال : هل تفقدون من متاعكم شيئا فندعو الله تعالى ، قال البيهقي : هذا اسناد صحيح .

قلت : وقد ذكر الحافظ الكبير ، أبو القاسم بن عساكر ، في ترجمة أبي عبد الله بن أيوب الخولاني ، هذه القصة بأبسط من هذه : عن محمد بن زياد عن أبي مسلم الخولاني أنه كان اذا غزا أرض الروم فمروا بنهر قال : أجيزوا باسم الله .

قال : ويمر بين أيديهم فيمرون على الماء ، فما يبلغ من الدواب الا الى الركب ، أو في بعض ذلك ، أو قريبا من ذلك .

قال : واذا جازوا قال للناس : هل ذهب لكم شيء ؟ ٠٠ من ذهب له شيء ، فأنا ضامن ٠٠

قال : فألقى رجـل مخـلاة عمدا ، فلما جاوزوا قال الرجل : مخلاتى وقعت فى النهر ٠ قال له : اتبعنى ٠٠ فاذا المخلاة قد تعلقت ببعض اعواد النهر ٠٠ فقال : خذها ٠

وقد أورد الحافظ بن كثير طرقا لهذه القصة ثم قال : فهذه الكرامات لهؤلاء الأولياء هي معجزات لرسول الله ﷺ كما تقدم تقريره ، لأنهم انما نالوها ببركة متابعته ـ وهى مشابهة لمعجزة نوح ـ عليه السلام ـ فى سيره فوق الماء بالسفينة التى أمره الله تعالى بعملها ، ومعجزة موسى ـ عليه السلام ـ فى فلق البحر ٠٠ وهذه فيها ما هو أعجب من ذلك، من جهة سيرهم على متن الماء من غير حائل ٠

والمقصود ان ما ذكرناه من قصة العلاء بن الحضرمى ، وأبى مسلم الخولانى ، ومن معهم ، فلم يفقد منهم أحد، ولم يفقدوا شيئا من أمتعتهم ، هذا وهم اولياء ، فما الظن لو كان الاحتياج الى ذلك بحضرة رسول الله ﷺ سيد الأنبياء وخاتمهم، واعلاهم منزلة ليلة الاسراء ، وامامهم ليلتئذ ببيت المقدس ، الذى هو محل ولايتهم ، ودار بياتهم ، وخطيبهم يوم القيامة ، وأعلاهم منزلة فى الجنة ، وأول شافع فى الحشر ؟؟ وسنذكر من المعجزات الموسوية ما ورد من المعجزات المحمدية مما هو أظهر وأبهر منها ، ونحن الآن فيما يتعلق بمعجزات نوح ـ عليه السلام ـ ولم يذكر شيخنا سوى ما تقدم ٠

وأما الحافظ أبو نعيم ، فانه قال فى آخر كتابه « دلائل النبوة » :

الفصل الثالث والثلاثون فى ذكر موازنة الأنبياء فى فضائلهم بفضائل نبينا ، ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتى ـ عليه السلام ـ اذ أوتى ما أوتوا وشبهه ونظيره ، فكان أول الرسل نوح ـ عليه السلام ـ ، وآيته التى أوتى :

شفاء غيظه واجابة دعوته ، فى تعجل نقمة الله لمكذبيه ، حتى هلك من على بسيط الأرض من صامت وناطق ، الا من آمن به ودخل معه سفينته ·· ولعمرى انها آية جليلة ، وافقت سابق قدر الله وما قد علمه فى هلاكهم ـ وكذا نبينا ﷺ بما كذبه قومه وبالغوا في ايذائه ، والاستهانة بمنزلته من الله عز وجل ، حتى ألقي السفيه عقبة بن أبى معيط سلى (غشاء رقيق يحيط بالجنين ويخرج معه من بطن آمه) الجزور على ظهره وهو ساجد ، فأتت فاطمة ، عليها السلام، فطرحته عن ظهره ، ثم أقبلت عليهم تسبهم ، فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته رفع يديه فقال : اللهم عليك بالملأ من قريش ثم سمى فقال : « اللهم عليك بأبى جهل ، وعتبة ، وشيبة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبى معيط وعمارة بن الوليد » ·

قال ابن مسعود : فوالذى بعثه بالحق لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ، ثم سمى فقال الى القليب ، قليب بدر ·

● وكذلك لما قتلت قريش يوم بدر فى عددها وعدتها فحين عاينهم رسول الله ﷺ قال رافعا يديه : « اللهم هذه قريش جاءتك بفخرها وخيلائها ، تجادل وتكذب رسولك اللهم أصبهم الغداة » ·· فقتل من سراتهم سبعون ، وأسر من أشرافهم سبعون ، ولو شاء الله لاستأصلهم عن آخرهم ، ولكن من حلم وشرف نبيه أبقى منهم من سبق فى قدره أن سيؤمن به وبرسوله ﷺ ·

● وقد دعا على عتبة بن أبى لهب أن يسلط عليه كلبه بالشام ، فقتله الأسد عند وادى الزرقاء قبل مدينة بصرى ·· وقال الامام الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فى كتاب « دلائل النبوة » وهو كتاب حافل :

ذكر ما أوتى نوح من الفضائل ، وبيان ما أوتى محمد ﷺ مما يضاهى فضائله ويزيد عليها ·· ان قوم نوح لما

بلغوا من أذيته والاستخفاف به ، وترك الايمان بما جاءهم به من عند الله دعا عليهم فقال :

« رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا »
نوح : ٢٦

فاستجاب الله دعوته ، وغرق قومه ، حتى لم يسلم شيء من الحيوانات والدواب الا من ركب السفينة ، وكان ذلك فضيلة أوتيها ، اذ أجيبت دعوته ، وشفى صدره باهلاك قومه ..

قلنا : وقد أوتى محمد ﷺ مثله عندما ناله من قريش ما ناله من التكذيب والاستخفاف ، فأنزل الله اليه ملك الجبال وأمره بطاعته فيما يأمره به من اهلاك قومه ، فاختار الصبر على أذيتهم ، والابتهال فى الدعاء لهم بالهداية .

قلت : وهذا أحسن — وقد ذكرت عائشة — رضي الله عنها — ، فى قصة ذهابه ﷺ الى الطائف ، فدعاهم فآذوه فرجع وهو مهموم ، فلما كان عند قرن الثعالب فأتاه ملك الجبال فقال :

يا محمد ، ان ربك قد سمع قول قومك وماردو به عليك ، وقد أرسلنى اليك لأفعل ما تأمرنى به ، فان شئت أطبقت عليهم الأخشبين — يعنى جبلى مكة اللذين يكتنفانها جنوبا وشمالا : أبو قبيس والأحمر . فقال : « بل استأنى بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من لا يشرك بالله شيئا » .

وقد ذكر الحافظ أبو نعيم فى مقابله قوله تعالى :

« فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر »
القمر : ١٠

أحاديث الاستسقاء عن أنس وغيره ، كما تقدم ذكرها ، أنه لما سأله ذلك الاعرابى أن يدعو الله لهم ، لما بهم من الجدب والجوع ، فرفع يديه فقال « اللهم اسقنا ، اللهم

اسقنا » فما نزل عن المنبر حتى رؤى المطر يتحادر على لحيته الكريمة . فاستحضر من استحضر من الصحابة رضى الله عنهم ـ قول عمه أبى طالب فيه :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده فى نعمة وفواضل

وكذلك استسقى فى غير ما موضع للجدب والعطش ، فيجاب كما يريد على قدر الحاجة المائية ولا ازيد ولا انقص ، وهكذا أوقع وأبلغ فى المعجزة .. وأيضا فان هذا ماء رحمة ونعمة ، وماء الطوفان ماء غضب ونقمة .. وأيضا فان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كان يستسقى بالعباس عم النبى ﷺ فيسقون ، وكذلك مازال المسلمون فى غالب الأزمان والبلدان يستسقون فيجابون فيسقون ، وغيرهم لا يجابون غالبا ولا يسقون ، ولله الحمد .

قال أبو نعيم : ولبث نوح فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما ، فبلغ جميع من آمن به رجالا ونساء الذين ركبوا معه سفينته ، دون مائة نفس ، وآمن بنبينا فى مدة عشرين سنة الناس شرقا وغربا ، ودانت له جبابرة الأرض وملوكها ، وخافت زوال ملكهم ككسرى وقيصر ، وأسلم النجاشى رغبة فى دين الله ، والتزم من لم يؤمن به من عظماء الأرض فدفع الجزية والاياد عن صغار ، أهل نجران ، وهجر ، وأيله وأكيد دومة ، فنزلوا له منقادين لما أيده الله به من الرعب الذى يسير بين يديه شهرا ، وفتح الفتوح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، كما قال تعالى :

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ③﴾

النصر ١ ـ ٣

قلت : مات رسول الله ﷺ وقد فتح الله له المدينـــة ، وخيبر ، ومكة ، واكثر اليمن ، وحضرموت ، وتوفى عن مائة ألف صحابى أو يزيدون •• وقد كتب فى آخر حياته الكريمة الى سائر ملوك الارض يدعوهم الى الله ــ عز وجل ، ، فمنهم من أجاب ، ومنهم من صانع ودارى نفسه ، ومنهم من تكبر فخاب وخسر ، كما فعل كسرى بن هرمز حين عتـا وبغى وتكبر ، فمزق ملكه ، وتفرق جنده شذر مذر (أى ذهبـوا مذاهب شتى مختلفين) •• ثم فتح خلفـــاؤه من بعده : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ، التالى على الأثر ، مشارق الأرض ومغاربها ، من البحر الغربى الى البحر الشرقى ، كما قال ﷺ : « زويت لى الأرض فرأيت مشـارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها » •

وقال ﷺ « اذا أهلك قيصر فلا قيصر بعده ، واذا أهلك كسرى فلا كسرى بعده والذى نفسى بيده لتنفقن كنـوزهما فى سبيل الله •

وكذا وقع سواء بسواء ، فقد استولت الممالك الاسلامية على ملك قيصر وحواصله ، الا القسطنطينية ، وجميع ممالك كسرى وبلاد المشرق ، والى أقصى بلاده المغرب ، الى آن قتـل عثمان ــ رضى الله عنه ــ فى سنة ستة وثلاثين ••

فكما عمت جميع أهل الأرض النقمة بدعوة نوح ــ عليه السلام ــ لما رآهم عليه من التمـادى فى الضـلال والـكفر والفجور ، فدعا عليهم غضبا لله ولدينه ورسالته ، فاستجاب الله له ، وغضب لغضبه ، وانتقم منهم بسببه ، كذلك عمت جميع أهل الأرض النعمة ببركة رسالة محمد ﷺ ودعوته ، فآمن من آمن من الناس ، وقامت الحجة على من كفر منهـم كما قال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

الأنبياء ١٠٧

وروى هشـام بن عمـار فى كتاب « البعث » عن ابن عباس فى قوله : (وما أرسلناك الا رحمة للعـالمين) قال : آمن بالله ورسله تمت له الرحمة فى الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسله عد فيمن يستحق تعجيل ما كان يصيب الأمم قبل ذلك من العذاب والفتن والقذف والخسف .

كما قال تعالى :

« ألم تر الى الذين بدلوا نعمـة الله كفـراً وأحلوا قومهم دار البوار »

ابراهيم : ٢٨

قال ابن عباس : النعمة محمد ، والذين بدلوا نعمة الله كفرا كفار قريش ، يعني وكذلك كل من كذب به من سائر الناس ، كما قال تعالى :

وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

هـود : ١٧

قال أبو النعيم : فان قيل : قد سمى الله نوحا ـ عليـه السلام ـ باسم من أسائه الحسنى ، فقال :

ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا

الاسراء : ٣

قلت : وقد سمى الله محمد ﷺ باسمين من أسـمائه ، فقال :

بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾

التوبة : ١٢٨

قال : وقد خاطب الله الأنبيـاء بأسـمائهم : يا نوح ، يا ابراهيم ، يا موسى ، يا داود ، يا يحيى ، يا عيسى ، وقال مخاطبا لمحمد ﷺ يأيها الرسول ، يأيها النبى ، يأيها المزمل ، يأيها المدثر وذلك قائم مقام الكنية بصفة الشرف .

ـ ولما نسب المشركون أنبياءهم الى السفه والجنـون ، كل أجاب عن نفسه ، قال نوح :

قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

الاعراف : ٦٧

وكذلك قال هود ـ عليه السلام ـ ولما قال فرعـون :

وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾

الاسراء : ١٠١

وقال موسى :

قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾

الاسراء : ١٠٢

وأما محمد ﷺ فان الله تعالى هو الذى يتولى جـوابهم عنه بنفسه الكريمة ، كما قال :

قال تعالى :

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾

الحجر ٦ ـ ٨

وقال تعالى :

وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾

قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾

الفرقان : ٥، ٦

وقال تعالى :

أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

الطور : ٣٠ ، ٣١

وقال تعالى :

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾

الحاقة : ٤١ ـ ٤٣

وقال تعالى :

وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

القلم : ٥١ ، ٥٢

وفى معجزات هود ـ عليه السلام :

قال أبو نعيم ما معناه : ان الله تعالى أهلك قوم هود بالريح العقيم ، وقد كانت ريح غضب ، ونصر الله تعالى محمدا بالصبا يوم الأحزاب ، كما قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾

الأحزاب : ٩

ثم روى عن ابن عباس قال : لما كان يوم الأحزاب إنطلقت الجنوب الى الشمال فقالت : انطلق بنا ننصر محمدا رسول الله ﷺ فقالت الشمال للجنوب : ان الحرة لا ترى بالليل ، فأرسل الله عليهم الصبا .

ويشهد له قوله ﷺ « نصرت بالصبا . وأهلكت عاد بالدبور » .

فى معجزات صالح ـ عليه السلام :

قال أبو نعيم : فان قيل : فقد أخرج الله لصالح ناقة من الصخرة جعلها الله له آية وحجة على قومه ، وجعل لها شرب يوم ، ولهم شرب يوم معلوم ..

قلنا : وقد أعطى الله محمدا ﷺ مثل ذلك ، بل أبلغ ، لأن ناقة صالح لم تكلمه ، ولم تشهد له بالنبوة والرسالة ومحمد ﷺ شهد له البعير بالرسالة ، وشكا اليه ما يلقى من اهله من أنهم يمنعون عنه الطعام ويريدون ذبحه ، ثم ساق الحديث بذلك كما قدمنا .. وهو فى الصحاح والحسان والمسانيد .. وثبت الحديث فى الصحيح بتسليم الحجر عليه قبل أن يبعث ، وكذا سلام الأشجار والأحجار والمدر عليه قبل أن يبعث ﷺ .

فى معجزات ابراهيم ـ عليه السلام :

قال شيخنا العلامة أبو المعالى بن الزملكانى رحمه الله : واما خمود النار لابراهيم ـ عليه السلام ـ فقد خمدت نار فارس لمولد نبينا ﷺ ، وبينه وبين بعثته أربعون سنة ، وخمدت نار ابراهيم لمباشرته لها ، وخمدت نار فارس لنبينا وبينه وبينها مسافة وهكذا .

ثم قال شيخنا : مع أنه قد ألقى بعض هذه الأمة فى النار فلم تؤثر فيه ببركة نبينا ﷺ منهم أبو مسلم الخولانى . قال : بينما الأسود بن قيس العنسى باليمن ، فأرسل الى أبى مسلم فقال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم .. قال: أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمع .. فأعاد اليه ، قال : ما أسمع .. فأمر بنار عظيمة فأججت ، فطرح فيها أبو مسلم، فلم تضره ، فقيل له : لئن تركت هذا فى بلادك أفسدها عليك .. فأمر بالرحيل .. فقدم المدينة وقد قبض رسول الله ﷺ ، واستخلف أبو بكر ، فقام الى سارية من سوارى المسجد يصلى ، فبصر به عمر ، فقال : من أين الرجل ؟ قال : من اليمن .

قال : ما فعل الله بصاحبنا الذى حرق بالنار فلم تضره؟ قال : ذاك عبد الله بن أيوب : قال : نشدتك بالله ، أنت هو؟ قال : اللهم نعم .

فقبل عمر ما بين عينيه ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبى بكر الصديق وقال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الرحمن عليه السلام • وهذا السياق الذى أورده شيخنا بهذه الصفة رواه الحافظ ، ابو القاسم بن عساكر فى ترجمة أبى مسلم عبد الله بن أيوب فى تاريخه من غير وجه •

وروى الحافظ ابن عساكر أيضا ــ من غير وجه ــ عن أبى بشر جعفر بن أبى وحشيه ، أن رجلا أسلم ، فأراده قومه على الكفر ، فألقوه فى نار ، فلم يحترق منه الا أنملة لم يكن فيما مضى يصيبها الوضوء ، فقدم على أبى بكر فقال : استغفر لى •• قال : أنت أحق •• قال أبو بكر : أنت القيت فى النار فلم تحترق فاستغفر له ثم خرج الى الشام وكانوا يسمونه بابراهيم عليه السلام ، وهذا الرجل أبو مسلم الخولانى وهذه الرواية بهذه الزيادة انما تحقق أنه انما نال ذلك ببركة متابعته الشريعة المحمدية المطهرة المقدسة ، كما جاء فى حديث الشفاعة ، وحرم الله على النار أن تأكل مواضع السجود "

وقد نزل أبو مسلم بداريا من غربى دمشق ، وكان لا يسبقه أحد الى المسجد الجامع بدمشق وقت الصبح ، وكان يغازى ببلاد الروم ، وله أحوال وكرامات كثيرة جدا وقبره مشهور بداريا ، والظاهر أنه مقامه الذى كان يكون فيه ، فان الحافظ ابن عساكر رجح أنه مات ببلاد الروم فى خلافة معاوية ، وقيل : فى أيام ابنه يزيد ، والله أعلم • وقال شيخنا أبو المعالى : وأما القاؤه ــ يعنى ابراهيم عليه السلام ــ من المنجنيق ، فقد وقع فى حديث البراء بن مالك فى وقعة

مسيلمة الكذاب ، وأن أصحاب مسيلمة انتهوا الى حائط (بستان) حضير فتحصنوا به وأغلقوا الباب ، فقال البراء ابن مالك : ضعونى على برش واحملونى على رءوس الرماح ثم القونى من أعلاها داخل الباب ففعلوا ذلك وألقوه عليهم، فوقع وقام وقاتل المشركين وقتل مسيلمة • قلت : وقد ذكر ذلك مستقصى فى أيام الصديق ، حيث بعث خالد بن الوليد لقتال مسيلمة وبنى حنيفة ، وكانوا فى قريب من مائة ألف أو يزيدون ، وكان المسلمون بضعة عشر ألفا ، فلما التقوا جعل كثير من الأعراب يفرون ، فقال المهاجرون والأنصار : خلصنا يا خالد •• فميزهم عنهم ، وكان المهاجرون والأنصار قريبا من ألفين وخمسمائة ، فصمموا الحملة وجعلوا يتدابرون ويقولون : يا أصحاب سورة البقرة ، بطل السحر اليوم ، • فهزموهم باذن الله وألجئوهم الى حديقة هناك ، وتسمى حديقة الموت ، فتحصنوا بها ، فحصروهم فيها ، ففعل البراء بن مالك ، أخو أنس بن مالك ـ وكان الأكبر ـ ما ذكر من رفعه على الأسنة فوق الرماح حتى تمكن من أعلى سورها ، ثم ألقى نفسه عليهم ونهض سريعا اليهم ، ولم يزل يقاتلهم وحده ويقاتلونه حتى تمكن من فتح الحديقة ، ودخل المسلمون يكبرون وانتهوا الى قصر مسيلمة ، وهو واقف خارجه عند جدار كأنه جمل أزرق ، أى من سمرته ، فابتدره وحشى بن حرب الأسود ـ قاتل حمزة ـ بحربته ، وأبو دجانة سماك بن خرشة الأنصارى ـ وهو الذى ينسب اليه شيخنا هذا أبو المعالى بن الزملكانى ـ فسبقه وحشى ، فأرسل الحربة عليه من بعد فأنفذها منه ، وجاء اليه أبو دجانة فعلاه بسيفه فقتله ، لكن صرخت جارية من فوق القصر : واأميراه !! قتله العبد الأسود •• ويقال ان عمر مسيلمة يوم قتل ، مائة

وأربعون سنة لعنه الله ، فمن طال عمره وساء عمله قبحه الله ..

وهذا ما ذكره شيخنا فيما يتعلق بابراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ .

وأما الحافظ أبو نعيم فانه قال : فان قيل : فان ابراهيم اختص بالخلة مع النبوة ، قيل : فقد اتخذ الله محمدا خليلا وحبيبا ، والحبيب ألطف من الخليل ، ثم ساق حديث عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الله » وقد رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال : « لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكنه أخى وصاحبى ، وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا » .

وروى مسلم فى صحيحه عن جندب بن عبد الله قال : سمعت النبى ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « انى أبرأ الى الله ـ عز وجل ـ أن يكون لى بينكم خليل ، فان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد انى أنهاكم عن ذلك » .

وروى هشام بن عمار فى كتابه « البعث » عن عروة بن رويم النجمى أن رسول الله ﷺ قال : « ان الله أدرك بى الأجل المرقوم وأخذنى لقربه ، واحتضرنى احتضارا ، فنحن الآخرون ، ونحن السابقون يوم القيامة ، وأنا قائل قولا غير فخر : ان ابراهيم خليل الله ، وموسى صفى الله ، وأنا حبيب الله ، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وان بيدى لواء الحمد ، وأجارنى الله عليكم من ثلاث : أن لا يهلككم بسنه ، وأن لا يستبيحكم عدوكم ، وأن لا تجتمعوا على ضلالة » .

وأما الفقيه أبو محمد عبد الله بن حامد فتكلم على مقام الخلة بكلام طويل الى أن قال : ويقال الخليل الذى يعبد ربه على الرغبة والرهبة ، من قوله :

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

التوبة ١١٤

من كثرة ما يقول : أواه .. والحبيب الذى يعبد ربه على الرؤية والمحبة .. ويقال : الخليل الذى يكون معه انتظار العطاء ، والحبيب الذى يكون معه انتظار اللقاء . ويقال الخليل : الذى يصل بالواسطة من قوله :

وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾

الأنعام : ٧٥

والحبيب الذى يصل من غير واسطة ، من قوله :

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾

النجم : ٩

وقال الخليل :

وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا

الاسراء : ٨٢

وقال الله للحبيب محمد ﷺ :

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾

الفتح : ٤

وقال الخليل :

﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (٨٢)

الشعراء : ٨٢

وقال للنبى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٨)

التحريم : ٨

وقال الخليل حين ألقى فى النار : « حسبنى الله ونعم الوكيل » وقال الله لمحمد :

(يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)

الأنفال : ٦٤

وقال الخليل :

(انى ذاهب الى ربى سيهدين)

الصافات : ٩٩

وقال الله لمحمد :

(ووجدك ضالا فهدى)

الضحى : ٧

وقال الخليل :

(واجعل لى لسان صدق فى الآخرين)

وقال الله لمحمد :

(ورفعنا لك ذكرك)

الشرح : ٤

وقال الخليل :

(واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام)

ابراهيم : ٣٥

وقال الله للحبيب :

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَٰهِلِيَّةِ
الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ الزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾

الأحزاب : ٣٣

وقال الخليل :

(واجعلنى من ورثة جنة النعيم)

الشعراء : ٨٥

وقال الله لمحمد :

(انا أعطيناك الكوثر)

الكوثر : ١

وذكر أشياء أخرى ، وفى صحيح مسلم عن أبى بن كعب أن رسول الله ﷺ قال : « انى سأقدم مقاما يوم القيامة يرغب الى الخلق كلهم حتى أبوهم ابراهيم الخليل » فدل على أنه

أفضل اذا هو يحتاج اليه فى ذلك المقام ، ودل على أن ابراهيم أفضل الخلق بعده ، ولو كان أحد أفضل من ابراهيم بعده لذكره ٠

ثم قال أبو نعيم : فان قيل : ان ابراهيم عليه السلام حجب عن نمرود ويحجب ثلاثة فقد قيل كان كذلك ٠٠ قال الله تعالى فى أمره :

وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾

يس : ٩

فهذه ثلاث ٠٠ ثم قال :

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾

الاسراء : ٤٥

ثم قال :

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾

يس : ٨

فهذه خمس حجب ٠

وقد ذكر مثله سواء الفقيه أبو محمد بن حامد ، وما أدرى أيهما أخذ من الآخر والله أعلم وهذا الذى قاله غريب، والحجب التى ذكرها لابراهيم ــ عليه السلام ــ لا أدرى ما هى ؟! كيف وقد ألقاه فى النار التى نجاه الله منها ٠٠ أما ما ذكره من الحجب التى استدل عليها بهذه الآيات ، فقد

قيل : انها جميعها معنوية لا حسية ، بمعنى أنهم مصرفون عن الحق ، لا يصل اليهم ، ولا يخلص الى قلوبهم ، كما قال تعالى :

وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾

فصلت : ٥

وقد ذكرنا فى السيرة والتفسير أن أم جميل امرأة أبى لهب ، لما نزلت سورة المسد فى ذمها وذم روجها ، ودخولهما النار ، وخسارهما ، جاءت بفهر ــ وهــو الحجر الــكبير ــ لترجم النبى ﷺ ، فانتهت الى أبى بكر وهو جالس عنـــد النبى ﷺ فلم تر رســول الله ﷺ وقالت لأبى بكــر : أين صــاحبك ؟ فقال : وماله ؟ قالت : انه هجــانى ، فقــال : ما هجاك فقالت : والله لئن رأيته لأضربنه بهذا الفهر ٠٠ ثم رجعت وهى تقول : مذمما أبينا ، ودينه قلينا ، وأمــره عصينا ٠

وكذلك حجب ومنع أبا جهل حين هم أن يطأ برجله رأس النبى ﷺ وهو ساجد فرأى حدثا من نار وهــولا عظيمــا وأجنحة الملائكة دونه ، فرجع القهقرى ، وهو يتقى بيديه ، فقالت له قريش : مالك ؟ ويحك !! ٠٠ فأخبرهم بما رأى ، وقال النبى ﷺ : « لو دنا منى لاختطفتــه المــلائكة عضــوا عضوا » ٠

وكذلك لما خــرج رســول الله ﷺ ليلة الهجرة ، وقد أرصدوا على مدرجته وطريقــه ، وأرسلوا الى بيتــه رجالا يحرسونه لئلا يخرج ، ومتى عاينوه قتلوه ، فأمر عليا فنام على فراشه ، ثم خرج عليهم وهم جلوس ، فجعل يذر عــلى رأس كل انسان منهم ترابا ويقول : « شاهت (أى قبحت)

الوجوه » فلم يروه حتى صار وأبو بكر الصديق الى غار ثور كما بسطنا ذلك في السيرة وكذلك ذكرنا أن العنكبوت سد على باب الغار ليعمى الله عليهم مكانه ٠٠ وفى الصحيح أن أبا بكر قال : يا رسول الله ، لو نظر أحدهم الى موضع قدميه لأبصرنا ٠ فقال : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟! » وقد قال بعض الشعراء في ذلك :

نسج داود ما حمى صاحب الغار وكان الفخار للعنكبوت

وكذلك حجب ومنع من سراقة بن مالك حين اتبعهم ، بسقوط قوائم فرسه فى الأرض حتى أخذ منه أمانا ٠

وروى ابن اسحاق عن سراقة بن مالك قال : لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجرا الى المدينة ، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن يرده عليهم ، فبينما انا جالس فى نادى قومى اذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا ، والله لقد رأيت ركبه ثلاثة مروا على آنفا ، انى لأراهم محمدا واصحابه ٠

قال : فأومأت اليه بعينى ، أن أسكت ٠ ثم قلت : انما هم بنو فلان ، يبتغون ضالة لهم ٠٠ قال : لعله ٠٠ ثم سكت ٠ قال : ثم مكثت قليلا ، ثم قمت فدخلت بيتى ، ثم أمرت بفرسى ، فقيد لى من بطن الوادى ، وأمرت بسلاحى ، فأخرج لى من دبر حجرتى ، ثم أخذت قداحى التى أستقسم بها ، ثم انطلقت ، فلبست لأمتى (أداة الحرب كلها) ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذى أكره وكنت أرجو أن أرده على قريش ، فآخذ المائة ناقة ٠٠ قال : فركبت على أثره ، فبينما فرسى يشتد بى عثر بى ، فسقطت عنه ، فقلت : ما هذا ؟! ٠٠ ثم أخرجت قداحتى فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذى أكره « لا يضر » قال : أبيت الا أن أتبعه، فركبت فى أثره ، فلما بدا لى القوم ورأيتهم عثر بى فرسى،

فذهبت يداه فى الأرض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهما دخان كالاعصار .

قال : فعرفت حين ذلك أنه قد منع مني ، وأنه ظاهر ..
قال : فناديت القــوم ، فقلت : أنا سراقة بن جعشم ، انظرونى اكلمكم ، فوالله لا أريبكم ، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه ، قال : فقال رسول الله ﷺ لابى بكر : « قل له : وما تبتغى منا ؟ » قال : فقال ذلك ابو بكر .. قال : قلت : تكتب لى كتابا يكــون آية بينى وبينــك ، قال : « اكتب له يا أبا بكر» قال : فكتب لى كتابا عظيما فى عظم أو فى رقعة ، أو فى خرقة ثم ألقاه الى . وذكر ابن حامد فى كتابه ، فى مقابلة اجتماع ابراهيم ــ عليــه الســـلام ــ ولده للذبح مستسلما لأمر الله تعالى ، بذل رسول الله ﷺ نفسه للقتــل يوم أحد وغيره ، ونال منه العدو ما نال ، من هشم رأسه ، وكسر ثنيته اليمنى السفلى . ثم قال : قالوا كان ابراهيم ــ عليه السلام ــ ألقاه قومه فى النار فجعلها الله بردا وسلاما .. قلنا : وقد أتى محمد ﷺ مثله ، وذلك أنه لما نزل بخيبر سمته الخيبرية ، فصير ذلك السم فى جوفه بردا وسلاما الى منتهى أجله والسم عرق اذ لا يستقر فى الجوف كما تحرق النار .

قلت : ويؤيد ما قاله : أن بشر بن البراء بن معــــرور مات سريعا من تلك الشاة المسمومة ، وأخبر رسول الله ﷺ بما أودع فيه من السم ، وكان قد نهش منه نهشة ، وكان السم فيه أكثر ، لأنهم كانوا يفهمون أنه ﷺ يحب الذراع .. فلم يضره السم الذى حصل فى باطنه باذن الله ــ عز وجل ــ حتى انقضى أجله ﷺ فذكر انه وجد (أى حزن) حينئذ من الم ذلك السم الذى كان فى تلك الأكلة . ثم قال أبو نعيم : فان قيل : فان ابراهيم خصم نمرود ببرهان نبوته فبهته ، قال الله تعالى :

فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

البقرة : ٢٥٨

قيل : محمد ﷺ أتاه الكذاب بالبعث ـ أبى ابن خلف ـ بعظم بال ففركه وقال :

(قال من يحيى العظام وهى رميم)

يس : ٧٨

فأنزل الله تعالى البرهان الساطع :

« قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم »

يس : ٧٩

فانصرف مبهوتا ببرهان نبوته ٠

قلت : هـذا أقطع للحجة ، وهـو الاستدلال للمعادة بالبداءة ، فالذى خلق الخلق بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا، قادر على اعادتهم كما قال تعالى :

أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

يس : ٨١

أى يعيدهم كما بدأهم ، كما قال فى الآية الأخرى :

« انما أمره اذا أراد شـيئا أن يقول له كن فيكون »

يس : ٨٢

وقال :

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

الروم : ٢٧

هذا وأمر المعاد نظرى لا فطرى ضرورى فى قول الأكثرين ، فأما الذى حاج ابراهيم في ربه فانه معاند مكابر ، فان وجود الصانع مذكور فى الفطر ، وكل واحد مفطور على ذلك ، الا من تغيرت فطرته ، فيصير نظريا عنده — وبعض المتكلمين يجعل وجود الصانع من باب النظر لا الضروريات ، وعلى كل تقدير فدعواه أنه هو الذى يحيى الموتى ، لا يقبله عقل ولا سمع ، وكل واحد يكذبه بعقله فى ذلك ولهذا ألزمه ابراهيم بالاتيان بالشمس من المغرب ان كان كما ادعى :

«فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين»

البقرة : ٢٥٨

وكان ينبغى أن يذكر مع هذا أن الله تعالى سلط محمدا على هذا المعاند لما بارز النبى ﷺ يوم أحد ، فقتله بيده الكريمة ، طعنه بحربة فأصاب ترقوته فتردى عن فرسه مرارا .. فقالوا : ويحك ! مالك ؟

فقال : والله انى بى لما لو كان بأهل ذى الحجاز لماتوا أجمعين .. ألم يقل : بل أنا أقتله ؟ والله لو بصق على لقتلنى .. وكان هذا ، لعنه الله ، قد أعد فرسا وحربة ليقتل بها رسول الله ﷺ ، فقال « بل أنا أقتله إن شاء الله » .. فكان كذلك يوم أحد ثم قال أبو نعيم : فان قيل : فان ابراهيم — عليه السلام — كسر أصنام قومه غضبا لله .. قيل : فان

محمد ﷺ كسر ثلاثمائة وستين صنما ، قد ألزمها الشيطان بالرصاص والنحاس ، فكان كلما دنا منها بمحضرته تهوى من غير أن يمسها ، ويقول :

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾
الاسراء : ٨١ ..

فتتساقط لوجوهها ، ثم أمر بهن فأخرجن الى الميل ، وهذا أظهر وأجلى من الذى قبله .

وقد ذكر غير واحد من علماء السير أن الأصنام تساقطت أيضا لمولده الكريم وهذا أقوى وأبلغ فى المعجزة من مباشرة كسرها .. كما أن نار فارس التى كانوا يعبدونها خمدت ليلتئذ ولم تخمد قبل ذلك بألف عام .. وأنه سقط من شرفات قصر كسرى أربع عشرة شرفة ، مؤذنة بزوال دولتهم بعد هلاك أربعة عشر من ملوكهم فى أقصر مدة ، وكان لهم فى الملك قريب من ثلاث آلاف سنة .

وأما قوله تعالى :

« وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين »
الأنعام : ٧٥

والآيات بعدها ، فقد قال الله تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾

أول سورة الاسراء .

وقد ذكر ذلك ابن حامد فيما وقفت عليه بعد • وقد ذكر في أحاديث الاسراء ما شاهده رسول الله ﷺ ليلة أسرى به من الآيات فيما بين مكة الى بيت المقدس ، وفيما بين ذلك الى سماء الدنيا ، ثم عاين من الآيات فى السموات السبع ، وما فوق ذلك ، وسدرة المنتهى ، وجنة المأوى ، والنار التى هى بئس المصير والمثوى •

قال عليه أفضل الصلاة والسلام فى حديث المنام وقد رواه أحمد والترمذى وصححه وغيرهما : «فتجلى لى كل شىء وعرفت » • وقد ذكر ابن حامد فى مقابلة ابتلاء الله يعقوب ـ عليه السلام ـ بفقد ولده يوسف ـ عليه السلام ـ ، وصبره واستعانته ربه ـ عز وجل ، موت ابراهيم ابن رسول الله ﷺ وصبره عليه ، وقوله : « تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضى ربنا ، وانا بك يا ابراهيم لمحزونون » قلت وقد ماتت بناته الثلاث : رقيه ، وأم كلثوم ، وزينب ، وقتل عمه حمزة ، أسد الله وأسد رسول الله يوم أحد ، فصبر واحتسب •

وذكر فى مقابلة حسن يوسف ـ عليه السلام ـ ما ذكر من جمال رسول الله ﷺ ومهابته وحلاوته شكلا ، ونفعا وهديا ، ودلا ، وعينا •• كما قالت الربيع بنت مسعود : لو رأيته لرأيت الشمس طالعة •

وذكر فى مقابلة ما ابتلى به يوسف ـ عليه السلام ـ من الفرقة والغربة ، هجرة رسول الله ﷺ من مكة الى المدينة ، ومفارقته وطنه وأهله وأصحابه الذين كانوا بها •

القول فيما أوتى موسى ـ عليه السلام ـ من الآيات البينات :

وأعظمهن تسع آيات ، كما قال تعالى :

(ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات)

الاسراء : ١٠١

وقول السلف فيها ، واختلافهم فيها ، وأن الجمهور على أنها هى : العصا فى انقلابها حية تسعى ··· واليد ، اذا أدخل يده فى جيب درعه وأخرجها تضىء كقطعة قمر يتلألأ اضاءة ، ودعاؤه على قوم فرعون حين كذبوه ، فأرسل عليهم : الطوفان ، والجراد ، والقمل والضفادع ، والدم ، آيات مفصلات ·· وكذلك أخذهم الله بالسنين ، وهى نقص الحبوب ·· وبالجدب وهو نقص الثمار ·· وبالموت الذريع ، وهو نقص الأنفس ، وهو الطوفان فى قول ·

ومنها :فلق البحر لانجاء بنى اسرائيل واغراق آل فرعون ·· ومنها تضليل بنى اسرائيل فى التيه ، وانزال المن والسلوى عليهم واستسقاؤه لهم ، فجعل الله ماءهم يخرج من حجر يحمل معهم على دابة ، له أربعة وجوه : اذا ضربه موسى بعصا يخرج من كل وجه ثلاث أعين ، لكل سبط عين ، ثم يضربه فينقلع ، الى غير ذلك من الآيات الباهرات ، كما بسطنا ذلك فى التفسير ·

أما العصا ، فقد قال شيخنا العلامة ابن الزملكانى : وأما حياة عصا موسى ، فقد سبح الحصا فى كف رسول الله ﷺ وهو جماد ، والحديث فى ذلك صحيح ، وقد قدمنا ذلك مبسوطا بما يغنى عن اعادته · وقيل : انهن سبحن فى كف أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ، كما سبحن فى كف رسول الله ﷺ : « هذه خلافة النبوة » ·

وروى البخارى عن ابن مسعود قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ··

قال شيخنا : وكذلك قد سلمت عليه الأحجار ·

قلت : وهذا قد رواه مسلم عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ « انى لأعرف حجرا كان يسلم على بمكة قبل أن أبعث ، انى لأعرفه الآن » ··· قال بعضهم : هو الحجر الأسود ؟ ·

وروى الترمذى عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : كنت مع النبى ﷺ بمكة فى بعض نواحيها ، فما استقبله جبل ولا شجر الا قال : السلام عليك يا رسول الله ٠

ثم ذكر قصة اقبال الشجرتين لرسول الله ﷺ ، وقصة فرع النخلة الذى أتاه ﷺ وكذا حنين الجذع الذى كان يخطب الى جنبه حين فارقه ٠٠ وقال : قال شيخنا : فهذه جمادات ونباتات وقد حنت وتكلمت ، وفى ذلك ما يقابل انقلاب العصا حية ٠

قلت : سنشير الى هذا عند ذكر معجزات عيسى ـ عليه السلام ـ فى احيائه الموتى باذن الله تعالى فى ذلك ٠٠ كما رواه البيهقى عن عمرو بن سواد ٠

قال : قال لى الشافعى : ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا ﷺ ٠٠

فقلت : أعطى عيسى احياء الموتى ٠٠

فقال : أعطى محمد الجذع الذى كان يخطب الى جنبه حتى هيىء له المنبر ، فلما هيىء له حن الجذع حتى سمع صوته ، فهذا أكبر من ذلك ٠٠ وهذا اسناد صحيح الى الشافعى رحمه الله وهو مما كنت أسمع شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزنى رحمه الله ، يذكره عن الشافعى ، رحمه الله وأكرم مثواه ٠ وانما قال : فهذا أكبر من ذلك ، لأن الجذع ليس محلا للحياة ، ومع ذلك حصل له شعور ووجد لما تحول عنه الى المنبر فأنه حن حنين العشار حتى نزل اليه رسول الله ﷺ فاحتضنه وسكنه حتى سكن ٠

● قال شيخنا : وأما أن الله كلم موسى تكليما ، فقد حصل الكلام للنبى ﷺ ليلة الاسراء مع الرؤية ، وهو أبلغ ٠

أما الرؤية ففيها خلاف مشهور بين الخلف والسلف ، ونصرها من الأئمة أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة ،

المشهود له بامام الأئمة ، واختار ذلك القاضى عياض والشيخ محيى الدين النووى .

وجاء عن ابن عباس تصديق الرؤية ، وجاء عنه تفنيدها ، وكلاهما فى صحيح مسلم .. وفى الصحيحين عن عائشة انكار ذلك ، فعن ابن مسعود وأبى هريرة وعائشة ان المرئى فى المرتين المذكورتين فى أول سورة النجم انما هو جبريل ــ عليه السلام ..

وفى صحيح مسلم عن أبى ذر قال : قلت يا رسول الله هل رأيت ربك ؟

فقال : « نور أنى أراه ؟! » .

وفى رواية : « رأيت نورا » .

وهذا الذى ذكره شيخنا فيما يتعلق بالمعجزات الموسوية .. وأيضا فان الله تعالى كلم موسى وهو بطور سيناء وسأل الرؤية فمنعها .. وكلم محمدا ﷺ ليلة الاسراء وهو بالملأ الأعلى حين رفع لمستوى فيه صريف الأقلام ، وخصلت له الرؤية فى قول طائفة كبيرة من علماء السلف والخلف ، والله أعلم .

قال الله تعالى :

﴿ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ۝٢٢ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ۝٢٣ ﴾

طه : ٢٢ ــ ٢٣

وقال لمحمد :

﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ ﴾

آل عمران ١ ــ ٢

● أما اليد التى جعلها الله برهانا وحجة علـى فرعون وقومه ، كما قال تعالى بعد ذكر صيرورة العصا حية :

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾

النمل : ١٢

وقال تعالى :

اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾

القصص : ٣٢

قال فى سورة طه آية أخرى (لنريك من آياتنا الكبرى) فقد أعطى الله محمدا انشقاق القمر باشارته اليه فرقتين ، فرقة من وراء جبل حراء ، وأخرى أمامه كما تقدم بيان ذلك بالأحاديث المتواترة مع قوله تعالى :

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾

أول سورة القمر آية ١ ـــ ٢

ولا شك أن هذا أجل وأعظم وأبهر فى المعجزات وأعم وأظهر وأبلغ من ذلك ..

● وقال ابن حامد : قالوا : فان موسى أعطى اليد البيضاء .. قلنا لهم : فقد أعطى محمد ﷺ ما هـــو أفضـــل من ذلك

نورا كان يضىء عن يمينــه حيثما جلس وعن يســاره حيثما جلس يراه الناس كلهم ، وقد بقى فى ذلك النور الى قيــام الساعة ٠

وعن الطفيل بن عمرو الدوسى انه طلب من النبى ﷺ آية تكون له عونا على اسلام قومه من بيته هناك ، فسطع نور بين عينيه كالمصباح ، فقال : اللهم فى غــير هــذا الموضع ، فانهم يظنونه مثله ٠٠ فتحول النور الى طرف سوطه ، فجعلوا ينظرون اليه كالمصباح فهداهم الله على يديه ببركة رسول الله ﷺ وبدعائه لهم فى قوله : « اللهم اهد دوسا ، وآت بهم» ٠٠ وكان يقال للطفيل : ذو النورين لذلك ٠ وقد ذكرنا حديث أسيد بن حضير وعباد بن بشر فى خروجهما من عند النبى ﷺ فى ليلة مظلمة فأضاء لهما طــرف عصا أحدهما فلمــا افترقا أضاء لكل واحد منهما طرف عصــــاه ٠٠ وذلك فى صحيح البخارى وغيره ٠

● وأما دعاؤه ــ عليه السلام ــ بالطوفان ، وهو الموت الذريع فى قوله ، وما بعده من الآيات والقحط والجدب ، فانما كان ذلك لعلهم يرجعون الى متابعتــه ويقلعــون عن مخالفته فما زادهم الا طغيانا كبيرا ، قال الله تعالى :

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

الزخرف : ٤٨ ، ٤٩

وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾

الاعراف آية ١٣٢ ـ ١٣٦

وقد دعا رسول الله ﷺ عــلى قريش حين تمادوا عــلى مخالفته بسبع كسبع يوسف فقحطوا حتى أكلوا كل شيء ، وكان أحدهم يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجوع .. وقد فسر ابن مسعود قوله تعالى :

فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

الدخان : ١٠

بذلك ، كما رواه البخارى عنــه فى غيرما موضع من صحيحه ، ثم توسلوا اليــه ، صلــوات الله وســلامه عليه ، بقرابتهم منه ، مع انه بعث بالرحمــة والــرأفة فدعا لهم ، فأقلع عنهم ، ورفع عنهم العذاب ، وأخيرا نجوا بعدما كانوا قد أشرفوا على الهلكة :

● واما فلق البحر لموسى ــ عليه السلام ــ حين أمره الله تعالى حين تراءى الجمعان أن يضرب البحر بعصــاه فانفلق فكان كل فلق كالطود العظيم فانه معجزة عظيمــة باهــرة ،

وجبة ماهرة .. وفى اشارته ﷺ بيــده الكريمــة الى قمر السماء فانشق القمر فلقتين وفق ما سأل قريش ، وهم معــه جلوس فى ليلة البدر ، أعظم آية وايمن دلالة ، وأوضح حجة وأبهر برهانا على نبوته وجاهه عند الله تعالى .. ولم ينقل معجزة عن نبى من الأنبياء من الآيات الحسيات أعظم من هذا .. وهذا اعظم من حبس الشمس ليوشع بن نون حتى تمكن من الفتح ليلة السبت ..

وقد تقدم من سيرة العــلاء بن الحضرمى وأبى عبيــد الثقفى وأبى مسلم الخولانى وسير الجيوش التى كانت معهم على تيار الماء ومنها دجلة وهى جارية عجاجة تغترف الخشب من شدة جريها .

● واما تظليله بالغمام فى التيه .. فقد ظللت رسول الله ﷺ الغمامة التى رآها بحيــرا الراهب وهــو ابن ستى عشرة سنة ، صحبه عمه أبو طالب وهو قادم الى الشام فى تجارة .. وهذا أبهر من جهة انه كان وهو قبل أن يوحى اليه وكانت الغمامة تظلله وحده من بين أصحابه ، فهــذا أشد فى الاعتناء وأظهر من غمام بنى اسرائيــل وغــيرهم وأيضا فان المقصود من تظليل الغمام انما كان لاحتياجهم اليه من شدة الحر وقد سبق أن ذكرنا أنه حين سئل النبى ﷺ أن يدعو لهم ليسقوا ، لما هم عليــه من الجــوع والجهــد والقحط ، فرفع يديه وقال : « اللهم اسقنا اللهم اسقنا ».. قال أنس : ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار ، فأنشــأت من دعائه ســحابة مثل الترس ، فلما توســطت الســماء انتشرت ثم أمطرت .

قال أنس : فلا والله ما رأينا الشمس سبتا ولما ســألوه أن يستصحى (يطلب صحو السماء ، وذهاب الغيم والمطر) لهم رفع يده وقال : « اللهم حوالينا ولا علينا » ..

فما جعل يشير بيديه الى ناحية انحاز السحاب اليهم ، حتى صارت المدينة مثل الاكليل يمطر ما حولها ولا تمطر .. فهذا تظليل عام محتاج اليه ، أكثر من الحاجة الى ذلك ، وهو أنفع منه ، وهو بشير أبلغ فى المعجزات وأظهر فى الاعتناء .. والله أعلم .

وأما انزال المن والسلوى عليهم ، فقد كثر رسول الله ﷺ الطعام والشراب فى غير ما موطن كما تقدم من اطعام الجم الغفير من الشىء اليسير ، كما أطعم يوم الخندق من شويهه جابر بن عبد الله وصاعه الشعير ، أزيد من ألف نفس جائعة ، صلوات الله وسلامه عليه الى يوم الدين وقد ذكر أبو نعيم وابن حامد أيضا هنا ، أن المداد بالمن والسلوى ، انما هو رزق رزقوه من غير كد منهم ولا تعب .. ثم أورد فى مقابلته حديث تحليل المنعم ، ولا يحل لأحد قبلنا .. وحديث جابر فى السيرة ، الى أن أكلوا الخيط ، ؟ عن دابة تسمى العنبر ، فأكلوا منها ثلاثين من يوم وليلة حتى سمنوا وتكسرت بطونهم والحديث فى الصحيح ، وسيأتى ذكره المائدة فى معجزات المسيح ـ عليه السلام ..

وأما قوله تعالى :

﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

البقرة ٦٠

فقد ذكرت الأحاديث الواردة عن النبى ﷺ فى وضع يده فى ذلك الاناء الصغير الذى لم يسع بسطها فيه ، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه أمثال العيون .. وكذلك كثر الماء فى غير ما موطن .. وقد استسقى الله لأصحابه فى المدينة وغيرها ، فأجيب طلب السؤال وفق الحاجة لا أزيد ولا أنقص ،

وهذا أبلغ فى المعجزة ٠٠ ونبع الماء فى الحجر ، فانه محل لذلك ٠

قال أبو نعيم : فان قيل : ان موسى كان يضرب بعصاه الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا فى التيه ، قد علم كل أناس مشربهم ، قيل : كان لمحمد ﷺ مثله أو أعجب ٠٠ فان نبع الماء من الحجر مشهور فى العلوم والمعارف ، وأعجب من ذلك نبع الماء من بين اللحم والدم والعظم ، فكان يفرج بين أصابعه فى مخضب (اناء تغسل فيه الثياب) ،فينبع من بين أصابعه الماء فيشربون ويسقون ماء جاريا عذبا ، يروى الكثير من الناس والخيل والابل ٠٠ ثم روى عن عبد الرحمن ابن أبى عمرة الأنصارى عن أبيه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة غزاها ، فبات الناس فى مخمصة ، فدعا بركوة (اناء صغير يشرب فيه) ، فوضعت بين يديه ، ثم دعا بماء فصبه فيها ، ثم مج فيها وتكلم ما شاء الله أن يتكلم ، ثم أدخل اصبعه فيها ٠٠ فأقسم بالله لقد رأيت أصابع رسول الله ﷺ تتفجر منها ينابيع الماء ٠٠ ثم أمر الناس فسقوا وشربوا وملئوا قربهم واداواتهم ٠

حبس الشمس ليوشع بن نون :

وقد كان نبى بنى اسرائيل بعد موسى ــ عليه السلام ــ وهو الذى خرج ببنى اسرائيل من التيه ودخل بهم بيت المقدس بعد حصار ومقاتلة ، وكان الفتح قد ينجز بعد العصر يوم الجمعة ، وكادت الشمس تغرب ويدخل عليهم البيت فلا يتمكنون معه من القتال ، فنظر الى الشمس وقال : انك مأمورة وأنا مأمور ٠٠ ثم قا : « اللهم احبسها على ٠٠ فحبسها الله عليه حتى فتح البلد ، ثم غربت روى مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « غزا نبى من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعنى رجل قد ملك بضع امرأة (أى ملك فرجها بالنكاح) وهو يريد أن يبنى بها ٠ ولما يبن ولا آخر قد بنى بنيانا ، ولما يرفع سقفها ٠٠ ولا لآخر قد اشترى غنما »

أو خلفات (جمع خلفه) وهى الحامل من الابل ، وهو منتظر ولادتها ٠٠ قال : فغدا ، فأدى (أى قرب جيوشـــه وجمـــوعه للقرية ٠٠ وقد يكون المعنى : حان وقرب فتحها للقرية حتى صلاة العصر ، أو قريبـا من ذلك ، فقال للشـمس : أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها على شيئا ، فحبست عليه حتى فتح الله عليه) ٠٠

الحديث بطوله ٠٠ وهذا النبى هو يوشع بن نون، بدليل ما رواه الامام أحمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ان الشمس لم تحبس لبشر الا ليوشع ليالى سار الى بيت المقدس » تفرد به أحمد ، واسناده على شرط البخارى ٠

اذا علم هذا ، فانشقاق القمر فلقتين، حتى صارت فلقة من وراء الجبل ، أعنى حراء ، والأخرى من دونه ، أعظم فى المعجزة من حبس الشمس قليلا ٠

قال شيخنا العلامة أبو المعالى الزملكانى : وأما حبس الشمس ليوشع فى قتال الجيادين ، فقد انشق القمر لنبينا محمد ﷺ ، وانشقاق القمر فلقتين أبلغ من حبس الشمس عن سيرها ، وصحت الأحاديث وتواترت بانشـــقاق القمر ، وأنه كان فرقة خلف الجبل وفرقة أمامه ، وأن قريشا قالوا: هذا سحر أبصارنا ، فورد المسافرون وأخبروا أنهم رأوه مفترقا ٠٠ قال الله تعالى :

« اقتربت الساعة وانشق القمر »

القمر (١)

قال : وقد حبست الشمس لرسول الله ﷺ مرتين ٠

احداها : ما رواه الطحـاوى وقال : رواته ثقـات ، وسماهم وعدهم واحد واحـدا ٠٠ وهو أن النبى ﷺ كان

يوحى اليه ورأسه فى حجر على ــ رضى الله عنه ــ فلم يرفع رأسه حتى غربت الشمس . ولم يكن على صلى العصر ، فقال رسول الله ﷺ « اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس فرد الله عليه الشمس حتى رؤيت ، فقام على فصلى العصر ، ثم غربت » .

والثانية : صبيحة الاسراء ، فانه ﷺ أخبر قريشا عن مسراه من مكة الى بيت المقدس . فسألوه عن أشياء من بيت المقدس ، فجلاه الله له حتى نظر اليه ووصفه لهم .. وسألوه عن عير كانت لهم فى الطريق ، فقال « انها تصل اليكم مع شروق الشمس » .

فتأخرت ، فحبس الله الشمس عن الطلوع حتى كانت العصر .. روى ذلك ابن بكير فى زياداته على السيرة .

أما حديث رد الشمس ببيت على ــ رضى الله عنه ــ فقد تقدم ذكرنا له .. وهو مستنكر من جميع الوجوه .. وقد مال الى تقويته أحمد بن صالح المصرى الحافظ ، وأبو حفص الطحاوى ، والقاضى عياض ، وكذا صححه جماعة من الرافضة . ورده وحكم بضعفه آخرون من كبار حفاظ الحديث . ونقادهم .

وذكره الشيخ جمال الدين أبو فرج بن الجوزى فى كتابه « الموضوعات » .

وأما ما ذكره ابن بكير فى زياداته على السيرة ، من تأخر طلوع الشمس عن ابان طلوعها ، فلم ير لغيره من العلماء ، على أن هذا ليس من الأمور المشاهدة وأكثر ما فى الباب أن الراوى روى تأخير وقوعها ولم نشاهد حبسها عن وقته .

ما أعطى ادريس ـ عليه السلام ـ
وما أعطى ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ :

قال أبو نعيم : وأما القول فيما أعطى ادريس ـ عليه السلام ـ الرفعة التى نوه الله بذكرها فقال :

« ورفعناه مكانا عليا »

مريم ٥٧

القول فيه أن نبينا محمدا ﷺ أعطى أفضل وأكمل من ذلك ، لأن الله تعالى رفع ذكره فى الدنيا والآخرة فقال :

(ورفعنا لك ذكرك)

الشرح : ٤

فليس خطيب ، ولا شيخ ، ولا صاحب صلاة الا ينادى بها : أشهد أن لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، فقرن الله اسمه باسمه ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، وذلك مفتاح للصلاة ذلك ، قال « قال جبريل قال الله : اذا ذكرت ذكرت ، ورواه ابن جرير . وابن أبى حاتم .. ثم روى الله تعالى به من أمر السموات والأرض ، قلت : يارب انه لم يكن نبى قبلى الا قد كرمته ، جعلت ابراهيم خليلا ، وموسى كليما وسخرت لداود الجبال ، ولسليمان الريح والشياطين ، وأحييت لعيسى الموتى ، فما جعلت لى ؟ قال أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله ؟ أن لا أذكر الا ذكرت معى ، وجعلت صدور أمتك انا حين يقرأون القرآن ظاهر ولم أعطها أمة ، وأنزلت عليك كلمة من كنوز عرشى : لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وهذا اسناده فيه غرابة ولكن أورد له شاهدا من طريق أبى القاسم ابن بنت منيع البغوى ، عن ابن عباس مرفوعا بنحوه .

وقد رواه أبو زرعة الرازى فى كتابه « دلائل النبوة « سياق آخر وفيه انقطاع وقال بعض الأئمة : رفع الله ذكره ، وقرنه باسمه فى الأولين والآخرين ، وكذلك يرفع قدره ويقيمه مقاما محمودا يوم القيامة ، يغبطه به الأولون والآخرون ويرغب اليه الخلق كلهم حتى ابراهيم الخليل كما فى صحيح مسلم ٠

فأما التنويه بذكره فى الأمم الخالية ، والقرون السابقة ، ففى صحيح البخارى عن ابن عباس قال : ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به وليتبعنه ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته العهد والميثاق ، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتبعنه ٠

وقد بشرت بوجوده الأنبياء ـ حتى كان آخر من بشر به عيسى ابن مريم خاتم أنبياء بنى اسرائيل وكذلك بشرت به الاحبار والرهبان ، والكهان ولما كانت ليلة الاسراء رفع من سماء الى سماء حتى سلم على ادريس ـ عليه السلام ـ وهو فى السماء الرابعة ٠ ثم جاوزه الى الخامسة ٠ ثم الى السادسة ٠ فسلم على موسى بها ثم جاوزه الى السابعة فسلم على ابراهيم الخليل عند البيت المعمور ، ثم جاوز ذلك المقام فرفع لمستوى سمع فيه صريف الأقلام ، وجاء سدرة المنتهى ورآى الجنة والنار وغير ذلك من الآيات الكبرى ، وصلى بالأنبياء ، وشيعه من كل مقربوها وسلم عليه رضوان خازن الجنات ، ومالك خازن النار ، فهذا هو الشرف وهذه هى الرفعة ٠ وهذا هو التكريم والتنويه ، والاشهار والتقديم ، والعلو ، والعظمة ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين ٠

واما رفع ذكره فى الآخرين ، فان دينه باق وناسخ لكل دين ٠٠ ولا ينسخ هو آبد الأبدين ، ودهر الداهرين الى يوم

الدين ٠٠ ولا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة ٠٠ والنداء في كل يوم خمس مرات على كل مكان من الأرض : أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمد رسول الله ٠٠ وهكذا كل خطيب يخطب لابد أن يذكر في خطبته وما أحسن قول حسان :

أغر عليه للنبوة خاتم
من الله من نور يلوح ويشهد

وضم الاله اسم النبى الى اسمه
اذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال الصرصرى رحمه الله :

ألم تر أنا لا يصح آذاننا
ولا فرضنا ان لم نكرره فيهما ؟

ما أوتى داود ــ عليه السلام ــ وما أوتى محمد ٭

قال تعالى :

« اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب ، انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ٭ والطير محشورة كل له أواب ٭ وشددنا ملكه وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب »

سورة ص (١٧ ــ ١٩)

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) ﴾

سبأ ١٠ ، ١١

لقد كان داود ـ عليه السلام ـ طيب الصوت ، وقد سخر الله تعالى له الطير يسبحن معه وكانت الجبال أيضا تجيبه وتسبح معه ، وكان سريع القراءة ، يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ الزبور بمقدار ما يفرغ من شأنها ثم يركب ٠٠ كان لا يأكل الا من كسب يده ، صلوات الله وسلامه عليه ٠٠ وقد كان نبينا ـ ﷺ حسن الصوت ، طيبه بتلاوة القرآن ٠٠ قال جبير بن مطعم : قرأ رسول الله ﷺ ٠ فى المغرب بالتين والزيتون ، فما سمعت صوتا أطيب من صوته ﷺ وكان يقرأ ترتيلا كما أمره الله ـ عز وجل ـ بذلك ٠

وأما تسبيح الطير مع داود ، فتسبيح الجبال الصم أعجب من ذلك ـ وقد تقدم فى الحديث أن الحصا سبح فى كف رسول الله ﷺ ٠٠ قال ابن حامد : هذا حديث مشهور ٠

وكانت الأحجار والأشجار والمدر تسلم عليه ﷺ فى صحيح البخارى عن ابن مسعود قال : لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ٠٠ يعنى بين يدى النبى ﷺ ٠

وكلمه ذراع الشاة المسمومة ٠ وأعلمه بما فيه فى السم ، وشهدت نبوته الحيوانات الانسية والوحشية ، والجمادات أيضا ٠٠ كما تقدم بسطه ٠

ولا شك أن صدور التسبيح من الحصا الصغار الصم التى لا تجاويف فيها ، أعجب من صدور ذلك من الجبال ، لما

فيها من التجاويف والكهوف ، فانها وما شاكلها تردد صدى الأصوات العالية غالبا ، كما قال عبد الله بن الزبير : كان اذا خطب ، وهو أمير المدينة بالحرم الشريف ، تجاوبه الجبال وقبيس وزرود ، ولكن من غير تسبيح ، فان ذلك من معجزات داود ــ عليه السلام ــ ومع هذا كان تسبيح الحصا في كف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان أعجب ٠

وأما أكل داود من كسب يده ، فقد كان رسول الله ﷺ يأكل من كسبه أيضا ، كما كان يرعى غنما لأهل مكة على قراريط ، وقال « وما من نبى الا وقد رعى الغنم » ٠

وخرج الى الشام فى تجارة لخديجة فصار به ٠

وقال الله تعالى :

« وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا (*) أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا (*) انظر كيف ضربوا لله الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا »

الفرقان : ٧ ــ ٩

وقوله تعالى :

« وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق »

الفرقان : ٢٠

أى للتكسب والتجارة طلبا للربح الحلال ٠

ثم لما شرع الله الجهاد بالمدينة ، كان يأكل مما أباح الله له من المغانم التى لم تبح قبله وما أفاء الله عليه من أموال الكفار التى أبيحت له دون غيره ، كما جاء فى المسند عن ابن

عمر قال : قال رسـول الله ﷺ « بعثت بالسـيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم » .

وأما الانة الحـديد بغير نار كما يلين العجين فى يده ، فكان يصـنع هـذه الدروع الداوودية ، وهى الزرديات السابغات وأمره الله تعالى بنفسه بعملها «وقدر فى السرد»، أن ألا يدق المسمار فيفلق ، ولا يغلظه فينقصم .

وقال تعالى :

« وعلمنـاه صنعة لبـوس لكم لتحصـنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون »

وقد قال بعض الشعراء فى معجزات النبوة :

نسـج داود ما حمى صاحب الغار وكان الفخار للعنكبوت

والمقصود فى الانة الحديد .. معه وقد سبق أن ذكرنا أنه عند حفر الخندق قد عرضت لهم كدية ، وهى الصخرة فى الأرض ، فلم يقدروا على كسرها ولا شىء منها ، فقام اليها رسول الله ﷺ وقد ربط حجرا على بطنه من شدة الجـوع ، فضربها ثلاث ضربات ، لمعت الأولى حتى أضاءت لهـا قصـور الشام ، وبالثانية قصور فارس والثالثة انسـالت الصخرة كأنها كثيب من الرمل .

ولا شك أن انسيال الصخرة التى لا تنفعل ولا بالنار أعجب من لين الحديد الذى ان أحمى لان ، كما قال بعضهم :

فلـو أن ما عالجت لين فـؤادها
بنفسى للان الجلد والجندل الصـخر

فلو أن شيئا أشد قوة من الصخر لذكره هـذا الشـاعر البالغ ، قال الله تعالى :

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

البقرة : ٧٤

وأما قوله تعالى :

قُل كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾

الاسراء : ٥٠ ، ٥١

فذلك لمعنى آخر فى التفسير ، وحاصله أن الحديد أشد امتناعا فى الساعة الراهنة من الحجر ما لم يعالج، فاذا عولج انفعل الحديد ولا ينفعل الحجر ٠٠ والله أعلم ٠

وقال أبو نعيم : فان قيل : فقد لين الله لداود ــ عليه السلام ــ الحديد حتى سرد منه الدروع السوابغ ٠٠ قيل ٠٠ لينت لمحمد ﷺ الحجارة وصم الصخور ، فعادت له غارا استتر به من المشركين يوم أحد، مال الى الجبل ليخفى شخصه عنهم، فلين الجبل حتى أدخل رأسه فيه ، وهذا أعجب ، لأن الحديد تلينه النار ، ولم نر النار تلين الحجر ٠ قال : وذلك بعد ظاهر باق يراه الناس ــ قال وكذلك فى بعض شعاب مكة حجر من جبل أصم استروح فى صلاته اليه ، فلان الحجر حتى أثر فيه بذراعيه وساعديه ، وذلك مشهود يقصده الحجاج ويزدونه ٠٠ وعادت الصخرة ليلة أسرى به كهيئة العجين فربط بها دابته ، البراق ــ وموضعه يلمسه الناس الى يومنا هذا ٠

وهذا الذى أشار اليه من يوم أحد ، وبعض شعاب مكة غريب جدا ، ولعله قد أسنده هو فيما سلف .وليس ذلك بمعروف فى السيرة المشهورة • وأما ربط الدابة فى الحجر فصحيح والذى ربطها جبريل كما فى صحيح مسلم ــ رحمه الله •

وأما قولهم : أوتى داود الحكمة وفصل الخطاب ، فقد كانت الحكمة التى أوتيها محمد ﷺ الشرعة التى شرعت له أكمل من كل حكمة وشرعة كانت لمن قبل من الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، فان الله جمع له محاسن من كان قبله وفضله وأكمله ، وآتاه ما لم يؤت أحدا قبله •• قد قال ﷺ « أوتيت جوامع الكلم ، واختصرت لى الحكمة اختصارا » •

ولا شك أن العرب أفصح الأمم ، وكان النبى ﷺ أفصحهم نطقا ، وأجمع لكل خلق جميل مطلقا •

خامسا : ما أوتى سليمان بن داود عليهما السلام
وما أوتى محمد صلى الله عليه وسلم :

قال الله تعالى :

هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٠﴾

ص ٣٩ ــ ٤٠

قال الله تعالى :

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾

الأنبياء ٨١ ــ ٨٢

قال الله تعالى :

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾

سبأ ١٢ ، ١٣

وقد سبق ذلك فى التفسير ، وفى الحديث الذى رواه الامام أحمد وصححه الترمذى وابن حيان والحاكم فى مستدركه ، عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ « أن سليمان ـ عليه السلام ـ لما فرغ من بناء بيت المقدس سأل الله خلالاً ثلاثا : سأل الله حكما يوافق حكمه وملكا لا ينبغى لأحد من بعده .. وأنه لا يأتى هذا المسجد أحد الا خرج من ذلك كيوم ولدته أمه وأن تسخير الريح لسليمان ، فقد قال الله تعالى : فى شأن الأحزاب :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾

الأحزاب ٩

وقد تقدم فى الحديث الذى رواه مسلم عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ قال (نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور)

وثبت فى الصحيحين نصرت بالرعب من مسيرة شهر »
ومعنى ذلك أنه ﷺ كان اذا قصد قتال قوم عن الكفار ألقى

الله الرعب فى قلوبهم قبل وصوله اليهم بشهر ، ولو كان مسيره ، شهرا ، فهذا فى مقابلة : غدوها شهر ورواحها شهر .. بل هذا أبلغ فى التمكن والنصر ، والتأييد ، والظفر .

وسخرت الرياح شوق السحاب لانزال المطر الذى امتن الله به حين استسقى رسول الله ﷺ فى غير موطن كما تقدم .

قال أبو نعيم : فان قيل : فان سليمان سخرت له الريح فسارت فى بلاد الله ، وكان غدوها شهرا ورواحها شهرا ، قيل : أعطى محمد ﷺ أعظم وأكبر ، لأنه سار فى ليلة واحدة من مكة الى بيت المقدس مسيرة شهر ، وعرج به فى ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف سنة ، فى أقل من ثلث ليلة ، فدخل السموات سماء سماء ، ورأى عجائبها ، ووقف على الجنة والنار ، وعرض عليه أعمال أمته ، وصلى بالانبياء وبملائكة السموات ، واخترق الحجب ، وهذا كله فى ليلة فانها ، أكبر وأعجب وأما تسخير الشياطين بين يديه تعمل له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات فقد أنزل الله الملائكة المقربين لنصرة عبده ورسوله محمد ﷺ فى غير ما موطن . يوم أحد ، ويوم بدر ، ويوم حنين ، ويوم الأحزاب .. وذلك أعظم وأفضل ، وأجل وأعلى من تسخير الشياطين ، قد ذكر ذلك ابن حامد فى كتابه .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ قال : ان عفريت من الجن تفلت على البارحة ــ أو كلمه نحوها ــ فقطع على الصلاة ، فأمكننى الله منه فأردت أن أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان « **رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى** » فرده الله خاسئا .

وفى رواية لمسلم عن أبى الدرداء « ثم أردت أخذه ، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة » .

وروى الامام أحمد بسند جيد عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قام يصلى الصبح وهو خلفه ، فقرأ فالتبست عليه القراءة ، فلما فرغ من صلاته ، قال «لو رأيتمونى وابليس، فأهويت بيدى ، فمازلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين اصبعى هاتين ، الابهام والتى تليها ، ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مربوطا بسارية من سوارى المسجد يتلاعب به صبيان المدينة » ـ وقد ثبت فى الصحاح والحسان والمسانيد ، أن رسول الله ﷺ قال « اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين » .

وفى رواية « مردة الشياطين « .. فهذا من بركة ما شرعه الله من صيام شهر رمضان وقيامه .. وسيأتى عند ابراء الأكمة والأبرص من معجزات المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ـ دعاء رسول الله ﷺ لغير واحد ممن أسلم من الجن فشفى وفارقهم خوفا منه ومهابة له ، وامتثالا لأمره صلوات الله وسلامه عليه ، وقد بعث الله نفرا من الجن يستمعون القرآن فآمنوا به وصدقوه ، ورجعوا الى قومهم فدعوهم الى دين محمد ﷺ وحذروهم من مخالفته ، لأنه كان مبعوثا الى الانس والجن فآمنت طوائف من الجن كثيرة ، ووفدت اليه منهم وفود كثيرة ، وقرأ عليهم سورة الجن وأخبرهم بأن من آمن منهم فله الجنات الجنان ، وما عن كفر من النيران، وشرع لهم ما يأكلون وما يطعمون دوابهم، فدل على أنه بين لهم ما هو أهم من ذلك وأكبر .

وقد ذكر أبو نعيم حديث الغول التى كانت تسرق التمر من جماعة من أصحابه ﷺ ويريدون احضارها اليه فتمتنع كل الامتناع خوفا من المثول بين يديه ، ثم افتدت منهم بتعليمهم قراءة آية الكرسى التى لا يقرب قارئها الشيطان والغول هو الجن المبتدى بالليل فى صورة مرعبة .

روى البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان ، فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت له : لأرفعنك الى رسول الله ﷺ

قال : قلت : يا رسول الله • شكا حاجة شديدة وعيالا ، فرحمته فخليت سبيله •

قال : « أما انه قد كذبك وسيعود » •

فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ فرصدته ، فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك الى رسول الله ﷺ •

قال : دعنى فانى محتاج ، وعلى عيال ، لا أعود •

فرحمته ، فخليت سبيله •• فأصبحت ، فقال لى رسول الله ﷺ « يا أبا هريرة ما فعل أسيرك ؟ »

قلت : يا رسول الله ، شكا حاجة شديدة وعيالا ، فرحمته فخليت سبيله ، قال : « أما انه قد كذبك ، وسيعود » فرصدته فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته •

فقلت : لأرفعنك الى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات ، انك تزعم لا تعود ثم تعود ••

قال : دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها •• قلت •• ما هن ؟

قال : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى (الله لا اله الا هو الحى القيوم) حتى تختم الآية فانك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح •

فخلينا سبيله ، فأصبحت ، فقال لى رسول الله ﷺ « ما فعل أسيرك البارحة ؟ »

قلت : يا رسول الله ، زعم انه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله •

قال : « ما هى ؟ » •

قلت : قال لى : اذا أوتيت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية « الله لا اله الا هو الحى القيوم » ، وقال لى : لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح •• وكانوا أحرص شىء على الخير •• فقال النبى ﷺ : « أما انه قد صدقك وهو كذوب » تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟

قال : لا قال : « ذاك شيطان » •

وأما ما جمع الله ــ تعالى ــ لسليمان من النبوة والملك كما كان أبوه من قبله ، فقد خير الله عبده محمدا ﷺ بين أن يكون ملكا نبيا أو عبدا رسولا ، فاستشار جبريل فى ذلك ، فأشار اليه أن يتواضع ، فاختار أن يكون عبدا رسولا وقد روى ذلك من حديث عائشة وابن عباس •

ولا شك أن منصب الرسالة أعلى ــ وقد عرضت على نبينا كنوز الأرض فأباها قال « ولو شئت لأجرى الله معى جبال الأرض ذهبا ، ولكنى أجوع يوما وأشبع يوما » •

وقد ذكرنا ذلك بأدلته وأسانيده ، فى التفسير ، وفى السيرة أيضا ، ولله الحمد والمنة •

وقد أورد الحافظ أبو نعيم طرفا منها ، عن أبى هريرة ــ رضى الله عنهم ــ قال : قال رسول الله ﷺ « بينما أنا نائم جىء بمفاتيح خزائن الأرض فجعلت فى يدى » •• ومن حديث جابر مرفوعا « أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا على فرس أبلق جاءنى به جبريل ، عليه قطيفة من سندس ومن حديث أبى لبابة مرفوعا « عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا ، فقلت : لا يارب ، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما ، فاذا جعت تضرعت اليك ، واذا شبعت حمدتك وشكرتك »

قال أبو نعيم : فان قيل سليمان ــ عليه السلام ــ كان يفهم كلام الطير والنملة كما قال تعالى :

« حتى اذا أتوا على واد من النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون(١٨) فتبسم ضاحكا من قولها (١٩) »

النمل : ١٨ ، ١٩

قيل : قد أعطى محمد ﷺ مثل ذلك وأكثر منه ، فقد تقدم ذكرنا لكلام البهائم ، وحنين الجذع ، ورغاء البعير ، وكلام الشجر وتسبيح الحصى والحجر ، ودعائه اياه استجابة لأمره وما فى معناه .. كل ذلك تقدم فى الفصول بما يغنى عن اعادته .

قلت : وكذلك أخبره ذراع بما فيه من السم ، وكان ذلك باقرار من وضعه فيه من اليهود وقال ﷺ « انى لأعرف حجرا كان يسلم على بمكة قبل أن أبعث أنى لأعرفه الآن » ، لأنه جماد بالنسبة الى الطير والنمل ، لأنهما من الحيوانات ذوات الأرواح وان كان سلاما نطقيا ، وهو الأظهر ، فهو أعجب من هذا الوجه أيضا ، كما قال على : رجعت مع رسول الله ﷺ فى بعض شعاب مكة ، فما مر بحجر ولا شجر ولا مدر الا قال ــ السلام عليك يا رسول الله ــ فهذا النطق سمعه رسول الله ﷺ وعلى ــ رضى الله عنه .

ما أوتى عيسى ابن مريم ــ عليه السلام ــ وما أوتى محمد صلى الله عليه وسلم :

لماذا سمى المسيح ؟

قيل : لمسحه الأرض .. وقيل : لمسح قدمه .. وقيل : لخروجه من بطن أمه ممسوحا بالدهان ..

وقيل : لمسح جبريل له بالبركة ·· وقيل لمسح الله الذنوب عنه وقيل : لأنه كان لا يمسح أحدا الا برأ ·· حكاها كلها الحافظ أبو نعيم ــ رحمه الله ــ ·

أهم خصائصه ــ عليه السلام ــ :

ومن خصائصه ، أنه ــ عليه السلام ــ مخلوق بالكلمة من أنثى بلا ذكر ، كما خلقت حواء من ذكر بلا أنثى ، وكما خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وانما خلقه الله تعالى من تراب ثم قال له كن فيكون ·· وكذلك يكون عيسى بالكلمة ، وينفخ جبريل فى مريم ، فخلق منها عيسى ·

ومن خصائصه أنه حى لم يمت ، وهو الآن بجسده فى السماء الدنيا ، وسينزل قبل يوم القيامة على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ، فيملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا وظلما ، ويحكم بهذه الشريعة المحمدية ، ثم يموت ويدفن بالحجرة النبوية كما رواه الترمذى ·

ومن خصائصه وأمه ، أن ابليس لعنه الله ، حين ولد ذهب يطعن فطعن فى الحجاب كما فى الحديث الصحيح ·

معجزات عيسى عليه السلام ــ :

قال شيخنا العلامة ابن الزملكانى رحمه الله : وأما معجزات عيسى ــ عليه السلام ــ فمنها احياء الموتى ، وللنبى ﷺ من ذلك كثير ، واحياء الجماد أبلغ من احياء الميت ·· وقد كلم النبى ﷺ الذراع المسمومة ، وهذا الاحياء أبلغ من احياء الانسان الميت من وجوه ·

ــ أحدهما : أنه احياء جزء من الحيوان دون بقية الأجزاء · وهذا معجز لو كان متصلا بالبدن الثانى ·· انه

احياء وحدة منفصلة عن بقية أجزاء ذلك الحيوان مع موت البقية .

ـ انه أعاد عليه الحياة مع الادراك والعقل ، ولم يكن هذا الحيوان ، الذى هو جزؤه مما يعقل فى حياته ولا مما يتكلم : وفى هذا ما هو أبلغ من حياة الطيور التى أحياها الله لابراهيم عليه السلام .

قلت : وفى حلول الحياة والادراك والعقل فى الحجر الذى كان يخاطب النبى ﷺ بالسلام عليه كما روى فى صحيح مسلم من المعجزات ، هو أبلغ من احياء الحيوان فى الجملة .. لأنه كان محلا للحياة فى وقت ، بخلاف هذا حيث لا حياة له بالكلية قبل ذلك .. وكذلك تسليم الحجر والمدر عليه وكذلك الأشجار والاغصان ، وشهادتها بالرسالة .. وحنين الجذع .. قد جمع الحافظ ابن أبى الدنيا كتابا فيمن عاش بعد الموت وذكر منها كثيرا .

وقد ثبت عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : دخلنا على رجل من الأنصار ـ وهو مريض يعقل فلم نبرح حتى قبض ـ فبسطنا عليه ثوبه وسجيناه ، وله أم عجوز كبيرة عند رأسه ، فالتفت اليها بعضنا وقال : يا هذه احتسبى مصيبتك عند الله .

فقالت : وما ذاك ؟ أمات ابنى ؟ قلت : نعم . قالت : أحق ما تقولون ؟ قلنا نعم فمدت يدها الى الله تعالى ، فقالت : اللهم انك تعلم أنى أسلمت وهاجرت الى رسولك رجاء أن يعيننى عند كل شدة ورخاء ، فلا تحملنى هذه المصيبة اليوم .

قال : فكشف الرجل عن وجهه وقعد ، وما برحنا حتى أكلت معه .

وروى ابن أبى الدنيـــا عن أبى ســبرة النخعى قال : أقبل رجــل من اليمن ، فلما كان فى بعض الطــريق نفق حماره ، فقام وتوضــأ ثم صــلى ركعتين ثم قال : اللهم انى جئت من المدينة مجاهدا فى سبيلك وابتغاء مرضاتك ، وأنا أشهد انك تحيى الموتى وتبعث من فى القبور ، لا تجعل لأحد على اليوم منه ، أطلب اليك اليوم أن تبعث حمارى ، فقــام الحمار ينفض أذنيه ٠

قال البيهقى اسناده صحيح ، ومثل هــذا يكون كرامة لصاحب الشريعة ٠

قال الشعبى : فأنا رأيت الحمــار بيــع أو يبــاع فى الكناسة ــ يعنى بالكوفة ــ وفى رواية لابن أبى الدنيا أن ذلك كان فى زمن عمر بن الخطاب ، وقد قال بعض قومه ، فى ذلك :

ومنا الذى أحيــا الاله حمــاره
وقد مات منه كل عضو مفصــل

وأما قصة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت وشــهادته للنبى ﷺ ولأبى بكر وعمر ، وعثمان بالصدق ــ فمشهورة مروية من وجوه كثيرة صحيحة :

قال البخارى فى التاريخ الــكبير : أن زيد بن خارجة الخزرجى الأنصارى ، شهد بدرا وتوفى فى زمن عثمــان ، وهذا الذى تكلم بعد الموت ٠

وروى الحــاكم فى مســتدركه والبيهقى فى دلائله وصحيحه عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجة الأنصارى، من بنى الحارث بن الخزرج ، توفى زمن عثمان بن عفــان فسجى بثوبه ، ثم انهم سمعوا جلجلة فى صــدره ، ثم تكلم فقال : أحمد فى الكتاب الأول ، صــدق صــدق ، أبو بكر

الضعيف فى نفسه ، القوى فى أمر الله - فى الكتاب الأول صدق - صدق ، عمر بن الخطاب القوى فى الكتاب الأول ، صدق صدق ، عثمان بن عفان على منهاجهم - مضت أربع وبقيت ثنتان ، أتت الفتن وأكل الشديد الضعيف ، وقامت الساعة ، وسيأتيكم عن جيشكم خبر ٠

قال سعيد بن المسيب ، ثم هلك رجل من بنى حطمة ، فسجى بثوبه ، فسمع جلجلة فى صدره ، ثم تكلم فقال : ان أخا بنى حارث بن الخزرج صدق صدق ٠

ورواه ابن أبى الدنيا والبيهقى أيضا من وجه آخر بأبسط من هذا وأطول ، وصححه البيهقى ٠

قال : قد روى فى الفلكى بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة والله أعلم ٠

قلت : ذكرت فى قطعة سخلة جابر يوم الخندق وأكل الألف منها - ومن قتيل شعير ، وقد أورد الحافظ بن المنذر - المعروف بيشكر ، فى كتابه « الغرائب والعجائب » سنده أن رسول الله ﷺ جمع عظامها ثم دعا الله تعالى فعادت كما كانت فتركها فى منزله والله أعلم ٠

قال شيخنا : ومن معجزات عيسى الابراء من الجنون ، وقد أبرأ النبى ﷺ يعنى من ذلك - هذا آخر ما وجدته فيما حكيناه عنه ٠ فأما ابراء عيسى من الجنون فما أعرف فيه نقلا خاصا ، وانما كان يبرىء الأكمة والأبرص ، والظاهر : ومن جميع العاهات والأمراض المزمنة ٠

وأما ابراء النبى ﷺ من الجنون ، فقد روى الامام أحمد والبيهقى من غير وجه عن على بن مرة أن امرأة أتت بابن لها صغير به لمم ما رأيت لمما أشد منه ، فقالت يا رسول الله ابنى هذا كما ترى أصابه بلاء ، وأصابنا منه بلاء ، يؤخذ فى اليوم ما أدرى كم مرة فقال رسول الله ﷺ « ناوليتيه » ٠

فرفعته اليه فجعلته بينه وبين واسطة الرجل ، ثم فغر فاه ونفث فيه ثلاثا ، وقال « باسم الله أنا عبد الله ـ اخسأ عدو عبد الله » . ثم ناولها اياه ، فذكرت أنه برىء من ساعته وما رابهم شيء بعد ذلك .

وروى أحمد عن ابن عباس أن امرأة جاءت بولدها الى رسول الله فقالت : يا رسول الله ـ إن ابنى هذا به جنون وأنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيفسد علينا . قال : فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا له فخرج فثع ثعة منه مثل الجرو الأسود فشفي .

وروى الشيخان من حديث عطاء بن أبى رباح قال : قال لى ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى .

قال : هذه المرأة السوداء أتت رسول الله ﷺ فقالت : انى أصرع وانى اتكشف فادع الله لى .

قال : (ان شئت صبرت ولك الجنة ـ وان شئت دعوت الله أن يعافيك) .

قالت : أصبر : فقالت انى أتكشف فادع الله ألا أتكشف: قال : فدعا لها .

وأما ابراء عيسى الأكمه . وهو الذى يولد أعمى، وقيل هو الذى لا يبصر فى النهار ويبصر فى الليل ، وقيل غير ذلك ، الأبرص الذى به بهق فقد رد رسول الله ﷺ يوم أحد عين قتادة بن النعمان الى موضعها بعدما سالت على خده ، فأخذها فى كفه الكريمة وأعادها الى مقرها فاستمرت بحالها وبصرها وكانت أحسن عينيه ـ رضى الله عنه ـ كما ذكر محمد ابن اسحاق بن يسار فى السيرة وغيره . وقد دخل بعض ولده، وهو قاصم بن عمرو بن قتادة ، على عمر بن عبد العزيز فسأل عنه فأنشأ يقول :

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه
فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لأول أمرها
فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فقال عمر بن عبد العزيز :

(تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا)

ثم أجازه فأحسن جائزته :

وقد روى الدارقطني أن عينيه أصيبتا معا حتى سالتا على خديه . فردهما رسول الله ﷺ الى مكانهما . والمشهور الأول كما ذكر ابن اسحاق الأعمي الذى رد الله عليه بصره ببركة دعاء النبى ﷺ .

روى الامام أحمد عن عثمان بن ضيف أن رجلا ضريرا أتى رسول الله ﷺ فقال رسول الله . ادع الله لى أن يعافينى .

فقال : « ان شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك ، وان شئت دعوت » .

قال : بل ادع الله لى .

فأمره رسول الله ﷺ أن يتوضأ ويصلى ركعتين وأن يدعو بهذا الدعاء :

اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة، انى أتوجه به في حاجتى هذه . فتقضى » وفي رواية « فشفعه فى » ففعل الرجل فبرأ .

ورواه الترمذى وقال : حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث أبى جعفر الخطمي وقد رواه ولا طال الحديث منا حتي دخل الرجل كأنه لم يكن به ضر قط .

● وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ نفث في عيني علي ـ رضي الله عنه ـ يوم خيبر وهو أرمد ـ فبرأ من ساعته • ثم لم يرمد بعدها أبدا •

ومسح ﷺ رجل جابر بن عتيك ـ وقد انكسرت رجله ليلة قتل أبا رافع تاجر أهل الحجـاز الخيبري • فبرا من ساعته أيضا •

وروى البيهقي أنه ﷺ مسـح يد محمـد بن حاطب وكانت قد احترقت بالنار فبرأ من ساعته ومسح رجل سلمة ابن الأكوع وقد أصيبت يوم خيبر فبرأت من ساعتها ودعا لسعد بن أبي وقاص أن يشفى من مرضه ذلك فشفى •

وروى البيهقي أن عمه أبا طالب مرض فسأل منه ﷺ أن يدعو له ربه ، فدعا له فشفى من مرضه ذلك •

وكم له من مثلهـا وعـلى مسلكها من ابراء الآم وازالة أسقام مما يطول شرحه وسط كرامات الأولياء في ذلك •

وقد وقع في كرامات الأولياء ابراء الأعمى بعد الدعاء عليه بالعمى أيضا ، كما رواه الحافظ ابن عساكر عن أبي مسلم • أن امرأ حنثت عليه امرأته ، فدعا عليهـا ، فذهب بصرها فأتته فقالت : يا أبا مسلم • اني كنت فعلت وفعلت، وأني لا أعود لمثلها •

فقال : اللهم ان كانت صـادقة فاردد عليهـا بصرها فأبصرت •

ورواه ابن أبي الدنيا عن عثمان بن عطاء قال : كان أبو مسلم الخولاني اذا دخل منزله فاذا بلغ وسط الدار كبر وكبرت امرأته : فاذا دخل البيت كبر وكبرت امرأته فيدخل فينزع رداءه وحذاءه وتأتيه بطعام فيأكل • فجاء ذات ليلة

فكبر فلم تجبه ثم جاء الى باب البيت فكبر وسلم فلم تجبه • واذا البيت ليس فيه سراج • واذا هى جالسة بيدها عود تنكت فى الأرض به • فقال لها : مالك ؟

فقالت : الناس بخير ، وأنت لو آتيت معاوية فامر لنا بخادم ويعطيك شيئا فيتاب به •

فقال : اللهم من أفسد على أهل فأعم بصره • قال : وكانت آتتها امرأة فقالت لامرأة أبى مسلم : لو كلمت زوجك ليكلم معاوية فيخدمكم ويعطيكم ؟

قال : بينما هذه المرأة فى منزلها والسراج مزهر • اذا أنكرت بصرها •• فقالت سراجكم طفىء ؟

قالوا : لا : فقالت : ان الله أذهب بصرى •

فأقبلت كما هى الى أبى مسلم فلم تزل تناشده وتتلطف اليه • فدعا الله فرد بصرها ورمقت امرأته على حالها التى كانت عليها •

بين مائدة عيسى وموائد محمد ـ عليهما الصلاة والسلام

وأما قصة المائدة التى قال الله ـ تعالى :

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (١١٥)﴾

المائدة ١١٣ ـ ١١٥

فقد ذكرنا ذلك فى التفسير والمقصود أن المائدة سواء كانت قد نزلت أم لم تنزل فهى آية واضحة امتن الله بها على عيسى ـ عليه السلام ـ وقد كانت موائد رسول الله ﷺ تمد

من السماء • وكانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل بين يديه ، وكم قد أشبع من طعام ألوفا ومئـات وعشرات ﷺ ما تعاقبت الأوقات وما دامت الأرض والسموات •

مقارنة بين ما أخبر به عيسى وما أخبر به محمد ـ عليهما الصلاة والسلام •

وأما قوله ـ تعالى عن عيسى ـ عليه السلام ـ انه قال لبنى اسرائيل :

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

آل عمران (٤٩)

فهذا شيء يسير على الأنبياء • بل وعلى كثير من الأولياء وقد قال يوسف الصديق لزميليه الفتيين المجوسيين :

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

يوسف الآية (٣٧)

وقد أخبر رسول الله ﷺ بالأخبار الماضية طبق ما وقع، وعن الأخبار الحاضرة سواء بسـواء ، كما أخبر عن أكل الأرضة لتلك الصحيفة الظالمة التى كانت بطون قريش قديما كتبتها على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب حتى يسلموا اليهم رسول الله ﷺ وكتبوا بذلك الصحيفة وعلقوها فى سـقف الكعبة ، فأرسل الله الأرضة فأكلتها الا موضع اسم الله تعالى :

وفى رواية : فأكلت اسم الله منها تنزيها لها أن تكــون مع الذى فيها من الظلم والعدوان ، فأخبر رسول الله ﷺ عمــه أبا طالب وهم بالشعب. فخرج اليهم أبو طالب وقال لهم عما أخبره به ، فقالوا : ان كان كمـا قال والا فسلموه الينا . فقالوا : نعم . فأنزلوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر عنها رسول الله ﷺ سواء بسواء ، فأقلعت بطون قريش عما كانوا عليه لبنى هاشم وبنى المطلب وهدى الله بذلك خلقا كثيرا . وكم له مثلها .

وفى يوم بدر طلب من العباس عمه فداء ، ادعى أنه لا مال له ، فقال له : فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل تحت اسكفه الباب وقلت لها : ان قتلت فهو للصبية ؟

فقال : والله يا رسول الله ان هذا شىء لم يطلع عليه غيرى وغير أم الفضل الا الله عز وجل .

وأخبر ﷺ بموت النجاشى يوم مات وهــو بالحبشــة ، وصلى عليه وأخبر عن قتل الأمراء يــوم موته واحدا بعــد واحد وهو على المنبر عيناه تذرفان .

أخبر عن الكتاب الذى أرسل به طالب بن أبى ملتعة مع ولاة لبنى عبدالمطلب وأرسل فى طلبها عليا والزبير والمقداد، فوجدوها جعلته فى عقاصها .

وقال لأميرى كسرى اللذين بعث بهما نائب اليمن لكسرى ليستعلين أمر رسول الله ﷺ « ان ربى قد قتل الليلة ربكما » فأرخا تلك الليلة . فاذا كسرى قد سلط الله عليه ولده فقتله . فأسلما وأسلم نائب اليمن . وكأن سبب ملك اليمن لرسول الله ﷺ وأما أخباره ﷺ عن الغيوب المستقبله فكثيرة جــدا وقد تقدم الكلام عنها .

وذكر ابن حامد فى مقابلة جهاد عيسى ـ عليه السلام ـ جهاد رسول الله ﷺ وفى مقابلة زهد عيسى ـ عليه السلام ـ

زهادة رسول الله ﷺ عن كنوز الأرض حين عرضت عليه فأباها وقال « أجوع يوما وأشبع يوما » .

وأنه كان له ثلاث عشرة زوجة يمضى عليهن الشهر والشهران لا توقد عندهن نار ولا مصباح ، وانما هو والاسودان : التمر والماء . وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع ، وما شبعوا من خبز بر ثلاث ليالى تباعا .

وكان فراشه ﷺ من آدم وحشوه من ليف، وربما اعتقل الشاة فيحلبها ، ورقع ثوبه ، وخصف نعله بيده الكريمة . صلوات الله وسلامه عليه .

ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى على طعام اشتراه لأهله ــ هذا وكم آثر بآلاف مؤلفة ــ وبالابل والشاة والغنائم والهدايا ، على نفسه وأهله . للفقراء والمحاويج والأرامل والأيتام والأسرى والمساكين .

بشارة الملائكة لمريم بعيسى وبشارتها لآمنة بمحمد :

وذكر أبو نعيم فى مقابلة تبشير الملائكة لمريم الصديقة به فى منامها • وما قيل لها ــ انك قد حملت سيد هذه الأمه بوضع عيسى ، ما بشرت به آمنة أم رسول الله ﷺ حين حملت فسميه محمدا • وقد أورد الحافظ أبو نعيم حديثا غريبا مطولا بالمولد •

وقال الشيخ جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف ابن منصور بن عمر الأنصارى الصرصرى الماهر الحافظ للأحاديث واللغة • ذو المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ فذلك يشبه فى عصره بحسان بن ثابت ــ رضى الله عنه ــ وفى ديوانه المكتوب عنه فى مديح الرسول الله ﷺ وقد كان ضرير البصر ، بصير البصيرة ، وكانت وفاته ببغداد فى سنة ست وخمسين وستمائة ، قتله التتار فى قلبه بغداد ، قال فى قصيدته من حرف الحاء المهملة من ديوانه :

محمد المبعوث للناس رحمة
ليشيد ما أوهى الضلال ويصلح

لئن سبحت صم الجبال مجيبة
لداود أو لان الحديد المصفح

فان الصخور الصم لانت بكفه
وان الحصا فى كفه يسبح

وان كانت الريح الرخاء مطيعة
فمن كفه قد أصبح الماء يطفح
وان كان الريح الرخاء مطيعه
سليمان لا تألو تروح وتسرح

فان الصبا كانت لنصر نبينا
يرعب على شهر به الخصم يكلح
وان أوتى الملك العظيم وسخرت
له الجن تشقى مارطيه وتلدح
فان مفاتيح الكنوز بأسرها
أتته فرد الزاهد المترجح
وان كان ابراهيم أعطى خلة
وموسى بتكليم على الطور يمنح
فهذا حبيب بل خليل مكلم
وخصص بالرؤيا وبالحق أشرح
وخصص بالحوض العظيم وبالكوا
ويشفع للعاصين والنار تلفح
وبالمقعد الأعلى المقرب عنده
عطاء ببشراه أغر وافرح
وبالرتبة العليا الأسيلة دونها
مراتب أرباب المواهب تلمح
وفى جنة الفردوس أول داخل
له سائر الأبواب بالخير تفتح

الآيات القرآنيـــــة
الواردة فى هــذا الكتــاب

مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾

الأحزاب : ٤٠ ، ٤١

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

المسد ١ : ٥

قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾

الأنبياء : ٥٤

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

التوبة : ٢٣

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

سبأ : ٢٨

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

سبأ : ١٤

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

الفيل : ١ ـ ٥

وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

الأنعام : ٢٥ : ٢٦

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

الفتح : ٨ ، ٩

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾

البقرة : ١٧٠

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٨

يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾

المائدة : ٦٧

وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

الكهف : ٢٧

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

الفتح : ٢٩

۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾

الشورة : ٥١ ، ٥٢

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾

الأحزاب : ١ ، ٢

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

النجم : ٤

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾

المدثر : ١ ـ ٧

إِنَّآ
أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ
إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ
وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ
عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾
رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾

النساء : ١٦٣ ـ ١٦٥

وَمَا كُنتَ
تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا
لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾

القصص : ٨٦

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾

الحجرات : ٩

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾

الصف : ٦

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى

طـه : ١ ـ ٧

وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾

البقرة : ١٩٣

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾

العلق : ١ ــ ٣

فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا

النساء : ٨٤

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾

البقرة : ٢١٧

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾

النساء : ٦٩

وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ (٢٢٨)

البقرة : ٢٢٨

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

الكـوثر : ٣

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾

النساء : ٧

وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾

النور : ٢٢

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

الأحـزاب : ٢٨ ، ٢٩

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

النســاء : ١٩

إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾

الواقعة : ٣٥ ـ ٣٧

قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

الاسراء : ٨٨ مكية

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾

الطور : ٣٣ ، ٣٤

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

البقرة : ٢٣ ، ٢٤ مدنية

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

هـــود : ١٣ ، ١٤

وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾

يونس : ٣٧ ــ ٣٩

قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾

الفـــرقان : ٦

وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾

الفرقان : ٥

تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾

هـود : ٤٩

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾

طـه : ٩٩ ـ ١٠١

وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

العنكبوت : ٤٨ ـ ٥٢

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾

الأنفال : ٣١

وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ

المائدة : ٤٨

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾

الحاقة : ٤٤ ــ ٤٧

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾

يونس : ١٥ ــ ١٧

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾

الأنعام : ٩٣

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ
قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

الأنعام : ١٩

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا
وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾

القصص : ٤٦

ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

آل عمران : ٤٤

وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

هود : ١٧

وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

العنكبوت : ٤٣

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

الاسراء : ٨٩

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

يوسف : ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١١

وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾

: طه : ١٣٣

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

فصلت : ٥٢ ، ٥٣

عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

المزمل : ٢٠

سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾

القمر : ٤٥ ، ٤٦

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا (١١٥)

الأنعام : ١١٥

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

الزمـــر : ٢٧ ، ٢٩

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾

البقرة : ١٣٦ ، ١٣٧

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

الفتح : ٢٨

ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾
فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا
ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾

التكوير : ٢٢ ـ ٢٧

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ
مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ
لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ
رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ
أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا
وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

خاتمة البقرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى
رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ
بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

الأعراف : ١٥٨

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾

هـود : ١

كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ﴿١٨﴾

المعارج : ١٥ ـ ١٨

فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٧﴾

الأنفال : ١٧

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ

الشعراء : ١٩٢ ـ ١٩٥

هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾

الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٣

سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾

القلم : ٤٠ ــ ٤٣

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾

القمر : ١ ــ ٥

قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾

الزمر : ٦٤

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

النجم : ١ ــ ٤

مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾

التكوير : ١٩ ــ ٢١

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾

الاسراء : ١٠١

إِذْ جَآءُوكُم
مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ
ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ
يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ
يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾

الأحزاب : ١٠ ــ ١٣

وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ
ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم
مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم
مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ
لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ

فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٩﴾ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢٠﴾ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾

الاحزاب : ١٥ ــ ٢٥

أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١١٤﴾

الأنعـام : ١١٤

ٱلَّذِينَ
يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ
وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ
ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟
ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

الأعراف : ١٥٧

إِنَّآ أَنزَلْنَا
ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟
وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ
شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ
وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾

المائدة : ٤٤

إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى
ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

البقـرة : ١٥٩ ، ١٦٠

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾

البقرة : ١٤٦

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾

النور : ٥٥

وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

آل عمران : ٢٠

لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

يس : ٧٠

هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

ابراهيم : ٥٢

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾

آل عمران : ٨١ ، ٨٢

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

الصف : ٩

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾

محمد : ١٦

وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾

الفتح : ٢٠ ، ٢١

وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ

وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾

الأنفال : ٧

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾

الفتح : ٢٧

سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ

التوبة : ٩٥

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾

الأنفال : ٧٠

وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

التوبة : ٢٨

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾

الاسراء : ١٠٢

فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ

القمر : ١٠ ــ ١٥

وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾

الحجر : ٦ ــ ٨

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾

الأنبياء : ١٠٧

ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا

الاسراء : ٣

بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾

التوبة : ١٢٨

وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ

الأنعام : ٢١

قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

الأعراف : ٦٧

إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾

النصر : ١ ــ ٣

أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

الطور : ٣٠ ، ٣١

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾

الحاقة : ٤١ ـ ٤٣

هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾

الفتح : ٤

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾

يس : ٨

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾

النجم : ٩

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

التوبة : ١١٤

وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾

الأنعـام : ٧٥

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾

الأحزاب : ٩

وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا

الاسراء : ٨٢

وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾

الاسراء : ٤٥

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

التحريم : ٨

وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾

الشعراء : ٨٢

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾

الأحزاب : ٣٣

أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

يس : ٨١

وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

الروم : ٢٧

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۖ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾

النمل : ١٢

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾

القمر ١ ، ٢

۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

البقرة : ٦٠

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾

الإسراء : ١

وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾

يس : ٩

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾

سبأ : ١٠ ، ١١

وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾

طـه : ٢٢ ، ٢٣

وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِن
ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ
وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟
وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ
وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم
بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾

الأعراف : ١٣٢ ، ١٣٦

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا
هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟
يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

الزخرف : ٤٨ ، ٤٩

وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا
وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾

فصلت : ٥

فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

الدخان : ١٠

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾

آل عمران : ١ ، ٢

وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾

الاسراء : ٨١

وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ
ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

القلم : ٥١ ، ٥٢

فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

البقـرة : ٢٥٨

وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ
تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

الأنبياء : ٨١

ثُمَّ قَسَتۡ
قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ
لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ
مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾

البقرة : ٧٤

هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

ص : ٣٩ ، ٤٠

* قُل كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا
يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾

الاسراء : ٥٠ ، ٥١

ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ
تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ
بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾

القصص : ٣٢

قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ
عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا
مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا
وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ
مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾

المائدة : ١١٣ ـ ١١٥

قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

يوسف . ٣٧

وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾

سبأ : ١٢ ، ١٣

وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

آل عمران : ٤٩

الخاتمة

تمضى السنون والآجيال والقرون

وينطوى الملوك والعظماء والاعلام

فى كل عصر ومكان ...

وتبقى يا محمد درة فى جبين تاريخ البشرية رحمة مهداة من السماء .

نورا يتجدد .. تستضىء به العقول والأحلام ....

تتبدد به الظلمات وتنقشع به الغشاوات .

وليس ذلك الا لان نورك من نور الله مقتبس خرجت من الجزيرة العربية فى بيئة اوثان واستعلاء قبلى وصراع وحتى بين آبنائها .

فهديت بالقرآن نفسا ما كان يروعها غير الموت .
عقولا ما كانت تقر غير العنفوان والقهر .

وتظل يا رسول الله الى البشر فى كل زمان ومكان وحى والهام لا ينقطعان بل يزدادان ريا ومددا .

فأنت الذى جعلت المعجزة تابعة للايمان بعد أن كان الايمان تابعا للمعجزة .

فأنت فريد وحيد لأننا من خلال هذا البحث نوقن أن مقدمات شخصيتك العظيمة لو توفرت فى أى شخص آخر فلم تأت بمثل هذه النتائج التى استعرضناها فى بحثنا هذا الا بعناية الله وأمره فهو الله سبحانه وتعالى أراد لحبيبه محمد

ما أراد فكان محمد عليه الصلاة والسلام بكل ما كان وبكل ما سبق وعرضناه وهذا دليل الدلائل على ان محمدا هو الحق ودعوته هى الحق ويلغى آن الجاهلية مقــدمة للاســلام وان الفساد سبب للاصلاح ويثبت أنه لا قريش ولا جزيرة العرب ولا دولة القياصرة ولا ابهة الاكاسرة هى التى تســببت فى بعث محمد ويثبت ايضا أن محمدا لم يات ليعلم العرب تسفيه التراث الموروث من الآباء او هز العروش التى قام عليهــا الطغاة وتالهوا دون حساب لآله ٠

ونرى ان هؤلاء جميعا كانوا بضلالهم مريضــا شــفى بنزول الوحى على سيدنا محمد وبتواجد رسالة محمد للبشر هولاء جميعا تم شفاوهم بغير شعور بالمرض ولم يســعوا الى الشفاء ومن هذا يتضح ان محمدا عليه الصلاة والسلام قدم للبشرية جمعاء كنزا كبيرا وفكرا مستقبلى على مر العصور الى ان تقوم الساعة بمعجزة المعجزات التى تردها وهى القرآن الحاوى الجامع لكل الامور وكذلك السيرة النبوية وهنا لابد وان اثبت حقيقة لا جدال فيها وهى ان هــذا الكتــاب ليس انقصد منه سيرة نبوية جديدة تضاف الى السير العربية التى ذخرت بها المكتبات من قبل لكبــار العلماء لاننى لم اقصــد وقائع السيرة لذكر الســيرة ولست أنا الذى يتصــدى لشرح الاسلام وأحكامه أو الذى سيجادل خصومه فكل ذلك استوفاه أساتذة علماء كتبوا عنه فى مواطن شتى لأنهم هم القادرون عليه بما توصلوا اليــه من علم ومقــدرة خــلال دراســتهم المتخصصة المستفيضة فى هذا المجال ٠

وانما هذا البحث والكتاب قصدت منــه اظهــار من هو محمد من خلال الحب القابع فى قلبى المستكين لا يزحزحه أى قوة فى هذه الدنيا ولا يفرق بينى وبينه صلوات الله وسلامه عليه حتى الموت والانتقال الى الآخرة وكذلك التقديس الواجب لشخص محمد والدين الذى يدين به العالم كله لمحمد صلى الله عليه وسلم والذى من خلاله توج محمد المكانة الأســمى بين

صفوة الاخيار والخالدين وقصدت من خلال هذا الكتاب أن يرى الناس على شتى معتقداتهم والمسلمون خاصة أن ميزان القيادة وميزان العمـل وميزان العقيـدة قد رجح بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ٠

وأردت من خلال ذلك الكتاب أن يرى العـالم كله انه لا قائد الا محمد ولا قيادة مهما كانت تعتبر مكتملة الا قيادة محمد الذى لا ينال من عظمته بغى الجهلاء كما لم ينل منه بغى الكفار وقت الرسالة ولا يمكن أن أنسى أبدا أساتذتى الذين مكنونى من خلال مراجعهم الفياضة ان يظهر بحثى فى هـذا الكتـاب الذى باذن الله سـيكون له مكانته التى تليق بصاحب الرسالة واحمد الله أن لهذه الدراسة آثرها فى نفسى حيث سعدت كل السعادة لما توصلت له فكانت لى بمثابة المعلم الذى أضاف لفكرى وعقلى وقلبى الكثير وحرك وجدانى فاذا لم يتحرك الوجدان لمحمد فلمن يتحرك ؟ وكان تعرضى فى هذا الكتاب لشخص محمد واسرته ومن هم وميلاده وفصاحته وعسكريته وبصيرته فى القيادة ذكاؤه السياسى دروسه التى قدمها من خلال زواجه وأبوته وعبادته لله معجزاته وأخلاقه فله عظيم الأثر فى نفسى وتعلمت الـكثير الذى كنت أجهله أريد من خلال هذا الكتاب أن يتعلم كل من أحب لعله يكون الطريق الى الهداية من خلال مادة سهلة سلسلة تقر الحقائق والبراهين على أن محمدا هو قائد الأمم ٠

أسأل الله أن يتقبل منى وان ألقى الله تعالى وهو راض عنى يوم لا ظل الا ظله طامعا فى شفاعة سيد الخلق أجمعين حبيبى وربيع قلبى محمد عليه الصلاة والسلام ٠

وأكون قد أوصلت معلومة يرضى عنهـا سيدى محمـد عليه الصلاة والسلام طامعا فى لقائه فى الآخرة ٠

انك سميع مجيب يا الله ٠

د ٠ اسماعيل حلمى

المراجع

— القرآن الكريم

— البداية والنهاية الامام أبو الفداء اسماعيل بن كثير

— صحيح البخارى

— معجزات النبى للحافظ أبو الفدا اسماعيل بن كثير ـ دراسة وتحقيق محمد عبد العزيز الهلاوى .

— الفصول فى اختصار سيرة الرسول لابن كثير

— العبقريات الأخلاقية ـ عباس العقاد

— أحسن القصص ـ على فكرى

— سيرة ابن هشام

— كلمات للدكتور محمد هدارة

صــــدر للــــكاتب

	العنوان	الناشر	الطبعات
١	استيقظوا انها سموم	العهد الجديد	طبعتان
٢	الصلاة لقاء مع الله	دار المطبوعات الجديدة	طبعتان
٣	سبيلك الى السعادة	المركز العربى للنشر	طبعتان
٤	الجنة والنـــار	دار المطبوعات الجديدة	طبعتان
٥	المرأة فى المرآة	الهيئة العامة للكتاب	طبعتان
٦	أفلا تعقلون	مكتبة الايمان	طبعة
٧	صرخة مدمن وأنواع المخدرات	مكتبة الجامعة أبو ظبى	طبعة
٨	طرائــف	مكتبة الجامعة أبو ظبى	طبعة
٩	أفاقون يروون التاريخ	مكتبة المعارف الحديثة	طبعتان
١٠	الصيام لله	الوطنيـــة	طبعة
١١	المسلمات الأوائل	مكتبة مدبولى	طبعتان
١٢	ريجان قبل البيت الأبيض وبعده	الوطنيـــة	طبعة
١٣	الأربعة الكبار	الهيئة العامة للكتاب	
١٤	بوش والبيت الأبيض	مكتبة المعارف الحديثة	طبعة
١٥	الديمقراطية فى الصحافة المصرية	الهيئة العامة للكتاب	
١٦	العذراء تزور مصر	الهيئة العامة للكتاب	طبعة
١٧	محمد قائد الأمم	الهيئة العامة للكتاب	طبعة
١٨	ماذا تعرف عن ؟ «طرائف»	الهيئة العامة للكتاب	طبعة

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة

أى استفســـار

للـــكاتب

هيئة الكتاب ـ رملة بولاق

أو

تليفون : ٤٢١٢٢٢٢ / ٠٣

رقم الايداع بدار الكتب ١١٧٨٩/١٩٩٦

ISBN — 977 — 01 — 5009 — 6

فى هذا الكتاب ..

كانت الضرورة لوجود مبحث يظهر للعالم كله أنه لا فائدة فى هذا الكون إلا إتباع سنّة محمد ﷺ وقرآنه وأنه لا قيادة مهما كانت تعتبر مكتملة إلا بقيادة محمد ﷺ الذى لا ينال من عظمته بغى الجهلاء كما لم ينل منه بغى الكفار وقت الرسالة.

وأنه لابد أن يكون هناك بحث له مكانته التى تليق بصاحب الرسالة وأسرته ومن هم؟ وميلاده، وفصاحته، وعسكريته ، وبصيرته فى القيادة وذكاءه السياسى، دروسه التى قدمها من خلال زواجه وأبوته وعبادته لله، معجزاته وأخلاقه، وذلك من خلال مادة سهلة سلسلة تقر الحقائق والبراهين على أن محمداً ﷺ قائد الأمم.

النور المتجدد الذى تستضىء به العقول وتتبدد به الظلمات وتنقشع به الغشاوات الفريد الوحيد، الذى ـ مقدمات شخصيته العظيمة ـ لو توفرت فى أى شخص آخر لا تأتى بمثل هذه النتائج التى استعرضناها فى بحثنا هذا إلا بعناية الله وأمره.

فالله وحده أراد لحبيبه ما أراد فكان محمد ﷺ بكل ما كان دليل الدلائل على أنه هو الحق وما جاء به هو الحق ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾.

تصميم الغلاف
أحمد عبد الغفار

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب